-2-

أول توثيق منهجي لتاريخ بلاد شنقيط

تاريخ موريتانيا

الحديث

من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار

(1055هـ/ 1322هـ - 1645 م/ 1905م)

الحسين بن محنض

الكتاب: تاريخ موريتانيا الحديث
المؤلف: الحسين بن محنض
الناشر: المؤلف
تاريخ النشر: 1431هـ/ 2010م
مكان النشر: انواكشوط- موريتانيا
الطبعة: الأولى
رقم الإيداع: 1038/ 2010م
المطبعة: دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم

مقدمة

لم يكن التاريخ الحديث لبلاد شنقيط (موريتانيا) أوفر حظا من حيث التدوين والحفظ من التاريخين القديم والوسيط، فالطبيعة البدوية للمجتمع، وغياب السلطة المركزية في البلاد، والحساسية البالغة التي يثيرها التاريخ لدى العصبيات العشائرية أدت إلى تغييب كثير من الأحداث، أو طمسه، أو طبعه بطابع الأسطورة. وقد جعل هذا الوضع من جمع وتأليف المادة التاريخية للعصر الحديث أمرا بالغ الصعوبة، محتاجا إلى كثير من الجهد والبحث والمقارنة، في جو يتسم بندرة المصادر المكتوبة، وتضارب المرويات الشفهية.

ومع ذلك كان أغلب المصادر المتاحة مجتزأ لهذا السبب أو ذاك، فالفرنسي شامبونو الذي عاصر الإمام ناصر الدين الديماني (1055هـ-1084هـ/ 1645م-1673م) ونقل لنا ملاحظات مهمة تتعلق بها، لم يؤرخ للأحداث الكبيرة التي رافقت قيام هذه الدولة الجديدة إلا من زاوية الحديث عن الجانب الذي يهمه، واليدالي الذي ولد عشر سنوات بعد انهيارها، وقدم لنا اكرونولوجية شاملة لأهم أطوارها ومعاركها لم ينظر إليها من زاوية الدولة، لأنه كان يتحدث عنها في سياق كتاب في المناقب لا كتاب في التاريخ. أما الوثائق الفرنسية بالسينغال، فهي وإن نبهت على أنها ظاهرة متكررة حدثت في عدد مناطق جنوب المغرب، وامتدت من تازروالت، التي كان لأسلاف ناصر الدين علاقات بالزاوية السملالية بها منذ قيام دولة بودميعة سنة 1040هـ/ 1630م، وتحدثت عن الكيفية التي تم بها تصدير الدولة الإمامية إلى دويلات الضفة اليسرى لنهر السينغال الزنجية (في بوندو وفوتا چلون وفوتا تورو)، فقد كان همها منصبا على التجارة في المنطقة لا على التأريخ لها.

ومع أن باحثين غربيين معاصرين تمكنوا من رصد التحولات العميقة التي تسببت فيها دولة الإمام ناصر الدين جنوب النهر، وتتبعوا أصداءها التي وصلت إلى البرازيل، بعدما قام أعضاء من حركة الإمام ناصر الدين جلبوا إليها كعبيد بالعمل على تأسيس أول حركة إمامية في أمريكا اللاتينية، فإن الذاكرة التاريخية للبيضان ابتسرت هذه الدولة واختزلتها في شربُبه[1] (الثانية) بين الزوايا وحسان، رغم أن هذا الشق لم يكن، لولا التماهي الأسطوري لحرب شربُبه الأولى في هذه الحرب، بمكان كبير من الأهمية، كما تثبت ذلك وقائع الحرب وأعداد ضحاياها، والوشائج الاجتماعية والسياسية الرابطة بين الطرفين.

ويبرهن على ذلك كون الأرستقراطيتين الحسانية والزاوية سارعتا إلى التحالف في ما بينهما بمجرد انهيار مشروع دولة الإمام ناصر الدين، كأن لم يكن بينهما شيء، فكان سيدي عبد الله بن رازگه[2] صديقا للأمير اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان، ورفيقه إلى الملوك العلويين، وراثي أخيه الأمير أعمر آگجيل من قبله، مع أنه ابن أخ سيدي الحسن العلوي الذي هو أول من دعا من قضاة الزوايا إلى حرب والد اعلي شنظوره هدي بن أحمد بن دامان، وكان ابن خالة الإمام ناصر الدين المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي قاضيا لاعلي شنظورة ومستشارا له. ودفن الترارزة الأمير عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره مع الإمام ناصر الدين بترتلاس، كما

[1] يطلق الشر في اللهجة الحسانية (لهجة البيضان الموريتانيين) على الحرب.
[2] الكاف في هذه الكلمة معقودة، أي أنها تقرأ جيما مصرية. وهكذا كل كاف مصحوبة بخط فوقها في هذا الكتاب.

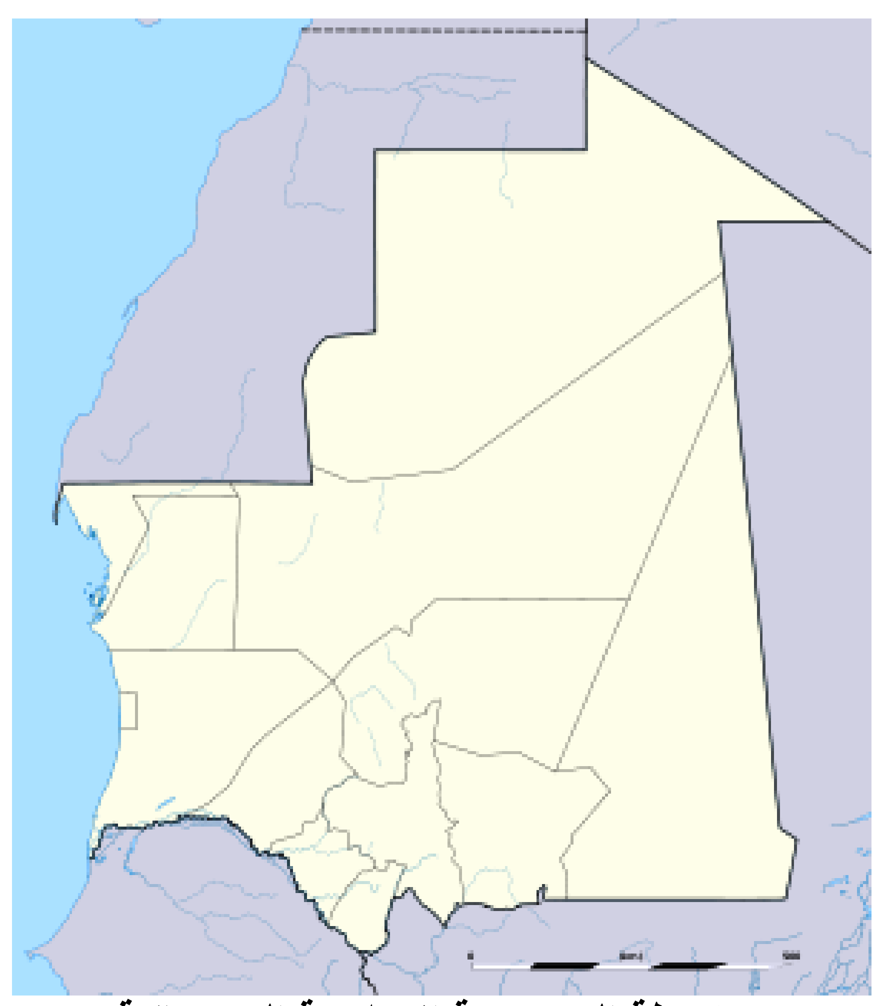
دفنوا الأمير أعمر بن المختار، والد الأمير محمد الحبيب مع أحمد بن العاقل الديماني بانبنه بوصية من الأمير.

ولولا كثير من البحث في مصادر تاريخ عهد الإمارات التي انتشرت في البلاد بعد انهيار دولة الإمام ناصر الدين، لطوى النسيان عددا لا يستهان به من الأمراء العرب والعلماء الزوايا الذين كان لهم شأن مرموق في البلد، ولما استطعنا أن نكتب أي شيء له قيمة عن إمارات أولاد امبارك أكثر الإمارات الحسانية أسطورية، وألصقها بالذاكرة الجمعية، وأقلها مراجع ومرويات في نفس الوقت، ولبقيت المعلومات المدونة عن أغلب الإمارات الأخرى سطحية ومشوشة.

ومع أن دولة الحاج عمر الفوتي قد حظيت بقدر لا بأس به من التدوين فإن أوجه تداخلها مع تاريخ البيضان كان يحتاج إلى كثير من التنقيب والبحث والمقارنة. ويمكن قول نفس الشيء عن مسار تاريخ التعاطي الأوروبي مع البيضان منذ اكتشافهم للشواطئ الأطلسية الشنقيطية، فرغم أن ما كتب في هذا المجال كثير، فإنه متناثر ومتفرق إلى درجة أن تتبعه يحتاج إلى جهد استثنائي.

ولأن بلاد شنقيط مدينة في شهرتها في العالمين العربي والإسلامي لازدهارها العلمي والثقافي، فقد كان لا بد لنا من تتبع مسار وتأثير النهضة الثقافية الشنقيطية، حتى تكون الصورة التي نقدم للبلاد مطابقة لحقيقتها.

وقد أردنا لهذا الكتاب، الذي هو أول كتاب مجمل جامع لتاريخ البلاد الحديث، أن يكون موضوعيا ووافيا، وهذا كان يحتاج بلا شك، شأنه في ذلك شأن ما قمنا به في التاريخين القديم والوسيط، إلى غربلة شاملة للنصوص، وتمحيص دقيق للمصادر، وقراءة مجردة للأحداث، وهو ما حاولنا القيام به في هذا الكتاب، والله الموفق على كل حال.



خريطة الجمهورية الإسلامية الموريتانية

تأطير تاريخي

بلاد شنقيط: هوية جديدة لذاكرة قديمة

تضافرت على بلاد شنقيط عوامل مختلفة، خلال عصرها الوسيط، أدت إلى تلاشي العديد من أجناسها السكانية القديمة. فقد أدى انهيار دولة المرابطين وسقوط مراكش سنة 541هـ/ 1147م إلى مقدم أفواج صنهاجية متلاحقة قادمة من الشمال، أغلبها عبارة عن مجموعات صنهاجية صحراوية كانت منخرطة في جيوش الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وأبنائه، فهربت من المغرب فرارا من الموحدين. وتمكنت هذه الأفواج التي كانت تقسم إلى طائفتين رئيستين: الطائفة التندغية، والطائفة الهوگارية من التعاضد مع المجموعات الصنهاجية الصحراوية التي لم تبرح البلاد قط، لفرض الهيمنة الصنهاجية على بقية السكان.

وقادت الحملات الصنهاجية التي تغلغلت ببطء داخل بلاد شنقيط التي كانت في ذلك العهد أرضا سائبة لا سلطان فيها، إلى دفع شظايا السكان غير الصنهاجيين إلى الانزياح جنوبا، تفاديا للوقوع في براثن الأسر أو الاستعباد أو التغريم. ولم تتمكن قبائل البربر الأخرى التي كانت تنتشر في البلاد من بافور، أو أغرمان، أو إيزگارن، أو إيرناكن، أو گنار...، ولا القبائل الزنجية السوننكية، أو الفلانية، أو السريرية... ، ولا حتى قبائل گدالة التي لم يشفع لها ماضيها المرابطي بسبب الخلافات المتجذرة بينها وبين لمتونه ومسوفه، لم تتمكن هذه القبائل من الوقوف في وجه الاجتياح التندغي والهوگاري.

ثم وصلت في بحر القرن الثامن للهجرة (14م) قبائل عرب المعقل إلى مشارف بلاد شنقيط، وبدأت أفواج وحملات بني حسان المعقليين تتوغل في البلاد، مؤدية بدورها إلى مزيد من السيبة، التي وصلت إلى أوجها باندلاع الحرب الصنهاجية الحسانية الكبرى المعروفة بحرب شربُبه (الأولى) بين سنوات 870هـ و875هـ (1465م و1470م).

ولم تجد الأجناس السكانية الأقل شأنا في البلاد بدا من الاستكانة لتغريم المجموعات المحاربة القوية، أو ترك البلاد والهجرة باتجاه السينغال أو مالي الزنجيتين، شأنها في ذلك شأن أغلب التجمعات السوننكية والتكرورية، التي استوطنت البلاد خلال عهود الهيمنة الغانية أو التكرورية أو المالية، على الأجزاء الشرقية أو

الجنوبية أو الوسطى من بلاد شنقيط، في فترة العصر الوسيط، كما فعلت مجموعات كبيرة من بافور وأغرمان وگنار اجتازت النهر، واندمجت كليا في النسيج الاجتماعي الزنجي.

واضطر من وجد من هذه الأجناس سبيلا إلى البقاء في هذه البلاد إلى تغيير هويته لصالح إحدى الهويتين الكبيرتين: الصنهاجية أو الحسانية، حاله في ذلك حال المجموعات اليهودية والمسيحية التي أفلتت شظاياها من حملة الأمير أبوبكر بن عامر (465هـ/ 468هـ- 1072م/ 1075م) إبان الغزو المرابطي الأول للبلاد.

ولأن قبيلة گدالة كانت تسيطر خلال القرن التاسع للهجرة (9-15م) على الشاطئ الشنقيطي، الذي أخذ في تلك الفترة يستقطب السكان بفضل ظهور التجارة الأطلسية، فقد استنزفتها حروبها الشرسة المتلاحقة مع الحملات الحسانية الراغبة في بسط نفوذها على الشاطئ الگدالي. وتسبب لها هذا الوضع في هجرة أغلب مكوناتها عن البلاد، إما شمالا إلى المغرب، وإما جنوبا إلى السينغال.

وبعد انتهاء الحرب الصنهاجية الحسانية الكبرى (شربُبه الأولى) في أوائل القرن العاشر الهجري (16م) استطاع الحسانيون تكريس نفوذهم وهيمنتهم، وإن لم يفلحوا في القضاء النهائي على العصبية الصنهاجية، التي تمكنت بعض قبائلها من أن تبني لنفسها أرستقراطيات قبلية محاربة مكافئة للأرستقراطيات الحسانية الوافدة، بينما تمكنت بعض قبائلها الأخرى من بناء أرستقراطيات زاوية منزوعة السلاح، لكنها محمية بواسطة الاعتبار الذي يجلبه التدين أو العلم أو التأثير الروحي.

ولم ينته العصر الحديث لبلاد شنقيط حتى كانت قرون من التحولات الاجتماعية والسياسية العميقة في المنطقة، ومن التعاطي بين المجموعتين الكبيرتين (صنهاجة وبني حسان)، قد أدت إلى نشوء أمة مندمجة، ذات طبيعة واحدة، ولغة واحدة، وعادات واحدة، تدعى البيضان، وتدعى بلادها بلاد البيضان.

وساعدت الحسانية (لهجة عربية هلالية) لغة بني حسان الوافدين، بسبب تفوقهم الحربي وانتمائهم للأصل العربي، في توطيد وتعميق الاندماج بين مختلف أعراق أمة كانت القبائل الصنهاجية فيها قد أخذت، بفضل الاستقرار النسبي الذي ساعد فيه ظهور التجارة الأطلسية، وترسخ التقسيم الاجتماعي الوظيفي الذي يعترف للزوايا بالسيادة الثقافية والروحية، تقبل على تعلم العربية والعلوم الدينية، وتحرص على الاستظهار بأصولها الحميرية القديمة، بينما كانت شظاياها السكانية الأخرى تعمل على طمس

هوياتها المختلفة (البربرية والسودانية...إلخ) وانتحال إحدى الهويتين الكبيرتين: الصنهاجية الحميرية أو الحسانية العدنانية اللتين يحظى أغلب المنتمين إليهما بالتقدير والاحترام.

وهكذا شهدت البلاد موجة تعرب شاملة ظلت تترسخ طيلة العصور التالية لمقدم بني حسان، حتى أدت في النهاية إلى اندثار اللسان الصنهاجي إلا من جيوب قليلة في جنوب غرب بلاد شنقيط.

وكما تقاسم البيضان نفس الهوية، تقاسموا نفس التراتبية الوظيفية الاجتماعية، فوجد في كل من القسمين الصنهاجي والحساني زوايا وعرب ولحمة.

والزوايا مصطلح مرابطي يطلق في عرف أهل هذا البلد على القبائل المشتغلة بالعلم، وربما أطلق عليهم لفظ الطلبة الذي هو مصطلح موحدي، تسرب إلى هذه البلاد جراء قدوم هجرات قبلية لاحقة على قيام دولة الموحدين ومتأثرة بنظامهم الوظيفي والاجتماعي.

أما العرب فتعني في عرف البيضان القبائل التي تمتهن الغزو دون غيرها، سواء كانت هذه القبائل حسانية أو صنهاجية، بينما تعني لفظة اللحمة القبائل المشتغلة بالرعي والتنمية، وربما أطلق عليهم لفظ أزناگه، ولو لم يكونوا من أصول أزناگية، فلفظة أزناگه في عرف أهل هذا القطر ذات مدلولين؛ مدلول سلالي بمعنى صنهاجي، ومدلول وظيفي خاص باللحمة بمعنى غارم، كما أن للفظة العرب مدلولين: مدلولا سلاليا يخص المنحدرين من أصول عربية، وآخر وظيفيا يشمل كل القبائل المحاربة، وهكذا تعني التزاويت في عرفهم الاشتغال بالعلم بغض النظر عن الأصل.

وكان من يتجه إلى الزوايا من القبائل التي اشتهرت بالغزو يسمى تائبا أو مهاجرا، ويصبح زاويا ولو كان حساني الأصل. كما أن كل من يتجه إلى السلاح ويحارب يسمى عربيا، ولو كان صنهاجي الأصل. أما المغارم فكل من انهزم وخضع لها حتى فقد عصبيته الأولى فهو أزناگي أو لحمي سواء كان من أصل حساني أو صنهاجي. والأصل في كلمة اللحمي لحمة الثوب، وذلك أن جباة المغارم من الحسانيين وغيرهم كانوا يسمون من يحالفهم ويدفع إليهم المغرم مقابل حمايته لهم بالصاحب أحيانا وباللحمي أحيانا معبرين عن كونه قد أصبح لحمة لهم، بما يجعل التعدي عليه تعد على الملتحم به. وتقول الرواية الشفهية إن أبا بكر بن عامر هو السبب الأول في التقسيم الفئوي للمجتمع الشنقيطي، فقد قسم أهل دولته إلى ثلاثة أقسام: قسم يتولى الجهاد، وقسم

يتولى التعليم، وقسم يتولى التنمية، فلما جاء بنو حسان وظفوا المغارم على ذوى التنمية، وتركوا من أهل العلم من اشتهر بالصلاح أو انعزل عنهم في زاويته ولم يتعرض لهم، وقاتلوا ذوي الشوكة منهم فمن هزموه غرموه كما يفعلون باللحمة أو بمن استضعفوا من الزوايا، ومن أعجزهم من أهل الشوكة من الصنهاجيين كما وقع لهم مع إيدوعيش أولا ثم مع مشظوف ثانيا كان في مصاف أنظاره من عرب بني حسان، وإذا غلبت فئة من بني حسان فئة أخرى فرضت عليها من المغارم مثل ما تفرض على المغلوب من صنهاجة سواء بسواء، فلذلك يوجد من قبائل وعائلات اللحمة من أصله حساني.

وكانت في المجتمع الشنقيطي فئات أخرى أقل عددا من الفئات الثلاث السابقة، منها فئة الصناع ("المعلمين")، وهي عبارة عن عائلات موزعة بين عموم القبائل لاسيما الزاوية منها وتمتهن الصناعة التقليدية، وأصولها العرقية شتى، ومنها فئة "إيگاون" (المغنون) وأغلب ما يكونون مع العرب واشتغالهم بالغناء، وأصولهم العرقية شتى كذلك. والحراطين وهي كلمة بربرية (أهرضنن) كانت في الأصل تطلق على مجموعات إيزگارن الأمازيغية التي كانت تمتهن الزراعة، ولم يسبق عليها أي رق[3]. ثم توسع مفهوم الحرطاني مع تشكل المجتمع البيضاني إبان قدوم بني حسان ليدل على البيضان المنحدرين من أصول سودانية أو أي رقيق تحرر من الرق. قال المختار بن حامدٌ: «ومن طبقات المجتمع تكونت الأقسام الاجتماعية الآتي ذكرها: قسم ذوو شوكة وسلاح يسمون بالعرب، وهم بنو حسان المذكورون، ومن سار بسيرتهم من حمل السلاح وتعود الكفاح من أحفاد المرابطين وغيرهم، وقسم يقومون بالخطط الدينية من تعلم وتعليم وقضاء وهم الزوايا، وقسم غارمون يسمون باللحمة تشبيها بلحمة الثوب وهي ما ينسج عرضا وخلافها السدى وهو ما يمد طولا في النسج، وذلك لأنهم كانوا يعطون الزكوات والإعانات للمجاهدين والمعلمين، فكأن الجهاد والتعليم إسداء، والإعانة لحمة له. ثم انسحب اللقب على الغارمين لذوي الشوكة. ويضاف إلى هذه الأقسام قسم يحترفون الموسيقي ويسمون الشعار أو إيگاون، وقسم يحترفون الحدادة والنجارة وتحترف نساؤهم الخرازة والصناعة وهم الصناع أو المعلمون، ثم الموالي العتقاء والعبيد[4]».

ومع أن سيادة النظام الأميري الحساني في بلاد شنقيط، بعد فشل مشروع دولة الإمام ناصر الدين (1076هـ - 1088هـ /1665-1677م) قد ساعد كثيرا في تقبل

---

[3] وقد تكلف البعض لكلمة "حرطاني" ذات الأصل البربري (أهرضنن) معنى حسانيا فجعلها محرفة عن "حر ثاني" أو "حر طاري".

[4] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء لقطات حية، مرقون، ص40.

انتشار اللهجة الحسانية، وإنضاج الهوية البيضانية المبنية عليها، فقد تطلبت هذه التحولات الاجتماعية والثقافية وقتا طويلا، لأن بعض القبائل الصنهاجية لم يقتنع بالتخلي الكلي عن لسانه الصنهاجي لصالح الحسانية إلا خلال القرن الثالث عشر الهجري (19م)، وظلت توجد في البلاد جيوب محافظة على اللهجة الصنهاجية حتى أوان قيام الدولة الموريتانية المعاصرة 1960م (1380هـ).

ورغم أن العنصرين الصنهاجي والحساني مثلا أساس هذه الهوية البيضانية الجديدة، فإنه من الخطإ إهمال الرافد الزنجي في ثقافة البيضان، فالفلكلور والموسيقى والأزياء البيضانية، وحتى بعض التقاليد الاجتماعية، مدينة في كثير من جوانبها للثقافات الزنجية المجاورة، فقد مثلت بلاد شنقيط نقطة التقاء تلاقحت فيها ثقافات شمالية وجنوبية مختلفة، ظلت تتعدد على مر التاريخ بتعدد الهجرات البشرية التي احتضنتها الصحراء.

التاريخ الحديث

دولة الإمام ناصر الدين

(1055هـ - 1088هـ /1645-1677م)

1- بدء أمر الإمام ناصر الدين:

علمت تشمشه التي كانت تعيش، سنة 1040هـ/ 1630م، في وئام مع سادة منطقة الگبلة من أولاد رزگ باستعدادات المغافرة الحسانيين لحرب حلفائهم، وأدركت أن المغافرة الذين استفادوا من تمالؤ قسم من أولاد رزگ ومن دعم العروسيين منتصرون لا محالة، فتفرقت بطون القبيلة خوفا من أن تمتد إليهم يد المعركة، فلجأ

أولاد ديمان إلى إيدغهمذ الذين كانوا أبناء عمومة لهم، ولجأ إيدگبهني إلى تندغه، ولجأ إيداشفغه إلى إيچكوچي، ولجأ بنو يدن ابياج من بني يعقوب إلى إيچيچبه، وإيدودام منهم إلى السوداني بوبكر چوب، رئيس قبيلة مصار چوب ببرويت[5].

ودارت المعركة التي اندلعت عند "انتيتام" (7كلم شمال شرق الركيز جنوب بلاد الگبلة) في نفس السنة، وانتهت بانتصار حاسم أحرزه المغافرة ضد أبناء عمومتهم أولاد رزگ، وأصبحوا بذلك سادة المنطقة الجدد وخفراءها وجباة المغارم فيها.

ولما وضعت الحرب أوزارها عادت تشمشه إلى مواطنها، فجاءهم قادة المغافرة يريدون تغريمهم، وحدثت بينهم حوادث، انتهت بتوافقهم وتخلي المغافرة عن عزمهم على تغريمهم[6].

ومضى على تشمشه بعد ذلك بضع وثلاثون سنة وهم على أحسن ما يرام. فبينما هم كذلك إذ قام فيهم فجأة سنة 1075هـ (1665م) أوبك بن أبهم الديماني[7] المولود 1055هـ/ 1645م[8]، وكان أحد فتيانهم البارزين[9] فجعل يخبر الناس ببعض أحوالهم، وبما في ضمائرهم[10]، فبهرهم بذلك، وأقبل عليه بدويهم وحضريهم[11].

---

[5] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، قرطاج، 1990، ص96.

[6] يروي محمد اليدالي في كتابه شيم الزوايا أن «أحمد وعتام وساسي قدموا إلى تشمشه فالتمسوا منهم المغرم فأبوا، فقالوا: لا بد أن تعطوا لكل واحد منا جملا غرامة، وعتام هو المجد في ذلك ثم انصرفوا عنهم. ثم إن المختار بن عبد الل بن كروم المغفري أهدى لسيدي الفالي بن محنض بن ديمان جملا جيدا، ومر في طريقه تلك بأحمد بن دامان فأخبره بهديته لسيدي الفالي، فجاء أحمد بن دامان إلى إخوته وقال لهم: إن أولاد عبد الل يهدون للزوايا الذين تريدون أن تغرموهم، ويوقرونهم ويعظمونهم، والله لئن سبقوكم بالهدية ليسبقنكم بالدرجة أبدا، فليهد كل واحد منكم لهم بجمل، فعند ذلك أهدى كل واحد من أولاد دامان جملا لسيدي الفالي». راجع، محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص65-66. ويروي سيدي أحمد بن أسمه في كتابه ذات ألواح ودسر أن اعلي بن المختار بن عبد الل بن كروم أهدى لبابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان خلال تلك الفترة جملا، ثم لم يزل بنوه يعطون هذا الجمل لبني بابحمد مدة 112 عاما. كما يروي أن أحمد بن دامان خصص جزءا من آمكبل (خراج) مرسى انجيل (اجريده) لبابحمد بعدما قام بالترجمة بينه وبين الأوروبيين، وأن أولاد بابحمد ظلوا يتوارثون هذا الخراج حتى انقطع المرسى المذكور. وكان آخر من أخذه منهم العباس بن الكوري بن قطرب الديماني. انظر، سيدي أحمد بن أسمه، ذات ألواح ودسر، مخطوط، ص42. وهبت على تشمشه رياح الأمن في ظل المغافرة، بعدما أهدى لهم سادة الترارزة: أحمد بن دامان وإخوته، وسادة البراكنة: المختار واعلي ابنا عبد الل، وبعدما اتخذ بكار الغول بن اعلي بن عبد الل من أحمد بن محنض بن ديمان "مرابطا" له، كما نقل والد بن خالنا في كتابه كرامات أولياء تشمشه (مخطوط، ص12).

[7] هو أوبك (أبو بكر) بن أبهم بن يعقوب بن أگدام بن يعقوب بن ابهنض يحيى بن مهنض أمغر الذي هو أحد الخمسة المؤسسين لتشمشه.

[8] تروي الرواية الشفهية أن سنة 1055هـ/ 1645م كانت هي سنة اندلاع حرب شربُبه التي تقول الرواية أنها دامت 30 سنة، وهذا غير صحيح فالذي دام 30 سنة هو شربُبه الأولى كما أوضحنا في الجزء الأول من هذا الكتاب. أما حرب الإمام ناصر الدين (شربُبه الثانية) فاستمرت ست سنوات في حياة الإمام ناصر الدين، ودامت سنة بعده في الترارزة، وثلاث سنوات بعد ذلك في البراكنة. وقد تبين لنا من الاستقراء، ومقارنة تواريخ الحوادث ووفيات الأشخاص الذين سبقوا أو

عاصروا هذه الأحداث، أن سنة 1055هـ/ 1645م كانت هي سنة مولد هذا الإمام، بعد أربع سنوات من وفاة الشيخ أحمد بزيد اليعقوبي (تـ1051هـ/ 1641م) الذي بشر بولادته يوم اقتران أبيه بأمه هينيا بنت أشفغ أوبك. ويؤكد هذا الاستقراء ما ذكره الفرنسي شامبونو الذي رأى ناصر الدين قبيل وفاته ووصفه بأنه شاب دون الثلاثين. وقد توفي الإمام ناصر الدين في جمادى الأولى 1084هـ/ أغسطس 1673م.

[9] أمه هينيا بنت أشفغ أوبك بن أشفغ مگر التامگلاوي، وزوجه حنه بنت أشفغ الأمين بن سيدي الفالي الديماني.

[10] يروي اليدالي مبتدأ خبر أوبك بن أبهم قائلا إنه «ورد بئر إين شبئر في اليوم الموفي عشرين من رمضان ليسقي بقره، فلم يصدر من البئر إلا بعد هدء من الليل، فوجد الناس قد صلوا العشاء والتراويح، فلم يزل يصلي حتى قارب الفجر، فبينما هو يرقبه، إذا كوشف بأهل الجنة وأهل النار، وأحوال الناس في البرزخ، وفي عرصات القيامة». محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص125. وقد أصبحت بئر إين شبئر تعرف بعد ذلك ببئر ناصر الدين، اللقب الذي سيشتهر به أوبك بن أبهم بعد قيام دولته.

[11] المرجع نفسه، ص 126. وصدق أمر ناصر الدين عند ذويه ما تناقلوه من أن أشفغ أوبك بن أشفك مگر، وهو أبو هينيا أم ناصر الدين، وكان صالحا، كان يغمز في بطنها وهي صغيرة، ويقول: كم في بطن هذه البجيراء. انظر، أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مخطوط، ص 49. ومن أن أحمد بزيد اليعقوبي، وكان من الصالحين المشهورين، كان يخصف نعلا، فسمع بزواج أبوي ناصر الدين ففزع وارتاع مما سمع، حتى ألقى نعله، وقال: «سيبدو من هذا الزواج العجب». المصدر نفسه، ص 49. فمما نقل محمد اليدالي في كتابه أمر الولي ناصر الدين من قصصه في هذا الصدد قوله لأحمد بن الحسن اندوبك بن أبي موسى بن أشفغ ابياي بن مهنض أمغر: «إذا هطل عليك مطر بقرب إدوفال (شمال شرق دگانه بالسينغال الحالي) فإن فيه أجلك» فكان كذلك. وقوله لخالنا ابن الغالي بن المختار أگد عثمان الأبهمي: «إذا مات أبو الفالي الكوري، فقد حان أجلك» فكان كذلك. وسأله أبناء محنض أگد عبد الله الإيچيچبي عن آخرهم موتا، فقال لهم: «إنهم لن يتوارثوا» ، فقتلوا خمستهم في آن واحد في إحدى معارك شربُبه. وسأله باب أحمد بن سيدي يوبل بن محنض بن ديمان عن موته، فقال له: «متى اجتمعت تشمشه عند انبراگه [جنوب المذرذرة] فقد دنا أجلك»، فلم تجتمع تشمشه قط في ذلك الموضع إلا عند قدوم العباس الآگشاري إلى إگيدي، بعد انتهاء شربيه، فإنهم اجتمعوا فيه خوفا من العباس المذكور. وقال: «إن من دفن مع سيدي الفالي [دفين احسي السعادة] لا يعذب في القبر، ولا يؤاخذ بذنوبهم يوم القيامة، وإن من دفن مع أبيه محنض بن ديمان [دفين رأس الكلب] لا يعذب في القبر ولكنه يؤاخذ بذنوبه في الآخرة». وقال: «سبحان الله، ما أكثر ما أراني الله من دماء المسلمين وأموالهم في ميزان الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد الحسني»، وكان من أقطاب البلاد وعلمائها، ثم قال: «يبقى له خير كثير، لأنها غارة موسر». وكان رجل من أولاد أبييري يدعى المختار بن أعمر في تجكانت، أيام حربهم للعروسيين، مع عالمهم الصالح المحجوب الجكني اليوسفي (تـ1102هـ/ 1690م)، فاتفق أن ركب معه ذات يوم من أيام تلك الحرب قاصدين قصر تگبه، فسأله ما أول علامات الساعة؟ فقال له: خروج فتى يلتمس إحياء الدين فتقتله المغافرة هو وأصحابه، فقال له: من أي الناس هو؟ فقال: هو من عرب النقاب، فقال له: وأين عرب النقاب؟ فأومأ بيده إلى جهة الگبلة، مشيرا بها إلى جهة المغرب، وذكر له أن في أنفه ميلا، وذكر له علامة في أسنانه. فلما ظهر ناصر الدين قصده زائر مع ركب من إيچيچبه، فأتوا عسكر الزوايا ليلا، فلم يلبثوا حتى جاءهم رجل فقال: أين المختار بن أعمر؟ فأفزعه ذلك إذ لا معرفة بينه وبين ذلك الرجل، ولا بينه وبين أحد من العسكر، فقيل له: ها هو هنا، فقال له: أجب إمامنا ناصر الدين، فسار معه حتى دنا من مجلسه، فمنعه زحام الناس من الوصول إليه، فمكث هناك ما شاء الله، وحتى طال به الوقوف دون أن يعبأ به أحد، فرجع إلى أصحابه فبات معهم، فلما كان من الغد بكرة أتاه رسول ناصر الدين أيضا فقال له: أجب ناصر الدين، فسار معه حتى غشيا جنابه، ومعه بعض خواصه، وهم راغبون في محادثته، فانشغلوا عنه مليا، ثم أقبل على محمد بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، فقال له: سل المختار بن أعمر عن ما قال له المحجوب؟ فسأله، فقال له: جرى بيني وبين المحجوب أمور كثيرة، حضرت معه الحروب، وتعاطينا الديات، ولم أتذكر هذا الذي تقصدون، فذكروني، فانصرفوا عنه، وتحادثوا مليا حتى ظن أنهم نسوه، ثم أقبل ناصر الدين على القاضي عثمان فقال له: سله عن ما قال له المحجوب؟ فسأله القاضي عثمان وألح عليه، وهو يقول: لم أتذكر ما تقصدون، ذكروني به، فقال ناصر الدين: سله عن ما قال له المحجوب قبل وصولهم قصر تگبه، فتذكر القصة كلها، فعلم أنه هو الفتى الذي أخبره به المحجوب، فالتمس الأمارتين اللتين ذكر له في وجهه فإذا التي في أنفه، وقال لهم: ما تسألون عنه لست بأعلم منكم به فتبسموا. ثم قال في نفسه: ليت شعري ما عرب النقاب الذي ذكرهم لي المحجوب؟ فقال ناصر الدين: لا يصلي باللثام إلا المرابطون أو اللمتونيون – شك الراوي-، مشيرا إلى أن عرب النقاب هم لمتونة، لأن شعارهم التلثم والتنقب، وكان رهط ناصر الدين قبل قيام تشمشه من لمتونة.

وكثر التفاف الزوايا حوله، وازدحم عليه الناس، «فجعل يعظهم، ويحثهم على التوبة والتعبد، فتابوا وخشعوا، وأحبه الناس حبا شديدا، ولازموه حتى صار الرجل منهم يدع أهله وولده وماله رغبة فيه، فلا يفارقه إلا حين يقوم لقضاء حاجته. وألزم ناصر الدين الناس بالتعلم والعمل، وكان يقول لهم: من ركب منكم فرسه، فليجعل لوحه بينه وبين سرجه، فإن الجهل هو أقبح ما يأتي به المرء الآخرة[12]»، وكان يأمر كل من يأتيه بحلق رأسه، فقد كان انتشار اللمم من العوائد المستحكمة في هذه البلاد في ذلك العهد، إلى درجة أن كثيرا من الرجال كانوا لا يحلقون رؤوسهم من حين بلوغهم إلى حين مماتهم، فمكث الناس هكذا ثلاث سنوات، سموها سنوات التوبة.

2- من التوبة إلى الدولة:

ثم رأى أعيان التائبين من الزوايا ووجوههم أن يبايعوه، لما شاهدوا من اجتماع الناس عليه، ورغبتهم فيه، وحنت نفوسهم إلى إحياء دولة المرابطين من جديد، فنادوا في القبائل بالتقدم لبيعته، فبايعه الناس حوالي سنة 1078هـ/ 1668م، واشرأبت إليه الأعناق من كل جانب، ولم يعترض أحد على بيعته، فأخذ في تنظيم الوزارة وتعيين الأعوان، وتجييش الجيوش، وتلقب بالإمام، بعد أن كان يتلقب خلال سنوات التوبة الثلاث السابقة بالسيد، وسيتلقب بعد ذلك بمشيع الدين، ثم بناصر الدين، لقب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين[13].

واختار ناصر الدين ابن خالته ابيهيم بن يعقوب بن أحمد، من بني أشفغ أوبك بن مهنض أمغر (بطن منقرض) لوزارته، وسماه القاضي عثمان، وعين محمد بن حبيب الله الألفغي (الإيداشفغي) قاضي المجلس، الذي يقضي في مجلس الأمير، على غرار قاضي مجلس المرابطين إبراهيم الأموي، كما استقضى قضاة آخرين منهم الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي الديماني، والحبيب بن الحسين اليدن يعقوبي، واتخذ من العلماء مجلسا للشورى، وعين عمالا لجباية الزكاة.

واتخذ من محم بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي مرافقه الأيسر، ومن عمه الماحي بن سيدي الفالي مرافقه الأيمن، ومن المختار بن أوبك -ابن أخت الماحي امنيانه بنت سيدي الفالي- حامي ظهره[14]. وبايع جل زوايا المنطقة ناصر الدين، كما بايعه أولاد

---

[12] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص123-128.

[13] اتخذ يوسف بن تاشفين لقب ناصر الدين تم بعد معركة الزلاقة الشهيرة (479هـ/ 1086م.

[14] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص 129. وأضاف: «وكان يسر للماحي ما لا يسر لصاحبيه، ويسر للثلاثة ما لا يسر لغيرهم، فاتفق أن مات الثلاثة معه يوم ترتلاس، فلم يطلع على شيء مما كان يسر به إليهم».

رزگ وأغرمان وبافور وأهل گنار وبعض المغافرة. وعارض بعض الزوايا دولته، وأفتى بعدم شرعيتها، فنبذ المغافرة بيعته ورحلوا إلى تيرس[15].

وكان تمركز ناصر الدين وجهاز دولته في مربع يمتد من الطويلة (40 كلم شمال انواكشوط) إلى تيگماطين جنوبا (140 كلم جنوب انواكشوط) ، في نحو 120 كلمتر شرقا.

3- مرحلة الحرب:

ووجه ناصر الدين اهتمامه اتجاه الجنوب، لاسيما شمامه (الوالو) وفوته (فوتا تورو) واچيولوف وإيسنغان (كايور)، فجعل يرسل إلى هذه المناطق الرسائل، ويبعث إليهم الرسل، داعيا وثنييهم إلى الإسلام، ومسلميهم إلى التوبة، وتحكيم الشرع، ووقف استرقاق الأحرار والحيلولة دون بيعهم للأوروبيين.

وكان الفرنسيون متمركزين بسينت الويس (اندر) منذ 1048هـ/ 1638م، وكانوا يشترون العبيد من مختلف المناطق المجاورة، فكانوا يشترون من الوالو نحو مائة عبد بمحطة تكشكمبه (محطة تجارية على النهر لقبيلة إيدوالحاج) وحدها في كل موسم، فكتب ناصر الدين إلى ملك الوالو افارا كومبا يحثه على طرد الفرنسيين، ويحذره منهم، قائلا إنهم لا يريدون إلا احتلال البلاد، ويتسترون بالتجارة ليتعرفوا على المنطقة[16]. ولما لم يستجب ملوك الوالو وكايور وفوته واچيولوف لناصر الدين قرر غزوهم، فبدأ بفوته ففتحها أواخر سنة 1083هـ/ مطلع 1673م، على يد النحوي أگد عبد الله أگد المختار (النحوي بن عبد الله بن المختار) الإيچيچبي، فاستعمله ناصر الدين عليها مكان سلتيگي (ملك) فوته[17]. ثم اتجه إلى اچيولوف، ففتحها على يد الفالي بن أبي يعدل الألفغي (الإيداشفغي)، واستعمل عليها سرانكو، أحد أفراد الأسرة المالكة، مكان ملكها بوربا، وكان سرانكو ممن ناصر جيش الزوايا، وانخرط في حركة التائبين.

ثم توجه إلى كايور ففتحه، وفتح ريوا، واستعمل عليها أحد وجهائها يدعى حبيب الله صل. ثم توجه إلى الوالو (شمامه الجنوبية) ففتحها على يد الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي، وكان قوم من إيدوالحاج جاءوا إلى ناصر الدين أثناء رحلته المذكورة، فشاوروه في غزو شمامه (الوالو)، فقال لهم: أمهلونا حتى نقرب منكم لنعينكم، فلما

[15] محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، تحقيق مريم بنت ءاده ، مرقون، ص27.
[16] راجع ، بوبكر باري، لوروايوم دي والو، مطبعة كرتالا، 1985، ص121.
[17] محمد المختار بن السعد، حرب شربُبه، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي،1994، ص122.

قربوا منهم بعث إليهم ناصر الدين بعسكر عظيم بقيادة الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي، وأمدهم إيدوالحاج بستين رجلا، وكانوا بأوجفت انبج بين اللوگه والنهر، في المكان المعروف الآن ببو حجرت النخل (السينغال الحالي)، فراحوا معهم بعد الظهر، وباتوا عند أباخ، أحد روافد نهر السينغال (5كلم من مدينة الگوارب) ، فذهب رجل من أهل شمامه (الوالو) إلى ملكهم ابراك افارا (افارا كومبا) فأخبره بأنه رأى جيشا من البيضان، فأرسل الملك إلى أحد أعيان دولته، كان يلي أمر البيضان، فكذب له الخبر.

«فلما أصبحوا وساروا إليه، وأحس بحركتهم ظنهم قطعان وحش فقال: ما أكثر وحش شمامه اليوم، ثم تبين له الأمر فعرض رجاله لقتال الزوايا، فلما أحس بالهزيمة فر هاربا على فرسه، فرآه النجيب بن عبد الله الإيدولحاجي، وكان على جمل عليه طبل يهدي به الجيش، فصاح النجيب بالخيل، فعلموا أنه رأى الملك هاربا، فتبعه بعض الفرسان فأدركوه وقتلوه[18]».

واستعمل ناصر الدين على الوالو القاضي عثمان، فأراد القاضي عثمان أن يستعمل عليها رجلا من كبار گنار، فأبى أهل گنار، وقالوا هؤلاء أقاربنا ولا نحب أن نتأمر عليهم، ولكن نأخذ لكم منهم رجلا هو أعدلهم، فاستعمل القاضي عثمان ذلك الرجل الذي ذكرته المراجع الفرنسية باسم يريم كودي، بينما سماه اليدالي بآنتاي سار. وأوضح بوبكر باري في كتابه تاريخ الوالو بأنه انتقل من ذلك الاسم إلى هذا لما تخلى عن الوثنية وانخرط في دين التوبنان (التائبين) وفقا للعادة التي كانت تقضي بأن من يسلم من التائبين يغير اسمه[19]، وكان خال أولاد القاضي همر (عمر) فال، رؤساء گنار، وأخا لابچنگار (لينگار) ملكة الوالو (زوجة افارا كومبا المقتول[20])، فقال له ناصر الدين: استعملته وهو قاتلك[21].

4- اصطدام الدولة بالمغافرة:

وحدث أن بعث ناصر الدين كما هي عادته عماله لجباية الزكاة، فبعث سيدي الحسن بن القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب العلوي مغربا، لجمع الزكاة، فجمعها إبلا وغنما، حتى أتى قبيلة تاشدبيت، إحدى قبائل زوايا الغرب، فأعطاه حليف لها[22] زكاة إبله، ومنعه زكاة أذواد منها تحت يده، لكنها ليست في ملكه، فقال له سيدي

[18] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص137.
[19] باري، مرجع سبق ذكره، ص119.
[20] يذكر لاكوربا بأنه التقى ابنتي الملك افارا كومبا بمحطة بيع العبيد بتكشكمبه سنة 1685م (1096هـ)، باري، ص118.
[21] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص138.
[22] تقول الرواية الشفهية أن اسمه ببه بن آصور الصگاعي.

الحسن: والله لا أترك منها عقالا. فقام عريف تاشدبيت -يقال إنه خليد بن المختار بن يندگسعد- دون حليفه، ورحل به، أو أرسله إلى هدي بن أحمد بن دامان، فدخل في جواره، فجاءه سيدي الحسن هناك، فاستفتى هدي الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد الحسني عن شرعية أخذ ناصر الدين للزكاة من الناس، وكان الحاج عبد الله من أوجه الناس وأعلمهم وأفضلهم في تلك الناحية، فأجابه بأنه ليس بشرع، فأمر هدي عزونه بالإغارة على ما بيد سيدي الحسن من الزكاة، فأغاروا عليه، فأرسل سيدي الحسن إلى الزوايا بأن يغزوا المغافرة لأنهم غدروا وحاربوا، فقال الزوايا: لا نغزوهم حتى نتثبت ونستيقن من الخبر، فبعثوا أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، ومحمذن بن باب أحمد بن يعقوب إنلل الديمانيين في ركب إلى الترارزة، وكان الترارزة أصهارا لأشفغ الأمين بن سيدي الفالي، فلما جاؤوهم أجابوهم أولا إلى مسالمتهم، واصطلحوا على أن لا يتدخل الزوايا في شأن من شؤون المغافرة، ولا يتعرض المغافرة للزوايا في سياسة دولتهم. ثم قدم محمود بن عبله التروزي إلى قومه، وكان من فتيان المغافرة، فأثار مخاوفهم من استفحال أمر الزوايا وتعرضهم لأصحابهم (زناگتهم) المساكنين للزوايا، فلم يستتب الصلح، وانتهت بذلك الهدنة التي دامت زهاء سبع سنوات (من 1078هـ إلى 1084هـ/1668م إلى 1673م) بين الطرفين. وعاد وفد الزوايا إلى ناصر الدين ومن معه من الزوايا بالخبر.

وائتمر الزوايا بينهم، وتشاوروا في ما يفعلونه، فكان أول من تكلم منهم الفالي بن أبي الفالي الحسني فقال: أيها الناس، جمعوا على هذا الإمام العادل من الجنود ما يوجب عليكم القتال. فأخذوا في تعبئة الناس، وتجييش الجيش، حتى بلغ أفراده اثني عشر ألفا، ليس في الگبلة قبيلة إلا وفي الجيش منها جماعات أو آحاد، وكان فيهم بعض أولاد رزگ وأفراد من قبائل مناطق البلاد الأخرى. وكان من لم ينضم إلى الجيش من أولاد رزگ وأغرمان وبافور يمدون الزوايا بالخيل والسلاح والميرة.

5- اندلاع شربُبه (الثانية):

واعتبر الزوايا أن حربهم مع المغافرة هي امتداد لحرب شربُبه الأولى التي دارت قبل قرنين (870هـ و875هـ (1465م و1470م) بين بني حسان وصنهاجة، فاشتهر التائبون المنخرطون في جيش الزوايا لذلك بـ"الشرابيب"، كما ذكروا بهذا الاسم في بعض التواريخ والفتاوى المحلية[23].

[23] انظر مثلا فتوى محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي، وقد أشكل ضم الباء في لفظ شربُبه على عدد من المؤرخين لعدم احتفاظ الذاكرة الجمعية بعلاقته بشربُبه الأولى، ودرج الناس على نطق لفظ شربُبه بفتح الباءين موافقة للسان الحساني،

وقدم فرسان من المغافرة فوجدوا أحمد بن المصطفى بن الفالي حول عسكر الزوايا، ففقأوا عينه، فقأها همد بن فاجه الگباعي، فلما رأى الناس ذلك بكوا، وكثر البكاء على عينه، فقال ناصر الدين: يبكي على عينه اليوم من لا يبكي على موته غدا، فكان كذلك، فإنه مات يوم تن يجمار، فلم يبك عليه أحد لانشغال الزوايا بهزيمتهم عنه[24].

وبعث ناصر الدين ردا على غارة المغافرة، بعثين من "الشرابيب": بعثا غرب بقيادة القاضي عثمان، وبعثا شرق بقيادة محنض بن چبه البارتيلي، فلقي هذا البعث الذي شرق غزوا من المغافرة بانتجي (شمال بتلميت)، فاقتتلوا، فقتل عبد الرحمن بن محمد بن معتوگ العمراني، قتله المغافرة. وجرح في هذه اليوم الذي يعرف بيوم انتجي الأمير محنض بن چبه البارتيلي، فقاد الجيش بعده المصطفى بن اخطيره الحسني، فعاد غانما ظافرا. ولم يلق الجيش الذي غرب بقيادة القاضي عثمان حربا. وكان في الجيش اثنان من أولاد ديمان هما الفالي بن سيدي بوبكر ومحنض بن اعديجه بن سيدي الفالي فحرمهما ناصر الدين من الغنيمة.

وهاجم غزو من عزونه -استجابة لأمر الأمير هدي- سرحا للزوايا، فغنموا إبله، وقتلوا رجلين من إيدوجان (بطن من المدلش)، فتبعهم ناصر الدين في خيل فاستنقذ الغنيمة، وقتل خلال هذا اليوم الذي عرف بيوم جيوه، نسبة إلى مرسى للسفن الأوروبية (32 كلم جنوب انواكشوط)، ثلاثة وثلاثون رجلا من عزونه[25].

ورد المغافرة على يوم جيوه بيوم الخواره (132 كلم جنوب انواكشوط)، قتل فيه رجال من أعيان الزوايا منهم الفالي بن بارك الل بن يعقوب إنلل الديماني، قتله گاليت بن مهنض تاكشي، وجرح فيه محنض الغالي اليعقوبي المشهور بالوداني، وكاد أن يقتل لولا برام بن عبله الذي استنقذه من المغافرة، ومن عليه.

6- الإمام ناصر الدين يحث الفرنسيين على الحياد:

وأهمل بعض مؤرخي الزوايا أصله، وجعله من أصوات الحرب بالصنهاجية، لتعود الصنهاجيين على ضم شين شرببه موافقة للسان الصنهاجي، ولكون الانخراط في جيش الزوايا كان يتم بواسطة النطق بطريقة حماسية (اتبربير) باسم شربُبه.

[24] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص140.

[25] قال اليدالي: وظنوا أنهم قتلوا كنان بن عبله، فقال لهم ناصر الدين: ما قتلتموه، فبان أنهم لم يقتلوه. محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص142.

وعلم ناصر الدين بعد رجوعه إلى الگبلة أن دمشينه، مدير الشركة التجارية الفرنسية المقيمة بقلعة اندر (سينت الويس) أخذ يحرض الزنوج ضد البيضان وحركتهم "التوبنانية" (حركة التوبة) التي انتشرت في المناطق المفتوحة من قبل جيوش ناصر الدين، بسبب ما ألحقته هذه الحركة من أضرار بتجارتهم، لاسيما تجارة العبيد، فبعث ناصر الدين أخاه منير الدين (واسمه المختار) إلى دمشينه ليؤكد له استعداده للاحتفاظ بنفس العلاقات التي كان الملوك الذين حل محلهم يقيمون معه، وبنفس شروط التبادل التجاري المتعارفة، ويرجو منه عدم التدخل، حيث أنه لم يأت إلا للتجارة فقط، وعليه ألا يتدخل سواء إلى جانب "التوبنان" (التائبين) أو إلى جانب معارضيهم[26].

ورد دمشينه على منير الدين بأنه لا ينوي احتلال البلاد، وأنه بدوره راغب في استمرار العلاقات الودية معهم، وأفاض في نفس الوقت في الحديث عن عاهل فرنسا وما له من القوة والسطوة لإرهاب ملك "التوبنان" (ملك التائبين) الإمام ناصر الدين الذي أصبح يثير مخاوفه بصورة جدية، حيث وجد دمشينه نفسه فجأة مرغما على التعامل مع امبراطورية ترفع شعار الإسلام المحافظ الذي يرفض تجارتهم الأساسية (تجارة العبيد) بينما كان يتعامل مع مجموعة من الممالك الصغيرة المشتتة والمتصارعة التي يجدون في صراعها وقودا لتجارتهم.

7- مقتل الإمام ناصر الدين:

وبينما كان منير الدين باندر يقوم بسفارته هذه، دارت معركة جديدة في جمادى 1084هـ/ أغسطس 1673م بين "الشرابيب" والمغافرة بترتلاس، وقتل فيها ناصر الدين[27]، وقتل معه مرافقوه الثلاثة، وأربعة من كبار مقربيه، وخمسة وعشرون آخرون من جيش حركة التوبة. فممن قتل من الزوايا مع ناصر الدين أخوه حمين، وابل بن الماحي بن المختار أگد عثمان، وحبيب بن أشفغ أوبك، وماهي بن سيدي الفالي، ومحنض بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، والمصطفى بن متيلي بن سيدي الفالي، والمختار بن أبوبك بن محمد بن يعقوب بن أحمذنلل الإيداشفغي، وأجود بن يعقوب بن أشفغ أوبك بن أشفغ مگر، وصمبه بن ورزك مولى إبراهيم بن الكوري بن سيدي

---

[26] محمد المختار بن السعد، حرب شربُبه، مرجع سبق ذكره، ص 126-138.

[27] يقال إن الزوايا لما نزلوا بترتلاس جعل ناصر الدين يتردد على الموضع الذي قتل فيه، ويرقص فرسه، ويقول: «إذا مضت سبعة أيام تأتيكم المغافرة في هذا الموضع، وتقتل منكم في تلك الغداة سبعة مع ثامنهم»، وقال لهم في العشية التي سبقت وقعة ترتلاس وهو يحلف: «ليسلكن غدا تلك الفرجة منهزمين» يريد المغافرة، وقال: «أما أنا وأصحابي فنتغدى غدا غداء لم نذق قط أحلى منه، وأما القاضي عثمان وأصحابه فإنهم يتبعون المنهزمين، ويقتلون منهم كيف ما شاءوا، ولا يرجعون إلا بعد العشاء». وأخبر القاضي عثمان بأنه يسمع غدا ما يسوءه، فوقعت الوقعة، وقتل ناصر الدين. محمذن بن محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص140.

الفالي، ورجلان من إيدغزينبو، وقتل عدد من المغافرة، منهم الفارس محمود بن عبله، وانهزموا إلى تانفالت، وهي إحدى الروابي المشهورة شمال شرقي تيلماس (نحو بضع وأربعين كلم جنوب شرقي انواكشوط)[28]. وأبلت في ذلك اليوم كتيبة إيچكوچي بلاء ظاهرا، لاسيما فارسها سيدي بن بوسيدي بن محنض بن أبي يدوك الذي اشتهر باسم "فارس الزريگه"، وهي فرسه.

وعظمت مصيبة الزوايا بمقتل ناصر الدين، وعلم به منير الدين وهو في اندر، أخبره بمقتله مدير الشركة الفرنسية دمشينه، الذي هم أن يقتله[29]، خشية أن يخلف أخاه ناصر الدين، ثم بدا له ألا يخفر ذمة رسول جاءه في سفارة.

ولما شاع مقتل ناصر الدين، اضطرب الناس في شأن الحرب، وعاد العلماء الذين كانوا يرون عدم دعم ناصر الدين، إلى دعوة الزوايا لوقف الحرب محتجين بظهور صواب رأيهم. وكان ممن يرى خلاف رأي ناصر الدين الحاج عبد الله الحسني، والطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (تـ1107هـ/ 1695م)، وتلميذه محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي (تـ1098هـ/ 1687م) الذي كتب بعد انتهاء شربُبه: «ظهر في الرابع والثمانين وألف [للهجرة] رجل من طلبة البادية، قريب من منتهى الإسلام بالمغرب الأقصى، يسمى أوبك الإمام، فادعى أنه يتلاقى مع الخضر عليه السلام، وأنه يأمره بأشياء، وينهاه عن أخرى، وأظهر أمره في الناس، وأشاعه، وكثر قاصدوه لما يخبرهم به من المغيبات، وأن فلانا عمره كذا، وموته بمحل كذا، بسبب كذا، وأنه شقي أو سعيد، وأنه يسلم في الآخرة من هول الصراط، ويقع في هول الميزان، وأنه يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله، وادعى أنه سيملك الأرض، ويقال بمسمع منه أنه المهدي المنتظر ولا ينكر، بل ربما أشار إلى أنه هو، ويخبر الناس بقدر مكثهم في النار، فيزعم أن مكث هذا شهر، وهذا أكثر، وهذا دونه، وربما أخبر أحدهم بما يزعم أنه حدث به نفسه ويوافقه، ويفرق بين الأزواج، ويقول: كوشفت بأنكما غير متزوجين، إلى غير ذلك. فلم يزل أمره إلى أن بويع له ممن كان هناك من الزوايا، وهو خلق كثير ألوفا، وقام يحارب العرب من المغافرة، فوقع بينهما حروب هلكت فيها الناس والمواشي، وقتل ذلك الرجل، فتلاشى أمر أصحابه حتى هلك جلهم، وخلت البلاد، وسفكت الدماء، وضاع العيال، وانطلقت أيدي العرب بالفساد فإنا لله وإنا إليه راجعون[30]».

---

[28] أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مصدر سبق ذكره، ص 84.
[29] محمد المختار بن السعد، حرب شربُبه، مرجع سبق ذكره، ص 127.
[30] المرجع نفسه، ص 183- 184.

وكان شيخه الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي قد أنكر أمر ناصر الدين في بداية ظهوره، متخوفا عليه مما آل إليه الأمر، وشنعه ليرجع الناس عنه[31].

8- مبايعة أشفغ الأمين بن سيدي الفالي إماما للزوايا:

وأصر سواد الزوايا على مواصلة الحرب، وبايعوا أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، والد زوجة ناصر الدين، وأحد رؤوس تشمشه ووجهائها، فكثر عليه الأجناد، وعظمت رئاسته، واستقبل المغافرة بما لا قبل لهم به، فجاؤوه، وكان زوجا لابنتهم فاطمه بنت اعلي بن أحمد بن دامان، وسالموه، وأخبروه بقبولهم رئاسته، فأجابهم إلى السلم.

9- خلع الإمام أشفغ الأمين ومبايعة القاضي عثمان:

فلما فعل ذلك هاج التائبون في وجهه، وأبوا إلا الحرب، فقال لهم: إنه لا فائدة من حرب المغافرة، وأنهم أقدر على الحرب منهم، فلم يسمعوا له، وخلعوه وبايعوا ابن خالة ناصر الدين القاضي عثمان (ابيهيم بن يعقوب) فانشق أشفغ الأمين بمن أطاعه من الجيش، وكان نحو الثلث، وودع المغافرة، فكان ذلك أكبر انشقاق حدث في صفوف الزوايا الذين كان فيهم رجال من أعيان تشمشه لم يروا محاربة المغافرة ابتداء، كالفالي بن بابحمد الديماني، أو فارقوها بعد اندلاعها كبارك الل بن أحمد بزيد اليعقوبي[32].

ومر القاضي عبد الله بن محم بن حبيب (قاضي شنقيط) بالإمام القاضي عثمان بمعسكر الزوايا وهم يتأهبون لقتال المغافرة، فخاض معه في شأنهم، وقد ركب القاضي عثمان فرسه، فقال له قاضي شنقيط: كفوا عن هؤلاء، وأقسم إنهم لمسلمون، قائلا: والله إن هدي ونغماش لمسلمان، ثم تحاورا ساعة وافترقا دون أن يتفقا، فقد كانت رواسب المذاهب الخارجية والشيعية ما تزال حاضرة في ذلك العهد في مجتمع الزوايا، وكان الأباضيون يكفرون بالمعصية بينما كان المالكيون يرفضون ذلك[33].

---

[31] المرجع نفسه، ص99. وروى أصحاب ناصر الدين عنه أنه قال لهم: «أيها الناس، إنكم تقتلون وتموتون، ويذهب ما بأيديكم من الأموال، وينهبه العدو، ولا يبقى إلا النساء والصبيان، فمن كان منكم، إذا كان ذلك، من يجعل يسبني، فهو كمن أصابه عطش شديد وسف الملح». محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص135.

[32] محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، مصدر سبق ذكره، ص94.

[33] تظهر هذه الرواسب في الحديث عن المهدوية الذي أشار إليه أبو بكر بن الهاشم الغلاوي، وفي محاورة القاضي عبد الله بن محم بن حبيب بالإمام القاضي عثمان المذكورة أعلاه، وكذلك الجدل الفقهي الذي ثار بشأن غسل قتلاهم والصلاة عليهم بعد يوم ترتلاس بين الرأي المالكي والرأي الأباضي، قبل أن يحسم الفاللي بن بابحمد الديماني الخلاف قائلا: "احكموا لهم بما حكموا به لأنفسهم" كما نقل اليدالي. راجع، محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص136،

ثم غزا الإمام القاضي عثمان، في ثمانمائة رجل من الزوايا، جمعا من المغافرة معهم أربعمائة من الإبل لموسات فانجلوا عن الإبل، فغنمها الزوايا، ثم تبعتهم المغافرة فتلاحقوا عند تيلماس، وتقاتلوا قتالا شديدا، لكن الزوايا تمكنوا من العودة بسلامة، وقتل خلق كثير من الفريقين. ولم يحضر القاضي عثمان والقضاة الذين معه القتال لاشتغالهم بقراءة الحديث.

ثم خرج سيدي الحسن في أعيان من جيش الزوايا معهم القضاة سنة 1085هـ/ 1674م، إلى أولاد اخليفة وأولاد رزگ، ومن في جوارهم من القبائل لجباية الزكاة، فتمالأ أوديكه بن بو أيوب الخليفي مع رئيسي ارغيوات وباران، ويريم كودي ابراك والو عليهم، وأبى اعبيد الل اشباري رئيس اشبارات، واخطيره البافوري، أحد رؤساء بافور، عن المشاركة في الممالأة، فأرسل أوديكه بن أبي أيوب بعدما تظاهر للقضاة بالسمع والطاعة، سيدي أحمد التفاريتي والفالي البافوري إلى المغافرة، ليعلماهم بمكان جيش سيدي الحسن ويحرضاهم عليهم، فأبى البراكنة، وجاء الترارزة ومعهم أولاد غيلان، وأمدهم سودان الوالو وأولاد اخليفه، وقام سيدي أحمد التفارتي إلى جيش القضاة وهم يصلون بمحلة إيدوالحاج، فجمع أسلحتهم، وقد وضعوها عند ظهورهم فخبأها، فقدم عدوهم فقتلهم إلا قليلا منهم. فممن قتل الماحي بن الحسن اندوبك وسيدي الحسن بن القاضي عبد الله الشنقيطي قتله عيسى بن كمبه الخليفي ومحنض اندوله صنو القاضي المختار بن أشفغ موسى ابن خالة ناصر الدين ومحنض بن سيدي أحمد الهكاري. وأصبح ذلك اليوم يعرف بيوم "اعليب القطيه" (كثيب القضاة) نحو 20 كلم شمال مدينة الگوارب.

وسمع الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي وكان في إيدوفال، شمال شرق دگانه (السينغال الحالي) في جيش من الزوايا بالخبر، فكر بخيله على أولاد اخليفه وبافور والرغيوات، فأثخن فيهم، وقتل أربعين من أولاد اخليفه، وكثيرا من بافور والرغيوات، وقبض على أوديكه بن بوأيوب فأراد أن يقتله، فاستنقذه منه محمد بن أحمد مولود الحاجي[34]، ووقعت هذه المعركة بالصاگي (25 كلم شمال الگوارب) غير بعيد من موقع اعليب القطيه السابق.

10- مقتل الإمام القاضي عثمان:

---

[34] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص 172

وسمع الإمام القاضي عثمان بالأمر، وبما كان من غدر ابراك والو (يريم كودي) الذي اتصل به المدير الفرنسي دمشينه في مايو 1674م (1085هـ)، ولامه على اعتناق مذهب "التوبنان" (مذهب التائبين) وحرضه على التخلي عن الحركة البيضانية التي جردته من كل صفات الملك، ودعاه إلى الثأر لصهره الملك الذي قتله جيش ناصر الدين، ووعده بالمساعدة، فقرر الإمام القاضي عثمان غزو يريم كودي، وعبر إليه فوجده ببلدة انتشينو (18 كلم شمال شرق الگوارب) قد تأهب لقتاله، فاقتتل الفريقان، فقتل الإمام القاضي عثمان وكثير ممن معه، وانهزم التائبون انهزاما شنيعا بعد ما ظنوا أن السودان سحروهم، فممن قتل مع القاضي عثمان في هذه الوقعة المؤضف بن سيدي الفالي، وابناه محمد ومولود، وآمنا بن أشفغ المختار بن شيخ التلاميذ اليدهنضي، وابهنضام بن محنض بن أشفغ أوبك، وابن عمه عينات بن حيبلل، وحابيد بن مودي أوبك، وأحمد بن محم سعيد، ويا مختار، وسيدي بويه بن محنض بن الحسن اندوبك.

وكان السودان قد تلقوا من مدير الشركة الفرنسية دمشينه أسلحة نارية جديدة بإمكان طلقاتها أن تصيب المرء دون أن تقترب منه، فلما قصفتهم رصاصات هذه الأسلحة ظنوها من أعمال السحر. ولم يكن قد وصل إلى الزوايا في ذلك العصر من الأسلحة النارية إلا أنواع بدائية محدودة الفعالية، لا تصيب المقاتل إلا إذا أفرغت في جسده إفراغا[35]. وقد استخدمت ثلاث من هذه البنادق في حرب شربُبه، إحداها كانت في جيش المغافرة عند محمود بن عبله الداماني، والثانية كانت عند اليعقوبي الوداني، والثالثة كانت عند سيدي الحسن العلوي، وهما من أصحاب ناصر الدين.

وكان المدير الفرنسي قد قرر مساعدة يريم كودي على حرب القاضي عثمان بعدما قتل "التوبنان" (التائبون) ثلاثة فرنسيين وعطلوا التبادل في محطة تكشكمبه سنة 1085هـ (1674م)، ثم دخل دمشينه نفسه الحرب «فنهب بقايا الجيش "التوبناني" المنهزم، كما نهب عدة قرى فوتية في يوليو 1674م (1085هـ) وأسر خلال نهبه لها اثني عشر "توبنانيا" [تائبا] وأرسلهم كعبيد إلى أمريكا[36]».

11- انقسام التائبين واستتباب للبيعة للمبارك بن حبيب الله بن سيدي الفالي:

ولما قتل الإمام القاضي عثمان بايعت حاميات الجيش ببلاد السودان وأولاد رزگ القريبون منها الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي، بينما بايع التائبون ببلاد الگبلة الذين

[35] انظر في وصف مثل هذه الأسلحة، تاريخ سانتاكروز- أكادير، وثيقة برتغالية من القرن 16، تعريب أحمد صابر، نشر جامعة ابن زهر، أكادير، 1994.
[36] باري، مرجع سبق ذكره، 126- 128.

بلغهم مقتل القاضي عثمان، المبارك بن حبيب الله بن سيدي الفالي، فلما قدم الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي بالجيش اختلف الفريقان فعزم إبراهيم بن الكوري بن سيدي الفالي على أخيه الفالي أن يخلع نفسه ويترك الأمر للمبارك، ففعل فخلص الأمر للمبارك. والتحق الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي بمن أطاعه من الجيش بأشفغ الأمين بن سيدي الفالي الذي هادن المغافرة.

وقرر التائبون أن يعينوا ولي عهد للإمام المبارك حتى لا يتكرر مثل هذا الخلاف، فعينوا منير الدين أخا ناصر الدين وليا لعهده.

وغزا الإمام المبارك المغافرة في أربعمائة من قومه، وهم منهم كحلقة في فلاة، فانتصر التائبون على المغافرة، ثم بعث المغافرة نذيرا إلى أهليهم فأمدوهم، فأحاطوا بالزوايا، وكادوا يقضون عليهم، لكنهم نجوا منهم، ووقعت هذه الوقعة بالعرش بين المذرذرة والنمجاط.

وأخذ كثير من التائبين لما رأوا ما آل إليه أمر الزوايا من مقتل للإمام القاضي عثمان وانشقاق للفالي بن الكوري بن سيدي الفالي في الخروج على الإمام المبارك، وخرج عليه أيضا أولاد رزگ، وغيرهم من القبائل[37].

12- مقتل الإمام المبارك بن حبيب الله بن سيدي الفالي:

وجاء المغافرة بقضهم وقضيضهم إلى تن يجمار (104 كلم جنوب انواكشوط في آفطوط الساحلي) فحاصروا عسكر التائبين، ثم قاتلوهم حتى غلبوهم، وقتلوا الإمام المبارك قتله رجل من أولاد دامان، وقتلوا خلقا من جيش الزوايا منهم متيلي بن سيدي الفالي، وابناه القاضي والهادي، وأحمد سنبيرو بن سيدي الفالي، وأحمد والأمين وعبد الله أبناء المؤدف بن سيدي الفالي، ومحنض بن اعديجه بن سيدي الفالي، والمختار بن ماهي بن سيدي الفالي، وأغلگورئذ بن أبا الصالح، ومحنض والأمين ابنا أشفغ ابل، وأحمد بن خالنا، ومحمد بن محنض بن الحسن اندوبك، وابنا عمه، وابنا أجود، وبنو حيبلل الثلاثة احمدان وحامنا وجوطين التامگلاويون، وعبد الله النجمري، ويفلج بن محم صار، وإميجن بن المصطفى، والمحجوب بن يعقوب إنلل بن أشفغ أوبك، وأخوه شيخنا، وجدهما أشفغ أوبك، وأبناء محنض أگذ عبد الله الخمسة، وقتل الكريم بن بوميجه

[37] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص 174.

في الليلة التي تلي ذلك قتله عتام اليتيمي ثائرا لاثني عشر من رهطه قتلوا في تن يجمار[38]. وكان ذلك في أواخر 1085هـ/ 1674-1675م.

13- التحاق منير الدين بإيچيچبه ومبايعته هناك:

ولما هزم الزوايا في بلاد الترارزة وأيقنوا بتلاشي أمرهم، قاموا بدفن طبلهم بعدما خبأوا فيه ما معهم من الحلي بانيفرار، وذهب ولي العهد منير الدين المختار بن أبهم (أخو ناصر الدين) مع نحو مائة فارس في بقية من قومه وعناصر من حركة التوبة من بينهم هينيا أمه، قاصدا إيچيچبه، وذهب أشفغ الأمين بالذراري والنساء فأمنهم له المغافرة، وتفرقوا في المنطقة لطلب المعيشة. ولما قدم منير الدين على إيچيچبه وجد التائبين قد بايعوا القائد الإيچيچبي النحوي أگد عبد الله، فاستظهر منير الدين بولاية عهده، فآل إليه الأمر بعد المشاجرة. وكانت للإمام منير الدين فتوحات لاسيما في السودان الذين أخذوا في الخروج على الحركة بتشجيع من الفرنسيين.

ثم غزا المختار أگد عبد الله أرضا بعيدة بالسودان في جيش عظيم، ولم يبق في العسكر إلا الإمام منير الدين والقائد النحوي في نفر يسير، فركب اعلي البوعلي الرزگاني إلى المغافرة، وكانوا أخواله، فأراد أن يكسب مودتهم فأعلمهم بالأمر، فغزت المغافرة العسكر، فلما أحدقوا به أشار النحوي إلى الإمام منير الدين بأن يركبا خيلهما ويتعرضا للمختار، فاستنكف الإمام منير الدين عن الهرب وأبدى له الرغبة في الموت واللحاق بمن قتلوا قبله، فرغب النحوي كذلك في الموت، فقاتلا بمن معهما حتى قتلا[39]. وذلك هو يوم بكل (18 كلم شرقي منگل). وقتل فيه حبيب أخو الطالب أجود بن مودي أوبك، والفالي بن بل في قوم.

14- مبايعة المختار أگد عبد الله واتساع التحالف ضد حركة التائبين:

ثم قدم المختار فبويع، فاستأنف حربه مع السودان، فكانت له هنالك انتصارات، كما نجح في الانتصار على المغافرة، وقتل ما ينيف على مائة من سادتهم في أكثر من معركة، لكن السودانيين الذين تحالفوا مع بكار الغول أقوى القواد المغافرة في أيامه، ومع حليفه بوسيف بن محمد الزناگي المباركي تمكنوا من زعزعة حكم "التوبنان" (التائبين) في السودان، خاصة في فوته التي أخذ سلتيگي يحاول استعادة الملك بها بدعم

---

[38] أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مصدر سبق ذكره، ص 109.

[39] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص177.

من الفرنسيين، وفي الوالو الذي تخلى ملكه يريم كودي عن حركة التوبة وتحالف مع الطرف الآخر.

وشرع السودانيون المناوئون للتائبين في الاشتباك مع أنصار حركة التوبة في فوته واچيولوف وكايور، بينما تتالت الحملات العسكرية الفرنسية على فرق الزوايا البيضانية التي تعمل على مد جيش التائبين بالتموين الضروري، وكان من أكبر تلك الحملات حملتهم على قافلة من 500 رجل يحملون الزرع على أعداد كبيرة من المواشي، متجهة من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى[40].

وانتقل يريم كودى الذي تمكن من تطهير الوالو من التوبنان (التائبين) إلى فوته لمساعدة ملكها على العودة إلى عرشه. وكانوا يبيعون كل من يقع في الأسر من البيضان حيث يتم نقلهم كعبيد إلى أمريكا.

وقد برر مدير الشركة التجارية الفرنسية الجديد الذي خلف دمشينه المتوفى في اكتوبر 1674م (1085هـ) إثر مرض ألم به حملات الشركة الفرنسية ضد حركة ناصر الدين -كما هو في وثيقة شامبونو- بقوله: «إنهم يزدروننا كثيرا بسبب الاختلاف بين ديننا وشعوذتهم، ويوهمون شعوبهم بأننا لا نشتري العبيد إلا لنأكلهم. ومنذ أصبحوا سادة في البلاد فإن عبدا واحدا لم يدخل إلى سفننا[41]».

وفي الفترة ما بين مايو وأغسطس 1675م (1086هـ) قام التائبون باحتجاز فرنسي كان يحاول الاتجار كرهينة، احتجاجا على عدم دفع الشركة الفرنسية للضرائب العرفية المعهودة لهم، ثم أطلقوا سراحه بناء على وعود من الشركة، ولما لم تتحقق هذه الوعود عاد التائبون إلى مهاجمة سفينة تجارية فرنسية يوم 14 أغسطس (1675م/ 1086هـ) بمنطقة گورگول ونهبها، وقتل كل من كان فيها، عدا ثلاثة سينغاليين فروا سباحة، والتحقوا بمدير الشركة الفرنسية. وخلال نفس السنة (1675م/ 1086هـ) رأى شامبونو عدة قرى ومدن تم حرقها وتخريبها من طرف التحالف المناوئ للتائبين، وشاهد شامبونو يريم كودي يأسر عددا كبيرا من التائبين في قرية افاناي ويبيعهم للفرنسيين.

وفي نهاية 1675م وبداية 1676م (1086هـ) كانت حملة قواد المغافرة (بكار الغول وهدي وبوسيف) وابراك والو وسلتيگي فوته ضد التائبين على أشدها، فكانوا

[40] محمد المختار بن السعد، حرب شربُبه، مرجع سبق ذكره، ص132

[41] الخليل النحوي، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص35.

يطاردون ويحرقون وينهبون ويحطمون كل شيء للتوبنان (التائبين). وفي يناير 1676م (1086هـ) مات يريم كودى مقتولا على يد سيرانكو التوبناني نائب إمام اجيولوف فخلفه افارا ابندا نجل افارا كومبا الذي قتله الزوايا في عهد ناصر الدين. وكان افارا ابندا حنقا على البيضان فكان يتتبع آثارهم ويأسر من تمكن من أسره منهم ويبيعهم كعبيد للفرنسيين[42]. وكانت سنة 1676م (1087هـ) سنة مجاعة كبيرة في المنطقة.

وفي يناير 1677م (1087هـ) استعاد سلتيگي الملك في فوته، وتزايد الضغط على الإمام المختار أگد عبد الله في منطقتي البراكنة وگورگول، فوجه اهتمامه نحو الأيتام وأولاد امبارك وكانوا في جبهة واحدة، فغزاهم وغزوه. ثم غزا الإمام المختار المغافرة في يوم عرف بـ"يوم آمدر" (شمال مگطع لحجار)سنة 1088هـ (1677م)، وكان قد غزاهم قبل ذلك غزوة ناجحة، فجاءوه في هذا اليوم من كل وجه، وتقاتلوا من الظلام إلى الظلام، فكانت الغلبة للمغافرة[43].

15- مقتل الإمام المختار في يوم تن يفظاظ:

وضاقت على التائبين الأرض بما رحبت، فراحوا في الليل إلى تن يفظاظ القريبة من آمدر، وقد أثخنتهم جراحاتهم، وتشاوروا في أن يفر الخيالة في جنح الليل، ويتركوا الرجال يتحصنون بالجبال والأودية والشعاب، فبكى إميجن أگد عبد الله، فقال له أخوه الإمام المختار: ما يبكيك؟ فقال له: يبكيني أن الأئمة قبلك ناصر الدين والقاضي عثمان والمبارك والنحوي ومنير الدين كل واحد منهم قتل قبل أصحابه، وأنت تريد أن تهرب على الخيل، وتترك أصحابك للقتل، فقال له: صدقت يا أخي، فباتوا هناك، ثم صبحهم المغافرة وأحاطوا بهم وقتلوهم عن آخرهم، إلا الإمام المختار أگد عبد الله سقطت به فرسه فدق عنقه وعنقها فماتا.

16- انتهاء حرب شربُبه (الثانية):

ولم يبق في هذا اليوم الذي كان آخر أيام حرب شربُبه بالغ من قبيلة الإمام المختار أگد الله إلا قتل، وركب المغافرة إلى عسكر الزوايا فنهبوه، وبقيت الذرية والنساء سبايا، وتفرقوا في البلاد، أو عبروا النهر جنوبا بحثا عن الأمان، ومنهم من التحق بمناصري الحركة في اجيولوف، وكايور، وفوته فانخرط في مجموعات التائبين

[42] باري، مرجع سبق ذكره، ص 132.

[43] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص183.

التي كانت ما تزال تصارع الأطراف المناوئة لها هناك، ثم أصبح جزءا من نواة إحدى الدول الإمامية التي قامت جنوب نهر السينغال، أو وقع في الأسر وبيع كعبد فحمل إلى سينت دومينگ أو البرازيل بأمريكا اللاتينية التي صدر إليها أكثر ضحايا هذه الحرب. وسيتمكن بعض أحفاد هؤلاء العبيد الجدد من تنظيم حركة إمامية على غرار حركة الإمام ناصر الدين في البرازيل[44].

وطويت صفحة دولة الإمام ناصر الدين وحركته شمال النهر، وعاد الوئام، وخيم السلم على علاقات الزاويا والمغافرة. واستوصى المغافرة بالزوايا بعدما وضعت الحرب أوزارها خيرا، وأجمعوا على ألا يعاملوهم إلا بما كانوا يعاملونهم به قبل الحرب، وأجمعت تشمشه التي جددت تحالفها بأگننت على ألا تحمل سلاحا، ولا تناوئ أحدا بعد حرب شربُبه[45].

وتعايش المغافرة والزوايا كأن لم يكن بينهم شيء، إلى درجة أن الزوايا أصبحوا سندا للإمارات الحسانية التي سيطرت على بلادهم بعد انهيار دولة الإمام ناصر الدين، فكانوا هم أهل الفتوى والقضاء والإمامة بهذه الإمارات.

الدول الإمامية جنوب نهر السينغال

ودور حركة الإمام ناصر الدين في قيامها

[44] تحدث عدد من الدارسين الغربيين عن هذه الحركة التي فشل مشروعها في النهاية.
[45] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص215.

تفرق أنصار حركة الإمام ناصر الدين بعد هزيمتهم في شربُبه في البلاد، ومنهم من التحق بمناصري الحركة جنوب النهر في اجيولوف، وكايور، وفوته، فانخرط في جيوشهم التي سرعان ما تحولت إلى ميليشيات متفرقة، تناوش التحالف المناوئ للتائبين. وكان من بين من التحق بمناصري الحركة جنوب النهر تنغوس خالة الإمام ناصر الدين في جماعة، ومحنض بن چبه البارتيلي، قائد معركة انتجي، ومحنض بن الشيخ التندغي في مجموعة من تشمشه وغيرهم.

وكان التحالف المناوئ كلما قبض على مجموعة من التائبين البيضان أو الزنوج نقلهم إلى جزيرة گوري (قرب داكار) التي احتلها الفرنسيون سنة 1677م (1088هـ) وباعهم هناك، حيث أكد الفرنسي باربو أنه اشترى بنفسه في كايور مرابطا جيء به يباع كعبد سنة 1681م (1092هـ) وأن العبد بيع في هذه السنة بربع مكيال من الحبوب[46].

ودفع هذا الوضع بفلول التائبين البيضان والزنوج إلى التواري عن الأنظار أو الهجرة باتجاه فوتا چالون أو بوندو، حيث شكل هؤلاء المهاجرون نواة حركة التوبة التي ستهيئ لقيام الدولة الإمامية في هذين البلدين.

وبعدما ترسخت حركة التوبة في فوتا چالون وبوندو، وأصبح التائبون المؤمنون بمنهج الإمام ناصر الدين قوة معتبرة هناك، أخذوا يمدون إخوانهم في فوتا تورو الذين لم يرضوا عن اتفاقيات سلتيگي -العائد إلى العرش بدعم من أعداء التوبنان (التائبين)- مع المغافرة ولا مع الفرنسيين، فأخذت فلول التائبين تعمل على تكريس النقمة ضد سلتيگي ونظام حكمه.

وكان سلتيگي العائد إلى الحكم بمساعدة المغافرة قد فرض إتاوات جديدة على مواطنيه يدفعونها للمغافرة عرفت بـ"مد الحرمه"، كما وقع اتفاقيات جديدة مع ممثلي التجارة الاستعمارية في سينت الويس (باندر) قضت بتصدير المزيد من العبيد، وبفتح المنطقة أمام التجارة الفرنسية[47].

وتمكن سليمان بال الفوتي الذي درس في بلاد الگبلة وآفطوط على أبناء ضحايا حركة الإمام ناصر الدين وأدرك بعض أعضائها، قبل أن يلتحق بالحركة الإمامية في فوتا چالون أن يبعث مذهب التوبة في الفوتا تورو. واستطاع خلفه عبد القادر كن الذي

---

[46] باري، مرجع سبق ذكره، ص 135.

[47] ددود بن عبد الله، الإسلام والمجتمع في إفريقيا الغربية خلال القرنين 17و18م، حوليات كلية الآداب، ع2، 1990.

درس هو الآخر بمنطقة الگبلة على أولاد ديمان أن يطيح بالملك الدينانكوبي ويقيم في فوتا تورو إمامة إسلامية تستلهم منهج حركة الإمام ناصر الدين.

1- الدولة الإمامية بفوتا چالون:

لجأت أعداد كبيرة من التوبنان (التائبين) من فلول أنصار حركة الإمام ناصر الدين إلى فوتا چالون حيث وجدوا الأمن والأمان بين السكان الذين كان أغلبهم وثنيين في ذلك العهد في تلك المنطقة، وكان أغلب من التحقوا بفوتا چالون قادمين من فوتا تورو، وفيهم بعض أهل الوالو وبعض البيضان، وانضم إليهم أقوام من ماسنه وبوندو، وتوزعوا في تلك الأرض، بعضهم يقوم على الماشية، وبعضهم يشتغل بالتعليم ويصاحب الطلاب، وكانوا في أول أمرهم حذرين يستخفون بممارسة شعائرهم الدينية، ويدعون إلى الإسلام سرا قبائل الچالونكوبي وبولى المتواجدة حولهم.

ولما كثرت أعدادهم وشعروا بالقوة أخذوا يعلمون القرآن ويؤدون الصلاة علانية، فجعل بعض أهل القرى يضايقونهم، ويعكرون عليهم صفو حياتهم، فتشاور عشرة منهم في قرية فاگمبا بعد أن قرأوا القرآن وفسروه وختموه، واتفقوا على أن يقترعوا، فاختاروا شجرة يرمونها، على أن يجاهدوا أعداءهم إذا أصابوها كلهم، وإن أخطأوها أو أخطأها بعضهم تريثوا في إعلان الجهاد. ورموا الشجرة فأصابوها جميعا فاعتبروا ذلك إذنا لهم بالقتال[48].

وبدأوا جهادهم عام 1105هـ/ 1694م، وأسفر هذا الجهاد عن إقامة نظام إسلامي بانتخاب ألفا كاراموكو إبراهيم بن نوح عام 1140هـ (1728م)، فقام بتنظيم الدولة وتعيين بقية الأئمة العشرة كل على بلدته، وبنى كل واحد منهم مسجدا في قريته وجعل يعلم الناس وينشر الإسلام. وجاهد كاراموكو مدة عشرين سنة غزا خلالها تسع عشرة غزوة، وبينما كان في غزوته التاسعة عشرة أصيب في عقله سنة 1180هـ/ 1766م.

وعزل الأئمة التسعة كاراموكو بعد مرضه ونصبوا بعده إبراهيم بن مالك المشهور بإبراهيم سورى، فحكم إحدى عشرة سنة، وتلقب بالمامي (الإمام)، وجاهد المناطق من حوله فوسع دولته حتى وصلت إلى نهر گامبيا جنوبا ومملكة كارته شمالا. وفي سنته الحادية عشرة عزله الأئمة لا لشيء سوى أن أولاد كاراموكو كبروا وقد رأوا أن يعيدوا إليهم رئاسة أبيهم. ولما عزلوه عينوا مكانه المامي ألفا صالح كاراموكو

---

[48] الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية، مخطوط، ص119.

فحكم خمس سنوات. ثم عجز خلال سنته الخامسة عن رد الغزو الذي اجتاح فوتا چالون، واحتل تنبو وحرق جامعها ومخطوطاتها، ثم توجه إلى قرية فاگمبا منشأ الحركة فاحتلها، وانسحب المامي ألفا صالح إلى قرى أخرى من بلاده، فعزلوه وأعادو المامي ألفا إبراهيم سورى فنظم المقاومة، وهزم الغزاة وقتل زعيمهم[49].

وبعد وفاة المامي ألفا إبراهيم سورى انقسم أهل فوتا چالون بشأن خلافته فانحاز بعضهم إلى ابنه سعد بينما ساند بعضهم المامي السابق ألفا صالح، وكان هذا الخلاف سببا في تصدع الدولة. وبعد خمس سنوات من موت المامي إبراهيم قتل أنصار ألفا صالح المامي سعدا وأرادوا المامي صالح على تولي السلطة لكنه رفضها واعتزل الفتنة، فعينوا أخاه المامي با دمبا، وكان عادلا شجاعا مجاهدا تولى سنة 1213هـ/ 98-1799م، وحكم ست عشرة سنة. ثم استجمع أنصار إبراهيم سوري قوتهم فانقضوا عليه وقتلوه، ونصبوا مكانه المامي عبد القادر بن إبراهيم سورى. وظل الحزبان حزب ألفايا الداعم لآل ألفا كاراموكو وحزب السوريا الداعم لآل إبراهيم سورى يتصارعان على السلطة، وظهر في فوتا چالون حزب ثالث يقوده رجل يدعى ممدو چاه كان يدرس في أرض البيضان ورجع فأسس محظرة كبيرة وتلقب بحب الرسول، فتوسع الصراع الذي انخرطت فيه الطوائف الثلاث[50]. وبعد تلاشي طائفة ممدو چاه انحصر الصراع بين حزبي السوريا وألفايا، وظل كذلك لفترة طويلة تناوب على العرش فيها عدد من الأئمة الضعاف، ثم استتب الأمر نسبيا لألفايا في ظرف أصبحت فيه الدولة الإمامية هدفا من أهداف القوة الاستعمارية الأوروبية التي أخذت تمد نفوذها باتجاه المنطقة.

2- الدولة الإمامية ببوندو:

ينحدر مالك سي بن داود سي مؤسس دولة بوندو الإسلامية من أسرة بيضانية تنتمي إلى شمس الدين الگلگمي (أحد أحفاد محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي) المعروف في بلاد فوته بچم سي، كانت قد نزحت من الضفة اليمنى إلى الضفة اليسرى للنهر، وأقامت بقرية سيوما حيث ولد مالك سي حوالي 1050هـ/ 1640م ونشأ، فلما حفظ القرءان، انتقل إلى محظرة ابيري[51]، فتعلم على إمامها القاضي همر فال (عمر فال) الذي تلقى العلم بمحاظر أولاد ديمان قرب المذرذره، قبل قيام حركة الإمام ناصر الدين، وأسس محظرة بإقليم تورو ثم نقلها إلى وسط كايور (12 كلم شمال تيواون)، واستمر فيها من عام 1027هـ/ 1618م إلى 1042هـ/

[49] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرقون، ص144.
[50] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب نهر السينغال، جامعة انواكشوط، مرقون، . 1987، ص55.
[51] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص130 و143.

1633م[52]، وهو الذي استعمل القاضي عثمان إبان حرب شربُبه خال أولاده يريم كودي على الوالو[53]، وبعد إكمال مالك سي لتعليمه وعودته إلى قريته تزوج بامرأتين فوتيتين ولدت له إحداهما ابنه وخليفته بوبو مالك، بينما أنجبت له الأخرى ابنيه التوماني ومودي.

وأظهر مالك سي النسك والتعبد فأقبل عليه الناس واعتقدوه، فأثار عليه ذلك الحساد فانتقل عن سيوما إلى قرية شرق بودور تدعى داتال. وفي داتال ذاعت شهرة مالك سي، ثم انتقل من داتال إلى بودور بعدما أوغر عليه الحسدة صدور الناس هناك، ثم غادرها بعد فترة وجيزة حاجا[54].

وعند عودته من الحج عام 1107هـ (1695م) نزل الحاج مالك سي بين مملكتي كارته وگدياگه بأرض خصبة مر بها خلال سفره فأعجبته، وكانت تقطنها قبيلتا فادوبي وقيروبي، فنزل على حي من أحيائها تحكمه امرأة تدعى كمبه، وكان لهذه المرأة بئر قليلة المياه فاستأذنها في إصلاحها لزيادة مائها، فقالت له إن ذلك يتطلب جلب الأخشاب من الغابة، والجن تمنع الناس من ذلك، فاستعمل الحاج مالك سي رقاه لطرد الجن وجلب الأخشاب وقام بإصلاح البئر ففاض ماؤها وأصبحت تدعى منذ ذلك اليوم ببوندو كمبه ومالك، ومعنى بوندو في اللغة البولارية عين الماء.

وكسب الحاج مالك سي بانتصاره على الجن ولاء القبيلتين، فأخذ ينشر الإسلام في صفوفهما، ولحق به أهله وكثير من قومه وفلول من التوبنان (التائبين) البيضان والزنوج الفارين من حملة التطهير التي يقوم بها سلتيگي ضدهم في فوتا تورو.

وعندما أصبح الحاج مالك سي زعيم بوندو ذهب إلى تابو عاصمة گدياگه ليقدم الولاء لملكها الملقب بالتونگا الذي قبل بإقامة النازحين إلى الحاج مالك سي من فوتا تورو في الأراضي الملحقة ببوندو، واتفقا على أن يعود الحاج مالك سي إلى بوندو ثم ينطلق كل منها في اتجاه الآخر في الصباح، وحيث يلتقيان يصبح هو الحد الذي فصل

---

[52] المرجع نفسه، ص134-135.

[53] راجع الفصل الذي سبق.

[54] كانت محطته الأولى گدياگه، وهي مملكة سوننكية صغيرة كانت توجد آنذاك في منطقة باكل الحالية، فحل بها ضيفا على ملكها الملقب تونگا، ونشأت بينهما علاقات طيبة. ومن گدياگه رحل مالك سي إلى مملكة كارته البمبارية فاستقبله ملكها في كانگى واستضافه في قصره، ثم واصل من كانگى رحلته إلى الحج، وفي مكة المكرمة عقد الحاج مالك سي العزم بعد عودته على نشر الإسلام في جيوب الكفر ببلاده، وفي طريق عودته التقى قبيل وصوله برجل يدعى سونديانا أعجب به وأرسل معه ثلاثة رجال أقاموا معه وكانوا عونا له. وكانت عودة الحاج مالك سي من رحلته سنة 1107هـ (1696م). انظر، بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص144. وأحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص47.

بين سلطتيهما، ويقال بأن الحاج مالك سي لم ينتظر الصباح بل أدلج فكانت رقعة بلاده أوسع. ويقع الحد الفاصل بين السلطتين الآن خمسة كيلومترات جنوب باكل السينغالية الحالية[55].

وشرع الحاج مالك سي الذي أصبح زعيما وإماما معترفا به في تأسيس دولته، فأخذ ينشئ القرى ويبني المساجد، ويوزع النازحين إليه من فوتا تورو عليها، ويختار من بينهم مجالسا من الأعيان يترأسهم إمام القرية الذي يعين على أساس سنه وعلمه.

وكان الحاج مالك سي على تواصل مع فلول حركة ناصر الدين التي لجأت إلى فوتا چالون ، وأرسل إليهم ابنه الأكبر بوبو لتعلم العلم على أيديهم.

وقاد إسقاط تونگا (ملك) گدياگه بسبب حركة داخلية في مملكته، وعدم اعتراف حكام گدياگه الجدد بحدود دولة الحاج مالك سي التي اتفق عليها مع التونگا إلى اندلاع الحرب بين الطرفين مما أدى إلى سقوط الحاج مالك سي قتيلا بعد ثلاث عشرة سنة من الحكم.

وعلم بوبو مالك سي بمقتل والده وهو بفوتا چالون فنفر بجيش من التائبين (التوبنان) وطلبة العلم زوده به إمام فوتا چالون إبراهيم سورى، وهزم أهل گدياگه وضمها إلى دولة أبيه التي قام بتوطيد أركانها. ودام حكم بوبو مالك سي سبع عشرة سنة.

وبعد وفاة بوبو مالك عانت الدولة من فترة اضطراب، ثم حكمها ابنه مكا بوبو مالك سنة 1143هـ (1731م) فأعاد لها قوتها وهيبتها وتلقب بالمامي (الإمام)، ومنع الإتاوات التي كان أهل بوندو يدفعونها للملوك الدينانكوبيين.

ولما توفي المامي مكا بوبو سنة 1177هـ (1764م) تنازع على الخلافة ابناه غير الشقيقين حمادي گايا وحمادي عيساتا، فاستبد حمادي گايا، ثم ابنه موسى گايا فحفيده سيگا گايا بالعرش. وفي عهد هذا الأخير اعترفت بوندو بسلطة المامي عبد القادر كن الفوتي إمام فوتا تورو[56].

---

[55] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص46.

[56] المرجع نفسه، ص50.

وفي سنة 1210هـ/ 1796م قام المامي عبد القادر بعزل المامي سيگا گايا إثر اتهامه له بالتواطئ مع أهل مملكة كارته البمباريين الوثنيين ضد أهل گدياگه المسلمين، وتسبب هذا الإجراء في سخط حمادي عيساتا الذي كان يطالب بالعرش، وكان على صلة وثيقة بالمامي عبد القادر كن لأن المامي عبد القادر أسند السلطة -بعد خلع سيگا گايا- إلى ابن أخيه حمادي باتا بدلا منه، فاستنجد حمادي عيساتا ببمباره وتمكن من الاستيلاء على عرش بوندو، وكان ضمن الحلف الذي أسقط المامي عبد القادر كن.

وظل أحفاد المامي حمادي عيساتا بعده يتوارثون عرش بوندو حتى دخولها تحت الحماية الفرنسية عام 1274هـ (1858م).

3- الدولة الإمامية بفوتا تورو:

أخذ التوبنان (التائبون) البيضان والزنوج الذين استقروا بفوتا چالون وبوندو يمدون إخوانهم من الفوتيين الذين لم يرضوا عن اتفاقيات سلتيگي -العائد إلى العرش بدعم من أعداء التوبنان- مع المغافرة والفرنسيين، فأخذت فلول التائبين تعمل على تكريس النقمة ضد سلتيگي ونظام حكمه في فوتا تورو، ومواصلة نشر الإسلام في البلاد. ولم تمض فترة طويلة حتى دب الوهن في الدولة الفوتاتورية، وقادت الصراعات الدامية على العرش الدينانكوبي التي اندلعت حوالي 1153هـ (1740م) بين صمبا گلاچيو چيگي وابن عمه الملك كنكو بوموسى إلى لجوء صمبا گلاجيو جيگي إلى محاربي البيضان وقوله لهم: «إن نصرتموني على ابن عمي كنكو بوموسى وغلبته وانتزعت منه العرش فلكم في كل سنة صاع من الزرع على كل إنسان، فلما علم كنكو بوموسى بذلك أثبت لهم هذا الصاع على كل إنسان في فوته صغيرا وكبيرا، ذكرا وأنثى عند حصائد الحرائث النهرية، فكان البيضان يقتسمون البلاد على ثلاثة أثلاث: الوالو للترارزة، وتورو للبراكنة، وبوصيا وگنار لإيدوعيش[57]». وأدى استمرار الحرب، وتحالف كل طرف من طرفي النزاع مع قوم من محاربي البيضان مقابل مغارم معلومة، وبيع الأسرى، وانتشار الفوضى إلى تردي البلاد، وانتشار المجاعات، واستفحال تجارة العبيد، كما أدى إلى تزايد الوعي الديني والرجوع إلى الإسلام الذي ينشره أنصار التائبين وطلبة العلم إلى تردي سلطان الدينانكوبيين في فوتا تورو.

واتفقت مجموعة جمعتها الغربة من طلبة محظرة أهل همر فال (عمر فال) بابيري (قرب تيواون السينغالية) على قيادة حملات التوعية في قراهم، ومجابهة

[57] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، ص147، نقلا عن الشيخ موسى كمرا في زهور البساتين.

الاضطهاد، ودعوة الأمراء الدينانكوبيين إلى الشرع، أو تقويض حكمهم. وكان من ضمن هذه المجموعة سليمان بال قائد الثورة الإمامية بفوتا تورو.

وسليمان بال بيضاني المحتد، فهو بن راسين بن صمبه بن بكار بن إبراهيم بن بكار حفيد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي[58]، من قبيلة بكارنابه (نسبة إلى جده بكار بن إبراهيم بن بكار) التي تعصبت مع قبيلة وطابه الفلانية، ثم تحول بعض بطونها إلى قبيلة أورولبه. كان ذوو سليمان بال بمنطقة لحسي من بلاد شنقيط، ثم نزحوا إلى بودي السينغالية. وهناك ولد سليمان بال ونشأ، ثم سافر في طلب العلم إلى بلاد شنقيط حيث تزوج بامرأة بيضانية بمحظرة الشيخ الفاضل بن الطالب بمال (البراكنة) ولدت له بنتين[59]. وزار سليمان بال فوتا چالون فاطلع على أحوال دولتها الإمامية، وأصبح له بعد عودته تلامذة معتبرون فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى التوبة واعتناق الإسلام، ويحارب بيع العبيد المسلمين[60]، وكان يعظ سلاطين فوتا تورو، ويحاول أن يفسد عليهم قوادهم وعساكرهم ليضعفهم، ثم نشبت الحرب بينه وبينهم.

وسبب الحرب أن أرملة لها يتامى ذهبت إلى خجار لتمير عائلتها في فترة قل فيها الزرع في تورو، فلما عادت بأحمالها استولى رجال سلتيگي (السلطان) على زرعها، فاستغاثت المرأة بسليمان بال فأرسل إلى سلتيگي بأن يرد إليها متاعها فأبى، فأرسل إليه ثانيا وثالثا، فقال سلتيگي: إن هذا الطالب لسمين جدا يريدنا أن نقيء ما أكلنا، وأمر رجاله بإحضاره حيا أو ميتا، فبعث سليمان بال أحد تلامذته إلى قبيلة جاووبه التي يعود أصلها إلى قبيلة ابدوكل الصنهاجية[61]مستجيرا بها، وكان فرسانها أبطالا فأجابوه، وخرج سلتيگي على رأس جيشه لقتالهم فالتقى الجمعان عند كول گيجي بين بودي ودوتل فكان النصر حليفهم، ورجع سلتيگي مفلولا. ثم استنجد بحليفه وصاحب مغرمه أمير الترارزة اعلي الكوري فهاجم اعلي الكوري سليمان بال ومن

---

[58] المرجع نفسه، ص140.

[59] المرجع نفسه. وأضاف أن «ابنتيه هما رحمة وفاطمة (رقية)، التحقت الأولى بأبيها في فوته وينتسب إليها اليوم العديد من فروع باللبه في فوته، وبقيت فاطمة في الصحراء، وولدت هناك الشيخ محمد فاضل أحد أقطاب الطريقة القادرية ببلاد شنقيط، وتزوج هذا الأخير بالنمجاط بنت أليمان بوبكر كن زعيم إقليم دمات في غرب بلاد فوته». ص142.

[60] قال بوبكر خالد با: «فمن ذلك أنه رأى يوما قوما يحملون رجلا في سفينة متجهة إلى اندر ليبيعوه والرجل يقرأ القرآن، فعرف أنه مسلم فسأله عن شأنه فقال له إنه جاء إلى نواحي باكل ليتعلم العلم فأخذه أهل هذه السفينة ليبيعوه للنصارى، فقال سليمان بال للقوم: خلوا سبيله فإنه مسلم فأبوا وقالوا إنما ملكناه بمالنا، فقام إليهم تلميذ لسليمان بال قوي البنية يدعى عالي ميرم فصارعهم فغلبهم وأطلق سراح التلميذ فمضى لسبيله». بوبكر خالد با، مرجع سبق ذكره، ص146.

[61] الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص141.

معه من جاووبه فهزمهم وطردهم من تورو ولاو فلجأوا إلى بوصيا وگنار حيث سكنوا في كوبيللو وجال وغيرها من قرى المنطقة.

ولما استقر سليمان بال في كوبيللو كان من عادته أن يتجول في القرى يعظ الناس ويحضهم على الخروج من ربقة الدينانكوبيين، فبينما هو يوما في حقول دانيم إذ وجد بعض البيضان المحاربين الذين قدموا إلى المنطقة ليجمعوا المغارم على الزنوج، وقد استقلوا صاع الذهب الذي يكال به المغرم واستصغروه وأصروا على استبداله، فنهاهم سليمان بال فأبوا وأغلظوا عليه القول وهددوه بالقتل فأخذ سليمان بال المكيال من الكيال فضرب به رأسه فنثر دماغه.

واعتبرت القبائل الفوتية هذه الحادثة من أروع بطولات سليمان بال فزادت من التفافهم من حوله، وتغنوا بها في أغنيتهم الشهيرة: "بالو سليمان بال... إلى آخرها" وترجمتها: «ما أعظم سليمان بال، فلنقدم له الأجر والشكر، ما أعظم سليمان بال الداعي إلى حكم الله، الذي أزال البدعة في البلاد وأقام منار الدين الإسلامي، وكسر كيل الذهب المقوم بالصاع المفروض على كل فرد[62]».

ونشبت الحرب إثر هذه الحادثة بين هؤلاء البيضان وسليمان بال ومعه طلبته وجاووبه وبعض بطون بوصيا فانجلى البيضان منهزمين. وقام سليمان بال يعبئ الناس ويقول لهم: ها قد فتحت لكم الباب فاجتهدوا ينصركم الله، فبينما هم كذلك إذ هاجمهم البيضان في سيلن رو فهزموهم ودمروا قريتهم سيلن، ونهبوا ما حولهم من القرى وشتتوا أهلها، فجعل سليمان بال يؤلب عليهم وعلى حلفائهم الدينانكوبيين قبائل بوصيابه ويرلابه ولاو وگنار.

ونظم سليمان بال أتباعه وخاض بهم حروبا مختلفة ضد الدينانكوبيين وحلفائهم من محاربي البيضان، وكان ورعا زاهدا، شجاعا مقداما، وكان يقول لقومه: إذا مت فانظروا إماما عادلا زاهدا لا يجمع الدنيا لنفسه ولا لعقبه[63].

وتوفي سليمان بال وهو عائد بجيشه من أعالي گورگول خلال بعض معاركه مع الايتام وأولاد عبد الل البركنيين سنة 1190هـ/ 1776م[64].

---

[62] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص151.
[63] المرجع نفسه، ص149.
[64] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص70.

وكان سليمان بال قد رشح قبل وفاته أربعة من العلماء الأخيار لاختيار الإمام من بينهم، هم: عبد القادر بن ألفا حمدي كن من قرية آبي، وتفسيرو بوگل من قرية جابا، وتشيرنو عبد الكريم جاوند من قرية سينوبال، وتفسيرو أحمد حمات البومبي من كانل، وكان كل من هؤلاء الأربعة معروفا بالعلم والفضل وكثرة الأتباع، فاختار الفوتيون عبد القادر بن ألفا حمدي كن الذي اشتهر بالمامي عبد القادر كن، لتمام علمه، وفتوته، وحيائه، وتواضعه[65]. وعبد القادر كن هو أحد أحفاد آيل كن، وهو قائد من أصل عربي قدم أبوه أو جده من دمشق، ثم استقر في الفلان، وأسس آيل كن تندگسمي في عهد أمير بيلگه أبي بكر بن عامر بن بادي بن البشاره بن عتبة بن الخظير بن يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين، وكانا رفيقين في الكفاح ضد غانه.

وكان عبد القادر كن قد درس هو الآخر –كسلفه سليمان بال- في محظرة أهل همر فال بابيري، كما درس على البيضان لدى قبيلة أولاد ديمان، حيث قرأ على العالمة خديجة بنت محمد العاقل مع زميليه العالمين المختار بن بونه الجكني وأخيها أحمد بن محمد العاقل[66]، وسكن ببوندو فترة من الزمن، ثم عاد إلى بلاده فسكن قرية آبى فقصده الطلاب من مختلف النواحي، وظل هناك حتى جاءه أصحاب سليمان بال يختبرونه، ففضلوه على أقرانه، ودعوه ليبايعوه إماما لفوتا تورو، فامتنع أولا ثم أذعن لهم بعدما حاكموه إلى العلماء فحكموا عليه بقبول الإمامة[67].

وقال لهم المامي عبد القادر بعد تنصيبه: «فليتعاهد العلماء على ألا يروني في معصية إلا نهوني عنها، فتعاهدوا على ذلك، فقال: فليتعاهد النقباء والأمراء على أن العلماء إن اتفقوا على شيء وجب عليهم امتثاله، ففعلوا[68]»، فآخى بين القبائل ونصب الأئمة في القرى، واكتتب الجيوش، واشتغل بتوطيد النواحي الشرقية، ومحاربة الدينانكوبيين الذين تمكن من تحرير فوتا تورو من قبضتهم، كما اصطدم بمحاربي الأيتام وأولاد نغماش وإيدوعيش وأولاد الناصر، ثم تحالف مع أمير البراكنة، واعترف

---

[65] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص163.
[66] محمد بن أحمد يوره، كتاب الآبار، تحقيق أحمدو بن الحسن، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1990، ص28 حيث يقول متحدثا عن جده أحمد بن محمد العاقل: «أخذ العلم الظاهر عن أخته خديجة بنت محمد العاقل، وكانت دولته حينئذ العلامة المختار بن بونه صاحب طرة ألفية ابن مالك وغيرها من التصانيف، والأمير الصالح المامي عبد القادر الفوتي، قرأوا ثلاثتهم عليها»، والمختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، ص78، ونفى الشيخ موسى كمرا المسألة التي تتواتر عليها الروايات الشفهية لأهل العاقل، ويدل عليها الصك الذي كتب المامي عبد القادر للنابغة الغلاوي ووصفه فيه بأنه شيخه، فقد كان النابغة تلميذا معروفا لأحمد بن محمد العاقل. كما ينفي بعض الباحثين تتلمذ ولد بونه على خديجة محتجا بأنه ألف كتابه في المنطق المدعو تحفة المحقق قبل ولادتها. ولخديجة المذكورة شرح على عقيدة السنوسي المسماة بأم البراهين، وشرح على السلم في المنطق يدل على نباهتها في المعقول.
[67] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص162.
[68] المرجع نفسه، 162.

به إمام بوندو، وبوربا اجيولوف. وبعدما وطد المناطق الشرقية أخذ في محاربة الوالو مستغلا انشغال حليفهم القوي اعلي الكوري أمير الترارزة في صراعه مع البراكنة، وكتب إلى هذا الأخير يختبر نواياه: «بعد البسملة والحمدلة.. من أمير المؤمنين لبلاد فوته عبد القادر الفوتي إلى أمير الترارزة اعلي الكوري. موجب هذه البراوة أن تبعث إلينا خمس جياد لمساعدتنا على الجهاد الذي ننوي القيام به، ورحمة الله على من اتبع الهدى، والضرر لمن رأى الحق ونأى وأعرض عنه، ونسأل الله الرحمة والغفران، وعلى أنبيائه الصلاة والسلام[69]». فرد أمير الترارزة على المامي عبد القادر بإرسال صرة من البارود إليه[70].

وكان الأمير اعلي الكوري قد قاد حملات ضد الوالو وكايور جعلته يكسب مناطق نفوذ ومغارم في المنطقة ضاق بها المامي عبد القادر ذرعا، فتسبب ذلك في اقتناعه بالتحالف مع البراكنة ضده، ومهاجمته في يوم المرفگ سنة 1200هـ/ 1786م حيث قتل أمير الترارزة في وقعة انگيرين، وفي هذه المعركة أبلت هالاييه بلاء مشهودا[71]. وتمكن المامي عبد القادر من هزيمة براك (ملك) الوالو، فخضع لوصايته.

وكان المامي عبد القادر قد وقع 1197هـ (1783م) مع الفرنسيين المتمركزين باندر (سينت الويس) معاهدة تجارية تعهدوا فيها بوقف شراء العبيد لكنها بقيت حبرا على ورق، فلما مد المامي نفوذه إلى الوالو أصبح على احتكاك مباشر بالفرنسيين فكتب سنة 1203هـ (1789م) إلى واليهم ابلانشو يحذره من استرقاق رعاياه مضيفا: «نحن نحذركم بأن كل أولئك الذين سيأتون إلينا من أجل ممارسة تجارة الرق سيقتلون، ما لم تعيدوا إلينا أبناءنا الذين في أيديكم {أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه}. نحن لا نريدكم أبدا أن تشتروا المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، ونجدد لكم القول بأنه إذا كان هدفكم هو شراء المسلمين فعليكم أن تبقوا في بلادكم، ولا تعودوا إلى بلادنا، وليعلم كل الذين يأتون إلى بلدنا لهذا الغرض بأنهم سيقتلون[72]».

---

[69] المرجع نفسه، ص168.

[70] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص74.

[71] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص174. قال الشيخ موسى كمرا بأن المختار بن بونه الجكني قال بهذه المناسبة قصيدته المشهورة التي يمدح بها المامي عبد القادر ومطلعها:

حمدت الله خالقنا على ما ... قد اولانا من النعم الجسام.

وللعلامة حرمة بن عبد الجليل العلوي شعر يمدح به المامي عبد القادر جاء فيه:

قد فقتَ كل ملوكِ الأرض قاطبَـةً ... وفقتَ في العلمِ والعرفان كل ولي

ما سار سيْرَكَ في شأو العلا أحَدٌ ... إلا سميكَ عبدُ القادر الجيَـلي.

[72] المرجع نفسه، ص179.

وكان المامي عبد القادر كارها للنصارى حريصا على المسلمين، ملازما لأوامر الشرع، معظما للعلماء، كتب لشيخه الشنقيطي العالم النابغة الغلاوي (تـ1245هـ/ 1830م) صكا يأمر فيه كافة قواد بلاده ووزراءها بالإحسان إليه، والقيام بنوائبه، وعدم التعرض له إلا بخير، جاء فيه: «من أمير المؤمنين الشيخ عبد القادر كن إلى من سيقف على هذا الصك من قاض ومفت ووزير ورئيس قرية.. موجبه إليكم إعلامكم بأن حامل هذا الكتاب وهو سيدي محمد الغلاوي شيخنا، فكل من مر به منكم فليحسن إليه وإلى عياله من فراش وضيافة وترحيب، حتى يجاوز البحر، ومن نزلوا عليه من أهل البحر، وأرادوا الجواز من عنده فلا يأخذ منه ولا من رفقته فتيلا ولا قطميرا. ومن امتثل لما أمر به فجزانا وجزاه الله أحسن جزائه، ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه.. إلحاق من أمير المؤمنين إلى رئيس كل موضع أن ينوب عن النابغة وعن قومه في كل ما نابهم من خصام من سود أو بيض[73]».

وفي سنة 1210هـ (1796م) توجه المامي عبد القادر بجيش كبير إلى كايور، لكنه انهزم بسبب تواطئ ابراك (ملك) والو المتظاهر بالطاعة للمامي عبد القادر مع دمل (ملك) كايور، وقام دمل كايور بأسر المامي عبد القادر.

وفتح أسر المامي عبد القادر الباب أمام معارضته الداخلية فبايعت إماما آخر في مكانه هو حمادي الأمين بال، لكن هذا الإمام انسحب بعد عودة المامي عبد القادر من أسره الذي دام عدة أشهر. وتفاقمت هذه المعارضة ووجدت حلفاء لها في الشرق بسبب عزل المامي عبد القادر لمامي بوندو حمادي سيگا گايا إثر اتهامه له بالتواطئ مع أهل كارته البمباريين الوثنيين ضد أهل گدياگه المسلمين. وحاول الوالي الفرنسي ابلانشو أن يستفيد من الوضعية السيئة التي يوجد فيها المامي عبد القادر فعرض عليه في 20 رمضان 1215هـ (4 فبراير 1801م) اتفاقية جديدة تسمح لفرنسا بالتخلص من وصاية الدولة المامية والاتجار بكل حرية في المنطقة، فرفض المامي عبد القادر هذه الاتفاقية، وعلى إثر ذلك أعلن ابلانشو الحرب على الدولة المامية بفوته، وانطلقت من اندر (سينت الويس) يوم 8 جمادى الثانية 1219هـ (13 سبتمبر 1804م) حملة عسكرية فرنسية قامت بتدمير 13 قرية، وقتل 200 شخص واسترقاق 600 عبد، ثم انطلقت حملة ثانية في ربيع الثاني 1220هـ (يوليو 1805م) عاثت في الأرض فسادا،

[73] وثيقة مخطوطة ص3. ونقاط التتابع في النص تحل محل ما حذف وهو من قرية كذا إلى قرية كذا في أعلى النص، والتوقيع في أسفله.

لكنها ردت على أعقابها عند قرية فناي بعد إصابة قائدها بجروح قاتلة، وأدى فشل هذه الحملة إلى انسحاب الفرنسيين من بودور[74].

وبفضل وساطة من الأمير سيدي اعلي بن المختار بن آغريشي (سيدي اعلي الأول) بين الفرنسيين والدولة المامية، تم في 16 ربيع الأول 1221هـ (4 يونيو 1806م) توقيع اتفاقية بين الوالي ابلانشو والمامي عبد القادر، وقعها الأمير البركني سيدي اعلي نيابة عنه بحضور ممثله أحمد سي[75].

ولم يشهد المامي عبد القادر سريان مفعول هذه الاتفاقية فقد تمكنت معارضته الداخلية من عزله بعدما نظم ضده قواد جيشه انقلابا وهو غائب في إحدى حملاته العسكرية، فالتجأ إلى زعيم خاسو (بمنطقة خاي الواقعة في غرب مالي الحالية)، وتحالف المنقلبون على المامي عبد القادر مع زعيم بوندو المامي حمادي عيساتا وزعيم مملكة كارتة البمبارية موديبو، فخاف زعيم خاسو على مملكته من عواقب هذا التحالف فطرد المامي عبد القادر من بلاده، فالتجأ إلى الترارزة أعدائه بالأمس، فآووه. وكانت إقامته في الترارزة بعيدا عن مملكته السابقة سجنا بالنسبة له فلم يطل مكثه بها وقرر الذهاب إلى فوته، التي ما إن وصل إليها حتى علم به أعداؤه وحلفاؤهم من البمباريين فبادروا إليه وحاصروه ومعه قلة من أنصاره، فلما رأى القتل قد استحر في أصحابه ترجل عن فرسه وأحرم بالصلاة، فتقدم نحوه زعيم مملكة بوندو المامي حمادي عيساتا وقتله بيده[76].

وتعاقب أكثر من ثلاثين إماما على السلطة بعد المامي عبد القادر فيما بين 1221هـ و1270هـ (1806م و1854م) في جو تطبعه الدسائس وعدم الاستقرار، ثم قام الوالي الفرنسي باندر (سينت الويس) فيديرب أثناء عمله على إخضاع أجزاء من السينغال بالقوة سنة 1270هـ/ 1854م بفرض الوصاية الفرنسية على الأئمة الفوتيين،

---

[74] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص76.

[75] المرجع نفسه، ص77.

[76] وقد دون النابغة الغلاوي هذه النهاية المؤلمة لهذا لأمير الفوتي في منظومته التاريخية الوعظية المشهورة بأم الطريد قائلا:

«ولعبت بالمامي عبد القـــادر	وغادرته بين كل غَـــادر
وجيشتْ له من البنابـــــر	ما هد ما بناه من منـــابر
ومزقت ما عنده من خزنَـــهْ	وصيرتْ دولتَه للخزَنَـــهْ
وفاتَ "فوتَه" عدلُ ذاك الصالـحِ	وأصبحوا من بعدُ قومَ صالـحِ
لذاك لم يصلح لهم إمـــــامُ	عوض كما قد قاله الأعْــلامُ».

وأخذ يتدخل في شؤونهم، فأخذت الدولة المامية منذ ذلك التاريخ في التقلص إلى أن أصبح أئمتها مجرد سادة محليين مع الزمن[77].

نشأة النظام الأميري ببلاد شنقيط

طويت صفحة دولة الإمام ناصر الدين في بلاد شنقيط، وانتشرت قبائل بني حسان المحاربة في كل ربوع البلاد وأكملت سيطرتها على معظم أجزائها خلال القرن الحادي عشر للهجرة (17م)، وكونت كل طائفة حسانية إمارة في الناحية التي استولت عليها.

ومثلت هذه الإمارات التي واكب ظهورها نمو التجارة الأطلسية أول شكل من أشكال الحكم المنظم والمستقر في هذه البلاد خلال فترة السيبة منذ فشل دولة الإمام ناصر الدين، رغم كون بعض هذه الإمارات لم يستطع أن يستكمل شروط النظام الأميري، فبقي سلطانه أشبه برئاسة قبلية موسعة. وسمح هذا الاستقرار النسبي بخلق وضع أخذت فيه بوادر النهضة الثقافية للبيضان الشناقطة تتبلور. ومع وجود حدود تقريبية لكل مجال أميري فإن واقع المجتمع البدوي يجعل حدود الإمارات الجغرافية والبشرية مرنة وغير ثابتة، حيث ترتبط هذه الحدود بالمجموعات القبلية أكثر من ارتباطها بالأرض.

ولم تكن لهذه الإمارات نظم محددة لاختيار الأمير، والغالب فيها أن تكون وراثية، وتتألف حاشية الأمير من مستشارين من أعيان قبيلته وأبرز مقاتليها، ومن خدمه الخاصين به. وكان لكل أمير طبل رسمي هو رمز سلطانه، يقوم عليه خدم موكلون به، وينقرونه بطرق معينة في المناسبات المختلفة كالحرب، والأمن، والرحيل، والنزول. ويعتبر هذا الطبل مقدسا، فلو استولى عليه الأعداء أو عبثوا به دل ذلك على انهزام أصحابه، «وكان السلاح حتى آخر القرن الحادي عشر الهجري (17م) منحصرا في السيوف والرماح والخناجر، فلم يكن في حرب شربُبه غير ثلاثة مدافع، وانقضت دولة أولاد زيد [من أولاد داود اعروگ] دون أن يظهر فيها مدفع واحد[78]». وكانت حياة الإمارات، والرئاسات القبلية المحاربة التابعة لها أو الخارجة عن مجال سيطرتها، مليئة بالغارات والنهب والسلب والحروب المتواصلة.

[77] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص198-229.
[78] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص95.

والإمارات التي تمكنت تأسست في هذه البلاد، واشتهرت بمستوى -ولو نسبي- من التنظيم السياسي يميزها عن الرئاسة القبلية هي: إمارات الترارزة، والبراكنة، وأولاد يحيى بن عثمان، وأولاد امبارك، والبرابيش الحسانية، فضلا عن إمارتي إيدوعيش ومشظوف الصنهاجيتين.

واشتهرت في هذه البلاد كذلك رئاسات حسانية أخرى، مثل رئاسات أولاد دليم، وأولاد اعروگ، وأولاد رزگ، وأولاد داود امحمد، وأولاد الناصر، وغيرها، لكن هذه الرئاسات لم ترق من حيث التنظيم السياسي إلى مستوى الإمارات.

إمارة الترارزة

تقع إمارة الترارزة في الزاوية الجنوبية الغربية من بلاد شنقيط بمنطقة تعرف بمنطقة الگبلة، وهي تسمى إمارة الترارزة نسبة إلى تروز بن هداج بن عمران بن

عثمان بن مغفر جد مجموعة الترارزة الحسانية التي أصبحت أبرز قوة في هذا الإقليم منذ معركة "انتيتام"(1040هـ/ 1630م).

ويمكن تقريب حدود هذه الإمارة من جهة الشرق (جهة جارتها إمارة البراكنة) بخط يبدأ من "بودور" على ضفة نهر السينغال مارا على الشرق من "اللگات" باتجاه "الواسطه" و"اتويرسات"، فاصلا بين "أگان" و"آوكار" حتى ينتهي عند "تمسميت" التي تعتبر نقطة تماس بالنسبة للإمارات الأربع (إمارة الترارزة وإمارة البراكنة وإمارة إيدوعيش وإمارة أولاد يحيى بن عثمان). أما الحدود الشمالية للإمارة فتمر شمال آوكار وآمكرز، وتنتهي غربا في خليج آرگين، وتشكل اعراگيب الجحفة الواقعة على الشمال من أگجوجت الفاصل الطبيعي بين الترارزة وآدرار[79]، وتطل إمارة الترارزة من الغرب على المحيط الأطلسي. وحيث إنها تسيطر على أكثر من 500 كلم من الشواطئ الأطلسية فقد أطلق أيضا على الترارزة اسم عرب الزبار، وهي الكثبان الرملية الكبيرة التي تحجز بين الشاطئ وآفطوط الساحلي.

وتضم هذه الإمارة كغيرها من الإمارات الأخرى – مجموعات قبلية متباينة من العرب (بمعناها الوظيفي) إلى الزوايا إلى اللحمة[80].

وأشهر قبائل الإمارة: قبائل الترارزة، وهي: أولاد أحمد بن دامان البيت الأميري، وأبناء عمومتهم أولاد دامان، وأولاد البوعليه، وموسات، وهؤلاء يعرفون بالترارزة البيض، ولعلب ويعرفون بالترارزة الحمر، وعزونه ويعرفون بالترارزة الكحل، وتعتد في الترارزة الكحل بعض قبائل صنهاجة القديمة كانيرزيگ وتغرچنت، كما تعتد فيها قبائل أولاد رزگ المضمحلة كأولاد بوعلي و أولاد اخليفه والكتيبات.

ومن قبائل الترارزة كذلك قبيلة أولاد بسباع وقبيلتا الرحاحله والبيدات المنتسبتان إلى ارميث بن حسان، وقسم من أولاد أمبارك وأولاد اللب والگرع ومجموعة أولاد الرگيگ الذين هم تحالف تنحدر بعض الأسر الصميمة فيهم من أولاد يحيى بن عثمان، وكانوا يشغلون وظائف تنظيمية في جهاز السلطة الأميري[81].

---

[79] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني تاريخ موريتانيا فصول ومساهمات، مرجع سبق ذكره، ص116.
[80] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص 136.
[81] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص121.

أما قبائل الزوايا، و هم أكثر قبائل الإمارة من الناحية العددية فأهمهم قبائل تشمشه، وتندغه، والمدلش، وأولاد أبييري، وإيدوالحاج، وإيداب الحسن، وإكمليلن، وتاشدبيت، وتاگنيت، وإيدوعلي الگبلة، وتجكانت الگبلة، وعائلات من كنته.. إلخ.

1- إمارة أحمد بن دامان:

وأول أمراء الترارزة ببلاد الگبلة أحمد بن دامان بن عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز أحد قواد المغافرة المشهورين الذين وصلوا إلى منطقة الگبلة في السنوات الأخيرة من القرن العاشر للهجرة (15م). تمتع بعلاقات حسنة مع الزوايا، ووجد سيدي إبراهيم بن سيدي أحمد العروسي سنة 1039هـ/ 1629م يريد غزو تشمشه أو تغريمهم فاستدرجه لمآزرته في حرب أولاد رزگ قائلا له: «سر بنا إلى الكتيبات نبدأ بالنعامة ونرجع إلى بيضها، فلما انهزم أولاد رزگ في معركة "انتيتام" (1040هـ/1630م) صرفه عن الإغارة على تشمشه، ولما اعترض عليه سيدي إبراهيم قال له: إنما وجدتك تريد أن ترمي فسددت لك الرمية[82]».

وقاد أحمد بن دامان الترارزة في معركة "انتيتام" (1040هـ/ 1630م) التي حشد لها المغافرة كل قواتهم، ومعهم أولاد بوعلي الرزگيين وسيدي إبراهيم العروسي ومحلته، وخلق من أصحاب المغافرة وغيرهم، ودامت هذه المعركة أربعين يوما، وانهزم فيها أولاد رزگ هزيمة ساحقة مكنت المغافرة من وراثة سلطانهم بالمنطقة.

وأجرى الأوروبيون بعدما استتب الأمر للمغافرة اتصالات مع أحمد بن دامان، وفاوضوه على خفارة بضائعهم، وكانوا يبيعون القماش، والعسل، والخل، وأدوات الزينة، والأسلحة، ويشترون الذهب، والعبيد، وريش النعام. وأبرم الهولنديون معه معاهدة تجارية سنة 1633م/ 1043هـ[83].

وكان الأوروبيون في ذلك العهد قد أخذوا في التزاحم على البلاد التي كان البرتغاليون هم أول من وصل إليها ومارس فيها التجارة الأطلسية، قبل أن يسيطر الإسبان على هذه التجارة بعد توحيد العرشين البرتغالي والإسباني سنة 1580م/ 988هـ مدة بقية القرن العاشر الهجري (ق16م)، بسبب انشغال القوى الأوروبية

---

[82] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص36.

[83] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص112. وأضاف أن اتفاقية أحمد بن دامان وقعت مع هولندي يدعى أليدريك، وأن هذا الشخص يمكن أن يكون هو القبطان (ربان السفينة) ليدكيك (ليدير كيرك) المذكور في كتاب "إيليغ" للسوسي.

المختلفة الأخرى بالتهافت على خيرات أمريكا المكتشفة سنة 1492م/ 897هـ. وبحلول القرن السابع عشر ميلادي (11هـ) تقاسمت القوى الأوروبية القارة الأمريكية فزاد هذا الوضع من إقبال التجار الأوروبيين على شراء العبيد. ثم انتبه الأوروبيون إلى وجود مادة العلك (الصمغ العربي) بكميات كبيرة في بلاد شنقيط، فتنافسوا في شرائه[84]. وكان العلك في تلك الفترة يمثل مادة حيوية، لها ارتباط بالعديد من الصناعات، بالنسبة لمختلف الدول الأوروبية[85].

وفي سنة 1626م/ 35-1036هـ أنشأت مؤسسة نورماندي الفرنسية مركزا تجاريا بگت اندر سمي سينت الويس من أجل استغلال المنتجات التجارية للسينغال والبيضان. وفي سنة 1633م/ 42-1043هـ احتل الهولنديون آرگين بعدما طردوا الإسبان منه، وبدأت شركة الهند الغربية النيرلاندية يوم 5 فبراير من نفس السنة في تحصين قلعته وإصلاحها من الداخل، وتطوير تجارة العلك بها. وأولت الشركة اهتماما كبيرا بالقائد الحساني أحمد بن دامان كأحد أبرز الزعماء الجدد في المنطقة، بعد أن كان اهتمام الأوروبيين فيها قبل ذلك منصبا على الزوايا.

وبعد ثلاث سنوات من التبادل الهولندي البيضاني توفي أحمد بن دامان سنة 1045هـ/ 1636م[86]، ودفن بـ"غرد" (كثيب) هناك أصبح يعرف بغرد أحمد بن دامان (7كلم جنوب تيفريت) إحدى روابي الأشواف المشهورة[87]، مخلفا خمسة أبناء هم: عبد الل (سمي عمه عبد الل المشهور بعبلل) وامحمد واعلي وإبراهيم وهدي.

2- إمارة هدي بن أحمد بن دامان:

---

[84] تروي الرواية الشفهية المتداولة أن مبتدأ تجارة العلك في بلاد شنقيط أن الأمين بن النجيب الحاجي سافر إلى المغرب، وبينما كان عند جبل طارق مع بعض الإنگليز تناولوا طعاما فأصيبوا بالتسمم باستثناء الأمين، وعند استفساره عن السبب الذي جعله يسلم من التسمم أخرج لهم علكات كان يصطحبها معه، وأخبرهم أنه استعمل بعضها، فعرف الإنگليز العلك وعرضوا عليه رغبتهم في الحصول عليه فكتب لهم رسالة إلى أخيه أشفغ أوبك بن النجيب بأرض الگبلة من بلاد شنقيط، فوافوه، وبدأوا في شراء العلك من بيضان المنطقة تحت إشراف أشفغ أوبك انطلاقا من محطة تكشكمبه على نهر السينغال، فكان ذلك مبتدأ هذه التجارة التي استمرت قرونا مع الأوروبيين.

[85] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة ، مرجع سبق ذكره، ص390.

[86] مات في عهد أحمد بن دامان: أحمد أگذ المختار الألفغي (جد أولاد حبيني) توفى بعيد انتهاء معركة "انتيتام" (1040هـ/ 1630م)، وبابحمد بن يعقبنلل بن ديمان مترجم ومستشار أحمد بن دامان.

[87] روابي الأشواف: تسمى بالحسانية زيرات الأشواف وهي إحدى عشرة زيرة متراصة من الغرب إلى الشرق- مع انحراف يسير أحيانا- كان المسافر إذا طلع على إحداها عاين التي تليها، أولها: زيرة إيبنبي في تنسويلم (2 كلم شمال الرابع والعشرين إحدى ضواحي انواكشوط)، والثانية: غرد أحمد بن دامان (7 كلم جنوب تيفريت)، والثالثة زيرة تانفالت (18 كلم جنوب الكلم 35 على طريق الأمل)، وهي التي وصلت إليها مطاردات شربُبه يوم "ترتلاس"... راجع لبقيتها، أحمد سالم بن باگا، إمارة الترارزة.

وبعد أحمد بن دامان تولى ابنه هدي، وأمه بنت سدوم بن الذيب الامباركية الإمارة. وكان هدي أميرا عظيما، قاد قومه الترارزة في حرب شربُبه، وفي حروب المغافرة التي وقعت في عهده كيوم "أگيرت" (شمال مگطع الحجار) سنة 1041هـ/ 1631م لأولاد الزناگية على أولاد العربية، ويوم "آفكام" (موضع بالبراكنة) أواخر 1083هـ/ 1673م لأولاد الزناگية كذلك على أولاد العربية.

ووطد هدي وقنن صلات الأوروبيين مع بيضان المنطقة، ونجح في إقناع الهولنديين ببناء ميناء قريب من مناطق نفوذه المباشر فبنوا له بالجريده (30 كلمترا شمال انواكشوط) الميناء الذي سموه باسمه، فكان يطلق عليه "بورتو د هادي" التي تحرفت إلى "بورتانديك"، وقد سماه البيضان في فترة من الفترات بمرسى جور، ثم بمرسى انچيل بعد ذلك.

وشعر الفرنسيون بعدما أسسوا محطات للتبادل مع البيضان عند مصب نهر السينغال، بأن الهولنديين الذين يتبادلون مع بيضان السواحل الأطلسية بمينائي هدي وآرگين يضايقونهم في مادة العلك (الصمغ)، حيث أخذوا في رفع سعر العلك لاستقطاب باعة البيضان، لكن المنافسة ءالت بالفرنسيين الذين لم يتحملوا المستوى الذي وصلت إليه الأسعار إلى القيام بغزو قلعة ءارگين سنة 1677م/1088هـ، غير أنهم أخفقوا في ذلك.

وفي يوم 28 أغسطس 1678م (10 رجب 1089هـ) أعاد الفرنسيون غزو آرگين وتمكنوا من احتلال قلعته. وفي اليوم الموالي أبرم الفرنسي ديكاس اتفاقية سلام مع والي القلعة الهولندي درلنكور مكنت الأخير من العودة بأمان إلى هولندا، كما تمكن من كان في جواره من البيضان من الانسحاب بسلام من القلعة. غير أن ديكاس لم يحترم كل ما جاء في الاتفاقية فقام بنهب ما في القلعة، واستولى على مدافعها ثم أمر بهدمها[88]. وقام ديكاس بأسر من وجد من البيضان في القلعة أو حولها، وكانوا نحوا من مائتين، ثم أرسلهم بعدما صفدهم في الأغلال كعبيد إلى أمريكا. وتم نقل هؤلاء البيضان على متن سفينة تابعة لشركة السينغال باتجاه سينت دومينگ. وفي الطريق تمكن عدد من البيضان من كسر قيودهم، ومن جمع عدد من الفؤوس والقضبان، ثم انقضوا بها قبيل الفجر على طاقم السفينة الذي كان نصفه نائما، وكان مكونا من عشرة أشخاص. وتمكن البيضان المهاجمون من قتل أربعة أو خمسة من الطاقم لكن بقية الطاقم استطاعوا أن يلحقوا بقائد السفينة ابيرگييو في قمرته، (غرفة قيادة السفينة) ويتحصنوا

[88] راجع محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص392.

بها قبل أن يشرعوا في إطلاق وابل من النيران مات بسببه كثير من رجال ونساء البيضان، ولما أيقن باقي البيضان بفشل انتفاضتهم ألقى نحو أربعين منهم بأنفسهم في الماء ليموتوا غرقا[89]. وقد أثار تصرف ديكاس هذا عداوة الترارزة وبيضان سواحل الأطلسي وزاد من تعلقهم بالهولنديين المسالمين الذين حولوا التجارة من ميناء آرگين إلى ميناء هدي. وتوفى الأمير هدي بن أحمد بن دامان سنة 1095هـ/ 1684م[90] عن خمسة أبناء هم: السيد، وأحمد ديه، والشرغي[91]، وأعمر آگجيل، واعلي شنظوره لأمهم الدبيه بنت نغماش البركنية.

3- إمارة السيد بن هدي بن أحمد بن دامان:

وتولى السيد بعد أبيه هدي بن أحمد بن دامان[92]، في ظرف ما زال التوتر فيه يخيم على علاقة الفرنسيين التجارية مع منطقة الترارزة بسبب تصرف ديكاس، في حين ركز الفرنسيون على التبادل مع الزوايا فقاموا بتوقيع اتفاقية تجارية مع إيدوالحاج الذين يملكون محطة تكشكمبه سنة 1686م (1097هـ)، وقعها الشمش[93] (رئيس

---

[89] المرجع نفسه، ص392-393.

[90] مات في عهد الأمير هدي: لمرابط أحمد بزيد اليعقوبي توفى 1051هـ/ 1641م، والأمير البركني بكار (الغول) بن اعلي بن عبد الل، وأوديكه بن أبي أيوب الخليفي ماتا سنة 1092هـ/ 1681م.

[91] أصلها الشرقي بالقاف، ولكن البيضان يفخمونها فيجعلونها غينا لأن القاف لا توجد في الصوائت الحسانية،، إذ بنو حسان ينطقون كل قاف كافا معقودة (جيما مصرية)، وأما ما أبقوا قافه بحالها لسبب ما فتلك يفخمونها فيكتبونها بالغين، كما أوقفني عليه الباحث المؤرخ عبد الله بن يعقوب بن أبي مدين في الوثائق التاريخية المحلية.

[92] لم يذكر أحمد سالم بن باگا في تاريخه ولا محمد فال بن بابا في التكملة إمارة السيد هذا، وذكره المختار بن حامدٌ، كما ذكرته الوثائق الأوروبية، منها اتفاقية تجارية وقعها مع الهولنديين عام 1685، وقد كتب في أسفلها اسمه بالحروف العربية هكذا «السيد بن هدي أمير المسلمين».

[93] الشمش بشينين مثلما وقفنا عليه في الوثائق التاريخية القديمة للبلاد، وتعرب بالشمس، كما هو مدلولها، فشمش كلمة أكادية (لغة سامية قديمة كانت متكلمة 2000 سنة ق.م في العراق) معناها إله الشمس. وقد اعتنى الآشوريون وعرب الحضر بهذا الإله وقدموه على جميع آلهتهم، معتبرين أنه هو أعظم الآلهة، وأنه يرمز للحكمة والعدالة. وكان الآشوريون يطلقون أسماء آلهتهم على الأبواب المفتوحة في السور المشيد حول مدينة الموصل (نينوى) وكان باب الشمش (باب الشمس) هو أهم الأبواب في المدينة، وكان يشير إلى الإله شمش وهو في اتجاه الشرق. وقد تسربت عبارتا الشمش وباب الشمش إلى المجتمع في بلاد شنقيط التي وصلت إليها هجرات قادمة من الشام وغرب العراق من الأنباط وبعض الآشوريين وسكان وادي الرافدين، كما نجده لدى قبيلة إيدوالحاج الذين كان رئيسهم وخفير السفن فيهم يحمل هذا اللقب كدلالة على الرئيس الحكيم العادل.

وأول خفير للسفن من إيدوالحاج هو الشمش أشفغ أوبك بن النجيب، وقد خلفه ابن أخيه الشمش المختار بن الأمين بن النجيب، ثم ابنه بابه الشمش بن المختار الذي توفي سنة 1769م (1182هـ)، فابنه محمد بن بابه الشمش (تـ1799م، 1213هـ)، فأخوه المختار بن بابه الشمش (تـ1809م، 1224هـ)، فأخوه الفاضل بن بابه الشمش، فأخوه حبيب الله بن بابه الشمش، فابن أخيه المختار بن الفاضل (تـ1819م، 1234هـ)، فابن عمه محمذن أغربط (تـ1828م، 1243هـ)، فابنه المختار (تـ1830م، 1245هـ)، فابنه محمذن أغربط (تـ1834م، 1250هـ)، فأخوه عبد الله بن المختار (تـ1841م، 1257هـ)، فأخوه أحمد مولود (تـ1856م، 1272هـ)، فابن أخيه محمذن فال بن عبد الله (تـ1873م، 1290هـ)، فابن عمه محمذن أغربط بن أحمد مولود (تـ1903م، 1320هـ). وقد وقع شمش محمذن أغربط هذه الاتفاقية مع اشمالتز يوم 30

إيدوالحاج) المختار بن الأمين[94]، فقام الأمير السيد بمنح البروسيين (إحدى دول الاتحاد الألماني الحالي) الذين تخلى لهم الهولنديون عن حقوقهم في آرگين حق التبادل بهذا الميناء بموجب اتفاقية وقعها السيد مع البروسي كورنليس رير يوم 20 دجمبر 1687م (15 صفر 1099هـ)[95]، وتوفي الأمير السيد بن هدي بن أحمد بن دامان لثلاث سنوات من إمارته سنة 1100هـ/1689م.

4- إمارة أعمر آگجيل بن هدي بن أحمد بن دامان:

وبعد وفاة الأمير السيد تولى أخوه الأمير أعمر آكجيل بن هدي بن أحمد بن دامان. وكان مشهورا بالعدل وحسن السياسة. وقعت في عهده وقعة "تجالْ"[96] سنة 1100هـ/ 1689م لأولاد يحيى بن عثمان ومعهم أولاد الزناگية على إيديشلي.

ووقع الأمير أعمر آگجيل معاهدة جديدة مع البروسيين (الألمان) سنة 1689م/ 1101هـ حضرها صمبه بن دله بن آگمتار ومحمد (التونسي) بن إبراهيم بن أحمد بن دامان[97].

ووقعت في عهد أعمر آگجيل كذلك وقعة "أم اعبانه" في رمضان أو شوال سنة 1107هـ (إبريل أو مايو 1696م) بجبل يقع شرقي إيجل، وهي وقعة عظيمة دارت بين أولاد دليم والمغافرة، وكان النصر فيها حليف أولاد دليم الذين قتلوا أعدادا كبيرة من المغافرة، ووقعة "شار" في السنة التي تليها 1108هـ/ 1697م، وهي وقعة انتقامية انهزم فيها أولاد دليم، ولم يمت فيها من المغافرة إلا رجل واحد، فسماه المغافرة "لعاگ شار"[98].

يونيو 1819م (7 رمضان 1234هـ)، وتقضي بمساعدة فرنسا في مشروعها الزراعي بالمنطقة مقابل ضرائب عرفية محددة. انظر، الشيخ التراد بن السري، إيدوالحاج الترارزة، مرقون، ص77 و88.

[94] ورد في مذكرة "إيدوالحاج الترارزة" (مرجع سبق ذكره) أن الذي وقع هذه الاتفاقية هو باب الشمش بن المختار المتوفى 1769م (1182هـ)، وهذا غير ممكن بالنظر إلى عمره. والمختار بن الأمين هو خليفة عمه أشفغ أوبك بن النجيب الذي هو أول من نظم بيع العلك للإنگليز بمحطة تكشكمبه، بل أول من نظم هذه التجارة مع الأوربيين في البلاد على الإطلاق حسب ما ترويه التقاليد الشفهية ، والمختار هذا هو أول من تلقب بالشمش حسب بعض الروايات.

[95] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص124.

[96] يكتبها البعض بفتح اللام، وقد حرر المؤرخ أحمد سالم بن باگا ضبطها بسكون اللام في تاريخه استنادا إلى عدد من العارفين بالمنطقة.

[97] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص113.

[98] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مخطوط، ص39.

ووقع الأمير اعمر آگجيل اتفاقية جديدة مع البروسيين يوم 24 يوليو 1698م (16 محرم 1110هـ) حلت محل اتفاقيتهم الأولى معه.

وفي مطلع 1703م (رمضان 1114هـ) وجه أعمر آگجيل الذي ضاق ذرعا بتعامل ممثل بروسيا في آرگين مع سفن القراصنة على حساب الإمارة بعثة إلى أمستردام بقيادة أحد أقاربه يدعى أحمد منصور إبراهيم، لمعرفة ما إذا كان البروسيون مازالوا راغبين في مواصلة الاتجار مع الترارزة. وقام أعمر آگجيل باحتلال قلعة آرگين في انتظار رد ملك بروسيا على تهديده بإلغاء اتفاقية التبادل مع البروسيين إذا لم ينشطوا على السواحل والاتفاق مع غيرهم من التجار الأوربيين الراغبين في التعامل معهم[99].

وقتل أعمر آگجيل في نفس الشهر (رمضان 1114هـ/ يناير 1703م) قتله أولاد دليم بمعطن آگليل (شمال انواكشوط) فكانت إمارته ستة عشر عاما[100].

5- إمارة اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان:

وتولى بعد أعمر آگجيل اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان، وكان أميرا عظيما تأمر في فترة حرجة بالنسبة للترارزة الذين عانوا من غطرسة البراكنة تجاههم وتجاه أتباعهم لاسيما بعد يوم "تجالْ"، كما عانى الترارزة من مزاحمة أولاد دليم (قاتلي سلفه أعمر آگجيل) لهم في ءارگين والمناطق المحيطة به، ومن تصاعد قوة أولاد رزگ الذين أخذوا يستعيدون قدرا من نفوذهم في المنطقة، فعمل على ترتيب أوضاع إمارته ودخل في حروب متعددة مع أعدائه.

وكان الأمير اعلي شنظوره قائدا محنكا يتمتع بمهارة سياسية كبيرة، ويتوفر على خبرة قتالية عالية. وقد ساعدته المداخيل التي وفرتها له خفارة السفن الأوروبية على توطيد سلطانه، واستفاد من التنافس التجاري الذي احتدم مجددا في عهده بين الأوروبيين بعدما استعاد الهولنديون نشاطاتهم التجارية بقلعة آرگين في 31 يوليو 1711م (15 جمادى الثانية 1123هـ) بإذن من ملك بروسيا فريدريك گييوم الأول قبل

---

[99] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص483.

[100] ومات في أول عهده محمد بن أبي بكر بن الهاشم الذي توفى أواخر 1098هـ/ 1687م صاحب الفتوى الشهيرة في أمر شربُبه، ومات شيخه الطالب محمد بن المختار بن الأعمش سنة 1107هـ/ 1696م. ومات قاضي شنقيط الذي هاجر إلى أرض الگبلة عبد الله بن محم بن حبيب سنة 1103هـ/ 1692م. ومات أشفغ الأمين بن سيدي الفالي خليفة ناصر الدين - الذي خلعه الزوايا- سنة 1101هـ/ 98-1690م. وفي بعض المصادر أنه توفى 1077هـ/ 1666م. وهو غلط لأنه خلف ناصر الدين المتوفى في جمادى الأولى 1084هـ/ 1673م.

أن يتخلى لهم عن جميع مراكز بروسيا التجارية في عموم غرب إفريقيا، بموجب الاتفاقية الموقعة بين الهولنديين والبروسيين في 18 دجمبر 1717م (15 محرم 1130هـ). كما وقع اعلي شنظوره مع الفرنسي آندري ابري يوم 29 يوليو 1717م (20 شعبان 1129هـ) اتفاقية تمنح فرنسا حق التبادل الاستئثاري على الساحل الممتد من تانيت شمالا (50 كلم شمال انواكشوط) إلى مصب نهر السينغال جنوبا مقابل عدم بيع أي نوع من الأسلحة ولوازم القتال لأعدائه البراكنة وأولاد دليم وأولاد يحيى بن عثمان، فضلا عن منح الأمير اعلي شنظوره ضريبة عرفية معتبرة[101]. وتسمى الضريبة العرفية التي يتلقاها الأمير وبعض أقاربه وأعوانه مقابل خفارته للسفن التجارية بالحسانية "ءامكبل"[102].

وقد بذل مدير شركة السينغال الفرنسية آندري ابري جهده للقضاء على الوجود الأوروبي المنافس لفرنسا في آرگين وبورتانديك، كما بذل جهده لإقناع قائد قلعة ءارگين الهولندي جان بوت بمغادرة آرگين بصورة سلمية، وزين لاعلي شنظوره الاستيلاء على آرگين وطرد الهولنديين منه، غير أنه أدرك في نهاية المطاف أن اعلي شنظوره غير جاد في تنفيذ وعوده بطرد الهولنديين من آرگين «لكون ذلك الزعيم

[101] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارازة، مرجع سبق ذكره، ص344 و393. ويقال إن شمش إيدوالحاج هو الذي قام بدور الترجمة بينهما.

[102] ولم تكن هذه الضريبة العرفية هي الضريبة الوحيدة التي استفاد منها أمراء وقادة بني حسان وذووهم في المنطقة، فقد كانت هناك ضريبة "الغفر" أو "المزراگة" (الرمح) كان القادة يأخذونها على القبائل، فكان القائد الحساني إذا سبق غيره من القواد إلى قبيلة فأعطته "الغفر" ترك عندها رمحه أو بعض حليته دليلا على أن هذه القبيلة أمست في خفارته فإذا رأى ذلك الغفر غيره من قواد بني حسان تركوا تلك القبيلة وتجاوزوها إلى غيرها. وهناك ضريبة "حرمة الزربية" وهي تشبه في دلالتها الغفر حيث تتولى القبيلة جمع هذه الضريبة على أعضائها ثم تدفعها للأمير أو القائد التي هي في حماه مقابل إجارته لها. ومن الحرمة "حرمة التجارة" وهي ضريبة تدفعها القبيلة أو القافلة للأمير أو القائد الذي تعبر أو تنتجع بأرضه مقابل تأمينها خلال مدة عبورها أو انتجاعها بمنطقة نفوذه. ومنها "حرمة اجدر" (الجذع) وهي غرامة يدفعها الأصحاب وهم أزناگة بمعناها الوظيفي لا السلالي للقائد الذي هزمهم أو استسلموا له أو ورثهم أو فداهم أو اشتراهم من قائد آخر، وغالبا ما تتمثل هذه الغرامة في لبن ناقة على كل خيمة (أسرة من أهل الإبل، ولبن بقرة على كل خيمة من أهل البقر، وشاة تذبح و"افليج" من الصوف على كل خيمة من أهل الغنم سنويا، وإن كان للأسرة أبناء متعددون فإنهم لا يدفعون أكثر من هذا الرسم إلا إذا تزوجوا واستقلوا بأنفسهم فيصبح عليهم حينئذ ما كان على ذويهم بصورة تلقائية، ومتى مات أحد أصحاب بني حسان آل إليهم ماله إذا لم يكن له وارث من أهله، وإذا أملق السيد الحساني وكان صاحبه من أزناگه مليا فبإمكانه أن يفتدي منه بماله، وربما فداه أحد المشائخ الدينيين أو الزعماء القبليين. ومن لم يكن له مال من هؤلاء الأتباع وكان له عمل ككراء الدواب أو غير ذلك فعليه وظيفة معلومة يؤديها إلى أسياده سنويا وعلى ذوي الحراثة يوم حصادهم وظيفة يدفعها المزارعون لمن هم تحت حمايته تسمى "ماته" ومتوسطها (25كلغ) للحرث، ويسمى هذا النوع من الضرائب آباخ. وهناك ضريبة "تغْدَه" في انوامغار و"التيجكريت" في سواحل الشاطئ الأخرى، وهي في الأصل من اختصاص الأمير وتتمثل في سمكة عن كل فرد كل يوم إلى غير ذلك من الضرائب على الصيادين، وقد ألغى الاستعمار كل هذه الضرائب العرفية بالتفاهم مع الأمراء، فألغى الضرائب العرفية على الصيادين على أربع مراحل أولاها سنة 1917م (1335هـ) وآخرها سنة 1947م (1366هـ) أما ضريبة آباخ فقد ألغاها المستعمر في البراكنة سنة 1905م (1323هـ) بينما استمر العمل بها في الترارزة إلى سنة 1939م (1358هـ) فافتدتها السلطات الفرنسية كما افتدت سائر الأغفار والمغارم بأموال معلومة وأبطلتها. المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، ومحمد المختار بن السعد، الإمارات والمجال الأميري، ص 54-59.

البيضاني لا يريد أن يفوت على نفسه فرصة التبادل مع الأجانب ما دام يحصل على مبالغ طائلة من وراء ذلك[103]».

وقامت شركة السينغال الفرنسية بإشعار مجلس البحرية الفرنسي بما جرى، كما زودته بنسخة من اتفاقية آندري ابري مع اعلي شنظوره لحمل المجلس على التدخل بالقوة لحسم الصراع لصالح الفرنسيين، وإنهاء وجود من سواهم من الأوروبيين بسواحل البيضان، وطالب ابري وزير البحرية وإدارة الشركة باتخاذ إجراءات ملموسة لحراسة مدخل بورتانديك بإرسال سفينة مسلحة بأربعين مدفعا ثقيلا وعلى متنها ثلاثمائة جندي للمرابطة على سواحل البيضان طيلة موسم التبادل الممتد على مدى خمسة أشهر من السنة.

ومع أن المجلس البحري الفرنسي تبنى في نفمبر 1717م (ذي الحجة 1129هـ) دعوة شركة السينغال للتدخل بالقوة العسكرية لحماية تجارة العلك، وأبرم اتفاقية بين الملك والشركة تقضي بحماية الدولة الفرنسية لبورتانديك مقابل قرض من الشركة للملك يمكن من تسليح سفينتين ملكيتين ترابطان في بورتانديك طيلة موسم تجارة العلك، فإن جملة من المصاعب حالت دون تنفيذ هذه الاتفاقية. وتكررت المحاولة سنوات 1718م و1719م و1720م (30-1132هـ) دون نجاح كبير.

ولما غادر الأمير اعلي شنظوره أثناء هذه الفترة بلاد الترارزة باتجاه المغرب صحبة صديقه سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي المشهور بابن رازگه في ربيع الأول 1132هـ (يناير 1720م) وخلف أخاه الشرغي بن هدي بن أحمد بن دامان زاد ابري من عزمه على القيام باحتلال ءارگين بالقوة معللا موقفه بتخوفه من أن يستولي سلطان المغرب على قلعة ءارگين ويتخذ منها مركزا لاستراحة بحريته، وتذرع ابري بأن المولى إسماعيل توجه بطلب بهذا الخصوص إلى الأمير اعلي شنظوره.

وكان الأمير اعلي شنظوره قد التقى المولى إسماعيل بمكناسة، وطلب منه تزويده بمحلة (جيش) تساعده على مواجهة الأخطار المحدقة به. وانتدب المولى إسماعيل عرب بني حسان الموجودين بجنوب المغرب لنجدة الأمير اعلي شنظوره فسارت معه مجموعات من قبائل الرحاحلة والبيدات والعيايطة والزبيرات.

[103] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص 394.

وعاد اعلي شنظوره إلى بلاده أواخر عام 1133هـ (20-1721م)، ثم أخذ في ترتيب أحوال إمارته وينظم صفوف جنده، ويطهر بلاده من مختلف المجموعات الحربية التي كانت تتجول في أرجائها بحثا عن المغارم، فتمكن من إجلاء محلات الرماة المغاربة والعروسيين (الأوائل) عن إگيدي دون قتال بعدما أقنعهم القاضي المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي الشمشوي (ابن خالة ناصر الدين الديماني) الذي اتخذه اعلي شنظوره قاضي إمارته[104] بذلك. ثم شرع في محاربة البراكنة يوم 29 جمادى الأولى 1133هـ/ 28 مارس 1721م، وتمكن بعد سلسلة من المعارك من إجلائهم إلى تزاگرت بآفطوط، وقاد عدة حملات ضد أولاد دليم. ولما أظهرت بعض المجموعات العربية في محلته نوعا من السطوة والتفرد حاربهم فأوقع بالرحاحلة عند "امليزمات الرحاحلة"، ودفع بالعيايطة والزبيرات إلى الهجرة فانضموا إلى تحالف إيدوعيش[105].

ونظم الأمير اعلي شنظوره مجال إمارته التي هاجر عنها معظم أغرمان وبافور وحراطين زناته باتجاه السينغال، وأعاد تقسيمها بين قبائل المنطقة، فقسم إگيدي بين تشمشه وفق اقتراح من المختار بن أشفغ موسى الذي اختار لليعقوبيين جوار المحصر (محل إقامة الأمير).

وقسم اعلي شنظوره بلاده إلى ثلاث مناطق: منطقة الوسط والشرق المصاقبة للبراكنة، وأسند حمايتها إلى الترارزة البيض (أولاد دامان وأولاد البوعليه وموسات)، ومنطقة الجنوب المتاخمة للسودان وأسند حمايتها إلى عزونة وأولاد بنيوگ التي أصبحت تعرف بالترارزة الكحل، ومنطقة الشمال المتصلة بأرض أولاد دليم وأسند حمايتها إلى الترارزة الحمر (العلب).

وفي جنوب نهر السينغال كانت لاعلي شنظوره حملات في الوالو الذي اتهم الفرنسيون ملكه بالتواطئ مع اعلي شنظوره، في ربيع 1717م (1129هـ) على نهب سفينة فرنسية، وبالتخطيط للاستيلاء على قلعة اندر (سينت الويس) في دجمبر 1722م (ربيع الأول 1135هـ). وذكر الفرنسيون أن اعلي شنظوره تزوج مع أخت الملك يريم امبانييك، وأن هذا الأخير قدم له هدايا لحمله على الالتزام بالاستيلاء على قلعة اندر[106].

وكان ملك فوته بوبكر سيره قد أرسل ابنه المختار گاكو –بإيعاز من آندري بري- إلى المولى إسماعيل (سنة 1720م/ 1132هـ) لحثه على عدم دعم اعلي

---

[104] اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص4.

[105] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة مرجع سبق ذكره، ص 394.

[106] پول مارتي، إمارة الترارزة، نشر أرنست لورو 1919م، ص92-98.

شنظوره بدعوى أن أمير الترارزة يريد من خلال هذا الدعم أن يقضي على ما تبقى من جيش الرماة المغاربة الذي تم إنفاذه إلى تنبكتو إبان الحملة السعدية. وكان آندري بري وملك فوته يخشيان من تنامي قوة الترارزة. وتشير المصادر الفرنسية إلى أن اعلي شنظوره عبر بمحلته في مايو 1721م (رجب 1133هـ) إلى فوته وأطاح ببكر سيره ونصب مكانه بوبو موسى ملكا على فوته، ردا على ما فعل، رغم أن بوبكر سيره كان قد وصل إلى الحكم سنة 1718م بفضل دعم اعلي شنظوره وأولاد اعلي البركنيين له[107].

وبينما كان اعلي شنظوره منشغلا بترتيب أحوال إمارته كان آندري ابري يخطط للاستيلاء على آرگين وبورتانديك لمنع الهولنديين من التبادل مع البيضان، واقتنع بعدما فشلت محاولاته التي استمرت من 1717م إلى 1720م (29-1133هـ) بضرورة تجهيز حملة عسكرية قوية قادرة على صد السفن الهولندية المنافسة لشركته التي أتيح لها أن تنظم أولى حملاتها العسكرية الناجحة على آرگين بقيادة ابييري دوسالفير يوم 26 فبراير 1721م (29 ربيع الثاني 1133هـ)، وصدرت خلال هذه الحملة الأوامر إلى دوسالفير باحتلال الموقع، واسترقاق كل من يقع في الأسر من البيضان المقيمين في آرگين.

ثم نظم الفرنسيون أربع حملات هجومية أخرى بين 1721م و1725م (1133هـ/1138هـ) أهمها حملة لاريگوديير التي ضمت 5 سفن حربية قادمة من فرنسا وثلاث سفن تابعة للشركة السينغالية، وحملة دوسالفير الثانية سنة 1724م (36-1137هـ) التي نجحت في الاستيلاء على آرگين وطرد الهولنديين منه. وتبادل الفرنسيون والهولنديون خلال هذه الفترة 16 مذكرة حاول كل طرف أن يسوغ من خلالها وجوده في سواحل بلاد البيضان[108].

ومع مطلع 1726م (1138م) جنحت فرنسا وهولندا إلى التفاوض بشأن الميناءين (ميناء هدي وميناء آرگين)، وآل بهما الأمر يوم 13 يناير 1727م (20 جمادى الأولى 1139هـ) إلى توقيع اتفاقية لاهاي القاضية بتخلي هولندا عن دعاويها في المنطقة مقابل تعويض مالي قدره 130 ألف افلورينه هولندي. وبعد توقيع هذا

---

[107] المرجع نفسه والصفحات نفسها.

[108] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص 397.

الاتفاق بنحو أربعة أشهر توفي اعلي شنظوره يوم عيد الفطر 1139هـ/22 مايو 1727م) بونون (3 كلم شرقي بابابي) بينما كان منهمكا في حروبه مع البراكنة[109].

6- إمارة أعمر بن اعلي شنظوره:

وخلف اعلي شنظوره ابنه الأمير أعمر، وأمه عيشة بنت التونسي بن عتام الدامانية. وقد كان سائسا عادلا مكرما للزوايا، وكان يميل إلى الإنگليز الذين حلوا محل الهولنديين في الصراع مع الفرنسيين على تجارة العلك، وكانوا أكثر سخاء في تعاملهم مع البيضان من الفرنسيين. واتخذت السفن الإنگليزية من مرسى بورتانديك مركزا لمبادلاتها التجارية.

ومع حلول 1730م (1142هـ) كانت السفن الإنگليزية قد تكاثرت على شواطئ البيضان. وقد حاولت سفن شركة الهند الفرنسية مرارا محاصرتها والقبض عليها لكنها عجزت عن ذلك لأن السفن الإنگليزية كانت أسرع وأقل حمولة.

وحاول الفرنسيون الذين كانوا في حرب مع ملك الوالو حمل أعمر بن اعلي شنظوره على الإغارة على الوالو ونهبها في 9 نفمبر 1730م (28 ربيع الثاني 1143هـ) لكن أعمر لم يستجب لهم، وتحالف مع ملك فوته للإطاحة بملك كايور وتنصيب ملك آخر محله، وطلب من ملك الوالو أن يأذن لهما في المرور عبر أراضيه[110].

وفي سنة 1731م (43-1144هـ) دعمت شركة الهند الفرنسية وحداتها القتالية بسفينتين جديدتين رابطت إحداهما قبالة ميناء بورتانديك بغية منع الإنگليز من الوصول إليه، بينما أرسلت بريطانيا فرقاطة (سفينة حربية) لدعم قوة تجارها. وتواطأ البيضان مع الإنگليز فأخبروهم بمغادرة السفينة الحربية الفرنسية إلى اندر لإحضار الماء فاحتل الإنگليز بورتانديك، وشرعوا في التبادل مع الترارزة تحت إشراف الأمير أعمر بن اعلي شنظوره[111]. واحتدم التنافس بين الطرفين إلى درجة أن الفرنسيين الذين ضاقوا

---

[109] قال محمد فال بن بابا في التكملة: «وتولى بعد اعلي شنظوره أخوه الشرغي» (محمد فال بن بابا العلوي، التكملة في تاريخ إمارتي الترارزة والبراكنة، تحقيق أحمدو (جمال) نشر بيت الحكمة، تونس 1986). وهكذا قال المؤرخ هارون بن الشيخ سيديا، والعلامة محمد بن أبي مدين في حاشيته على كتاب التكملة لمحمد فال بن بابا. أما المختار بن حامدٌ والفرنسيون فيتفقون على أن اعلي شنظوره خلفه ابنه أعمر. وبلغ الأمير أعمر عند الزوايا مبلغا عظيما لعدالته حتى أطلق عليه المؤرخ والد لقب أمير المؤمنين.

[110] محمد المختار بن السعد، تاريخ إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص382.

[111] المرجع نفسه، ص 399.

ذرعا بميلان البيضان إلى الإنگليز شددوا في سنة 1735م (47-1148هـ) حراسة منافذ بورتانديك للحيلولة دون رسو السفن الإنگليزية فيه، لكن السفن الإنگليزية واجهت الإجراء الفرنسي بمهاجمة السفن الفرنسية التي حاولت منعها من الرسو يوم 6 مايو 1735م (13 ذي الحجة 1147هـ) وأجبرتها على الانسحاب.

وطالبت شركة الهند الفرنسية سلطاتها بالتدخل لدى السلطات الإنگليزية، لكن الإنگليز ردوا بتعزيز قواتهم العسكرية في بورتانديك، فهدد الفرنسيون بالرد على القوة بالقوة.

وردا على هذه التصرفات قام ملك فرنسا بتفويض الأمر إلى وزير بحريته لدراسة الموضوع مع شركة الهند الفرنسية واتخاذ ما يراه مناسبا.

وفي 13 فبراير 1737م (13 شوال 1149هـ) أرسلت فرنسا سفينة حربية جديدة تقل 450 شخصا، من بينهم 12 ضابطا و60 وحدة مدفعية، فانضمت إلى سفينتين تابعتين لشركة الهند الفرنسية، لكنها لم تصل إلى مرسى جيوه المعروف ببورتانديك الصغير (42 كلم جنوب انواكشوط) إلا في 7 مارس (5 ذي القعدة)، ووجدت أن السفن الإنگليزية قد اشترت إنتاج دجمبر من العلك وغادرت.

وفي مايو 1737م (محرم 1150هـ) كان الإنگليز موجودين بقوة في بورتانديك، حيث كانت أربع من سفنهم التجارية تقوم بالتبادل مع بيضان الترارزة تحت حراسة ثلاث سفن حربية إنگليزية[112] على متنها 177 مدفعا ثقيلا و820 رجلا.

وفي سنة 1738م (50-1151هـ) أوعز الفرنسيون إلى مدير شركة الهند الفرنسية بالسينغال ابيير دافيد بأن يحرس منافذ بورتانديك، ويقوم بعملية استعراض للقوة البحرية الفرنسية على ساحل المركز لعل ذلك يجعل «أعمر [بن اعلي شنظوره] واترارزته يعيدون النظر في مواقفهم[113]». بينما بعثت إنگلترا مع سفينة إنگليزية رست يوم 17 فبراير 1738م (27 شوال1150هـ) برسالة إلى البيضان تخبرهم فيها بأن ملك فرنسا سيرسل هذا العام سفينتين حربيتين لمنع تبادل البيضان مع الإنگليز في بورتانديك، وأن ملك إنگلترا سيرسل بالمقابل 5 سفن حربية و6 سفن تجارية.

---

[112] بادلت اثنتان من هذه السفن 40 طنا من العلك خلال 5 أيام. انظر محمد المختار بن السعد، ص399، هامش 141.

[113] المرجع نفسه، ص401.

وتقابلت الحملتان الفرنسية والإنكليزية وجها لوجه أمام بورتانديك، واحتج الفرنسيون على الإنكليز قائلين إن اتفاقياتهم مع أمراء البيضان السابقة تخولهم حق الاستئثار بالميناء، ورد الإنكليز بأنهم مصممون على التبادل مع الترارزة قائلين إنه ليس للفرنسيين من الحقوق في بورتانديك أكثر مما للإنكليز.

وقرر الفرنسيون يوم 12 إبريل 1738م (22 ذي الحجة1150هـ) عدم مبادرة الإنكليز المتفوقين عليهم عسكريا بالهجوم مكتفين بمهاجمة البيضان إذا جاءوا بعلكهم إلى الشاطئ لمنعهم من التبادل مع الإنكليز. وفي اليوم الموالي هاجمت السفن الحربية الفرنسية البيضان المتمركزين على الشاطئ فقتلت عددا من جمالهم وقوضت مخيماتهم.

وأعرب الإنكليز عن استيائهم من هذا التصرف العدواني، وهدد قائدهم بالرد على عدوان الفرنسيين وحماية البيضان. ورست سفن الإنكليز على بعد 6 كيلومترات من المرسى، وقاموا بالتبادل على مدى أربعين يوما مع الترارزة على طول الشاطئ جنوبا حتى مدخل بورتانديك الصغير (جيوه).

وبعد انتهاء التبادل مع الإنكليز بيوم واحد انتقم البيضان من هجوم 13 إبريل (23 ذي الحجة) الفرنسي عليهم، حيث تسللت منهم مجموعة ليلة 23 مايو 1738م (3 صفر 1151هـ) سباحة إلى قارب إحدى السفن الفرنسية فذبحت البحارين الذين كانوا على متنه وذهبت بالقارب.

وكتب المجلس الفرنسي الأعلى للسينغال يوم 30 يونيو 1738م (12 ربيع الأول 1151هـ) رسالة إلى شركة الهند الفرنسية يعرب فيها عن مناهضته لسياسة سوء معاملة الشركة للبيضان، خاصة هجوم 13 إبريل (23 ذي الحجة) على بيضان الشاطئ قائلا إن رد فعل البيضان يوم 23 مايو (3 صفر) لن يكون إجراءهم الانتقامي الأخير.

وعمل الفرنسيون بعد هذه الأزمة على حل المشكلة مع الإنكليز بالوسائل الدبلوماسية، فرفعوا عريضة تظلم إلى السلطات الإنكليزية يوم 25 يوليو 1738م (8 ربيع الثاني 1151هـ) محتجين باتفاقية لاهاي1727م (1140هـ) بينهم وبين هولندا التي خولتهم ملكية مينائي آرگين وبورتانديك.

وفي يوم 25 مايو 1740م (29 صفر 1153هـ) وقع مدير شركة الهند الفرنسية ابيير دافيد ومدير المؤسسات الإنگليزية في غامبيا ش. أورفير اتفاقية تضع

حدا للتنافس بين الطرفين، وتقضي بتوفير 360 ألف رطل من العلك سنويا للشركة الإنگليزية في غامبيا مقابل 300 عبد توفرها هذه الأخيرة للشركة الفرنسية في السينغال.

وشرعت فرنسا في بناء قلعة بودور على ضفة نهر السينغال لتدعيم نفوذها في المنطقة، ولفتح محطة مباشرة للتبادل بينها وبين البراكنة في وقت تزايدت فيه المخاوف الفرنسية من تصاعد النفوذ التروزي في الوالو، حيث تحدثت وثيقة فرنسية صادرة في 1742/8/1م (1155/5/29هـ) قائلة: «إن هذه الأمة [الترارزة] أصبحت قوية بالفعل ونخشى أن تسود بلاد ابراك [والو] كما سادت بلاد فوته التي خربتها تماما لأن ذلك من شأنه لا محالة أن يلحق ضررا كبيرا بتجارتنا[114]».

وكان نفوذ الترارزة في الوالو يتزايد باستمرار. ولما اندلع صراع بين ملك الوالو انجاك أرام بوكار وأحد أتباعه استنجد هذا الأخير بالترارزة في أغسطس 1742م (جمادى الثانية 1155هـ) فأنجدوه.

ولأن علاقات البراكنة بالترارزة كانت سيئة تطبعها المناوشات المتكررة فقد عارض الأمير أعمر إقامة محطة بودور المقامة من قبل الفرنسيين لأن من شأنها أن تمنح لأعدائه البراكنة -الذين شهدت سنة 1743م (1156هـ) أوج حروبه معهم- من الإمكانات والحظوة ما يجعلهم يتفوقون عليه.

وقد أرسل الأمير أعمر مبعوثا بهذا الشأن إلى مدير شركة الهند الفرنسية باندر لحمله على التخلي عن بناء هذه المحطة.

ولما لم يستجب مدير الشركة ابيير دافيد لطلبه قام أنصار الأمير أعمر القريبون من النهر بالتحرش بالفرنسيين وممتلكاتهم كما قاموا بمهاجمتهم يوم 22 مارس 1745م (18 صفر 1158هـ) عند آوليگ.

ورغم هذا الهجوم، وما قام به المختار بن آغريشي البركني وابراك والو وخفراء مرسى تكشكمبه من تحريض للفرنسيين للانتقام من الترارزة، فقد حاول ابيير دافيد طمأنة الأمير أعمر بن اعلي شنظوره وكسب وده واصفا إياه بزعيم كل المسلمين وملك

[114] المرجع نفسه، ص379.

التراررزة[115]. وكانت الترارزة في عهد الأمير أعمر أقوى من البراكنة، بل تمكن أعمر من أن يهزم بـ500 رجل من الترارزة تحالف البراكنة والوالو ضده.

وفي سنة 1168هـ/ 54-1755م استنجد ملك كايور بسيدي المختار بن الشرغي بن هدي بن أحمد بن دامان ضد ملك اجيولوف برام بمبا الذي خلعه من العرش، وكان سيدي المختار مشهورا بالقوة والشجاعة فكثر عليهما جيش اجيولوف، فأراد ملك كايور أن ينهزموا، فقال له سيدي المختار: انهزم أنت إن شئت أما نحن فلا ننهزم في مثل هذا الموقف، وحمل على ملك اجيولوف فهزمه. وكان ذلك سبب مغرم أهل الشرغي بن هدي في كايور الذي بلغ من الكثرة أنهم كانوا يقسمون الذهب والفضة والجوهر بالمد[116]. وفشل الصلح الفرنسي الإنكليزي بسبب تعاظم أهمية العلك في أوروبا، فهاجمت السفن الإنكليزية السفن الفرنسية على ساحل بورتانديك سنة 1753م (67-1168هـ)، وأسروا عدة أشخاص بعد تبادل لإطلاق النار، ثم أخذوا في التفاوض مع الترارزة من أجل التمركز في آرگين. وفي سنة 1756م (69-1170هـ) بدأت المواجهة الشاملة بين الإنگليز والفرنسيين للسيطرة على المنطقة. وتوفي الأمير أعمر ليلة السبت 6 جمادى الآخرة عام 1170هـ (25 فبراير 1757م) بعد 31 عاما من الحكم[117].

وفي عهده عبر برثام الأغرماني النهر وهاجم الترارزة على حين غرة فقتل عددا منهم. كما وقعت في عهده وقعة "البطحه" بين الترارزة وأولاد غيلان في 4 ربيع الأول سنة 1165هـ (21 يناير 1752م). وخلف الأمير أعمر ابنين حديثي السن أمهما فاطمه الطفيله بنت الشرغي بن هدي بن أحمد بن دامان.

7- إمارة المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

ولما توفي الأمير أعمر بن اعلي شنظوره قالت زوجته فاطمه الطفيله لأخيها سيدي المختار بن الشرغي: احفظ لي إمارة ابني[118]. وكان سيدي المختار بطلا

---

[115] المرجع نفسه، ص 346- 347.

[116] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص15.

[117] ومات في عهده الصالح المشهور أشفغ الحمد التاگنيتي توفي 1144هـ (1731م) ودفن بزار بين ءاوكار ولعگل (شمال غرب بتلميت 55كلم)، وابن رازگه العلوي توفي في نفس السنة، كما توفي في عهده أشفغ مينحن قاضي تشمشه سنة 1151هـ (1738م) ودفن بتنفنجه، ومحمد اليدالي الديماني سنة 1166هـ (1753م). ومات قبل الأمير أعمر بليال هدي بن السيد، ومات الجيد بن الأمجد العتامي بعده بأيام ماتوا ثلاثتهم في 20 يوما.

[118] محمد فال بن بابا العلوي، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص 46. وأضاف محمد المختار بن السعد: «وسيكون لهذه القولة الشهيرة صداها فيما بعد، إذ ستتعبأ ذرية الشرغي بن هدى إلى جانب أهل أعمر بن اعلي شنظوره في صراعهم

مشهورا، وهو صاحب فزعت تكمله التي هي أصل المثل الحساني: «أصل ماهي فزعت تكمله[119]» فكان له ردءا وعضدا.

وأول حادث وقع في عهده يوم چفچف لعشر بقين من رمضان سنة 1170هـ (7 يونيو 1757م) هزم فيه البراكنة هزيمة ساحقة، وسبب چفچف أن البراكنة أغاروا على محصر الترارزة عند تنضله فنهبوا السرح، فتبعهم الأمير المختار وأخوه اعلي الكوري بمن معهما فأدركوهم عند چفچف فاستردوا منهم النهب بعد قتال شديد سمع منه صوت البارود بتنضله[120].

وتمكن الأمير المختار من إجلاء أولاد أحمد البركنيين من مناطق من آوكار من بلاد الترارزة لم يصل إليها نفوذ الإمارة قبله[121].

وفي سنة 1758م (1171هـ) تمكن الإنگليز من إقصاء الفرنسيين نهائيا من المنطقة بعدما قاموا باحتلال المناطق السينغالية التي كانت خاضعة لفرنسا.

على الإمارة ضد أبناء عمهم من أهل الشرغي بن اعلي شنظوره طيلة الثلث الأول من القرن 19» ، موريتانيا في العهد الحساني، ص28.

[119] وسبب المثل كما نقل ابن باگا «أن سيدي المختار سافر إلى قرية انگيگس جنوب الضفة لجباية المغارم التي لأهل الشرغي بن هدي على أهل تلك الناحية، فلما عاد إلى موطنه بأوچبر [شمال غرب المذرذرة] لم ير الرجال في الحي، فسأل إحدى الإماء عنهم. فقالت له: إنهم ذهبوا في طلب إبل نهبها جيش من أهل التل. فركب فرسه فورا، وكان ذلك ضحى، وجعل أثر النهب عن يساره إلى جهة المحيط. فلما قطع مسافة يعلم أن النهب لم يقطعها بعد انحرف مغربا يلتمس الأثر أو العين حتى بلغ المحيط ولم يجد شيئا، فعلم أن النهب بقي وراءه، فعمد إلى تكمله، وهي غيضة مليئة باليتوع ["أفرنان"] بالقسم الجنوبي لآگنيتير، فكمن فيها وجعل يترصده هناك. فلما كان وقت السحر أغفى إغفاءة فأحست الفرس بجلبة النهب، فأخذت تنبش عند رأس فارسها -فعل جياد الخيل إذا أحست حربا- فانتبه سيدي المختار، وعرف أنها أحست بالقوم، فقام وأذن، وكان الفجر قد انصدع، فلما سمع المغيرون الأذان ظنوه حيا فمالوا إليه، فلما دنوا منه رماهم بالرصاص، فتراشقوا ساعة فقتل منهم رجالا، فأسلموا النهب منهزمين. فاستاقه هو راجعا. ولما سمع الطلب الذاهب في أثر النهب صوت البارود قال أبوه: كأن هذا صوت مدفع سيدي المختار. فقال له بعضهم: ما تزال تذكر سيدي المختار، أليست هذه تكمله، وسيدي المختار الآن في انگيگس يأكل الثريد؟ فلم يلبثوا أن التقوا به عائدا يسوق النهب، فصارت فزعته (وهي خروجه في الطلب) مضرب المثل».

[120] هارون بن الشيخ سيديا، إمارة الترارزة، مخطوط ،ص7. وأضاف: «فضرب به المثل». وأوضح محمد فال بن بابا في التكملة ذلك فقال: «وقع في ذلك العام چفچف الذي صار هو الغاية عند الناس في الشدة، ويقولون اخبيط چفچف، أي قصف چفچف». وچفچف موضع في آوكيره. أما تنضله فمن برويت (جنوب غرب ولاية الترارزة). ويقال إن الأمير المختار لما سألته أمه فيم كان يفكر أثناء المعركة؟ قال لها: "رِيْ انگليسيس" أي أعلام الإنگليز (أعلام سفنهم) موضحا أن الصراع هو صراع على خفارة السفن الأوروبية.

[121] من هذه المواضع: واد احنينه، وزار، وانيگراره، وماليله التي يذكرها زفان المختاربن أعمر بقوله:

واد احنينه ما كـان دار — إخشوها عرب الزبـار
أگلعت كيف أگلعت زار — وانيگـراره وماليـله
والعربي يلكان شــار — خير إواس ذي الحيلـه

والمعنى: أن واد احنينه لم يكن منزلا من منازل عرب الزبار (وهم الترارزة) لكنك انتزعته كما انتزعت زار وانيگراره وماليله، والعربي (المحارب) إذا حارب عليه أن يفعل مثل ما فعلت.

وفي سنة 1763م (1177هـ) وقعت فرنسا وإنكلترا اتفاقية في باريس تهدف إلى إنهاء التوتر الذي استمر 7 سنوات في المنطقة. وتعترف هذه الاتفاقية بحقوق فرنسا على السواحل البيضانية، لكن هذه الاتفاقية لم تطبق، وبقي آرگين وبورتانديك خاضعين لإنكلترا[122].

ووفد الأمير المختار بن أعمر على المولى سيدي محمد بن المولى عبد الله بن المولى إسماعيل فأعطاه السروال الأبيض الذي أصبح شعارا لأمراء الترارزة، كما أعطاه طبلا من النحاس ليكون طبل الإمارة[123]، وجوادا مدبجا نصفه أبيض ونصفه أحمر، عليه سرج مغشى بالخرز الثمين[124].

وتوفي المختار عام 1185هـ/1771م عن عدة أبناء أمهم منينه البركنية.

8- إمارة اعلي الكوري بن أعمر بن اعلي شنظوره:

وتولى بعد المختار أخوه اعلي الكوري، ووقعت بعد توليه "حواطة"، وهي مجاعة شديدة وقعت عام 1185هـ/1772م، ودامت ثلاثة أعوام، وفي أول أعوامها ولد الشيخ محنض بابه بن اعبيد الديماني. وقد ألجأت هذه المجاعة عددا من القبائل إلى الهجرة إلى السينغال. كما وقعت في عهده حروب شديدة بينه وبين البراكنة، منها يوم "اكراع ولد العيمار"، ويوم "المرفگ" سنة 1190هـ/ 1776م.

وفي جنوب النهر كرست الحرب الأهلية في الوالو (1766-1786م/ 1179-1200هـ)، والاحتلال الإنگليزي لاندر (1758-1783م/ 1171-1197هـ)، نهائيا هيمنة الترارزة السياسية على مملكة الوالو. وقد كان للحرب الأهلية من جهة وتجارة العبيد الأطلسية من جهة أخرى أثر مباشر في انصياع الوالو التام للترارزة، وتحملهم المغارم الثقيلة لهم صونا للأنفس والأموال من النهب.

---

[122] ومع أن العلك أصبح أهم سلعة تستورد في هذه الفترة إلا أن ذلك لم ينقص من أهمية استيراد العبيد الذين كانوا يصدرون أساسا إلى أمريكا، حيث يروي كتاب الجذور الذي صدر في السبعينات في أمريكا وحقق أكبر المبيعات في عهده، وحول إلى فلم تلفزيوني شهير أن أحد مرابطي قبيلة كنته الشنقيطية يدعى عمر هاجر إلى گامبيا وولد له هناك ابن لقب بالكنتي تم اختطافه وبيعه كعبد، ونقل إلى أمريكا التي وصل إليها يوم 5 يوليو 1767م (8 صفر 1181هـ)، بعدما عانى من مرض ألم به خلال الرحلة، وبعد تمرد قام به هو ورفاقه قتلوا خلاله بعض البحارة بينما قتل من العبيد أربعون. وكان هذا الكنتي الذي بيع في ميناء آنابوليس بولاية ميريلاند من نصيب سيد إقطاعي في فرجينيا. وقد تمكن حفيد الكنتي هذا أليكس هيلي من إعادة تاريخ أجداده وكتابة على شكل كتاب حمل اسم الجذور.

[123] امحمد بن أحمد يوره، كتاب الآبار، مرجع سبق ذكره، ص 13.

[124] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص113. وقال: إن هذا الخرز بقي لفترة متداولا عند الترارزة، وكانوا يسمونه "حب السرز" (حب السرج).

وتشير المصادر إلى أن الوالي الإنگليزي أوهارا مد يد العون لاعلي الكوري في سنة 1775م (1189هـ) لاجتياح مملكة الوالو. ويضيف أوهارا في رسالة صادرة في 18 أغسطس 1775م (21 جمادى الثانية 1189هـ) أن الترارزة اجتاحوا لتوهم كل الأمم السودانية بمنطقة مصب النهر وأصبحوا أسياد ضفتي نهر السينغال، وأجبروا الإنگليز على التخلي عن قلعة بودور[125].

وخلال تواجد الإنگليز بالمنطقة قاموا بتدمير قلعتي آرگين وبورتانديك لإرغام البيضان على استخدام مرفإ واحد فقط هو مرفأ الصحراء بتكشكمبه الذي جعلوا منه مركز نشاطاتهم التجارية بالسينغال، وأقاموا مراقبة بحرية تضم عددا من القوارب الحربية مكلفة بقصف كافة السفن التي تقترب من الشاطئ مهما كانت جنسيتها.

وفي سنة 1783م (1197هـ) استغلت فرنسا اتفاقية فرساي التي أعادت توزيع المستعمرات الأوروبية لترث حقوق الإنگليز في مستعمرات السينغال والشاطئ الأطلسي من الرأس الأبيض إلى النهر مقابل منحهم مستعمرات أخرى، لكن الاتفاقية أقرت للإنگليز حق الاتجار في المنطقة الممتدة من بورتانديك إلى رأس تيمريس[126].

وفي سنة 1198هـ/ 1784م وقعت وقعة "دامان" بين أولاد أحمد بن دامان وأولاد دامان[127]، وسببها أن أهل عتام نهبوا بقر أولاد أحمد الصغير، فتبعهم أولاد أحمد بن دامان فلحقوا بهم بتنيدر، ورماهم محمد بن اعلي موتاه فأصاب أحمد بن محمد آجمار في رأسه، فترضاهم أولاد أحمد بن دامان بكثير من الخيل والأموال، فهدأت الأوضاع وارتحلوا منتجعين: أولاد أحمد بن دامان وعيالهم هم الغربيون، وعن شرقهم بنو عمهم: أهل عبله، وأهل عتام، وأولاد ساسي، وأولاد زنون. ثم نزل الغربيون الطويلة، ونزل الشرقيون انتفاشيت. فبينما هم كذلك إذ نغل جرح أحمد بن محمد آجمار وأشرف على الهلاك، فأتى محمد بن السيد وهو من كبار أولاد دامان وذوي الرأي فيهم شبانهم فوجدهم في ساحة الحي يلعبون، فقال: ألعبا وقد أشرف أحمد على الهلاك؟ فقاموا مسرعين فهجموا تلك الليلة على محلة أولاد أحمد بن دامان، بعدما مضى أكثر الليل فقتلوا مدبر أمرهم اعلي بن سيدي المختار بن الشرقى- ابن خال الأمير اعلي

[125] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره،ص 379.

[126] المرجع نفسه، ص403. غير أن الإنگليز سيستحوذون من جديد على السينغال وتوابعه أثناء الحروب النابليونية (1792- 1815م) ليقصى منه الفرنسيون قرابة عقد من الزمن (1809-1817م). وسيستعيد الفرنسيون سينت الويس (اندر) وتوابعها ابتداء من 17 يناير 1817م (29 صفر 1232هـ) بموجب اتفاقية افيينا 9 يونيو 1815م (فاتح رجب 1230هـ).

[127] قال أحمد سالم بن باگا: كانت الوقعة بين أولاد أحمد بن دامان وأهل عبله وحلفائهم من جهة وأهل عتام وأولاد ساسي وأولاد زنون وحلفائهم من جهة أخرى. أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص208.

الكوري- وابنه والمختار بن الجرموني، واعلي بن المختار بن اعلي شنظوره في نفر سبعة أوثمانية ورجعوا إلى أهلهم. وكان الأمير حينئذ في محلة أولاد أحمد الصغير في الگبلة فلم يرعه إلا نجيبه الأبيض أسود من العرق يركضه ترجمانه ووزيره عبد الوهاب السباعي. فلما أناخ، قال له: أحي اعلي بن سيدي المختار؟[128] فقال: لا، وذلك لعلمه أن نجيبه لا يركب إلا لأمر مهم[129].

وركب اعلي الكوري وترجمانه ولم يخاطب أحدا من أهل محلته وسلكا آفطوط الغربي، فقال له ترجمانه: إنك لم تكلم أحدا! فقال له الأمير: يتبعنا من هو منا.

ثم حانت الصلاة فنزلا وصليا فلما نهضا نظر الترجمان فلم ينظر إلى جهة إلا رأى الفرسان قادمين منها.

وأحس أهل عتام ومن معهم بدامان جنوب شرق أگجوجت (إينشري) بأن أولاد أحمد بن دامان مدركوهم لا محالة فخندقوا حولهم خندقا ثم ملأوه بالخشب وتحصنوا بداخله، فلما تراءى الجمعان قام سيدي أحمد بن محمد شنوف بن بوبكر سيره فلبس كساء وهجم عليهم فخرق الحصن وماتت فرسه- واسمها البكماء- وسلم هو[130]، ثم هجم بعده صاحب الراية محمد بابانا بن أعمر بوشارب (من آل اعلي شنظوره) فقتل، ثم تتابع الفرسان بالهجوم والتحم الفريقان، ومات من الطرفين خلق أكثره من أولاد دامان، فلما أدبر النهار وهدأت المعركة انسحب أولاد دامان فنزلوا بالمدنه، وبقي أولاد أحمد بن دامان يداوون جرحاهم ويدفنون موتاهم، فلما كان الصباح تبعوهم فوجدوهم قد قوضوا أثاثهم، ومضوا مرتحلين إلى تگانت. ونزل أهل عتام ومن معهم بإيدوعيش يتحينون الفرصة للثأر من أولاد أحمد بن دامان، فلما عرفوا أنهم قد اطمأنوا لجلائهم عن أرضهم خرج منهم غزو من تگانت للثأر من يوم "دامان"، فكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى وافوا محصر أولاد أحمد بن دامان بجانب انبنه الغربي (65 كلم شمال غرب المذرذرة) وهم غافلون، فما راعهم إلا حوافر الخيل بين بيوتهم ففروا منها، ولم يقتل منهم إلا رجلان أحدهما أحمد بوگن بن ابريك الرغيوى ([131])، ولم يدخل

---

[128] في رواية محمد فال بن بابا أن اعلي الكوري لما رأى البريد قادما إليه قال له: لعل اعلي بن هدي مات، لو لم يمت لم تأت. واعلي بن هدي هو اعلي بن سيدي المختار، بن الشرغي بن هدى.

[129] تروي الرواية الشفهية أن اعلي الكوري ذهب إلى رجل من أهل گنار يدعى اندري الصغير فآجره بسبع إماء، حسب رواية محمد فال بن بابا، وبشيء من الأنعام والحرث، حسب أحمد سالم بن باگا، على ألا يبرح أولاد دامان من مكانهم حيث يدركهم، فقال له: المحل الذي يلحقهم الحجاب لا يبرحون منه حتى تأتيهم. فصار أولاد دامان كلما رحلوا تاهوا، فلم ينتبهوا إلا وقد عادوا إلى المحل الذي ارتحلوا منه، وهو دامان حيث أدركهم أولاد أحمد بن دامان.

[130] ذكر المختار بن حامدٌ أنه لما قفز إلى أولاد دامان أجاره إخوته لأم، وفي أحمد سالم بن باگا أن الأمر يتعلق بسيدي أحمد نفسه.

[131] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 211.

أهل عتام الخيام، ولا أخذوا المتاع، ولكنهم استاقوا الإبل وكسروا طبل النحاس الذي أهداه المولى سيدي محمد بن المولى عبد الله للأمير المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره[132]. وفي 2مايو 1785م (22 جمادى الآخرة 1199هـ) وقع الفرنسيون مع شمش إيدوالحاج اتفاقية جديدة تقضي بقيام إيدوالحاج بما في وسعهم لتقويض التبادل مع الإنگليز وعرقلة تجارتهم ببور تانديك[133]. وفي 26 مايو 1785م (17 رجب 1199هـ) أبرم اعلي الكوري اتفاقية تجارية جديدة مع الفرنسيين[134].

وفي نفس السنة قتل الأمير اعلي الكوري ابراك (ملك) والو المناوئ له، وعين مكانه أحد حلفائه، وكان يجبي مغرما سنويا على الوالو مقداره مائة ثور[135].

وتوفى الأمير اعلي الكوري قتيلا سنة 1200هـ/ 1786م في وقعة "انگيرين" بينه وبين تحالف البراكنة وجيش المامي عبد القادر الذي استنجد به البركنيون جنوب شرق الركيز[136]، قتله بنيوگ بن بدميجات بن عمران بن منصور البركني. وكان اعلي الكوري قد قاد حملات عسكرية متعددة جعلته يكسب مناطق نفوذ ومغارم في المنطقة (لاسيما في كايور والوالو)، تسببت في اقتناع المامي عبد القادر الفوتي بالتحالف مع البراكنة ضده.

9- إمارة امحمد الجواد بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

وتولى بعد اعلي الكوري ابن أخيه امحمد المشهور بامحمد الجواد. بلغ من جوده أنه كان يقول: "هاك يل ذاك ظل"، أي: خذ يا من ذاك ظله. ومكث في الإمارة ثماني سنوات حيث توفي سنة 1208هـ/ 1793م[137].

10– إمارة عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

---

[132] قيل إنه لما انكسر سمعت له زلزلة أجفلت الإبل التي كانت تشرب من بواطريفية. وبين انبنبه وبو طريفية نحو ستين كلمترا.

[133] الشيخ التراد بن السري، إيدوالحاج الترارزة، مرجع سبق ذكره، 69.

[134] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص113.

[135] خديجة بنت الحسن، تحقيق منظومة ابن احجاب في تاريخ إمارة الترارزة، منشورات بيت الحكمة، تونس 1991، ص107.

[136] قيل إنه هزم ذلك اليوم ألفا وحده ثم كمن له واحد من جيش المامي عبد القادر فقتله.

[137] محمد فال بن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص49.

وتولى بعد الأمير امحمد الجواد أخوه عاليت، توفي سنة 1209هـ/ 1794م فكانت مدة إمارته عاما واحدا، وأمه هو وأخوه الأمير امحمد الجواد فاطمه بنت الجرموني.

11- إمارة أعمر بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

ثم تولى بعد الأمير عاليت أخوه أعمر بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره المشهور بأعمر ابن كمبه وكمبه اسم أمه، وهي سودانية من نبلاء فوتة. وتميز عهده بهدوء نسبي داخلي وخارجي.

ولما قرر أمير البراكنة امحمد بن المختار بن آغريشي غزو الفرنسيين الذين دخل في خلاف معهم حول التبادل التجاري، وبعث إلى الأمير أعمر ابن كمبه للاشتراك معه في غزوهم أرسل الأمير أعمر -الذي لم ينس دور البراكنة في قتل عمه اعلي الكوري- إلى الفرنسيين يعلمهم بنية امحمد بن المختار بن آغريشي، مما دفع الفرنسيين سنة (1214هـ- 1799م) إلى معاقبة امحمد بن المختار بن آغريشي، ومكافأة أعمر ابن كمبه[138]. وتوفي الأمير أعمر ابن كمبه سنة 1215هـ/ 1800م.

12- إمارة أعمر بن المختار بن الشرغي بن اعلي شنظوره:

ولما توفى الأمير أعمر ابن كمبه نظر أولاد أحمد بن دامان وأعيان الترارزة في من يؤمرون بعده، فامحمد بن اعلي الكوري الذي هو أولى الناس بها ما يزال صغيرا، وليس في غيره من أهل أعمر بن اعلي كبير يتولى الإمارة بدلا منه، فاجتمع رأيهم على تأمير أعمر بن المختار بن الشرغي[139] المشهور بأعمر بوكعبه. وكان بطلا شجاعا

---

[138] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص146، ومنظومة ابن احجاب، تحقيق خديجة بنت الحسن، مرجع سبق ذكره، هامش البيتين: 25و26.

[139] روى أحمد سالم بن باگا: «أن أولاد أحمد بن دامان ومن معهم من الترارزة لما اجتمعوا لاختيار أمير قال قائل منهم: أمروا أعمر بن المختار بن الشرغي، فإنه خليق بالإمارة، وكان أعمر حاضرا، فقال حبيب بن بوشكراد، وكان أحد سادات أهل عبله: لا يكون ذلك أبدا، كيف نؤمره وهو من أهل بوكعبه، وأمه من أهل آگمتار، يريد حبيب أن أهل بوكعبه، وهم أهل الشرغي بن اعلي شنظوره لم يكونوا قبلئذ من بيت الإمارة كأهل أعمر بن اعلي شنظوره، وأن أهل آگمتار أبعد من بيت الإمارة من غيرهم من إخوتهم من أولاد أحمد بن دامان. ثم إن المجلس انفض من غير أن يجمع على أمير، فلما كان وهن من الليل ذهب أعمر بن المختار إلى حبيب بن بوشكراد فأهدى إليه فرسا جوادا، وناقتين حلوبتين، وعبدا يرعاهما، ومدفعا من طراز جيد، وحلة جديدة ثم رجع إلى أهله من غير أن يتحادثا في شيء. فلما كان من الغد، واجتمع الناس قال لهم حبيب بن بوشكراد: أيها الناس، أمروا أعمر بن المختار، فإنه من أهل اعلي شنظوره، وأمه من أهل أحمد گينيه، ويحفظ القرءان العظيم، وأهل أحمد گينيه بيت شرف في أهل آگمتار، فقال له الملأ: ما هذا بكلامك أمس يا حبيب! فقال لهم حبيب: كذلك ليست هذه حلتي بالأمس، وما هذا بمدفعي بالأمس، يريد أن الرأي يتغير كما يتغير الملبوس والمركوب». أحمد سالم بن باگا ص 232- 233.

دربه اعلي الكوري على الحروب[140]. وانحرف بابه بن اعلي بن أعمر بن الشرغي بن اعلي شنظوره عن بيعة الأمير أعمر بن المختار بن الشرغي وشايعه قوم من أصحابه، وأخواله أهل عبله، لأن جده لأمه صمبه فال كان من شيوخ أهل عبله، فصارت له محلة خاصة به، ولم يحارب الأمير أعمر بن المختار بن الشرغي.

وكانت السنوات الأولى من إمارة أعمر بن المختار بن الشرغي هادئة نسبيا، لكن الناس أصيبوا فيها بوباء الحصبة (بوحيمرون) عام 1216هـ/1801م الذي أهلك خلقا كثيرا في الگبلة. ومال أعمر إلى الإنگليز في صراعهم التجاري المحتدم مع الفرنسيين على المنطقة. ودخل في حرب مع الوالو أجبرت سكان هذا الإقليم على القبول بمواصلة دفع الغرامة التي كانوا يدفعونها منذ عهد اعلي الكوري.

ومع حلول عام (1220هـ/1805م) دخل أعمر في صراع مع البراكنة فوقعت بينهما وقعة "ديه"، (قرب الكصيبه بمنطقة بودور)[141] عام 1220هـ/1805م.

ووقعت في عهده وقعة "انتمركاي" (الأولى) (40 كلم شمال شرق المذرذرة) عام 1223هـ/1808 م لأولاد دامان على المثلوثة وهم أولاد البوعلية وموسات وأهل عبله، مات فيها السناد بن اعلي بن احميده رئيس أولاد البوعليه[142]. ووقعت في عهده وقعة "أغبسيت" (بلعگل جنوب غرب بتلميت) عام 1224هـ/ 1809م بين أولاد أحمد بن دامان وأولاد دامان[143].

---

[140] محمد فال بن بابا، مرجع سبق ذكره، ص50.

[141] و"ديه" محطة تجارية تقع بضع كلمترات شرقي الكصيبه بمنطقة بودور (الضفة اليمنى لبودور) وتعرف عند الفرنسيين بـ"لوكوك".

[142] أضاف محمد بن أبي مدين عند ذكر السناد في كتاب التكملة: «قلت السناد هو ابن اعلي بن احميده رئيس أولاد البوعليه في زمنه، وهو من الخراوات أبناء إبراهيم بن بله بن عزوز، وزوجة السناد اسمها أم الطريد بنت لمشيش البركنية، وهي التي استضافها النابغة الغلاوي في حياة السناد، فأكرمته، ورآها في نعمة عجيبة، ثم رآها بعد موت السناد فلم يعرفها لتغير حالها وعرفته فقالت له: الدنيا ليست بشيء، فأنشأ ارتجالا:

قالت لنا أم الطريد الدنيا   لم تك شيئا كلها لاثنيا

وجعل هذا البيت أول منظومته التاريخية الوعظية الشهيرة».، ابن بابا، ص50.

[143] روى أحمد سالم بن باگا: «حدثني غير واحد ممن يوثق به أن أولاد دامان كانوا إبان [بدء] الوقعة أكثر عددا من أولاد أحمد بن دامان، وكانوا قد أصروا على عدم الفرار، وكان فيهم شباب لدات يعرفون بإمركي [ومعناها بالصنهاجية الحوائل لقوتهم، لأن الحوائل أقوى من الحلائب]. وكان في مقدمة أولاد دامان في هذا اليوم الأفجح بن سيره بن الكوري من أولاد ساسي، وكان مشهورا بالشجاعة والرماية. وكان أولاد أحمد بن دامان يمدون قومهم، فكان كلما جاءهم مدد يقول لهم الأفجح لا تبالوا بهؤلاء فإني لست أخافهم عليكم. ولم يزالوا كذلك حتى جاء أولاد أحمد بن دامان مدد في مقدمته انچاك ابن اعلي بن هدي وزميله ولد اخناثه علما ابن المختار الكوري، فلما رأى الأفجح هذا المدد قال لقومه: هؤلاء هم الذين أخاف عليكم منهم، ثم رمى الأفجح انچاك برصاصة أصابته في أحد مقاتله، فصوب انچاك مدفعه إلى الأفجح فجعل يثب يمنة

وفي هذه السنة (1224هـ/ 1809م) أعاد الإنگليز (أثناء الحروب النابليونية) احتلال السينغال وتوابعه وزادوا من توطيد علاقتهم بالأمير أعمر بن المختار. وفي السنة التي تليها (1225هـ/1810م) غزا أولاد أحمد بن دامان أولاد دامان عند انبيم وهو بحيرة صغيرة جنوب نهر ابچك (نهر السينغال) فتحاربا من الضحى إلى منتصف الليل، ومات في هذه الغزوة كثير من أولاد دامان منهم الحيدب بن محمد آجمار أحد رؤسائهم[144].

وبلغ امحمد بن اعلي الكوري أشده فأراد من أعمر بن المختار بن الشرغي بن اعلي شنظوره أن يرد إليه الإمارة، إذ هي في الأصل في بيت أهل أعمر بن اعلي شنظوره فأبى أعمر بن المختار، فانحرف عنه امحمد بن اعلي الكوري وبدأ في تجييش الناس ضده.

وفي 17 يناير 1817م/ 29 صفر 1232 هـ) استعاد الفرنسيون اندر وتوابعها بموجب اتفاقية افيينا (9 يونيو 1815م/ 1رجب 1230هـ)، لكن الإنگليز احتفظوا بحقهم في التبادل مع البيضان على السواحل الأطلسية الذي كانت تنص عليه سابقا اتفاقية 1783م (1197هـ).

وفي نفس السنة وقع شر ابنه، وسببه أن أهل عتام كانوا يحصلون على غرامة من بعض تغرچنت، وكان أهل عتام في الجانب الشرقي من بلاد الترارزة وتغرچنت في الجانب الغربي منها، وكانت منازل أولاد أحمد بن دامان بين الطرفين، فحدث أن سيدي بن محمد شنوف التونسي استمال تغرچنت من أصحاب أهل عتام فتحملوا له

ويسرة، فقال له: لست راميك حتى تسكن، فسكن الأفجح مرة من غير قصد منه، فرماه انچاك برصاصة قطعت جنبه. فقال له الأفجح: إنك لم تضرني. فقال له انچاك: إذن احلل حزامك، فحل حزامه فسقط جنبه وماتا معا.
ولما انقشعت المعركة لقي امحمد بن السيد بن بكار- من رؤساء أولاد دامان- بعض العائدين من المعركة، فقال لهم: من قتلتم منهم؟ قالوا: أحمد بن سيدي محمد بن بوبكر سيره، فقال: قتلتم أجودهم. قال: ومن؟ قالوا: قتلنا انچاك، قال: قتلتم سيدهم. قال: ومن؟ قالوا: قتلنا امحمد بن عاليت. قال: قتلتم جمالهم. قال: ومن أيضا؟ قالوا: قتلنا ولد اخناثة. قال: قتلتم حسانيهم. قال: ومن قتلوا منكم؟ قالوا: قتلوا الأفجح. فقال: ليتهم أقالونا فيحيوه لنا ونحيي لهم كل من قتلنا منهم»، أحمد سالم بن باگا (ص238-239). وسبب أغبسيت كما قال محمذن بن باباه: «أن أبناء دامان أخذوا وسيقة من إبل الرحاحلة، فأدركهم طلب أولاد أحمد بن دامان، فبعثوا رجلا من الزوايا شافعا وله كساء نصفه أحمر ونصفه أبيض. وقالوا له إن تركوها لك فأشر إلينا بنصف كسائك الأبيض، وإن أبوا فأشر إلينا بالنصف الأحمر. فلما أشار إليهم بالأحمر نزلوا عن خيولهم وقالوا لها: "يالخيل دونك تورجه، ويتورجه دونك الخيل" فأرسلوه مثلا واقتتلوا». محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص51-52.

[144] قال أحمد سالم بن باگا: «وكان من أمر انبيم كما حدثني به غير واحد ممن يوثق به: أنه لما قتل قوم أولاد أحمد بن دامان المذكورون يوم "أغبسيت" حزن عليهم أولاد أحمد بن دامان حزنا شديدا، فهجروا جميع الملاهي، وأخذوا في الاستعداد لغزو أولاد دامان. فلما استعدوا لذلك أرسلوا إليهم يعلمونهم، فالتقى الطرفان عند انبيم، فكانت هذه الوقعة، وقد قتل فيها الحيدب، وغاص في النهر فتنازع نفر من أولاد أحمد بن دامان في من قتله؟ فقال لهم أحمد بن بوزفره: أنا قتلته، وأعطاهم علامة على ذلك فوجدوها صحيحة». أحمد سالم بن باگا ، بتصرف، 240-241.

غرامة، فلامه أعمر بن المختار، فغضب وغضب أهل عتام، فأخذوا حلائبه وأهانوا رعاتها، فحلف ليقتلن واحدا منهم قبل انسلاخ الشهر. فخرج محمد فال بن عمير ابن أخت سيدي بن محمد شنوف في نفر من قومه يلتمسون أحدا من أهل عتام فلم يجدوا إلا ابنه بن اعلي حسان وجدوه مريضا في آخر يوم من أيام الشهر ومعه أمه، فأرادوا قتله، فقالت لهم أمه: إنه مشرف فدعوه حتى يموت بنفسه، فقالوا إذا يحنث سيدي، فقتلوه، فنشبت الحرب بين أهل عتام وأهل التونسي.

واستشار الأمير أعمر بن المختار بن الشرغي أبناءه: أيسلم أهل التونسي، أم يقاتل عنهم؟ فقال له ابنه اعلي خملش: إذا أسلمتهم فعلى من تكون أميرا؟ بل قاتل معهم، فإن الرئيس لا يعتزل. فاستحسن منه ذلك[145].

ومات في هذه السنة بابه بن اعلي بن أعمر بن الشرغي بن اعلي شنظوره، وكان إبان موته في جمع من الترارزة متهيئين لحرب الأمير أعمر بن المختار، فلما مات حلفوا عند جنازته لا يتركون ما كانوا عليه في حياته[146].

وفي السنة الموالية (1233هـ/1818م) وقع يوم "ءابوط" لأولاد دامان على أولاد أحمد بن دامان، غزوهم فانهزموا في وجههم، فقال لهم امحمد شين بن اعلي بن سيدي المختار بن الشرغي بن هدي بن أحمد بن دامان: سيروا على مهلكم فلن يصلوا إليكم وأنا حي، فجعل يرد المغيرين ويناوشهم، فلم يصلوا إليهم حتى ارتفعت الشمس، فلما رأوا أعراف خيل أولاد دامان عرفوا أن امحمد شين قتل، فقام مقامه عثمان بن إبراهيم اخليل، فلم يزل يدفع عن الظعائن إلى الليل، فارتفع صيته من ذلك اليوم[147].

---

[145] هكذا روى المختار بن حامدٌ، وقال أحمد سالم بن باگا: «مر نفر من أهل عتام بحلائب سيدي بن محمد شنوف بن بوبكر سيره، وفرس له، فقطعوا ضروع الحلائب، وجدعوا الفرس. فلما علم سيدي بن امحمد شنوف بن بوبكر سيره بذلك، حلف ألا تغرب الشمس حتى يقتل واحدا من أهل عتام. فاتفق أن صادف ولد عمير ابنه بن اعلي الحساني يتداوى عند بعض الأطباء فهم بقتله. فقال الطبيب: لا تقتله فإنه قد أشرف على الهلاك، وإنه ميت عن قريب. فقال له ولد عمير: إن لم أقتله يحنث سيدي فقتله» (أحمد سالم بن باگا، ص 244،243).

وكتب محمد بن أبي مدين على حاشية التكملة: «ابنه بن اعلي حسان بن سدوم بن أحمد بن عتام قتله محمد فال بن عمير بأمر خاله سيدي بن محمد شنوف بن بوبكر سيره دون إذن من الأمير أعمر بن المختار، فلما علم بقتله استشار بنيه فقال له أكبرهم اعلي خملش: لا شك أن أبناء دامان مظلومون، لكن الرئيس لا يعتزل الحرب، ولا حاجة لأحد في اترارزة ليست فيهم هذه الخيام».

[146] أضاف ابن بابا في التكملة: «وهو وإن كان أعمر هو الأمير فهو أمير ثان سار بجيشه إلى البراكنة مجتمعين عند لعروگ- موضع قريب من الرگبة- فمكث في قتالهم سبعة أيام».

[147] ابن أحمد يوره، مرجع سبق ذكره، ص51-52. وفي نسخته المطبوعة أنه امحمد شين بن أعمر بن سيدي أحمد بن أحمد بن دامان، وهو تصحيف.

ووقعت انتمركاي (الثانية) في نفس السنة بين الطرفين، ومع أولاد دامان امحمد بن اعلي الكوري وشيعته، فقتل من أولاد أحمد بن دامان رجال منهم سيدي بن محمد شنوف مثير حرب ابنه، وقتل كثير من أولاد دامان[148].

وسار بعد هذه الوقعة أولاد دامان وامحمد بن اعلي الكوري وشيعته إلى إيدوعيش. ثم إنهم أغاروا ومعهم رجال من إيدوعيش –وكانت إيدوعيش قد أصهرت إلى امحمد بن اعلي الكوري- على أولاد أحمد بن دامان، فوقع يوم "أفچار" (8كلم جنوب غرب المذرذرة) فانهزموا، ومات ثلاثة من أبناء امحمد شين هم حفيداه: اعلي وبوشهاب، وابن أخيه المختار واسمه محمد، أدركه شيعة أعمر بن المختار حيا، فقال لهم: «تطأ هنا خيل عمي محمد بن امحمد شين»، فجاء آخر ذلك العام جيش محمد بن امحمد شين ومن معه من أولاد دامان وامحمد بن اعلي الكوري وشيعته، فنهبوا محلة أعمر بن المختار عند أباخ (5 كلم شمال مدينة الگوارب الحالية)، وقطعت أذن زوجه أم راص بنت امحمد بن السيد بن أعمر أگجيل[149].

ولم يقع قتال في هذا اليوم لأن أولاد أحمد بن دامان الذين فاجأهم الغزو عبروا النهر منهزمين، فغنم إيدوعيش الأثاث بعد أن أناخوا ركابهم وسط المحلة[150].

ودخل الفرنسيون بعد استرجاعهم لاندر وتوابعها في منافسة حامية الوطيس مع الإنگليز للسيطرة على التجارة مع البيضان، حيث جاءت عودة الفرنسيين إلى اندر في 1817م (1232هـ) في ظروف دولية ومحلية معقدة، فقد ألزمهم الإنگليز بإنهاء تجارة الرقيق كشرط لتسليمهم اندر، كما أن ثورة العبيد في سينت دومينگ 1804م (1218هـ) قوضت مستعمرات الرقيق الزراعية الفرنسية.

وكان نفوذ الترارزة في الحوض الأسفل لنهر السينغال قد توطد كثيرا، كما أصبحت تجارة العلك النشاط الاقتصادي الأساس الوحيد المتبقي للأوروبيين في المنطقة، فقررت فرنسا إقامة مستعمرة زراعية لها بالسينغال.

---

[148] ذكر أحمد سالم بن باگا وابن احجاب أنه مات من أولاد دامان نحو مائة، وهذا رقم كثيرا ما تكرر في حروبهم فدل على أنه للمبالغة.

[149] ابن بابا، مرجع سبق ذكره، ص54. وقد جعل الوقعة هو وابن احجاب سنة 1232هـ (1817م).

[150] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 245.

ووضع الوالي الكولونيل اشمالتز تصوره لمشروع المستعمرة الزراعية في منطقة النهر، وأحاله إلى البارون بورتال وزير البحرية والمستعمرات ليصادق عليه رسميا في 1818م (1233هـ)[151].

وعمل الوالي اشمالتز الذي تعين عليه أن يجابه الترارزة، الذين باتوا يعتبرون الضفة اليسرى للنهر جزءا من أراضيهم، على كسب مختلف الفرقاء الذين من شأنهم إضعاف نفوذ الترارزة، فوقع اتفاقيات مع كل من المامي يوسف إمام فوته، وأحمدو بن سيدي اعلي أمير البراكنة، وأعمر فاتيم أميرسو ملك الوالو، ومحمذن أغربط شمش إيدوالحاج، وامحمد بن اعلي الكوري المطالب بعرش الترارزة. وشجع ملك الوالو على توقيع اتفاق مع ابن اعلي الكوري ينص على محاربة الوالو إلى جانب ابن اعلي الكوري من أجل استعادة عرش أهل أعمر بن اعلي شنظوره مقابل تخلي ابن اعلي الكوري عن أي غرامات للترارزة في الوالو.

ولما علم الترارزة بذلك ردوا بإعلان الحرب على الوالو. وهاجموا قرية انتيكار يوم 21 سبتمبر 1819م (1 ذي الحجة 1234هـ) فقتلوا عشرين شخصا، وكسروا رجل ابراك (ملك) والو وجرحوا وزيره[152]. ووقع ما كان يخشاه ويتمناه في نفس الوقت اشمالتز، كما كتب به في رسالة له إلى وزير البحرية: «لا أعرف ما إذا كان بوسعهم [أي الترارزة]... وهم في الوضع الذي هم فيه الإقدام على أعمال عدائية، لكنه سيكون من السهل في هذه الحالة القضاء عليهم، أو طردهم من البلد [الضفة اليسرى للنهر]، وهو ما سيكون أمرا عظيم الفائدة[153]».

وكان رد اشمالتز على تصرف إمارة الترارزة يتمثل في مساندة الوالو وابن اعلي الكوري ضد الأمير أعمر بن المختار. وعمل الفرنسيون في نفس الوقت على استمالة من قدروا على استمالته من زعماء قبائل الإمارة، قبل أن يعملوا على إيجاد صيغة تفاهم تخفف وطأة الصراع بينهم وبين الأمير أعمر الذي كان الإنگليز بدورهم يغدقون عليه الهبات وينوعون له الحوافز.

وفي 7 يونيو 1821م (20 رمضان 1236هـ) وقع الأمير أعمر بن المختار بتشجيع من محمد فال بن عمير بن سيدي المختار بن الشرغي وآخرين اتفاقا مع

---

151 محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص129.
152 خديجة بنت الحسن، تحقيق منظومة ابن احجاب في تاريخ إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، 108.
153 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الفرنسيين يتعهد فيه الأمير بالمتاجرة معهم مقابل اعترافهم بسيادته على مملكة الوالوا الزنجية.

غير أن الأمير أعمر علم بوجود اتفاق سري مع محمد فال بن عمير «يمنحه امتيازات مشابهة لامتيازات أمير الترارزة مقابل منعه نقل العلك إلى ميناء بورتانديك الإنگليزي، كما يحصل بموجبه على4500 فرنك فرنسي كهدية»، فثار معتبرا هذا الاتفاق إهانة له.

وأعلم الوالي روجي وزيره بالأمر تحسبا للتطورات الممكنة قائلا: «إن الملك [أعمر بن المختار] ينظر إلى هذه الإجراءات باعتبارها إهانة له، وقد أعلن لي عن استعداده للتخلي عن ضرائبه العرفية الجديدة إذا ما تم إلغاء تلك التي تقدم للأمراء الآخرين. وقد قال لي إن محمد فال [بن عمير] سيقتل إذا لم تقضوا على تلك الضرائب، وسندخل معا في حرب[154]».

وفي سنة 1237هـ/ 21-1822م خول الأمير الإنگليز حق إقامة موسم تجاري عند الجريده (مرسى انچيل)، فتسابق إليه التجار، فحاول منافسه محمد فال بن عمير ردهم، فترصد له إبراهيم والد بن الأمير أعمر فقتله هو ورديفه امحمد بن أعمر ابن كمبه عند بورتانديك، وقتل معهما ابن بديرات الداماني، ودامانيا آخر[155]، وذلك في مارس 1822م (جمادى الثانية).

وبلغ نبأ مقتل محمد فال ذويه، فأرسلوا أمة إلى أبيه عمير لتعلمه، وكان عمير وقت وصول النبأ مع قرينه الأمير أعمر بن المختار يلعبان "اسرند"[156] فأعلمته. فقال له: «أشهدك أني مهدر دم ابني محمد فال لئلا يتيتم صبيان أولاد أحمد بن دامان وتتأيم نساؤهم[157]».

---

[154] المرجع نفسه، ص130.

[155] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص116.

[156] "اسرند" أو "اصرند" لعبة شعبية تقليدية معروفة. وجاء في رواية أحمد سالم بن باگا "أم اديار"، وهو غلط.

[157] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 248. وأضاف: «ويروون أنه لما قتل ابن عمير وبلغ الخبر أهل بيتهم أرسلوا أمة إلى أبيه عمير وأمروها أن تسر إليه بذلك فوجدته مع قرينه وجليسه عادة الأمير أعمر بن المختار يلعبان البعر [والعيدان، وهي اللعبة المعروفة باسرند] فناجت عمير بالخبر وانصرفت. فسأله أعمر عما قالت له الأمة؟ -وكان بينهما عهد ألا يكتم أحدهما عن صاحبه شيئا- فقال له: أخبرتني أن محمد فال قتل إبراهيم والد. فظهر الغضب في وجه أعمر وتذمر. فقال له عمير: هون عليك يا أعمر فليس الأمر كما حدثتك بل هو بالعكس فالقاتل إبراهيم والد والمقتول محمد فال، وإنما قلت لك أولا ما قلت لتجد في نفسك ما يجده من قتل له ولد سيد، وإني مشهدك أني مهدر دم محمد فال...» أحمد سالم بن باگا،ص248.

وكان عمير مخلصا في قوله هذا لحلمه، فلم يلبث أن جاءه وهو في بيته أحد حلفائهم فأثار حفيظته، وقال له: إن الناس يقولون إنك إنما أهدرت دم ابنك محمد فال جبنا من الأمير أعمر بن المختار وأولاده[158]، فنهض ونهض معه قومه: أهل الشرغي بن هدي، وأهل التونسي، الفخذان المعروفان بخندوسة[159] فبايعوا امحمد بن اعلي الكوري على حرب الأمير أعمر بن المختار، وبايعه معهم كذلك أهل أحمد ديه بن هدي بن أحمد بن دامان[160]. وبقي مع أعمر بن المختار قومه من أهل الشرغي بن اعلي شنظوره كأهل امحمد بابانا، كما بقي معه أهل أعمر آگجيل (بن هدي)، وأولاد السيد (بن هدي)، وأهل امحمد بن أحمد، والدخن[161]. وانضم إلى كل فريق شيعته وحلفاؤه من سائر الترارزة.

ووقع بين الطرفين يوم "غسرم" (70كلم جنوب شرق انواكشوط) قتل فيه إبراهيم والد بن الأمير أعمر بن المختار قاتل محمد فال بن عمير، تبارز هو وإبراهيم اخليل أخو محمد فال فقتله إبراهيم اخليل، ثم مات هو أيضا جراء جراحات به[162].

وانهزم أصحاب الأمير أعمر لما قتل ابراهيم والد، فلما رأى الأمير قومه منهزمين، وكان خلف الصفوف يراقب المعركة، قال لحراسه لعل إبراهيم والد قتل؟ فقالوا له: نعم. فقال لهم: خلوا سبيلي. ففعلوا، فحمل على أعدائه ومعه أصحابه فهزمهم.

---

158 أضاف أحمد سالم بن باگا: «ويقال إنه لما قال له هذا الكلام أراه قصبة في يده فيها بعض دقيق التبغ الذي يستخدم للشم [السعوط] وقال له: أرأيت هذا الشم إني حالف لك أنه لا ينفد حتى آخذ بثأر محمد فال». أحمد سالم بن باگا، ص 248-248.

159 خندوسه: تحالف بين فخذي أهل الشرغي بن هدي وأهل التونسي. قال أحمد سالم بن باگا: «وخندوسة في الأصل لقب فاطمه بنت أحمد بن سيدي، وأهل أحمد بن سيدي يعرفون بأهل خوباه، وهم من ذرية عبد الل بن أحمد بن دامان، ومعنى لفظة خندوسة الاختلاط. وقد لقبت فاطمه هذه بهذا اللقب لأنها زوجت بنتيها أم المومنين واخديجه بنتي عثمان بن إبراهيم اخليل لربيبيها سيدي وسيدي أحمد ابني امحمد شين الأولى للأول والثانية للثاني، وزوجت ابنها ابي (بتفخيم الباء) بن اعلي خملش بربيبتها فاطمه بنت عثمان بن إبراهيم اخليل وهي أخت ابنتيها المتقدمتين لأب، وأم فاطمه هذه عتامية، فبسبب هذا الاختلاط الذي ارتأته فاطمه بنت أحمد بن سيدي ونفذته لقبت بهذا اللقب، ثم صار هذا اللقب علما على البيتين: بيت أهل الشرغي بن هدي الذي منه سيدي وسيدي أحمد ابني امحمد شين، وبيت أهل التونسي الذي منه بنات عثمان بن إبراهيم خليل الثلاث، وهن بنتاها زوجتا ربيبيها وربيبتها زوجة ابنها ابي بن اعلي خملش». أحمد سالم بن باگا، ص 138.

160 هكذا ذكر أحمد سالم بن باگا، وأهل أحمدديه وأهل أعمر آكجيل يمثلون في الأصل تحالفا يعرف باسم اللغيطه.

161 قال أحمد سالم بن باگا: «وسبب تسميتهم بالدخن أنهم كانوا ذات سنة ينتجعون المراعي في النواحي الشمالية، ثم لما أجدبت الأرض قفلوا إلى القبلة فوصلوا إليها مغبرة ألوانهم وثيابهم من الرحيل وتعاقب السوافي فلقبوا بالدخن، والدخن علم على بطون شتى هم أهل أحمد بن سيدي المعروفون بأهل خوباه، وأهل الخليل، وأهل المختار الكوري: بيتان من أهل عبد الل بن أحمد دامان وبيت من أهل اعلي بن أحمد بن دامان».

162 روى ابن بابا في التكملة (ص56) وأحمد سالم بن باگا في تاريخه (ص 254): «أن إبراهيم اخليل لما قتل أخوه محمد فال قال له أهله: "عيب الدار أعل ال أبگ فيها" (عيب الدار على من بقي فيها) فقال لهم: گولوه ال هدي (قولوها لهدي)، وهو أخوهما، يريد أنه ما كان ليعيش بعد أخيه محمد فال».

ثم وقع بينهم يوم "تيورورت" (56 كلم جنوب انواكشوط) في نفس السنة، وفيه هزم الأمير أعمر بن المختار وقتل ابنه اعلي خملش وابن بنته واسمه الرگعه بن سيدي بن محمد شنوف[163]. ثم يوم "اكراع ابريهمات"، ودارت فيه الدائرة أولا على شيعة الأمير أعمر فقالت زوجته أم راص لحراسه: أرسلوا الكهل فقد هزمنا، فأرسلوه فقاتل حتى هزم عدوه. ومات في هذا اليوم كثير من أولاد بنيوگ المناصرين لعمير، منهم رئيسهم صمبه بن الحسين. وبعد يوم "اكراع ابريهمات" أصبح النصر في المعارك حليف امحمد ابن اعلي الكوري وعمير ومن معهما، وضاقت أرض الترارزة على الأمير أعمر بن المختار مع مرور الأيام حتى اضطر إلى الجلاء هو ومحلته باتجاه الشمال، فبينما هو سائر قد بلغ به السير تفلي إذ جاءه الخبر بمقتل امحمد بن اعلي الكوري ففرح بذلك فرحا عظيما ورجع. وكان ذلك سنة 1243هـ/1827م.

وكان سبب قتل امحمد بن اعلي الكوري أنه مر، ومعه جيشه، بأولاد آگشار بن أحمد الصغير عند حي الشرفاء (أهل سيدي يعرف) بالگصعة (بين الظهر وبرويت)، فلما رأى أولاد بنيوگ الذين في جيش امحمد بن اعلي الكوري أولاد آگشار ثارت حفائظهم للعداوة القديمة التي بينهم فحملوا عليهم ففر أولاد آگشار، واختبأ رجل منهم يدعى ابن أعمر بن آيه في شجرة من الأراك، فبينما هو كذلك إذ مر به امحمد بن اعلي الكوري يريد أن يرد أولاد بنيوگ عن أولاد آگشار فرماه فقتله، ثم عمد إلى يده التي فيها خاتمه فقطعها، وركض بها إلى الأمير أعمر بن المختار فوافاه بتفلي ضحى فألقاها بين يديه[164]، وكان عمير قد مات قبل هذا التاريخ بفترة وجيزة فاستقام الأمر للأمير أعمر بعد هذا.

وكانت سنوات الحرب المذكورة بين الطرفين (1822م-1827م/ 1237هـ-1243هـ) قد أثرت على التجارة مع الأوروبيين، كما قوضت الاستقرار في المنطقة. وانقسم الفرنسيون بين رأي مؤيد لدعم الأمير أعمر بن المختار على أعدائه ومقايضة هذا الدعم باتفاقيات جديدة للاستفادة من مزية وجود زعيم واحد قوي للترارزة عبر عنه الوالي البارون روجي في رسالته الموجهة إلى وزيره في إبريل 1822م (رجب 1237هـ) بقوله: «إنه لسؤال كبير أن نعرف ما إذا كانت سياسة [مستعمرتنا في] السينغال تقتضي شق صفوف الترارزة أو توحيدها تحت قيادة زعيم قوي. و[أنا] أميل شخصيا إلى هذا الرأي الأخير لأنه من الأفضل أن نتعامل مع زعيم واحد لديه ما يخشى

[163] أضاف محمد بن أبي مدين في حاشيته على التكملة: «فمر أحد بأم راص [زوجة الأمير أعمر وهي أم الأول وجدة الثاني] وهما بين يديها وهي تقول: اللهم هذا ولا قارب إفكو»: السفينة التي اتجه إليها ابن عمير فقتل عندها.
[164] زاد ابن أبي مدين: «فألفاه يصلي الضحى خارج محلته فنفض الغمد – وكان قد خبأ يد ابن اعلي الكوري فيه- فسقطت اليد فعرفها أعمر فسجد شكرا لله». ابن بابا، ص 56.

فقدانه بدلا من التعامل مع عدة زعماء يبحثون عن ما يغنمونه(...) والدليل على ذلك موجود على مستوى البيضان أنفسهم، فأمير البراكنة قد قضى على الأوليغارشيا في المناطق التابعة له، وعلاقتنا معه أسهل بكثير، وأكثر اطمئنانا وثقة...[165]»، ورأي مطالب بتأجيج الحرب ضد الترارزة عن طريق تجنيد أهل والو وأنصار ابن اعلي الكوري، والعمل على كسب إيدوعيش والبراكنة وتعبئتهم ضد الأمير أعمر ضمن إجراءات أخرى كان يطالب بها بعض الإداريين الفرنسيين ولوبي التجارة النافذ[166] تهدف إلى وقف مسلسل الاتفاقيات التي تبرم مع الترارزة عن طريق تنازلات يصفونها بأنها مهينة وباهظة، ولا يمكن التنبؤ بعواقبها. ورغم أن فرنسا باركت جهود البارون روجي المنصبة على تسوية الخلافات مع الأمير أعمر ومضاعفة الامتيازات له مقابل تخليه عن الإنگليز، كما تجسد ذلك في اتفاقيات 17 يوليو (20 ذي القعدة) و19 أغسطس (23 ذي الحجة) 1824م (1239هـ) و5 يناير 1825م (15 جمادى الأولى 1240هـ) و4 فبراير 1826م (26 جمادى الثانية 1241هـ) فإنها لم تتخل كليا عن الرأي الآخر إلا في سنة 1828م (43-1244هـ) بعد ما كان حليفاها المحليان الرئيسيان ضد الأمير أعمر بن المختار: امحمد بن اعلي الكوري وابراك (ملك) والو يريم امبانييك قد ماتا.

ولم يلبث الأمير أعمر بن المختار بعد امحمد بن اعلي الكوري ويريم امبانييك إلا قليلا فقد مات بدوره مطلع 1829م/ 1244هـ.

13- إمارة محمد الحبيب بن أعمر بن المختار بن الشرغي:

وخلف أعمر بن المختار على رأس الإمارة ابنه محمد الحبيب، وكان من أعظم أمراء الترارزة وأشدهم حنكة، وكان من أهل الخير يبجل العلماء ويعف عن أموال الناس[167]، وتمكن بفضل مهارته السياسية أن يوطد سلطته في الداخل ويفرض نفوذه على جيرانه من الوالو والبراكنة، بل ويمده إلى داخل كايور واچيولوف، كما استطاع أن يستفيد من التنافس الإنگليزي الفرنسي على التجارة مع الترارزة، فلكي يستأصل الخلافات الداخلية في أولاد أحمد بن دامان تزوج بامبيريكه بنت عمير بن سيدي المختار بن الشرغي لرأب الصدع الذي أحدثه اغتيال أخيها محمد فال بن عمير، كما تزوج فاطمه بنت امحمد بن سيدي أحمد رئيس أولاد دامان ليعيد إلى القبيلتين

---

[165] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص 131.

[166] من ضمن هذه الإجراءات كما ذكر أرنست بروني: اعتراض قوافل الزرع التموينية وهدم قرى گنار، ومعاملة زوايا الترارزة بما يعامل به أبناء حسان أثناء الحرب... إلخ.

[167] انظر ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص 57

تعاضدهما الذي قضت عليه الحروب التي تلت جرح أحمد بن محمد آجمار في عهد اعلي الكوري، بينما صالح المختار بن امحمد بن اعلي الكوري على أن يتخلى نهائيا عن المطالبة بعرش الترارزة ويعترف بإمارة محمد الحبيب منهيا بذلك صراعا دام نحو عقدين من الزمن بين فرعي السلطة الأميرية (أهل أعمر بن اعلي وأهل الشرغي بن اعلي).

ووضع الأمير محمد الحبيب حدا للصراع مع الفرنسيين بتوقيعه معهم اتفاقية بتاريخ 25 مارس 1829م (19 رمضان 1244هـ) قاد مفاوضاتها أخوه أحمد ابن الليگاط[168]، وقد مكنت الترارزة من الحصول على مكاسب جديدة من الفرنسيين، والتأكيد على استمرار العمل باتفاقية 1821م (1236هـ) المعترفة بحقوق الترارزة في الوالو.

وتقديرا لمحمد الحبيب تم التوقيع في 23 إبريل 1829م (19 شوال 1244هـ) على اتفاقية إضافية مع هدي بن عمير أخي ووارث محمد فال بن عمير الذي تزوج محمد الحبيب أخته امبيريكه، تم من خلالها استئناف دفع الفرنسيين للضريبة العرفية التي كانت تدفع لمحمد فال بن عمير اعترافا بدوره في منع فتح ميناء بورتانديك الإنگليزي وتطوير التجارة الفرنسية باندر[169].

وقد حدث توتر مفاجئ دفع الفرنسيين إلى فرض حصار جديد على ميناء بورتانديك الإنگليزي، وخيمت أجواء الحرب على الفريقين (الفرنسي والتروزي) بعد مقتل أحد تجار اندر المولدين (من أسرة مختلطة فرنسية سينغالية) يدعى جاك ماليفوا، ولم تنقشع هذه الأجواء إلا بتوقيع محمد الحبيب لاتفاقية سلام مع الوالي الفرنسي كيرنل تقضي بنفي المتهمين بقتل ماليفوا من الترارزة. غير أن الفرنسيين قاموا بعد ذلك باعتقال المختار بن امحمد بن اعلي الكوري الذي سافر إلى اندر للتفاوض بخصوص ضرائبه العرفية المعلقة منذ مقتل ماليفوا، وحاكموه ثم أعدموه في 19 دجمبر 1832م (26 رجب 1248هـ)، فرد الأمير محمد الحبيب على هذا الإعدام بإعلان القطيعة مع الفرنسيين، وأوعز إلى أنصاره بشن الغارات على المصالح الفرنسية، وبحرمان الفرنسيين من التموينات التي كانوا يحصلون عليها من الوالو[170]، وتزامن ذلك مع احتدام الصراعات من جديد على عرش الوالو بين افارا ابندا وخارفي أكزاري، حيث لجأ المتصارعون إلى طلب تدخل الترارزة، وكان محمد الحبيب قد مد في مايو

168 الليگاط اسم زوج حاضنته فنسب إليه.
169 پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص105.
170 محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص134.

1831م (ذي القعدة 1246هـ) يد العون لخارفي مما مكنه من طرد افارا بندا وأنصاره إلى كايور، ثم اقتضت المصلحة إعادة افارا ابندا والتخلي عن خارفي من قبل الترارزة.

ودخلت الوالو في تحالفات وانقسامات شارك فيها الفرنسيون المتربصون بالمنطقة. وانتهز محمد الحبيب هذه الفرصة ليتفق مع زعماء الوالو على التحالف ضد الفرنسيين لحملهم على التعامل معهم تعاملا أفضل. واقترح بعض النافذين من الوالو على الأمير محمد الحبيب التزوج بالأميرة چنبت وصية عرش الوالو، فتم زفها إليه يوم 8 يونيو 1833م (19 محرم 1249هـ)، وزاد هذا الزواج من حنق الفرنسيين على الترارزة حيث اعتبره الوالي سين جرمين «حدثا ستكون له نتائج بالغة الخطورة... لأنه سيمكن يوما ما من تتويج أحد ملوك البيضان ملكا شرعيا لهذا البلد... ومن تخريب القاعدة الأهم التي ترتكز عليها المستعمرة والمتمثلة في حياد الضفة اليسرى أثناء النزاعات المتكررة مع البيضان[171]». وأطاح الوالي الفرنسي في 19 يوليو 1833م (1 ربيع الأول 1249هـ) بالملك افارا ابندا متهما إياه بالتواطؤ مع البيضان، وأرجع مكانه خارفي الذي كان منفيا باندر.

وأمام عجزه عن فسخ زواج محمد الحبيب بچنبت أعلن الوالي الحرب على الطرفين الترارزة والوالو يوم 25 يوليو 1833م (7 ربيع الأول 1249هـ) فأحرق القرى الموجودة على الضفة اليسرى، وشل التبادل في المنطقة مما تسبب في تذمر التجار الفرنسيين، وأرسلت فرنسا قوى عسكرية بقيادة النقيب كيرنيل لحسم الموقف لصالحها. ولم تدفع سياسة سين جرمين إلا إلى مزيد من تردي الأوضاع.

وعينت فرنسا واليا جديدا هو بيجول سنة 1834م (1249هـ) فقام بتجميد الحملة العسكرية ضد الوالو والترارزة معتبرا أن سياسة سلفه لم تجر إلا الخراب والدمار في الوالو، داعيا إلى استبدال الحملة العسكرية بحصار اقتصادي وعسكري ضد الطرف الأقوى الترارزة. ووقع بيجول في 30 أغسطس 1835م (5 جمادى الأولى 1251هـ) اتفاقا جديدا مع أحمد ابن الليگاط والوزير المختار بن سيدي باسم الأمير قبل من خلاله محمد الحبيب التنازل عن عرش الوالو. وأعلن عن عفو عام وعن تبادل للأسرى الذين كان الطرفان يبيعانهم كعبيد، كما تم تأكيد العمل باتفاقيتي 7 يونيو 1821م (6 رمضان 1236هـ) و15 أغسطس 1829م (15 صفر 1245هـ).

---

[171] المرجع نفسه، ص138.

لكن محمد الحبيب لم يتخل عن الوالو الذي فتح له مصراعيه وهاجم انطلاقا منه كلا من اجيولوف وكايور[172].

ومن جانبه فرض بيجول حصارا على ضفتي النهر للحيلولة دون تموين الترارزة منها، وبعث بسفينة حربية إلى بورتانديك بقيادة دونوا فوجد سفينتين إنكليزيتين تقومان بالتبادل مع البيضان فاستولى على إحداهما وأجبر الأخرى على الفرار، وشتت بطلقات من المدفعية مخيم البيضان الملتئم حول خيمة نصب عليها العلم الإنگليزي. وقد احتج الوالي الإنگليزي في غامبيا بشدة على هذه الإجراءات معتبرا إياها خرقا سافرا استند إلى تأويل خاطئ للمادة 11 من اتفاقية 1783م (1197هـ) الموقعة بين البلدين[173].

ولم يكتف الوالي الفرنسي بيجول بما قام به، بل طلب من وزير البحرية والمستعمرات أن يأذن له في فرض حصار بحري على ساحل بورتانديك بوصفه الوسيلة الوحيدة لحرمان الترارزة من التزود بالأسلحة والذخيرة وحملهم على التنازل. وأعطى الوزير موافقته المتحفظة جدا على فرض ذلك الحصار في رسالته المؤرخة بـ 12 دجمبر 1834م (11 شعبان 1250هـ) موصيا بإشعار الإنگليز بما يتخذه الفرنسيون من خطوات، كما عمل من جهة أخرى على إقناع زميله وزير الخارجية بفكرة فرض الحصار على السواحل التروزية. وبعد أخذ ورد قبل وزير الخارجية على مضض بالفكرة، وتم اتخاذ إجراءات حصار خليج بورتانديك من قبل الفرنسيين في يناير 1835م (رمضان 1250هـ). وفي 15 فبراير 1835م (17شوال 1250هـ) كانت السفن الحربية الفرنسية تحاصر فعلا مداخل بورتانديك.

واحتج الإنگليز من خلال مذكرة سلمها وزير خارجيتهم اللورد بالميرستون لسفير فرنسا في بلاده ينتقد فيها لجوء الفرنسيين إلى مثل هذه الإجراءات الظالمة والعنيفة التي تمنع الإنگليز من الاستفادة من حقوقهم التجارية ببورتانديك منددا في الوقت نفسه بما يمارسه الفرنسيون من ضغوط مستمرة على الترارزة لمنعهم من مبادلة العلك على المحيط مستشهدا في هذا الصدد بالاتفاقيتين الموقعتين في 2 مايو و20 يوليو 1785م (22 جمادى الثانية و13 رمضان 1199هـ) في عهد الوالي ريبانتينيي بين مدير شركة العلك دوران وشمش إيدوالحاج واعلي الكوري، اللتين قدمت فرنسا من خلالهما مكافآت مغرية للترارزة، كما جدد احتجاج بلاده على تفسير الوالي لاتفاقية 1783م (1197هـ)، وجدد طلب التجار الإنگليز المتضررين للتعويض، وأكد أن قرار حصار بورتانديك لا يستند إلى أي أساس شرعي جدي.

[172] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص108.
[173] محمد المختار بن السعد، تاريخ إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص404.

ولما تسلم وزير الخارجية الفرنسي الحريص على التهدئة مع الإنگليز المذكرة أحالها إلى زميله وزير البحرية والمستعمرات يوم 23 مايو 1835م (25 محرم 1251هـ) معربا عن رغبته في رفع الحصار عن بورتانديك استجابة للطلب الإنگليزي.

ورد وزير البحرية والمستعمرات الأميرال ديبيري على المذكرة الإنگليزية محملا مسؤولية الحصار للإنگليز الذين وفروا سنة 1834م (1250هـ) الأسلحة والذخيرة للترارزة مما غير موقفهم تماما من تجنب الحرب مع الفرنسيين، مؤكدا على أن الحصار كان ضروريا جدا لتحقيق السلام مع الترارزة.

وتوصل الإنگليز والفرنسيون بعد ذلك في 4 يوليو 1835م (7 ربيع الأول 1251هـ) إلى صيغة تفاهم تصون الصداقة القائمة بينهما، وتقضي برفع الفرنسيين الحصار عن بورتانديك مقابل قبول الإنگليز بتفتيش سفنهم للتأكد من خلوها من السلاح حتى يتحقق السلام في الترارزة، وطالب الإنگليز الفرنسيين بالبرهنة على صدق نواياهم لأن «سلوك السلطات الفرنسية في السينغال يحمل كثيرا على الاعتقاد بأنهم يسعون إلى القضاء على التجارة الإنگليزية لضمان احتكار فرنسا لتجارة العلك[174]». وكانت تخوفات الإنگليز في محلها، فالفرنسيون كانوا يهدفون من وراء الحصار إلى تحجيم الضرر اللاحق بهم جراء استقطاب الإنگليز لعلك الترارزة، كما سبق لوزير البحرية الفرنسي أن اعترف به في مذكرة بعث بها إلى نظيره في الخارجية بقوله: «لقد فهمت الحكومة تلك الحقيقة مما حملها على استخدام حقها في حظر بورتانديك على الإنگليز بإعلان حصار يتخذ من حالة الحرب مع الترارزة ذريعة، بيد أنه يجب الاعتراف بأن إجراء كهذا، ولو كان مشروعا، فقد خلق وضعية منافية للوحدة الوثيقة القائمة بين الحكومتين في أوروبا[175]». وأكد الوالي الفرنسي في السنغال هذا الموقف رغم تنفيذه أوامر وزيره برفع الحصار عن بورتانديك في 14 أغسطس 1835م (19 ربيع الثاني 1251هـ) بقوله: «إن إعادة العلاقات التجارية بين الإنگليز والترارزة يعني إطالة أمد الحرب وتخريب تجارة الفرنسيين[176]». وفي 30 أغسطس 1835م (5 جمادى الأولى 1251هـ) تمكن افرانسوا بيلگرينيه الذي كانت تربطه بالترارزة علاقات تجارية وسياسية حسنة من إقناع الأمير محمد الحبيب بتوقيع اتفاقية تنهي الحرب التي أججها زواجه بجنبت بإعلانه عن تنازله عن عرش الوالو، غير أن هذه الاتفاقية لم تمنع محمد الحبيب من مواصلة التدخل في شؤون الوالو، كما زادت من

[174] المرجع نفسه، ص406.
[175] المرجع نفسه، ص407.
[176] المرجع نفسه، ص408.

توتر العلاقات بين الفرنسيين والإنكليز الذين ضاقوا ذرعا بتعليق الوالي الفرنسي على قراره المقتضي رفع الحصار عن بورتانديك بأنه يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ الإجراءات الكفيلة بصد الترارزة عن الشاطئ.

وتوتر الوضع بين الدولتين لدرجة أن سفنهما الحربية تقابلتا على سواحل بورتانديك. وفي سنة 1836م (1252هـ) وصل الوالي الإنكليزي راندال إلى بورتانديك، وأبرم اتفاقية جديدة مع الترارزة تمنح إنكلترا بموجبها للترارزة ضريبة عرفية مقدارها 480 بيصة من النيلة مقابل السماح للإنكليز بالرسو في جيوه الأقرب لمناطق إنتاج العلك من بورتانديك بنحو مائة كلمتر.

ثم حلت الجهود الديبلوماسية بين فرنسا وإنكلترا محل الصدام، وقبلت الدولتان بتحكيم ملك بروسيا بينهما، فحكم في 14 نوفمبر 1842م على فرنسا بتعويض السفن الإنكليزية الثلاث المتضررة من حصار (1834-1835م/ 1249هـ_1251هـ) عن خسائرها مبلغ 41770 أفرنك فرنسي[177].

وظل التوتر والصراع يخيمان على العلاقات الفرنسية التروزية بسبب حملات الترارزة المتلاحقة في الوالو وكايور واچيولوف، والتي تكثفت اعتبارا من 1840م (1256هـ)، وقتل خلالها الفارس المغوار أبي بن اعلي خملش (قتل سنة 1840م 1256هـ[178])، فقد كان لمحمد الحبيب في 1842م (1257هـ) مغرم سنوي على ملك اچيولوف قدره 200 ثور، كما كانت لأسرة أخيه بوحبيني مغارم على تلك المملكة قدرت في 22 اكتوبر 1842م بمائة بيصة (17 رمضان 1258هـ).

وعندما سعى الفرنسيون إلى إنشاء مركز تجاري في ميرينانگيم سنة 1842م (57-1258هـ) لاستقطاب تجارة الممالك السينغالية الأربع (اچيولوف، كايور، فوته، الوالو) واستغلال علك بونون للتخفيف من وطأة الاعتماد الفرنسي على علك البيضان نقل محمد الحبيب حيا تروزيا إلى عين المكان لاعتراض القوافل المتجهة إلى ذلك المركز، وفرض غرامات باهظة على من يجني علك اچيولوف من رعاياه. وحظرت چمبت على رعاياها الاتجار مع ذلك المركز عملا بأوامر محمد الحبيب.

ثم جرت المفاوضات بين الفرنسيين والترارزة لتخفيف حدة التوتر، وتوجت هذه المفاوضات بتوقيع اتفاقية 13 أغسطس 1842م (6 رجب 1258هـ) مع سيدي أحمد

[177] المرجع نفسه، ص410.
[178] أحمد سالم بن باگا، مرجع سبق ذكره، ص289.

بن امحمد شين بن الشرغي بن هدي بن أحمد بن دامان بخصوص سبل جباية مغارم أسرته على أهل كايور ، ثم 22 أكتوبر 1842م (17 رمضان 1258هـ) مع المختار بن سيدي بن عبد الوهاب السباعي وزير الأمير محمد الحبيب بشأن مغارم الترارزة على أهل اچيولوف، وكيفية حفظ الأمن فيها. وأدت هذه الاتفاقية إلى رفع الحصار عن مركز ميرينانگيم والحد من حملات الترارزة في اچيولوف مقابل التزام فرنسا بدفع ضرائب عرفية للأمير ولوزيره سنويا، كما نصت الاتفاقية على أن تدفع فرنسا للإمارة قيمة المغارم التي للترارزة على أهل كايور، ثم تتولى هي جبايتها منهم بعد ذلك.

وتزايد شعور الفرنسيين بأنهم لن يستطيعوا جر الترارزة إلى التنازل عن جنوب النهر لتمكينهم من تحقيق مطامحهم ما دام تبادلهم مع الإنگليز قائما، فألحوا على إعادة طرح فكرة مبادلة موقع بورتانديك الإنگليزي بموقع ألبريدة الفرنسي على الساحل الغامبي الذي تسعى إنگلترا جاهدة للحصول عليه. وكانت هذه الفكرة طرحت لأول مرة في المفاوضات الفرنسية الإنگليزية سنة 1832م (47-4812هـ)، ثم أعيد طرحها سنة 1843م (1259هـ)، وكتب بشأنها والي السينغال سنة 1844م (1260هـ) إلى وزير البحرية والمستعمرات إن «محطة بورتانديك وحدها يمكن أن تمنح البيضان وسيلة لتأخير مفعول مخططاتنا، وعليه فإنه ينبغي لأكثر من سبب أن نحصل من إنگلترا على تنازل عن حقها في التبادل في هذا المركز الذي تمنحها إياه الاتفاقيات وتعويضها عنه بمركزنا الهزيل بألبريدة مصدر الشكاوى والاحتجاجات الإنگليزية المستمرة[179]».

وفي سنة 1263هـ 1847م نازع أحمد بن الليگاط أخاه الأصغر محمد الحبيب على الإمارة فانقسمت جماعة الترارزة عليهما، ونجم عن ذلك أيام منها يوم "شبك" (80 كلم شمال شرق المذرذرة). ثم آل الأمر بأحمد بن الليگاط إلى أن لجأ إلى أرض البراكنة، وكون مع سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي تحالفا ضد الأميرين أمير البراكنة محمد الراجل وأمير الترارزة محمد الحبيب. وتعاطف جناح أولاد السيد البركنيين مع سيدي اعلي وابن الليكاط مما أقلق محمد الراجل على مستقبل سلطته، فطلب الدعم من محمد الحبيب الذي كان يهدد بغزو أخيه بعدما اتخذ من أرض البراكنة نقطة انطلاق يغير منها على القبائل المساندة للأمير محمد الحبيب. وتحرك محمد الحبيب على رأس جيش جرار لوضع تهديده موضع التنفيذ، لكن الوالي الفرنسي ديشاتو تحرك على الفور عبر النهر لمد يد العون للبراكنة إذا لم يعدل محمد الحبيب عن موقفه. وتقابل الرجلان عند محطة گايه التروزية الواقعة على مشارف أرض البراكنة في الخامس من مايو 1848م (فاتح جمادى الثانية 1264هـ)، وفشلت مفاوضاتهما بسبب

[179] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص134.

إصرار الأمير محمد الحبيب على تنفيذ مشروعه. ولم تكن البراكنة آنذاك قادرة على صد جيش محمد الحبيب القوي فتدخل ديشاتو بثلاث سفن حربية لنقل الذراري والأموال إلى الضفة اليسرى للنهر، ولتغطية انسحاب جيش أولاد السيد وحليفيهما سيدي اعلي وأحمد بن الليگاط نحو گورگل.

ولم يتراجع محمد الحبيب عن غزو البراكنة إلا بعد أن أخبروه بأن ابن الليگاط قد ارتحل إلى إدوعيش.

وأصدر الوالي الفرنسي تعميما (أمرا إداريا) يدعو الترارزة والبراكنة إلى احترام الكيانات السياسية القائمة، ويعتبر أي غزو يقوم به طرف ضد الآخر نيلا خطيرا من مصالح الجميع. وقال الوالي في تقرير آخر له: «لم يكن لدي من هدف سوى المحافظة على المنافسة الضرورية لتجارتنا بين أمة البراكنة وأمة الترارزة، فوجودهما معا ليس مفيدا لمصالحنا فحسب بل إنه ضروري[180]».

وبعد أشهر ظهر أحمد بن الليكاط مجددا في البراكنة، فهدد محمد الحبيب بغزو البراكنة مرة أخرى للقضاء على تمرد أخيه ودعم حليفه الجديد امحمد بن محمد بن سيدي (ابن أخي الأمير البركني المختار بن سيدي) ضد الأمير محمد الراجل، فتوعد الوالي الفرنسي الجديد بودينه باتخاذ إجراءات انتقامية ضد محمد الحبيب إذا ما نفذ غزوه للبراكنة، ثم تراجع ملتزما الحياد بين الترارزة والبراكنة، بسبب ضغط التجار الفرنسيين من جهة، وشعوره بالعجز عن تنفيذ تهديده من جهة أخرى. وتعززت قناعة بودينه بسلامة موقف الحياد بعد التقائه بمحمد الحبيب عند محطة ديه البركنية، وبعد التحريات التي قام بها على مستوى أولاد السيد، حيث أعرب بودينه لوزير البحرية والمستعمرات عن تأكده من سلامة موقف محمد الحبيب. وقد استاءت وزارة البحرية والمستعمرات من موقف الوالي ونددت به معتبرة أنه ترك محمد الحبيب يتصرف كما يحلو له على الساحة البركنية.

وكان محمد الحبيب قد تمكن في هذا الخضم من لعب دور حيوي في إيصال محمد الراجل (1844م/ 1851م_ 1260هـ/ 1267هـ) إلى السلطة ثم الإطاحة به وإحلال امحمد بن سيدي (1851م/ 1858م) محله، وصراعات هذا الأخير مع سيدي اعلي بن أحمدو (1858م/1893م- 1275هـ/ 1311هـ).

[180] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص363.

وهكذا استطاع محمد الحبيب، كما كتب فيديرب «بذكائه أن يقسم البراكنة إلى حزبين ساندهما تباعا ليبطل كل منهما مفعول الآخر، كما أصبح سيد السينغامبيا[181]»، فكان محمد الحبيب يعتبر نفسه مالكا للوالو، وقد كتب إلى الوالي الفرنسي في اندر في إبريل 1848م (جمادى الأولى 1264هـ) رسالة يخبره فيها بأن «الدخله المبني فيها [مقر الفرنسيين باندر] ملك لهم كملك عبيدهم وبقرهم وإبلهم وخيلهم[182]»، وفي كايور كان وزير الملك سنة 1850م (1266هـ) أحد رجالات محمد الحبيب. وقد أكد فيديرب هذه الحقيقة في 1852م (1268هـ) بقوله: «إن وزير دامل [ملك] كايور البالغ النفوذ اليوم هو زاو بيضاني، وإن الترارزة أصبحوا يقولون ويفعلون ما يحلو لهم في كايور بوصفهم أسياد ذلك البلد[183]».

وكان أحمد ابن الليگاط قد شعر بأنه لا بقاء له في البراكنة، فالتحق بقومه من خندوسة الذين يقال إنهم ربما كانوا قد حرضوه على مناوأة محمد الحبيب[184]، والمشهور أنهم وجدوا على محمد الحبيب فهاجروا إلى أولاد يحي بن عثمان بآدرار سنة 1848م/ 1264هـ وعلى رأسهم سيدي أحمد بن امحمد شين بن الشرغي بن هدي وسيدي أحمد بن عثمان بن إبراهيم اخليل، وابن أخي محمد الحبيب سيدي أحمد بن اعلي خملش بن أعمر بن المختار[185]. وعمل المنشقون من الترارزة (أحمد ابن الليگاط وخندوسة) بدعم من أمير آدرار أحمد ابن عيده على شن الغارات على الترارزة، غير أن غاراتهم ظلت محدودة التـأثير باستثناء غارة "الملحس" التي قادها أمير آدرار ابن عيده بنفسه على محصر محمد الحبيب حينما كان بآوكار في غير منعة من قومه سنة 1265هـ/ 1849م فظفر وانتصر. وقد سمي غزو ابن عيده هذا غزو "المنكاسه" لأنه نهب كل شيء.

وأراد الأمير محمد الحبيب أن ينتقم من هذا الغزو، فقاد في السنة الموالية (1266هـ/ 1850م) حملته المشهورة بالصولة ضد آدرار في ثمانمائة مقاتل، وكان أحمد بن الليگاط قد اغتيل في نفس السنة بتشله (تيرس) على يد رجال من لعلب المشايعين للأمير. وركب محمد الحبيب صائلا باتجاه آدرار من تيلماس شمال إگيدي، وأقسم ليصلين أربع ركعات في ظل "أماسين" (دار إمارة أولاد يحيى بن عثمان في أطار).

---

[181] المرجع نفسه، 369.
[182] المرجع نفسه، ص48.
[183] المرجع نفسه، ص375.
[184] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص134.
[185] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص295.

ولما علم به أهل آدرار بعثوا طليعة تسد الطريق التي يدخل منها القادم من جهة الگبلة في وجههم، فلما رأى جيش الترارزة الطليعة رجع على أعقابه، ثم كر سالكا طريقا غير الطريق الأول فاقتحم عليهم من حيث لم يحتسبوا فانهزموا في وجهه، فدخل أطار وحرق بعض نخل أهل عيده في آمدير، وأقام أياما بمقر ابن عيده الرسمي في كنوال، ثم نهب الأموال واستاق الأنعام وقفل راجعا بعد أن صلى في ظل "أماسين". ولم يلق مقاومة من أولاد يحي بن عثمان الذين تحصنوا في جبالهم[186].

وتبع سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل محمد الحبيب ليستنقذ حلائب أهل أحمد بن عيده وكان قد تزوج بفاطمه بنت أحمد ابن عيده، فأمر محمد الحبيب أصحابه أن يتخلوا له عنها لمكان صهارته.

وبعد هذه الحملة جنح ابن عيده وزعماء خندوسة للسلم، واتصلوا بالشيخ سيديا الكبير للتوسط فيهم لدى محمد الحبيب، وكان الشيخ سيديا أحد أعظم القادة الدينيين الذين عرفتهم المنطقة، فسعى في هذا الصلح بعدما جعل ابن عيده وزعماء خندوسة الذين وفدوا إليه أمرهم بيده، وكتب إلى محمد الحبيب: «أما بعد فاعلم أعلمنا الله وإياك الخير، ووقانا وإياك المكروه والضير، أن الأعيان والرؤوس من طائفة خندوسة قد نزلوا علينا، واجتمعوا بما عندهم لدينا، فلما مضت لهم عندنا أيام، وتحاورنا معهم في عدة مجالس بالكلام، نظرنا في حقائق نياتهم، وبحثنا عن صفاء طوياتهم، فإذا هي في جهتك وجانبك حسنة، مستقيمة جيدة مستحسنة، وإذا أهلها قد جاءوا متنصلين، منفصلين عما كانوا به إلى قصدهم متوصلين، ورافضين معرضين عما كانوا به معارضين، قد تركوا العناد، واستعملوا السداد.. فلما تبين لنا ذلك، واطلعنا على جميع ما هنالك، استخرنا الله تعالى واستشرناه في السعي بينك وبينهم بالإصلاح المرجو من الله تعالى أن يكون سببا للنجاح والفلاح...[187]».

---

[186] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص370.

[187] كانت هذه الرسالة واحدة من الرسائل العديدة التي تبادل الشيخ سيديا مع الأمير محمد الحبيب الذي ظل يشك في نوايا خندوسة تجاهه، فجدد إليه الشيخ سيديا الكتابة يحثه على مصالحتهم: «الحمد لله وحده، وصلى الله على من النبي بعده، هذا وإنه من عبد ربه الغني به سيدي بن المختار بن الهيبه إلى سيد أقرانه، ومقدم أهل زمانه، محمد الحبيب بن أعمر بن المختار حفظه الله ورعاه، وحمد مسعانا ومسعاه، ونضر أيامه، ونصر أعلامه، وجعله من الأمراء العادلين، والسلاطين المطيعين، وعباد الله الصالحين، المهتمين بإصلاح ذات بين المسلمين، وبالحرص على ما يصلح دينهم ودنياهم، ويجبر كسرهم ويديم جبرهم أجمعين، بالسلام التام، الطيب العام، والتحية البالغة والإكرام، أما بعد: فإننا نريد منك ونأمرك أن تقوم على ساق الجد والاجتهاد، وتشمر عن ساعد بذل الوسع والاستعداد، في إصلاح ذات بين المسلمين، وإطفاء نار الحرب الموقدة بين أهل هذه الأرضين، واجعل ذلك قربة تتقرب بها لمولاك الذي أنعم عليك، وأحسن إليك، فاستخلفك وأولاك ما أولاك، ونحن نعينك، إن شاء الله، ونقوي ظهرك، ونشد بجند الدعاء وعضد الهمة أزرك. فإذا توجهت لما نريده منك ونأمرك به، وتعلقت همتك كل التعلق بسببه، فاقدم بنفسك إلينا مع حاملي الكتاب، حتى تنيخ راحلتك بالباب، أو تكون

وآل الأمر إلى قبول محمد الحبيب في النهاية، سنة 1270هـ/ 1853م بعد طول تردد شفاعة الشيخ سيديا مخاطبا إياه بقوله: «إني قد أمنتهم، ولكنهم قاتلي لا محالة، وكأني بك إذا سمعت ذلك تقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، إنهم قتلوا أميرا عادلا[188]».

وخلال هذه الفترة تجلت بشكل واضح النزعة الفرنسية الهادفة إلى إرساء سياسة استعمارية جديدة في المنطقة ترتكز على ترسيخ الهيمنة الاستعمارية جنوب نهر السينغال عن طريق القضاء على سلطان الترارزة جنوب النهر من جهة، وتغيير شروط التبادل التجاري مع البيضان (إلغاء المواسم والمحطات التقليدية والضرائب العرفية) من جهة ثانية. وتجسدت هذه النزعة في التوجيهات الرسمية التي بعث بها وزير البحرية والمستعمرات جان تيودور ديكوس في رسالتين صادرتين في 4 و5 يناير 1853م (23 و24 ربيع الأول 1269هـ) إلى الوالي ابروتي قبل أن يأخذ فيديرب الذي عين واليا للسينغال في 8 نفمبر 1854م (17 صفر 1271هـ) كردة فعل على تعثر ابروتي في تطبيق السياسة الفرنسية الجديدة في المنطقة على عاتقه مهمة تجسيد هذه السياسة كما تصورها في رسالته المؤرخة في 19 يناير 1855م (30 ربيع الثاني 1271هـ).

وساعد عزوف الإنگليز عن المبادلات التجارية مع الترارزة على نجاح الجهود الفرنسية، حيث دفعت طفرة تجارة الفستق بغامبيا وإلغاء تجارة العبيد سنة (1848م/

بمحل لا يشق وصوله علينا، ولا يتوجه التعب في مسافته إلينا، فحينئذ نلتقي معك، ونشتغل كلنا بما يصلح بينك وبين أبناء عمك، الذين هم عندنا قد حسبناهم وأمسكناهم عن الجهة التي كانوا ذاهبين إليها، رجاء أن يمر الله علينا بالإصلاح بينك وبينهم، وقد احتاج إلى ذلك جميع زوايا أرضكم، كما احتاج إليه الجانبان منكم، فتعين عليك الإقبال عليه، والتوجه إليه، فافعله واجتهد، وتوكل على الله فيه واعتمد، وأخلص عملك لله، وأخرج من قلبك ما سوى الله، تظفر برضى الله ونصرة الله لنصرك دين الله. قال تعالى: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}. واعلم أن أبناء عمك قد أخذوا من عندنا الورد، وأبرموا معنا العهد أن لا يخالفوننا في ورد ولا صدر، ولا يتعقبوا ما حكمنا عليهم به، ولو كان فيه الضرر، وذلك يحقق عندك، أنهم إذا صفا ما بينك وبينهم لا يحيدون بعد ذلك على السمع والطاعة لك، في اليسر والعسر والمنشط والمكره أبدا سرمدا، لكوننا نلزمهم ذلك، ونحكم عليهم بما هنالك.

واعلم أيضا أن ابن عيده جعل أمره بأيدينا وبأيدي أبناء عمك هؤلاء، فكل ما فعلناه أو فعلوه فيه فهو ماض عنده فقد كتب إلينا بذلك غير ما مرة، وأخبرنا القوم به كرة بعد كرة، وعندهم أنا لو بعثنا إليه لبادر بالقدوم إلينا وما تأخر، ثم إذا فرغنا من الإصلاح بينك وبين أبناء عمك ومن انتصر لهم، نقبل إن شاء الله على الإصلاح بينك وبين ابن سيدي، وعلى الإصلاح بين ابن سيدي وبين ابن أحمدو، ونجتهد في ذلك حتى لا يبقى بين الجميع إلا الصداقة الصحيحة، والأخوة الصريحة، وحتى ينزل كل أحد منزلته، ويعطى كل ذي حق حقه وقسمته. واعلم أيضا أن ابن سيدي من أحب تلامذتنا إلينا، وأحظاهم لدينا، يسرنا ما يسره، ويؤذينا ما يؤذيه، ولا تطيب نفوسنا بإسلامه لظالميه وأعاديه، وقد تواترت الأخبار شرقا وغربا من أهل الخبرة والبصيرة والفطنة أنه لا يصح للتقديم أحد من قومه غيره، فإذا علمت ذلك كله، أصلح الله أمورنا وأمورك وأمور المسلمين، فلا تتعرض له إلا بخير، ونحن أيضا نحكم عليه بأنه لا يسعى إلا في محابك ومراضيك، فاتق الله فيه، وارع فيه انتسابه إلينا، وتعلقه بنا، إذ صار بذلك من خواص إخوتك، وصنوان نبعتك، والسلام».

[188] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 305.

1264هـ) الإنگليز إلى وقف تسديد الضرائب العرفية بميناء جيوه التروزي ابتداء من 1848م (1264هـ)، مما دفع الترارزة إلى إرسال وفد إلى مركز باترس الإنگليزي بغامبيا في مارس 1850م (ربيع الثاني 1266هـ) لتشجيع التجار الإنگليز على مضاعفة مبادلاتهم مع الترارزة، مقابل خفض الضرائب العرفية.

وخلق الزهد الإنگليزي في تجارة العلك أرضية ملائمة لكل من فرنسا وإنگلترا لمبادلة حق الإنگليز في ساحل الترارزة بحق فرنسا في ساحل ألبريدة الغامبي، فأعيد طرح فكرة هذه المقايضة من جديد في مفاوضات 1852م (1268هـ) بعدما عبر وزير البحرية والمستعمرات الفرنسية جان تيودور ديكوس عن أهمية بورتانديك بالنسبة للفرنسيين بقوله: «إن القضاء على بورتانديك أهم بالنسبة للسينغال من كتيبة مشاة، فهو سبب خفي ولكن حقيقي للضعف السياسي والعسكري. إنه باب مفتوح باستمرار على عالم ينبغي أن نتمتع باحتكار التجارة فيه[189]». ثم طرحت مرة أخرى في مفاوضات 1854م (1270هـ)، وفشلت هذه المفاوضات بسبب الإصرار على حرية الملاحة المتبادلة في نهري غامبيا والسينغال.

وعندما طالب فيديرب في رسالته التي تضمنت برنامجه الاستعماري سنة 1855م (1271هـ) بإعلان الحصار على ساحل بورتانديك تأهبا للحرب مع الترارزة رد عليه الوزير باللجوء إلى ذلك الإجراء عند الضرورة القصوى فقط.

وفي مايو 1856م (رمضان 1272هـ) ألمح الوزير لفيديرب بأن هناك مفاوضات جديدة مع إنگلترا من شأنها أن تسفر قريبا عن حل أفضل من الحصار. وفي 7 مارس 1857م (10 رجب 1273هـ) تم التوقيع على اتفاقية تنص على تخلي الإنگليز عن مركز بورتانديك التروزي للفرنسيين مقابل تخلي فرنسا عن مركز ألبريده الغامبي للإنگليز.

وباختفاء الإنگليز من السواحل التروزية أصبحت الساحة شاغرة لفرنسا لتنفيذ سياستها التوسعية الجديدة.

وقد كان فيديرب واثقا منذ البداية من أن هذه السياسة الجديدة ستضعه في مواجهة مفتوحة مع الترارزة، إذ يقول في رسالته: «... إن البيضان لا يريدون تغيير أي شيء مما كان قائما، وبعبارة أخرى فهم يريدون أن نسدد لهم مبلغا معينا عن كل سفينة حسب حمولتها سواء كان بها علك أم لا (...). وقد ظل محمد الحبيب يؤكد على الدوام، ولحد

[189] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص412.

الساعة، أن أي شيء لن يتغير بالنسبة للضرائب العرفية ولمحطات التبادل ما دام حيا...[190]».

أما بخصوص موقف الترارزة من أطماع الفرنسيين في الوالو وتعلق الترارزة بهذا البلد، فقد قال فيديرب: «إن قضية الوالو هي القضية الأكثر خطورة، فمن يطالب الترارزة بالتخلي عن هذا البلد كمن يطالب فرنسا بإخلاء اللورين والألزاس، بيد أنني أعتقد أن ذلك ضروري وممكن..[191]».

وبعد أن عرض فيديرب بالتفصيل في هذه الرسالة برنامج عمله على وزيره، خلص إلى القول: «أعتقد أنه في حالة استحالة التفاهم مع زعماء البلاد كما هو شأننا الآن، لكون أولئك الذين يتمتعون بسلطة فعلية حقا- مثل أمير الترارزة- تعميهم الأبهة والكبرياء، ولكون الآخرين لا يملكون أية سلطة...، أعتقد أنه ليس أمامنا سوى طريق واحد هو أن نعمل ما نريد عمله وأن نحارب من يعارضونه...[192]».

ونفذ فيديرب رؤيته المتمثلة في اللجوء إلى القوة لحسم الموقف، فبادر الفرنسيون في دجمبر 1854م (ربيع الأول 1271هـ) إلى مهاجمة عزونه المتمركزين في الضفة اليسرى للنهر، فقتلوا منهم ستين رجلا، ثم هاجموا تندغه في فبراير 1855م (جمادى الأولى 1271هـ)[193]، قبل أن يبدأ فيديرب، في منتصف مارس (أواخر جمادى الثانية) من نفس السنة في شن حملة على البيضان في الوالو وعلى التحالف المحلي الذي نظمه اعلي بن محمد الحبيب لمقاومة الغزو الفرنسي للوالو، كما أغار فيديرب في إبريل 1855م (رجب 1271هـ) على الترارزة قرب الركيز.

وفي 21 إبريل 1855م (4 شعبان 1271هـ) شن محمد الحبيب هجوما جريئا على اندر، وصل إلى مشارف القلعة الفرنسية الحصينة شارك فيه ألفا مقاتل أرغمتهم المدفعية الثقيلة على التراجع.

ومات من الترارزة على مشارف اندر ثلاثون شخصا منهم المبارك بن احميدها، وامحمد بن أحمد بن سيدي[194].

---

190 محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، ص136.

191 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

192 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

193 المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص117.

194 المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ولدعم موقفه العسكري، بادر الأمير محمد الحبيب إلى نقل الحرب إلى الصعيد الاقتصادي بمنعه رعاياه من بيع العلك للفرنسيين لحملهم على التنازل، وبث العيون لمنع أي مبادلة للعلك مع الفرنسيين.

ورد فيديرب على هذا الحصار الاقتصادي بحصار اقتصادي آخر تمثل في حظر بيع الأقمشة والزرع والذخيرة للترارزة.

ولمواجهة صمود الترارزة وأنصارهم من أهل الوالو، عبأ فيديرب قوة من 1100 جندي، وأحرق 40 قرية في الوالو، وواصل شن الحرب طوال صيف 1855م (1271هـ)، وأغار على "حلة" محمد الحبيب عند بوطريفيه.

ولجأ العديد من سكان الوالو -بمن فيهم أسرة تييديك المالكة وحاشيتها- إلى الترارزة وظلوا يقاتلون إلى جانبهم ويرفضون الانصياع لتهديدات فيديرب وإغراءاته.

ولإبعاد خطر الترارزة عن مستعمرة الوالو الجديدة، عمل فيديرب على إجلاء المجموعات البيضانية إلى الضفة اليمنى، وكتب في منشورين وزعهما في كل من الترارزة والوالو بتاريخ 8 نوفمبر 1855م (27 صفر 1272هـ): «ألم ير محمد الحبيب أن الله أجرى البحر وجعله حاجزا وفصلا وحدا بين البيضان والسودان، فلا بد من احترام حدود الله...[195]».

وأرفق فيديرب هذا التعميم بشروط للصلح مع الترارزة تتلخص في الاعتراف بكون الفرنسيين هم وحدهم حماة والو، وإلزام كل قافلة تروزية تصل إلى الوالو للتجارة فيها أو في كايور بالمرور بنقاط محددة سلفا ووفق شروط معينة، وعدم السماح لأي تروزي مسلح بعبور النهر ولا لأي حي بيضاني بالإقامة على الضفة اليسرى، وتولى والي السينغال ضمان أمن القوافل التجارية التروزية العابرة إلى الوالو أو كايور. وإذا رغبت الترارزة في المتاجرة مع الفرنسيين فإن تلك التجارة ستكون حرة تماما من أية محطة معينة أو إتاوات أو تحديد للموسم التجاري.

ورد محمد الحبيب على هذه الشروط بشروط أكثر صرامة، حيث اشترط زيادة الإتاوات الممنوحة للترازة والبراكنة والوالو، وتحطيم كافة القلاع والمراكز الفرنسية على النهر باستثناء اندر، ومنع السفن والقوارب العسكرية الفرنسية من الملاحة في

[195] المرجع نفسه، ص137.

النهر، ودفع إتاوات جديدة مقابل تزود الفرنسيين بالمياه والأخشاب من اندر وضواحيها، وترحيل فيديرب إلى فرنسا مذموما كشرط مسبق لأية مفاوضات.

وتبادل الرجلان عددا من الرسائل، بصورة مباشرة وغير مباشرة، عزف كل منهما فيها على وتيرته الخاصة به[196]. وأعلن فيديرب خلال هذا (في دجمبر 1855م (ربيع الثاني 1272هـ)) أن الوالو أصبحت منطقة فرنسية.

ولعب الشيخ سيديا، بوجه خاص، دورا كبيرا في إصلاح ذات بين المغافرة وتوحيد كلمة الإمارات الشنقيطية للتصدي للخطر الفرنسي. وفي هذا الإطار تدخل مساعيه التي توجت باجتماع تندوجه (يناير 1856م/ جمادى الأولى 1272هـ) الذي ضم أمراء الترارزة والبراكنة وآدرار وممثلا عن أمير تگانت. كما تندرج فيه أيضا محاولات الشيخ سيديا تصنيع البارود محليا، وطلب الأسلحة من الملك المغربي المولى عبد الرحمن.

وحاول محمد الحبيب استغلال التنافس الإنگليزي- الفرنسي أثناء هذا الصراع دون جدوى، بينما نجح في تجنيد عدد كبير من زنوج الضفة اليسرى ضد الفرنسيين.

وءاوى أهل كايور والوالو لاجئي الترارزة (1856م/ 1272هـ) ورفضوا تسليمهم لفيديرب رغم تجريده لحملة تأديبية ضدهم أحرقت ونهبت حوالي 50 من قراهم.

وقد أدت سياسة التخريب التي مارسها الفرنسيون على أصعدة مختلفة داخلية وخارجية (إغراء الكثير من سكان الضفة اليسرى بالمال والسلاح بما في ذلك منحهم كامل غنائم ما يقومون به من غارات على الضفة اليمنى بمفردهم، ونصف غنائم الغارات المشتركة مع الجيش الفرنسي...)، وما أصاب قاعدة الترارزة الاقتصادية من انهيار جراء سياسة النهب الواسعة النطاق، وما عرفته الجبهة الداخلية من تصدع بسبب توقف التبادل التجاري وانتشار المجاعة فضلا عن دور الخلافات والثارات القبلية إلى جنوح بعض الزوايا وبعض بني حسان إلى المتاجرة مع فرنسا في يناير 1857م (جمادى الأولى 1273هـ)، فمنع الأمير الطرق على الممتارين، واشتد الغلاء حتى

[196] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

بيعت البقرة بكسوة عادية[197]. وعبر محمد الحبيب في ربيع 1274هـ/ 1857م النهر وأغار على نواحي لامصار، لكنه تلقى مقاومة من جيش السودان المدعوم من فرنسا.

وأدى تردي الوضع إلى قبول الإمارة في إبريل سنة 1858م (شعبان 1274هـ) بالدخول في مفاوضات مع الفرنسيين انتهت بتقديم تنازلات متبادلة وتوقيع صلح جديد بين الترارزة وفيديرب في 20 مايو 1858م (6 شوال 1274هـ)[198] نصت أهم بنوده على إلغاء ضرائب السلطة الأميرية العرفية (آمكبل) وإبدالها ببيصة عن كل 500 كلغ (وهو ما يعادل نسبة 3%) مما تتم مبادلته من العلك في المنطقة، وإلغاء محطات التبادل القديمة وتحديد دگانه واندر كمحطتين وحيدتين للتبادل مع سكان منطقة الترارزة، وإنهاء الوجود السياسي والعسكري التروزي جنوب النهر، ومنع اجتياز النهر على من يحمل منهم سلاحا، وتنازل الترارزة عن مطالبهم في البلدان الولفية المجاورة -

---

[197] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص117. وقال أحمد سالم بن باگا: «لما اشتد الحصار على الترارزة ومنع النصارى كل ما يلبس حتى لبس الناس الجلود ومنعوا الميرة حتى صار الناس ينقعون العلك في الماء فيقتاتون به، وعظم الخطب واشتدت المجاعة، لجأ إلى محنض بابه بن اعبيد قومه من أولاد يعقنبلل فعزم على أن يرافقهم إلى مرسى إيدوالحاج بتكشكمبه وكان إيدوالحاج أخوال محنض بابه بن اعبيد في أمس الحاجة إلى من يجلب العلك إلى مرساهم، لعلهم يحصلون من وراء ذلك على بعض القوت، فأمرهم أن يتجهزوا وركب معهم. وكان محمد الحبيب قد بث العيون على الطرق لمنع الناس من جلب العلك إلى مراسي النصارى، فبينما العير تسير إذ أبصروا راكبا يقصدهم، وكان ذاك الراكب يدعى أحمد ذوته من أهل أعمر آكجيل بن هدي بن أحمد بن دامان، فلما كان من محنض بابه بحيث يسمع كلامه، قال له محنض بابه: ما تريد مني؟ وكان محنض بابه عظيم الهيئة مهابا، فرجع عنه أحمد ذوته إلى محمد لحبيب، وقال له إنه لم يجرؤ على رد عير محنض بابه، فقدمت العير على المرسى وباعت علكها وآبت بما تحتاج إليه من ثياب وميرة. فقال محنض بابه في ذلك:

جزى الله يعقوب بن ديمــان إنهم ... لقاح فلا غرم عليهم ولا حجر
هم نصروا الأنصار إذ هاب نصرهم ... ذوو العلك خيرا يستدام له الأجر»

انظر، أحمد سالم بن باگا، ص334. وقد أثارت هذه الحادثة مشاعرة بين زعدر بن سيدي بن حرم بن المختار بن المعزوز بن أشفغ الأمين، ومحمذن بن محنض بابه بن اعبيد، فمن ذلك قول زعدر رادا على البيتين المذكورين:

إذا لم يكن شيء يعاب به النفر ... سوى طاعة الرحمن أو من له الأمر
فلسنا نبالي أن يزكي نفســـه ... مزك يناوينـــــا ومفخره التجر

فرد محمذن بن محنض بابه على زعدر بقوله:

على غير شيء طالما ذمنا النفر ... وذلك وزر لا يقاومه وزر
ولكننا صنا عن الهجو ألسنا ... معودة ألا يقال بها هجر

أما محنض بابه فلم يرد على زعدر.

[198] «وأثرت الحرب بين محمد الحبيب وفيديرب على وضع أولاد أحمد [البركنيين] الذين رأوا بكار بن اسويد أحمد زعيم إيدوعيش يوقع اتفاقية مع فرنسا في 1857م (1273هـ)، وتحالفوا مع أولاد دامان الذين كانوا بدورهم على وشك توقيع اتفاق مع الفرنسيين، فتخلى أولاد أحمد عن امحمد بن سيدي ورحلوا نحو الشرق. وبما أن أولاد أحمد كانوا يشكلون قوة الأمير الرئيسية فقد لجأ إلى محمد الحبيب لإرجاعهم إلى الطاعة. وفاجأ أولاد أحمد الفريقين بغارة قتلوا خلالها المختار بن أعمر رئيس طائفة من أولاد السيد والعديد من مقاتلي امحمد بن سيدي، وأسروا مجموعة من الترارزة مثلوا بها وأرسلوها إلى محمد الحبيب. وآذنت تلك الغارة بتصدع جبهتي البراكنة والترارزة مما عجل بتوقيع اتفاقيات الصلح مع فرنسا: الترارزة في 20 مايو 1858م (6 شوال 1274هـ)، والبراكنة في 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ)». بول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص69-70.

ولاسيما الوالو- والاعتراف بسيادة الفرنسيين عليها. وبذلك أخضع فيديرب الضفة اليسرى لاستعماره المباشر.

وقد زادت هذه الاتفاقية، التي كانت قد وقعت بنفس المضمون مع إيدوعيش قبل الترارزة في 1857م (1273هـ) ثم مع البراكنة بعدهم في 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ) من تبعية أمراء الجنوب الغربي الموريتاني لاندر، التي أصبح دورها مؤثرا في تداول السلطة الأميرية[199].

وكما تنبأ به محمد الحبيب خطط ابنا أحمد بن الليگاط، وابنا بوحبيني بن أعمر بن المختار، وسيدي أحمد بن اعلي خملش، وابن أخيه أحمد بن ابي بن اعلي خملش - على خلاف في مشاركته في القتل[200]- وأحمد بن امحمد شين، وابن أخيه المبارك بن سيدي أحمد بن امحمد شين للثأر من محمد الحبيب، وبيتوا قتله هو وابنيه سيدي واعلي، وعينو لذلك ليلة 15 سبتمبر1860م (29 صفر 1277هـ). فلما كانت الليلة التي عينوها ركب سيدي بن محمد الحبيب إلى بعض الأحياء لحاجة له، وركب معه سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل يريد قتله إذا نام[201]، فقدر أن غشيهم مطر حبسهم عن السير فلم يزالوا ينتظرون انقطاعه حتى سمعوا أصوات المدافع في جهة المحصر (محلة محمد الحبيب)، وكان المحصر بالدواره (جنوب تارگة)، فجاء الخبر إلى سيدي، ففهم أن سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل رافقه ليقتله، فدعاه وتنحى به عن النفر الذي معهما، وقال له: إن محمد الحبيب قد قتل، فما الرأي؟ فقال له الرأي أن تقتلني. وذلك أنه فهم أن

---

199 المرجع نفسه، ص139.

200 قال أحمد سالم بن باگا: «اختلف في مشاركة أحمد بن ابي (بتفخيم الباء) بن اعلي خملش في القتل، فالذي عند أولاد أحمد بن دامان -برواية الخلف عن السلف- أنه شارك فيه، وشفع فيه خاله سيدي أحمد بن عثمان بن إبراهيم اخليل عند سيدي بن محمد الحبيب، فشفعه فيه بشرط أن يخرج عن العرب إلى الزوايا، فذهب إلى الشيخ سيديا. والذي كتب إلي به السيد الفاضل بن السادة الفضلاء إسماعيل بن بابا بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا يخالف هذا ونصه: «أحمد بن اعلي خملش لم يكن من الجماعة التي اتفقت على غدر محمد الحبيب، ولم يحضر شيئا من ذلك الأمر، وكان منه براء، وكان وقت الفعلة في بيت خاص حديث عهد بعرس، فأتته خالته مريم (براء مرققة) بنت إبراهيم اخليل بجواد مسرج وعزمت عليه أن يركب حينا إلى أهل العاقل أو أهل حمدي حتى تبين أعقاب الأمر، فركب وفعل ما قالت، وسار ليلا فلم يهتد إلى الذين كان يريد، فرجع إلى المحل الذي كان فيه ضحى. فأمرت خالته زوجها محمد مولود بن بوبكر سيره أن يسير معه إلى الشيخ سيديا ففعل، وعدم حضوره للأمر هو السبب الذي منع الشيخ سيديا من دفعه هو والمختار بن إنلل، وإبراهيم بن محمد العبد إلى إبراهيم بن حيده كبير رسل سيدي بن محمد الحبيب لما جاؤوا في طلبهم، فقال لهم: هؤلاء برءاء من الأمر، فلا أسلمهم إلى أحد، ودفع إليهم عبد أهل اعلي خملش الذي أقر بقتل محمد الحبيب مباشرة، فذهبوا به إلى سيدي، فقطعه عضوا عضوا. هكذا سمعنا أحمد بن اعلي خملش يحكي مرات كثيرة، ومحله من الصدق والدين معروف عند العامة والخاصة. وقد جرت بين الشيخ سيديا وإبراهيم بن حيده في الأمر مراجعة وحكاية شهيرة». انتهى ما كتب به إلي إسماعيل بن الشيخ سيديا. والله أعلم بحقيقة الأحوال والصادق من الأقوال». أحمد سالم بن باگا، ص304.

201 المصدر نفسه، ص301.

سيدي علم كنه الأمر، فقال له سيدي إنما أريد نصحك لا غير. فقال: إذا كان ذلك، فالرأي أن تقتل القتلة ولا يؤويهم أحد إلا كنت عليه حربا.

وأما اعلي بن محمد الحبيب فكان في تلك الليلة في حي خارجا عن المحصر، وكان حديث عهد بعرس فنام في بيته، فجاءه أحمد بن امحمد شين بعدما علم بما بيته النفر، فبات يحرسه لمودة كانت بينهما. فلما أصبح وعلم بالخبر ركب إلى المحصر، فوجد سيدي قد جهز الجيش لتعقب القتلة، وكانوا قد فروا باتجاه آفطوط الساحلي فأدركوهم عند تندرشين (15 كلم جنوب شرق انواكشوط) فتقاتلوا حتى لم يبق منهم بحلول الزوال إلا سيدي أحمد بن اعلي خملش، وكان بطلا فلم يقدروا عليه إلا بعد العصر بعد ما نفذت ذخيرته ثم قتلوه[202]. ولم يبق من قتلة الأمير محمد الحبيب إلا المبارك بن سيدي أحمد بن امحمد شين الذي عميت أخباره حينئذ.

وخلف محمد الحبيب تسعة أبناء، هم: سيدي، وهو أكبرهم، أمه امبيريكه بنت عمير، واعلي وأمه چنبت ملكة الوالو، وأحمد سالم، وإبراهيم السالم، وأعمر سالم، والمختار السالم، والافجح، ولبات، ومحمد الحبيب، ولد بعد موت أبيه فسمي باسمه، وهؤلاء أمهم فاطمه بنت محمد بن امحمد بن سيدي أحمد رئيس أولاد ساسي.

14- إمارة سيدي بن محمد الحبيب:

وتولى سيدي الإمارة بعد أبيه محمد الحبيب، وكان أميرا عادلا، اعتمد في الحكم على أخواله خندوسة، وقرب سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل، بعدما استنقذه من القتل في أعقاب اغتيال أبيه محمد الحبيب فظل مستشارا له حتى قتلا معا. وكانت اخديجه بنت سيدي أحمد بن ابراهيم خليل زوجة له. كما قرب سيدي أخاه اعلي أكثر من إخوته الآخرين أبناء فاطمه. وواصل الأمير سيدي اتجاه أبيه في مقاومة نفوذ الفرنسيين في المنطقة رغم أن ميزان القوى رجح لصالحهم منذ اتفاقية 1858م (1274هـ).

وتميز عهد سيدي عموما بالاستقرار الداخلي وبالسلم الخارجي مع جيرانه، فلم يحارب في فترة حكمه[203].

---

[202] المصدر نفسه، ص302.

[203] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص118. وقال أحمد سالم بن باگا: «لم ينقل من الوقعات في عهده إلا وقعة "أمگجار"، وكان من خبرها أن ولد مگيه أغار على أحياء من أهل القبلة عند لوتد، وهو موضع سمي بذلك لأن به ريعة كأنهم يشبهونها بالوتد، وهو عن غرب المذرذرة يميل إلى الشمال قليلا بينهما 20 كلم، فنهب أموالا، فاستنفر سيدي في طلبه جيشا أمر عليه ابن حبيني فأدركه بالبراويات، وهي رمال ووهاد بين تارگة

ووقع سوء تفاهم بينه وبين أمير البراكنة سيدي اعلي بن أحمدو فدخل أرضه بالسلاح، ولكن بدفع من فيديرب وبوساطة من شمش إيدوالحاج محمذن فال بن عبد الله بن المختار عاد السلام بين الطرفين في سبتمبر 1864م (ربيع الثاني 1281هـ).

وانعقد أمر إخوته لأبيه أبناء فاطمه مع الترجمان اخيارهم بن المختار بن سيدي وبتأييد من أخوالهم أولاد دامان على اغتيال الأمير سيدي ومستشاره سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل سنة 1288هـ/ 1871م[204] فهجم عليه أخوه أحمد سالم وزفانه يوسف بن اكليب فأجهضاه ولم يمت حتى ضحى الغد. وهجم همر فال بن بوزفره وابن اعلي بن التونسي على سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل فقتلاه[205]. وكان الأمير سيدي ومستشاره ليلتها في حي من أولاد أحمد بن دامان أغلبه من خندوسة، ومعهم آل محمد بن سيدي المختار بن الشرغي العزوني عند بوركبه، وهو بئر جنوب شرق اخروفة (14 كلم جنوب غرب المذرذرة).

15- إمارة أحمد سالم بن محمد الحبيب:

وبعد مقتل سيدي بن محمد الحبيب أعلن قاتله أحمد سالم بن محمد الحبيب كبير أولاد فاطمه نفسه أميرا في الحال[206]، وخاض اعلي الذي جند جيشا من الترارزة الكحل

وءامليل. فقتل ابن مگيه وأصحابه اثنين من الطلب، ورجع الجيش صفر الأيدي، فاستنفر سيدي جيشا جرارا من عند احسي سيدي، وهو قريب من لوتد، فلم يزل هذا الجيش سائرا وعلى رأسه الأمير سيدي حتى دخلوا محلة أولاد احي بن عثمان بأمگجار وانتصروا في هذه الوقعة، وغزي (غزو) تيكرارين، وهو جيش غزا به سيدي قاصدا أولاد احي بن عثمان في آدرار، فلما بلغوه لم يبرز إليهم أحد، وصاروا يطوفون حول حائط آدرار، فلأجل ذلك سمي الجيش"غزي كوراره"، وهو الدوران. وبعد هاتين الغزوتين لم يغز أولاد احي بن عثمان الترارزة». وقال غيره: معنى غزي كورارة غزي المحصر فكورارة والمحصر بمعنى واحد. ولم يذكر هاتان الحادثتان أي مرجع متداول غيره. انظر أحمد سالم بن باگا، ص310.

[204] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص139.

[205] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص351.

[206] قال أحمد سالم بن باگا: «لما فرغوا من دفن سيدي ارتحلوا يريدون أولاد السيد عند احسي إبراهيم شمال غرب المذرذرة، ثم أجمعوا أمرهم على إرسال أحمد بن امحمد شين إلى اعلي ليبايعوه أميرا لأخذ ثأر سيدي من أولاد فاطمه، فلما أتاه امتنع من حرب إخوته التي دعته إليها الجماعة. ثم إن أولاد محمد الحبيب غزوا بمن معهم من الترارزة يريدون الطائفة المذكورة التي كانت تريد أن تؤمر اعلي، فخافوا وذهب محمد بابه بن سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل ومحمد مولود بن محمد بن سيدي ومالكيف بن سيدي أحمد بن امحمد شين وسيدي أحمد بن اعلي بن محمد وسيدي أحمد بن بكار إلى أهل الشيخ سيديا ليأمنوا على أنفسهم، ثم ذهب إلى اعلي محمد امبارك بن اعلي بن محمد في طائفة، ثم ذهب إليه أيضا النفر المذكور آنفا: محمد بابه ومالكيف ومن معهما وتلاحق الجميع وراء البحر بانداركور، وهي قرية چنبت أم اعلي بن محمد لحبيب. ثم أتاهم هناك المختار السالم بن محمد الحبيب واخيارهم بن المختار بن سيدي بن عبد الوهاب وافدين من عند أولاد فاطمه، واعدين اعلي بالإمارة ولم يأمنهما اعلي، بل علم ما يريدان، فقال لمحمد امبارك بن اعلي بن محمد: اشغل عني اخيارهم حتى ألتقي بأمير اندرأنا والمختار السالم، وذلك أن اعلي يعرف أن اخيارهم رجل حصيف، فشغل محمد امبارك اخيارهم كما قال له اعلي، وبادر اعلي بلقاء أمير اندر مع المختار السالم قبل أن يلحق بهما اخيارهم، فلما التقوا طلب المختار السالم من أمير اندر أن يكتب إمارة الترارزة لاعلي، وأحس اخيارهم بالخطة فجاء مسرعا لكن السيف كان

وأخواله من الوالو سلسلة من المعارك ضد أخيه أحمد سالم وشيعته من أولاد أحمد بن دامان وأولاد دامان أهمها معركة "اجله" شمال المذرذرة (سنة 1288هـ/ 1871م)، انهزم فيها أحمد سالم، ثم معركة "ملزم ازريبه" سنة 1871م، كان مع أولاد فاطمه فيها أولاد دامان، وأولاد الفاغي، وإيدوعيش الذين استنجد بهم أحمد سالم بعد وقعة "اجله"، فانهزم أولاد فاطمه كذلك، ثم وقعة "أيشايه" (في ربيع الأول 1290هـ/ مايو 1873م) غرب بوركبه، وفي هذه المعركة قتل أحمد سالم وعدد من رجاله، وانهزم قومه وحلفاؤه إيدوعيش هزيمة قوية[207].

16- إمارة اعلي بن محمد الحبيب:

وبمقتل أحمد سالم بن محمد الحبيب استتب الأمر لاعلي بعد أن عقد صلحا مع بقية إخوته من أولاد فاطمه، وكان قوي السلطان منصور الراية، استمر حكمه بلا منازع من 1873م إلى 1886م (1290/ 1303هـ)، وإن ظل يتعرض بين الحين والآخر للشقاق والمواجهة من طرف إخوته وشيعتهم كما هو الحال في معركة "إيدماتن" سنة 1296م/ 1879م التي مات فيها خلق من الطرفين[208].

قد سبق العذل فوجد الإمارة قد كتبت لاعلي بطلب من المختار السالم، ثم ألبست الجماعة السروال الأبيض -الذي كان من خصائص الأمير- لاعلي. وأول ما سعى فيه اعلي بعد تنصيبه، أن طلب من أمير اندر أن يمنع المختار السالم من تجاوز نهر ابچك (نهر السينغال) فأمسك في اندكوك (ريشاتول) بأمر من الوالي في اندر». أحمد سالم بن باگا، ص345.

[207] قال أحمد سالم بن باگا في شأن وقعة أيشايه: «غزا أولاد محمد الحبيب (أولاد فاطمه ومن معهم) اعلي بجيش كبير فيه أولاد دامان، وفيه رجال من إيدوعيش، منهم المختار بن اسويد أحمد، وابابه (بباءين مفخمتين مشددتين) بين بنيوگ، ومحلة اعلي حينئذ عند (أغورط)، وهو بئر في الجنوب الغربي من المذرذرة بينهما 8 كلم تقريبا. فلما علم اعلي بالجيش خندق، فلما أحس الجيش بذلك تجنبوهم، ثم نزلوا أيشايه، فراح اعلي بمن معه وسار حتى نزل بوركبه، شرقي أيشايه فعرس به، وركب مائتا فارس من جيش اعلي تلك الليلة إلى جيش أولاد محمد الحبيب فوجدوهم مخندقين، فحملوا عليهم، واقتحموا الخنادق وهزموهم، فلما سمع اعلي صوت البارود قد شرق ارتحل فأتوا جيش أولاد فاطمه من أمامه، فلما حملت عليهم خيل اعلي انهزموا إلى جهة المشرق من حيث أتوا فصادفوا اعلي في فئة من جيشه فكانت تأتيهم الخيل من خلفهم ومن أمامهم، فانهزموا وقتل أحمد سالم بن محمد الحبيب تلك الليلة.. وكانت هذه الوقعة سنة1290هـ. وصفة قتل أحمد سالم بن محمد لحبيب إنه لما وقعت الهزيمة تحصن بشجرة فعرفه إبراهيم بن بيرم فدخل عليه، وكان أحمد سالم شديدا فنادى أبن بيرم على أصحابه أن هذا أحمد سالم، فحمل عليه أحمد بن الكوري، وهو مولى لاخديجه بنت سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل فقتله في حين إنه يعتلج مع ابن بيرم هذا أيضا مولى». أحمد سالم بن باگا، ص369-370.

[208] نقل أحمد سالم بن باگا: «لما كانت وقعة "أيشايه" التي مات فيها أحمد سالم بن محمد الحبيب طلب أولاد محمد الحبيب من أخيهم اعلي السلم، فأجابهم إليه ولم يزالوا في سلم حتى قتل أولاد السيد إبراهيم اش وابن أخيه سيدي يعرف بن المختار اش، وهما من أهل أعمر آگجيل لما بين هذين الحيين حينئذ من العداوة، فخرج أولاد محمد الحبيب على اعلي لأن القتيلين من شيعتهم، ثم جنحوا أيضا إلى السلم معه فجنح لها فلم يزالوا في سلم حتى لطم محمد فال بن سيدي عمه أعمر سالم جراء كلام، فآل الأمر إلى أن ارتحل أولاد محمد الحبيب إلى الناحية الشرقية من بلاد الترارزة، وخرج معهم إبراهيم بن سيدي بن محمد الحبيب وكان ابن خالتهم، ومعهم أيضا سيدي محمد بن سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل وهو ابن أختهم عيشه فأتوا أخوالهم من أولاد دامان فغزوا محلة اعلي وكان مرتحلا من آگنيتير يريد إگيدي وانولان حيث يقضي زمن الصيف عادة فادارگوا عند أيدماتن واقتتلوا فظهرت شجاعة اعلي وأصحابه يومئذ فهزموا أعداءهم، ومن مشاهير القتلى في هذه الوقعة: الافجح بن محمد الحبيب». أحمد سالم بن باگا بتصرف، ص371.

ولما لم يبق من أبناء محمد الحبيب من زوجه فاطمه إلا أعمر سالم أتى أخاه اعلي فاصطلح معه وأخلص كل منهما للآخر[209].

وكانت لاعلى بن محمد الحبيب تقاليد في الحرب مشهورة، منها أنه كان لا يطارد، ولا يصول، ولا يأبى الصلح، ولا يقاتل حتى ينذر عدوه، وكان يضرب مغرما على من أحدث شجارا أو فتنة، ويأخذ على يد الظالم ويعاقبه، فقل الظلم في عهده.

وعرفت العلاقات التروزية الفرنسية في عهد الأمير اعلي انتعاشا، فقد كان على صلات مع الفرنسيين ومع أخواله الوالو قبل توليه الإمارة، وقد ساهمت الاتفاقيات التي وقعها مع الوالي بريير دي ليل في 24 أغسطس 1877م (14 شعبان 1294هـ) و2 إبريل 1879م (10 ربيع الثاني 1296هـ) في توطيد الروابط بين مستعمرة السينغال وإمارة الترارزة، فقد نصت الاتفاقية الأولى على حماية الفرنسيين وممتلكاتهم في الترارزة وحماية الترارزة وممتلكاتهم في المنطقة الفرنسية، ونصت الثانية على إغلاق محطتي دگانه واندر، وجعل التبادل حرا، ولم تعد النسب الممنوحة للأمير وشمش إيدوالحاج تتناسب طرديا مع كميات العلك المبادلة، وإنما أصبحت خراجا سنويا تدفعه السلطات الفرنسية للأمير أو لشمش إيدوالحاج (1200 بيصة 200 منها لشمش إيدوالحاج بموجب اتفاقية 22 مايو 1880م/ 12 جمادى الثانية 1297هـ)[210].

وتوطدت مع الوقت علاقات إمارة الترارزة مع الفرنسيين، وإن لم تسلم هذه العلاقات من بعض التوتر أحيانا.

كما عرفت علاقات الأمير اعلي مع أمير آدرار أحمد بن امحمد ابن عيده بعض التوتر، ثم تصالحا سنة 1302هـ/ 1884م[211].

وفي سنة 1303هـ/1886م اغتيل اعلي على يد أبناء أخيه سيدي بقيادة أحمد بن سيدي بن محمد الحبيب الملقب بولد الديد، بالتواطؤ مع الترجمان اخيارهم، فقد وجد

---

[209] نقل أحمد سالم بن باگا كيفية مقتل أولاد فاطمه من أبناء محمد الحبيب فقال: «ولم يبق أحد من أولاد محمد الحبيب (من أولاد فاطمه) إلا أعمر سالم بقي فردا، أما أحمد سالم فقتل أميرا في المعركة بأيشايه، وقتل المختار السالم عند بظي، وهو بئر جنوب التاگلالت، أتاه رهط من أولاد البوعليه من شيعة اعلي متنكرين في هيئة رفقة من الزوايا، عندهم حمر وعليها ظروف، وكانت مدافعهم في تلك الظروف، فقتلوه غيلة، وقتل الافجح بأيدماتن، وقتل بعده لبات في وقعة "أدنش"، وقتل لعلب شيعة اعلي كذلك إبراهيم السالم». أحمد سالم بن باگا، ص377.

[210] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص133.

[211] احتضنت قبيلة أولاد بسباع هذا الصلح عند الغوج (جنوب تيرس) في شتاء 1302هـ/ 1884م، وحضره أعيان قبائل الإمارتين، وسمى أهل الساحل هذا العام بـ"عام الحصره". تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص50.

أولاد سيدي على اعلي لمسالمته لأعمر سالم، وأغراهم قوم من أولاد أحمد بن دامان بقتله، فاغتالوه وقتلوا معه زوجه المگبولة بنت اعثيمين اللبية، وابنه محمد، وكان صبيا، ولم يقتل قبلهما في حروب أولاد أحمد بن دامان صبي ولا امرأة. وكان عدد قتلة اعلي ثلاثين رجلا[212].

وكان اعلي أميرا غنيا محظوظا اجتمع له ملك الضفتين، كما كان شجاعا بطلا مقداما لم ينهزم قط، ولإدراك قتلته لقوته وشجاعته لم يتمكنوا من قتله دون أن يقتلوا معه زوجته وابنه.

17- إمارة محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب:

وكان محمد فال أكبر أبناء سيدي بن محمد الحبيب غائبا إبان مقتل اعلي، وبلغه الخبر فعاد على الفور، وأعلن نفسه أميرا. غير أنه لم يحصل على إجماع الترارزة، إذ لجأ أحمد سالم بن اعلي الملقب بياده إلى اندر لطلب الدعم من الفرنسيين، وأخذ يجمع الأموال ويحشد الأنصار، ويعلن ترشحه للإمارة، بينما أعلن أعمر سالم بن محمد الحبيب من جانبه حقه في خلافة أخيه اعلي وحصل على دعم أخواله أولاد دامان.

ودارت بين أعمر سالم وابن أخيه محمد فال معارك دامت ثلاثة أشهر منها يوم "ابدكوت"، قتل فيها من جانب أولاد سيدي جماعة من بينها ولد الديد (أحمد بن سيدي) وأحمد بن بوزفره وغيرهما، وقتل من جانب أعمر سالم الأخوان أعمر والمختار ابنا اعلي الكوري وغيرهما[213]، ويوم "مشرع ابيليل"، ويوم "انبطان"، كلها في 1304هـ/ 1886م، وكان النصر فيها سجالا بين الطرفين، ثم ذهب محمد فال بن سيدي مطلع 1787م (1304هـ) دون علم طائفته، فأتى أعمر سالم فجأة وخلع له سروال الإمارة الأبيض، وقام أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب (بياده) في نفس اليوم باغتيال محمد فال ثأرا لمقتل أبيه اعلي[214].

18- إمارة أعمر سالم بن محمد الحبيب:

---

[212] أحمد سالم بن باگا الذي سمى من مشاهيرهم: أحمد بن سيدي بن محمد الحبيب المشهور بأحمد ولد الديد، وأخوه بابا بن سيدي، ومحمد بونه والمختار ابنا اعليه، واعلي بن أحمد ديه، وابنه أحمد يوره، وأحمد محمود بن إبراهيم اخليل، وسيدي ميله بن محمد مولود بن امحمد بن سيدي محمد بن بوبكر سيره، والمختار بن امحمد بن أحمد بن سيدي، وامبارك بن أوليده من أهل عبله، ومولیان هما: محمذن مولود بن اعبيد بن ميلود، ومحمد بن لحريطيني. أحمد سالم بن باگا، ص376-377.

[213] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص118. وقال: «قال أبوهما عند رؤيته إياهما بعد أن أصيبا: هذا أشرف ما يحدث لأولاد العرب».

[214] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص357.

وبعد مقتل محمد فال استتب الأمر لأعمر سالم في ما بين 1887م-1893م (1304/ 1311 هـ)، وكانت أيامه أيام رخاء وعافية حتى ثار عليه أحمد سالم بن اعلي سنة 1308هـ/ 90-1891م، بعد أن كان كل أبناء سيدي قد ماتوا[215]. وكان لتنامي استياء أولاد أحمد بن دامان من الحظوة التي تمتع بها أولاد دامان في ظل أعمر سالم (وكانوا أخواله وأصهاره)، ونقمة الفرنسيين من عدم تعاونه معهم في مطاردة ثوار كايور بقيادة لات ديور اللاجئين عند بكار بن اسويد أحمد الدور الأساس في خروج أحمد سالم على عمه وإعلان نفسه أميرا للترارزة ابتداء من 1891م (1308هـ). ولعب المترجم اخيارهم دورا في تمكين أحمد سالم من اعتراف الفرنسيين به، وذلك أن أحمد سالم بن اعلي وصل إلى اندر في بداية 1891م (أواسط 1308هـ) وطلب الاعتراف من الوالي الفرنسي، وبادر الأمير أعمر سالم بفعل الشيء ذاته خشية أن تعترف فرنسا بمنافسه، وانتقل الوالي إلى لساطور (ريشاتول) لحل القضية، وضرب للطرفين موعدا، لكن أعمر سالم لم يأت بسبب خدعة دبرها له الترجمان اخيارهم، فأعلن الوالي على الملأ بعد أن طال انتظاره لأعمر سالم، وبعد أن اطلع على تقارير لفقها اخيارهم ضد أعمر سالم، أنه لم يعد يعترف بأعمر سالم أميرا، وأن حمايته ومدده قد آلا إلى أحمد سالم بن اعلي[216]. ووقع أحمد سالم مع الفرنسيين معاهدة حماية في 8 أكتوبر 1891م (5 ربيع الأول 1309هـ) نصت على طلب الأمير أحمد سالم وضع الترارزة تحت الحماية الفرنسية مقابل دعم الفرنسيين له في حالة الاعتداء عليه، وعدم الاعتراف بأي أمير يغتاله ليحل محله، ومنح الفرنسيون أحمد سالم ألفي بيصة من النيلة سنويا، كما أشرفوا على إبرام اتفاقية 25 مايو 1892م (28 شوال 1309هـ) بينه وبين يمار امبودج ملك الوالو الذي حارب إلى جانبه ضد عمه أعمر سالم. ولم يبخل الفرنسيون بدعمهم المادي والمعنوي لأحمد سالم بن اعلي إما بشكل مباشر أو بواسطة حليفيهما يمر امبودج ملك الوالو وسيدي اعلي بن أحمدو أمير البراكنة.

وضعف جانب أعمر سالم بعد أن تخلى عنه معظم طائفته من أولاد أحمد بن دامان، ولم يعد يعتمد إلا على أولاد دامان ولعلب. واستمرت المناوشات بين الطرفين (يوم "الحيمر"، ويوم "تنضلها"، ويوم "الگانه"، ويوم "انتيشيليت" (في 1310هـ/ 1892م)، ويوم "وازان"، ويوم "تغطفت" (في 1311هـ/ 1893م) الذي قتل فيه أعمر سالم سنة 1311هـ/1893م قتله سيدي المختار بن الژريگه عند خليج جيوه فانفرد أحمد سالم بالإمارة.

[215] مات ولد الديد وبابه أخوا محمد فال في المعارك الأخيرة التي دارت بسبب النزاع على الإمارة.
[216] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص357.

19- إمارة أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب:

وعرفت إمارة الترارزة في أول عهد أحمد سالم بن اعلي الذي بدأ سنة 1311هـ/ 1893م فترة استقرار دامت عدة سنوات، لم يتخللها من الأحداث البارزة سوى حرب أولاد أبييري وإيچيچبه التي اندلعت في نفمبر 1895م (جمادى الأولى 1313هـ) إثر تنازع جرى بينهما على ملكية ثلاث آبار في آمشتيل حيث تتداخل أراضي القبيلتين هي بوطلحاية واحسي العافية وأغدكل. ومن أبرز أيام هذه الحرب يوم "أودن" الذي وقع سنة 1314هـ/ 1897م، وذهب بعده أولاد أبييري، تحسبا لهجوم مضاد يشنه إيچيچبه بمؤازرة أنصارهم من أولاد السيد البركنيين، إلى أولاد أحمد بن دامان رؤساء الترارزة طلبا لمؤازرتهم، وطال مكثهم مع محصر الترارزة حتى نهض الأمير أحمد سالم في جيش جرار قاصدا البراكنة حيث إيچيچبه وسندهم من أولاد السيد، وكان أحمد سالم راغبا في نصرة بابا بن الشيخ سيديا وأولاد أبييري من جهة، محجما من جهة أخرى عن غزو أصهاره البراكنة فقد كان متزوجا بفاطمه بنت سيدي اعلي، أخت أمير البراكنة أحمدو بن سيدي اعلي، فسار بالجيش حتى وصل إلى اللگات (بالجانب الشرقي من شمامة الترارزة)، ثم أرسل رسولا إلى أمير البراكنة أحمدو بن سيدي اعلي يحثه هو وإيچيچبه على الصلح والإتيان للتفاوض بشأنه، فأتاه الأمير أحمدو في وفد من كبراء البراكنة وبعض قادة إيچيچبه، وتصالح الجمعان صلحا انتهت بموجبه الحرب بين الطرفين سنة 1899م (1317هـ). وقد سمي هذا الغزو الذي قاده أحمد سالم بن اعلي بعد هذا الصلح بـ"غزي اجبار"[217].

---

[217] وتقول الرواية الشفهية إن الشاعر المعروف سيدي محمد بن سيديا بن الطالب الأبييري وجه بهذه المناسبة شعرا لأحمدو بن سيدي اعلي ليثنيه عن المجيء، ومما قال سيدي محمد:

گولْ الْ شِيخْ امحاصر جِگـاتْ	وأهل المرْصَ واتْوَيكِـرْنَاتْ
وأهل الوادْ ءُ حكمْ اكْدَيـــاتْ	أرْدِبانَه عني نبغِـــــيهْ
أخيارْ أولاد العربيــــاتْ	نجْعْ أولاد امحمدْ بريــــهْ
أعني عاجبْنِ فاللي فَــاتْ	واللي مَزَالْ إعِسْ اعليــهْ
لاَجَ شِيخْ أحمد بنْ دَمَــــانْ	منْ ساحلْ جامعْ كلْ ازمَـانْ
من تروزْ إگودُ باعْنَــــانْ	يحْذرْ منْ شِ شينْ إواسِـيهْ
شَيْنْ اعليهْ إلكان اليَــــانْ	ذاكْ المحال ءُ شينْ اعليــــهْ
لمجِ گاعْ أخبَارُ سلطــــانْ	ينگادْ الخلقْ إرَاعِ فيـــــهْ
واعْدْ سلطانْ افظهرْ الشـــرْ	أسغرْ من جامعْ محصَــــــرْ
من لعدُ والخلق امگـــــزرْ	يتناعت واگول أراعيـــــهْ
جانَ ينگادْ أللهْ أكبَـــــرْ	مشيَنْ عندِ ذاكْ إواسيـــــهْ
خايِفْ منْ حادثْ مولْ اعْكــرْ	مالُ قدرَ فل ناشِيــــــــهْ
والَ مرسول إج باكــــلامْ	من عندُ خايف من تگــدامْ
الامرْ اعليهْ إعنتَتْ فاخيَـــامْ	بَرْكني واجبْ لينْ إجيـــهْ
والل يحصَرْ وافوتْ عــــامْ	حاصرْهُمْ غلظُ لا يرخـيهْ

وخرج سيدي بن محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب على الأمير أحمد سالم بن اعلي، ومعه في ذلك أخوه أحمد (ابن الديد) بن سيدي، ولقي سيدي بن محمد فال بن سيدي الدعم من الوزير اخيارهم الذي انضم إليه بعدما أقاله أحمد سالم، كما لقي الدعم من أولاد دامان ومن عدد من أولاد أحمد بن دامان، فلبس السروال الأبيض وأعلن نفسه أميرا للترارزة سنة 1319هـ/ 1901م[218]، وشن الحرب على أحمد سالم.

وبعد سلسلة من المعارك الدامية (المصران[219]، اتويدرمي العريه[220]، انبيگده[221]، جيگينه[222]، سهوة الماء[223]، اخريبگه[224]) لجأ أحمد سالم خلالها مرتين إلى دگانة بالضفة اليسرى لجمع العدة والعدد، تهادن الفريقان بحضور الفرنسيين الذين قرروا التدخل بصورة مباشرة في أرض البيضان، وبدأوا تدخلهم في بلاد الترارزة بإنزال أول فرقة عسكرية في مايو 1902م/ محرم-صفر 1320هـ بمنطقة سهوة الماء الواقعة شمال بحيرة الركيز، كما أخذوا في محاولة كسب قبائل المنطقة. وقرر الفريقان الهجوم على مركز انواكشوط الذي أسسه الفرنسيون مع مركز اخروفه مطلع 1903م (شوال 1320هـ) في نفمبر من نفس السنة (شعبان 1321هـ) لكن الفرنسيين علموا بالخطة ففشلت.

ءُ يعرفْ عن ذَ مزَالْ إفــوتْ   واتعُودْ أولادْ آدمْ تحكيــــهْ
يعرف عَنْ فرظ اعليهْ إمُــوتْ   والرگ ماهِ فرظ اعليــــهْ

ولم يقع الصلح النهائي بين أولاد أبييري وإيچيچبه إلا عام 1330هـ (1912م) بإشراف الإدارة الفرنسية، وبموجب هذا الصلح أصبحت الآبار محل التنازع تستغل من طرف القبيلتين بالتساوي.

وقد قيل في يوم "أودن" المذكور، وما رافقه من أيام حرب أولاد أبييري وإيچيچبه شعر حساني جيد محفوظ، أشهره ما دار بين البو بن امينْ الإيچيچبي وسيدي محمد بن الطالب الأبييري. ومما ذكر فيه من هذا الشعر دور الأمير أحمد سالم بن اعلي (بياده) ما قاله البو بن امين:

أحمدْ عندُ جيش إجـرٌ   بيه امْطوع كل امديــنَ
واخوالفْ زينات إسـرٌ ء عندْ لمراكِيبْ الزيــنَ
يغير النفعُ والضــرٌ   من تلقاء خالقيــــنَ

فقال الأمير:

لحلگْ لي للي ما وحـدْ   لين اعمل مسكين اعليــنَ
عنٌ سابگ توحيدُ بعــدْ   يعرف گط أن عربيــــنَ
بعد أعيَ ينفع بينَ حـد واعي زاد إظرٌ بيــــــنَ

[218] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص121.

[219] قتل فيه سيدي جو أخو الأمير أحمد سالم.

[220] قتل فيه من جانب أولاد سيدي نصيرهم ابن همد فال العبلي، ومن جانب أحمد سالم عدد من أولاد بنيوگ، وغيرهم.

[221] قتل فيه من جانب أولاد سيدي محمد لوليد بن امبارك الداماني من رؤسائهم.

[222] قتل فيه من جانب أولاد سيدي نصيرهم تيدشمه العبلي، ومن جانب أحمد سالم بوبكر بن المختار بن آغنيب، ومحمد بن صمبه فال ورجال من أولاد البوعليه.

[223] مات فيه اعلي بن أحمد ديه، وسيدي بن سيدي يعرف.

[224] وتسمى أيضا الشويطره لسرعة ما جرى فيها، وقعت سنة 1320هـ/ 1902م، مات فيها خلق من الطرفين.

وأراد القائد الاستعماري الفرنسي كبلاني (اكزافيي كوبولاني) الذي عينته فرنسا لاحتلال بلاد البيضان أن يتقرب من سيدي الذي كان حليفا لبابا بن الشيخ سيديا فاستجاب سيدي لكبلاني، وأعلن يوم 13 مارس 1904م (25 ذي الحجة 1321هـ) اتفاقه مع الفرنسيين[225]، ثم سافر إلى اندر للتفاوض معهم لكنه لم يتمكن من إملاء شروطه، فقد كان الفرنسيون يخططون لاحتلال البلاد، ولم تعد الاتفاقيات السابقة مناسبة لهم، فعاد سيدي إلى التفاوض مع أحمد سالم –الذي كان نازلا عند أولاد بسباع[226] في نهاية 1904م (شوال 1322هـ)، وتصالحا في يناير 1905م (ذي القعدة 1322هـ)، وهاجما معا مركز اخروفه الفرنسي.

غير أن هذا التحالف لم يعمر طويلا، بل سرعان ما عبث به الفرنسيون، وكسبوا إلى جانبهم الأمير أحمد سالم بن اعلي الذي أعلن قبوله بالوضع الفرنسي الجديد في 13 إبريل 1905م (8 صفر 1323هـ)، قبل أن يغتاله أحمد ابن الديد بعد ذلك بخمسة أيام في 18 إبريل 1905م (13 صفر 1323هـ) ببئر انواكل (شمال بتلميت) ثأرا لقتله أباه محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب سنة 1887م-1304هـ.

وتأمر بعد أحمد سالم بن اعلي كل من أحمد سالم بن إبراهيم السالم بن محمد الحبيب، وأحمد (ابن الديد) بن محمد فال بن سيدي في عهد أحكم فيه الاستعمار قبضته على بلاد الترارزة.

[225] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص138.
[226] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص123.

إمارة البراكنة

تقع إمارة البراكنة في مجال جغرافي محاذ لإمارة الترارزة من جهة الشرق. وتعود تسمية البراكنة إلى المجال البشري والجغرافي الذي بسطت ذرية بركني بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر سيطرتها عليه. وتضم البراكنة كحال الترارزة مجموعات قبلية مختلفة الأصول والمكانة، فمن أشهر قبائل الزوايا في البراكنة قبائل إيچيچبه وتاگاط وإيدگچمله والدراوات وأولاد أبييري البراكنة. أما عرب الإمارة فيتألفون من ثلاث مجموعات هي: أولاد عبد الل بن كروم (عبد الكريم) بن ملوك (عبد الملك) بن بركني وهم خمسة: امحمد ومنصور وبكار والمختار واعلي، واليتامى وهم أولاد إخوة عبد الل: يحيى وأحمد (حومه) والگاوصي والشين آكرار وأميكاي، وأولاد أحمد بن عبد الجبار بن ملوك بن بركني. كان البراكنة أقوى قبائل المغافرة التي وصلت إلى المنطقة، وكانوا إذا اجتمعت حلل المغافرة يكونون هم الرؤساء، لكن صراعاتهم الداخلية أضعفت من قوتهم وأغرت بهم أبناء عمومتهم الترارزة الذين عانوا لفترة من تفوقهم السياسي والحربي. بدأ الصراع في البراكنة أولا بين أولاد كروم وأولاد عبد الجبار ابني ملوك بن بركني، ثم انتقل إلى حفدتهما فخاض أولاد اعلي بن عبد الل بن كروم الذين تمركزوا على روافد گورگول المجاورة لقرية مونگل الحالية، حيث كونوا رئاسة خاصة بهم هناك حربا ضروسا ضد أبناء عمهم اليتامى، لم تترك من اليتامى إلا

عائلات[227]، وانتشرت التوبة بين أولاد اعلي. وتعزز الانشقاق بين الحفدة بالصراع الذي اندلع بين أولاد نغماش وأولاد السيد ابني امحمد بن عبد الل.

ويتألف أولاد نغماش اصطلاحا من ذرية نغماش بن امحمد بن عبد الل بن كروم وذراري إخوته ابيش والناگظ واعليوها وذراري أعمامه المختار وبكار وويس واحميد واكريشات. وقد تاب أغلب أولاد الناگظ وأولاد ابيش وبعض أولاد نغماش، وكانت مواطنهم بين أگان وگيمي وجلوار[228]. أما أولاد السيد فتطلق اصطلاحا على ذرية السيد بن امحمد بن عبد الل بن كروم وذرية عمه منصور[229]. وفي هذين الفرعين (أولاد نغماش وأولاد السيد) تركزت إمارة أولاد امحمد بن عبد الل التي اشتهرت باسم إمارة البراكنة.

1- إمارة امحمد بن عبد الل بن كروم:

كان امحمد بن عبد الل بن كروم أمير البراكنة إبان مقدم المغافرة إلى بلاد الگبلة، وقائدهم في معركة "انتيتام" ضد أولاد رزگ (1040هـ/ 1630م)، ومات امحمد قبل شربُبه.

2- إمارة نغماش بن امحمد بن عبد الل:

وخلف نغماش أباه امحمد على إمارة البراكنة، وقاد جبهة البراكنة في حرب شربُبه التي وقعت في عهده، ومعه في قيادة الحرب ابن عمه بكار الغول بن اعلي بن عبد الل (تـ1092هـ، 1681م) والد الأميرة اخناثة التي تزوجها المولى إسماعيل وأنجبت له ابنه المولى عبد الله جد الملوك العلويين الحاليين بالمغرب. وتوفي نغماش سنة 1092هـ/ 1681م، ودفن قرب مال[230].

3- إمارة هيبه بن نغماش:

[227] سبب هذه الحرب أن بكار ونغماش ابني أعمر غرظو بن امحيمد نازعا ابن عمهما هيبه بن اعلي بن امحيمد، فقتلاه في يوم "گيمي" بإعانة من أخوالهما اليتامى، فلم تزل العداوة والمناوشات تقع بين الطرفين حتى تمكن اعلي بن هيبه من الانتصار على اليتامى وأبناء أعمر غرظو يوم "چگچگل"، ويوم "الگليته"، ويوم "فرع الطلحايه" ويوم "علب الكصره"، فكان ذلك سبب انقراض شأن أهل أعمر غرظو وأخوالهم اليتامى.

[228] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص143.

[229] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[230] ذكر موقع قبره پول مارتي، إمارة البراكنة، نشر أرنست لورو، 1921م، ص20.

وتولى بعد نغماش ابنه هيبه، وفي عهده وقعت وقعة "تجالْ" سنة 1100هـ/ 1689م التي انتصر فيها البراكنة وأولاد يحيى بن عثمان على إيديشلي. وتوفي هيبه سنة 1112هـ/ 1700م.

4- إمارة امحمد بن هيبه بن نغماش:

وتولى بعد هيبه ابنه امحمد، وفي عهده دخل البراكنة في حروب طاحنة مع اعلي شنظورة الذي اضطر امحمد بن هيبه إلى الجلاء عن أرضه ومصالحته، قبل أن تندلع الحرب بينهما من جديد وتستمر حتى وفاة الأميرين اعلي شنظورة عام 1139هـ/ 1727م وامحمد بن هيبه في العام الذي يليه (1140هـ/ 1728م).

5- إمارة أحمد بن هيبه:

وحل أحمد بن هيبه أخيه امحمد بعد وفاته. وأحمد هو الذي زار العلامة محمد اليدالي الديماني بلاده، وكان لأحمد بن هيبه مداحون يمجدونه على عادة رؤساء بني حسان، فسمع محمد اليدالي ما يقولون فيه فحذا حذوه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[231]، ونسج على منواله قصيدته الشهيرة التي مطلعها «صلاة ربي مع السلام»، فبلغ ذلك الأمير فغضب منه وأحضره فسأله عما بلغه، فقال له: جعلته في من هو خير منك، فسكت[232].

وفي عهد الأمير أحمد بن هيبه ساند البراكنة عثمان بن الفظيل، وكانوا أخواله في حربه ضد ابن عمه عبد الرحمن بن حمو حوالي 45- 1146هـ (32-1733م) التي قادت إلى تأسيس إمارة أولاد يحيى بن عثمان في آدرار. كما ساندوا أولاد امبارك ضد إيدوعيش في وقعة "آكرراي" سنة 1172هـ (58-1759م).

وفي عهده حارب أمير الترارزة المختار بن أعمر أولاد أحمد وكانوا حلفاء لأولاد رزگ ومعهم في أرض الترارزة، وأجلاهم إلى أرض البراكنة.

وتوفي أحمد سنة 1175هـ/ 1761م.

6- إمارة امحمد بن أحمد بن هيبه:

---

[231] كان من ذلك:

خبط نخبطه　　　لاه ننصحه　　　وانصيب انفعه　　　يوم القيام

[232] الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص223.

وتولى إمارة البراكنة بعد أحمد ابنه امحمد، وفي أول عهده وقعت وقعة "آنتر" سنة 1176هـ بين البراكنة وأولاد يحيى بن عثمان وأولاد منصور، ووقعة "فري" المشهورة بيوم "السليطينيه"، أغار فيها الزنوج على البراكنة، فهزمهم البراكنة هزيمة قوية، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة[233].

وفي سنة 1192هـ/ 1778م قاد الأمير امحمد المغافرة في حصار احنيكات بغداده ضد إيدوعيش الذي دام ستة أشهر، ولم ينفض حتى بذلت له إيدوعيش عطاء كبيرا مقابل انسحاب البراكنة من الحصار فانسحبوا[234].

وتوفي امحمد حوالي 1194هـ/ 1780م[235].

7- إمارة اعلي بن أحمد بن هيبه:

وتأمر بعد امحمد أخوه اعلي بن أحمد بن هيبه، وكان يعرف باعلي بوشبكه، ولم تقع في عهده أحداث تذكر.

8- إمارة احمياده بن اعلي بن أحمد بن هيبه:

ثم تولى احمياده بن اعلي بن أحمد بن هيبه، وقد امتاز عهده بالصراع مع أولاد أحمد من جهة، والشقاق بين أولاد نغماش وأولاد السيد من جهة أخرى، فقد اندلعت الحرب بين الطرفين عندما أجار المختار بن آغريشي السفن الفرنسية عند بطحاء ديه قرب بودور[236]، فحاربه لذلك احمياده. ولما أوقع احمياده بأولاد أحمد عند ثماراط، وقتل صهرا لبني عمه أولاد المختار بن نغماش مالؤوا أولاد أحمد على قتله، فقتله بابه بن اكنيت من أولاد أحمد سنة 1230هـ/ 1815م[237]. وبموت احمياده انقسمت الرئاسة بين أهل احمياده وأهل آغريشي الذين آلت إليهم الإمارة، مع بقاء نسبة من السلطة لأهل احمياده.

9- إمارة المختار بن آغريشي:

[233] ذكرعباس صو في "تاريخ الفوتيين" أن البراكنة قتلوا سليمان بال أحد أمراء فوته، فغزاهم المامي عبد القادرعند فري بمحاذاة نهر السينغال. راجع، سيدي أحمد بن أحمد سالم، تحقيق تاريخ ابن طوير الجنه، مرجع سبق ذكره، ص79، الهامش 231.

[234] لم يذكر المؤرخ هارون بن الشيخ سيديا هذا الأمير.

[235] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، إمارة البراكنة، ص21.

[236] محمد فال بن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص31.

[237] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص107.

وكانت إجارة المختار بن آغريشي للسفن الفرنسية قد جاءت إثر تأسيس الفرنسيين لمركز بودور سنة 1745م (1158هـ)، وقيام مدير شركة الهند الفرنسية بيير دافيد بتوقيع اتفاقية مع المختار بن أغريشي تمنحه الشركة الفرنسية بموجبها ضريبة عرفية، قدرها 48 بيصة من النيلة سنويا مقابل رعاية التبادل، فقد كان المختار بن آغريشي هو سيد الأرض التي شيدت عليها القلعة، كما كان ذووه (أولاد السيد) هم المتحكمين في تلك المنطقة، إلى حد أن الفرنسيين وأهل والو وفوته كانوا يعتبرون المختار بن آغريشي ممثل البراكنة الوحيد.

وعمل بيير دافيد على توطيد العلاقة بين هذه الأطراف وتقوية مكانة حليفه البركني خدمة لمصالح شركته في المنطقة.

ويبدو أن آثار عوامل التبادل مع الأوروبيين قد تضافرت مع العوامل الداخلية للإمارة، خاصة صراع العصبيات البركنية فيما بينها، الذي استفحل بعيد توقيع هذه الاتفاقية، فضلا عن دخول الإمارة في حروب شبه مستمرة مع الجيران (الترارزة، آدرار، تگانت...)؛ أنهكت سلطة أولاد نغماش من جهة وساعدت على توطيد سلطة أولاد السيد السياسية شيئا فشيئا من جهة أخرى، فبدأت سلطتهم كأمراء تتكرس في عهد المختار بن آغريشي وإن استمرت سلطة أولاد نغماش في إطار أضيق من إطار الإمارة، فخلف المختار الشيخ بن احمياده أباه احمياده، وخلف المختار الشيخ بعد موته سنة 1251هـ/ 1835م أخوه هيبه، وخلف هيبه ابنه المختار، وفي عهده دخلت فرنسا فهاجر إلى المغرب حيث قتله أحد أولاد منصور سنة 1325هـ/ 1907م[238].

وقد توفي أمير أولاد السيد المختار بن آغريشي في يوليو سنة 1766م (صفر 1180هـ).

10- إمارة محمد بن المختار بن آغريشي:

وحل محل المختار ابنه محمد لكن سلطته لم تترسخ إلا بعد موت احمياده، وإن كان انقسام محصر الإمارة قد حدث منذ وفاة المختار بن آغريشي (في يوليو سنة 1766م/ صفر 1180هـ).

وتذكر المصادر الأوربية أن محمد بن المختار بن آغريشى كان قد أصبح سيد البراكنة الأول في سنة 1779م (1193هـ)، فكان الإنگليز الذين احتلوا المحطات

[238] المرجع نفسه، ص108.

التجارية الفرنسية في ما بين سنة 1758م (1171هـ) و1783م (1197هـ)، يدفعون له الضرائب العرفية كأمير للبراكنة، ويؤدون له تحية الشرف (خمس طلقات مدفعية مقابل سبع لأمير الترارزة اعلي الكوري) حين يأتي إلى محطة بودور[239]. ووقع معه الفرنسيون في 10 مايو سنة 1785م (2 رمضان 1171هـ) اتفاقية تجارية اعترفت فيها فرنسا بمحمد بن المختار بن آغريشي كسلطان للبراكنة مقابل حظر تبادل البراكنة مع الإنگليز. وقد تعهد الأمير محمد بن المختار في المادة الثالثة من هذه الاتفاقية باعتراض القوافل المتجهة إلى محطة بورتانديك الإنگليزية.

وتحالف محمد مع الدولة المامية الناشئة في فوتا تورو، فشنا حربا على الترارزة كانت السبب في وفاة الأمير اعلي الكوري سنة 1200هـ/ 1786م.

وفي 29 مارس سنة 1793م (16 شعبان 1207هـ) أصدر الفرنسيون قرارا يحظر التبادل مع الأمير محمد بن المختار احتجاجا على سوء معاملته لرعايا فرنسا الذين كانوا يريدون أن يشتروا علك إمارته، ما لم يعتذر ويقدم رهائن للفرنسيين يضمنون معاملته لهم معاملة جيدة مستقبلا. لكن هذا القرار لم يطبق إلا سنة 1799م (1213هـ) بعدما أرسل أمير الترارزة أعمر بن كمبه إلى الوالي الفرنسي يعلمه بأن الأمير محمد بن المختار أرسل إليه يحثه على الانضمام إليه لمحاربة الفرنسيين[240]. ولم يعمر محمد بعد ذلك طويلا بل توفي سنة 1215هـ/ 1800م.

11- إمارة سيدي اعلي بن المختار بن آغريشي:

وتولى بعد محمد أخوه سيدي اعلي (سيدي اعلي الأول)، وكانت علاقاته بالفرنسيين جيدة، كما كان يرتبط بعلاقات وثيقة مع جيرانه الجنوبيين من أهل فوته، مما مكنه من التوسط بين الفرنسيين والدولة المامية، فقادت جهوده إلى توقيع اتفاقية 4 يونيو 1806م (16 ربيع الأول 1221هـ) بين الوالي الفرنسي ابلانشو والمامي عبد القادر[241]. وقد ثمن له الفرنسيون ذلك الدور فمنحوه هدية استثنائية.

ومع حلول عام (1220هـ/1805م) دخل سيدي اعلي في صراع مع الترارزة فوقعت بينهما وقعة "ديه" (قرب الكصيبه) عام 1220هـ/1805م.

[239] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد السابق، مرجع سبق ذكره، ص146.
[240] پول مارتي، إمارة البراكنة، مرجع سبق ذكره، ص22.
[241] المرجع نفسه، ص27.

وكان الأمير سيدي اعلي يتلقى الضرائب العرفية التي كانت مقررة لأبيه من قبله من طرف الإنگليز الذين عادوا لاحتلال السينغال وتوابعه سنة 1224هـ/ 1809م وطرف الفرنسيين معا. ويبدو أن علاقاته مع الفرنسيين كانت أوثق من علاقاته مع الإنگليز الذين وقع معهم اتفاقية تجارية في 7 يونيو 1810م (4 جمادى الأولى 1225هـ)، كما يتبين من الرسالة التي وجهها إلى الوالي الفرنسي اشمالتز في 1817م (1232هـ) يهنئه فيها على عودة الفرنسيين إلى اندر (سينت الويس)[242]، ويطلب منه دفع الضريبة العرفية التي وعدوه بدفعها إذا استعادوا حكم السينغال إلى حامل الرسالة.

وفي سنة 1818م (1233هـ) توفي الأمير سيدي اعلي.

12- إمارة أحمدو بن سيدي اعلي بن المختار:

وخلف الأمير سيدي اعلي ابنه أحمدو (أحمدو الأول) الذي حرص على استمرار علاقات إمارته الوثيقة مع الفرنسيين، وتجسد ذلك في اتفاقية 20 مايو 1819م (25 رجب 1234هـ) الموقعة بينه وبين اشمالتز التي أكدت صيانة العهد السابق بين الطرفين: (تأمين تجارة العلك وتسديد الضرائب العرفية، وصفاء الود والتعاون، والحياد في حروب الفرنسيين مع الأطراف الأخرى في المنطقة...) كما أقرت مبدأ التعاون على إقامة منشآت زراعية على أرض البراكنة في إطار مشروع الاستعمار الزراعي المزمع تنفيذه من قبل الفرنسيين في المنطقة.

وسيتنكر الأمير أحمدو لهذه الالتزامات بعد أشهر من توقيع الاتفاقية نتيجة لعدم رضاه عن تحويل وجهة المستعمرة الزراعية عن الأراضي المحاذية لإمارته، ومخافة الوقوع في العزلة إذا لم ينضم للتحالف التروزي- الفوتي المناهض للمشروع الفرنسي ومتبنيه من أهل والو، فضلا عن قلقه من أن يؤدي إنشاء اشمالتز لمحطة "باكل" التجارية التي تستهدف الاتجار مع إيدوعيش إلى تقويض أوإضعاف المحطات البركنية.

وعندما توقفت المناوشات بين الفرنسيين ومختلف الأطراف، أبرمت فرنسا اتفاقيات جديدة مع كل من الفوتيين والترارزة والبراكنة. وقد أبرم اتفاقية البراكنة مع الأمير أحمدو خلف اشمالتز لكوبي في 25 يونيو 1821م (24 رمضان 1236هـ)، وقد اعترفت له هذه الاتفاقية بضرائبه العرفية، ومنحته ضرائب جديدة مقابل حياده في النزاعات الفرنسية مع الجيران. ونصت الاتفاقية على أن الضرائب العرفية مرهونة

[242] محمد المختار بن السعد، مرجع سبق ذكره، ص147.

بالتبادل، وتدفع عند نهاية كل موسم باندر، كما نصت على تعاون الطرفين في مجال الزراعة.

وفي هذه الفترة (في أغسطس 1824م/ ذي الحجة 1239هـ)، عبر إلى البراكنة المستكشف الفرنسي ريني كايي المشهور لدى البيضان بولد كيجه. دخل إلى الإمارة قادما من بودور صحبة رجال الأمير أحمدو مدعيا الإسلام ومتنكرا في هيئة شاب مصري، فأقام في محظرة محمد بن سيدي المختار الإيچيچبي تسعة أشهر، قبل أن يغادر البراكنة في مايو 1825م (رمضان 1240هـ) عائدا إلى بلاده ومتخليا عن حلمه باجتيازه الصحراء عبر ولاته وتنبكتو انطلاقا من البراكنة[243].

ولم ينعم الأمير أحمدو بالأمن من قبل أبناء عمه أولاد نغماش الذين ضاقوا بسلب أولاد السيد لإمارتهم واستئثارهم بالضرائب العرفية دونهم، فاندلعت الحرب بينه وبين أولاد احمياده المطالبين بعرشهم، ومعهم ذووهم أولاد نغماش، ومعظم البراكنة، وحلفاؤهم أبكاك (إيدوعيش). وكان مع أحمدو قومه أولاد السيد، وأولاد أحمد، والشراتيت، وأهل أحمد بن امبرح (أحمد بن امحمد بن بكار بن موسى بن اعلي الناصري). وانتهت تلك الحرب، التي كان من أبرز أيامها يوم "جگه"، بمقتل المختار الشيخ بن احمياده في معركة "بچنگل" يوم 10 رجب 1251هـ (فاتح نفمبر 1835م). كان الشراتيت وأولاد أحمد وأهل أحمد بن امبرح في هذا اليوم مع أحمدو، بينما كان مع المختار الشيخ البراكنة إلا أولاد أحمد، وأبكاك إلا الگوانيط، وأولاد عائد، ومات في هذه المعركة 40 من أولاد أحمد و100 من أولاد عائد[244].

وانشق عن الأمير أحمدو أبناء عمه أولاد سيدي محمد بن المختار بن آغريشى المعروفون بأهل سيدي بسبب استئثاره دونهم بالضرائب العرفية. بدأوا انشقاقهم عنه بالاغارة عليه ونهب 200 رأس من أبقاره، ثم التحقوا بأولاد نغماش، وانضم إليهم قسم من البراكنة وأبكاك. وتبعهم الأمير أحمدو ومن معه، والتقى الجمعان عند "يوگه"، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس، خسر فيها التحالف المناهض لأحمدو 98 رجلا،

---

[243] بول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص47.

[244] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص108. وابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص32. وأضاف: «انهزم جيش المختار الشيخ ونهبت أمواله، وماتت معه مائة من أولاد عائد، ومات مع أحمدو أربعون من أولاد أحمد، فأتى أحمدو النساء وكساهن وأحسن إليهن، وقال لهن: إن كان سبب ما وقع بكن المختار الشيخ فأسأل الله أن يريحكن منه، وإن كان أنا فأسأل الله أن يريحكن مني، فمات المختار الشيخ بعد أسبوع. وكان أولاد أحمد قد قتلوا قبيل الوقعة رجلا من أولاد السيد ورحلوا باتجاه أولاد نغماش، فسار أحمدو في إثرهم فأتاهم ليلا وأعطاهم ما يدون به القتيل وأفراسا، فرجعوا معه، فسلب من يومئذ ملك أبناء نغماش».، ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص32-33.

بينما خسر الأمير أحمدو الذي انتصر في هذه المعركة، رغم قلة أفراد جيشه، 54 رجلا.

وانسحب أولاد سيدي المنهزمون إلى تگانت واستقروا بها إلى أن نجحت وساطة الشيخ سيديا الكبير في تسوية الخلاف بينهم وبين الأمير بعد جهد جهيد عبر عنه في رسالته التي وجهها إلى أحمدو، وجاء فيها: «... واعلم أني لما جاءني ابن عمك أحمد بن اعلي وأبلغني أنك بعثت إلي بكلام محصله طلب القيام معك على ساق الجد والاجتهاد، والتهيؤ والاستعداد، فيما يصلح بينك وبين أبناء عمك أهل سيدي، ويأتيك بهم للالتقاء بهم من قطرهم البعيد، أعملت الهمة في إحضارهم لدي، وصرفت الرغبة إلى الله تعالى في جمعهم علي، فجاء الله تعالى بهم إلي من غير مراسلة، ولا سابق مواصلة، قاصدين للزيارة ومنتهزين فرصة السبق رغبة في حيازة العمارة، فكلمتهم في السير إليكم والقدوم عليكم لأجل الملاقاة وطلبا للمصافاة، فإذا هو أبعد عندهم من السماء، وأعدم في قلوبهم من هباء الهواء. فمازلت أتلطف لهم وأتوكف من جاء بهم وأرسلهم، وأريهم عدم الرضى عليهم حتى هداهم الله للسمع والطاعة، والتزامها لنا أبدا على حسب الاستطاعة، فوجهناهم إليكم، ومعهم من ترونه من الوافدين عليكم. ولسنا نوصيكم على إجادة ما تصنعون معهم ولا مع غيرهم من الوافدين، وأهل الحوائج الراغبين، لعلمنا أنكم من أبناء الأكارم، وأرباب المكارم، ولا تحتاجون إلى تعليم ذلك، ولا إلى التنبيه على ما هنالك، مع أنا نؤكد عليكم في الأمر بإكرام أولاد سيدي، وإجزال الحظ لهم، والإقبال عليهم بأنواع التحف، وإرضائهم في جميع ما يرضيهم من أنواع الطرف، ولو علقوا رضاهم باستخراج الكبريت الأحمر، والدفين الأكبر، لأنهم خير لكم مما طلعت عليه الشمس من صفراء الدنيا وبيضائها، وزخرفها وزهرائها، "إذ المرء كثير بأخيه" ويد الله مع الجماعة والاجتماع رحمة والفرقة عذاب(...).

واعلم أني لا أرضى منك أن يرجع هؤلاء الوافدون عليك وهم غير راضين، وأني محذرك مما يوقعك في المواقع الرذيلة، ويحيد بك عن مكارم الأخلاق الجميلة. ومن مكارم الأخلاق أن تعفو عن من ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك...[245]».

وسيلقى أحمدو، بعد رأب صدع أهل سيدي بيسير، مصرعه عام 1256هـ/ 1841م على يد زوجته ليلى بنت الرسول الإيدوعيشية، التي سمته خطأ وكانت تريد

---

[245] محمد المختار بن السعد، مرجع سبق ذكره، ص147-148.

ضرتها (مولاة للأمير)، وابن ضرتها سيدي اعلي الذي لم يتجاوز عمره آنذاك ثماني سنوات. وضعت السم في شراب فشربه الأمير وأخوه محمد ووزيره فماتوا جميعا[246].

13- إمارة المختار بن سيدي:

وآلت خلافة الأمير أحمدو إلى ابن عمه المختار بن محمد بن سيدي محمد (سيدي) بن المختار بن آغريشي المعروف بالمختار بن سيدي، الذي تحالف مع أولاد أحمد وأولاد نغماش الأعداء التقليديين لأولاد السيد، سعيا منه إلى ضمان الحفاظ على منصبه الجديد أو وفاء للتحالف السابق بينهم وبين ذويه الأقربين (أهل سيدي) إثر انشقاقهم عن أحمدو بن سيدي اعلي، فقام معظم أولاد السيد المتخوفون من عواقب هذا التحالف بقيادة ببكر بن خدش (بكسر الخاء والدال المشددة) بن إبراهيم بن سيدي امحمد بن السيد، وبدعم من الوزير انچاك مختار الذي قام الأمير المختار بن سيدي بخلعه بإعلان معارضتهم للأمير الجديد وعينوا ابن عمه محمد الراجل بن المختار بن سيدي محمد (سيدي) بن المختار بن آغريشي أميرا عليهم.

واندلعت الحرب بين الطائفتين فرجحت كفة محمد الراجل بعد معركة جرت في 7 فبراير 1844م (18 محرم 1260هـ) رغم الدعم الذي قدمه جيش من فوته بقيادة المامي ممادو بيران وان للمختار بن سيدي.

ودفعت هذه الهزيمة معظم أنصار المختار بن سيدي للتخلي عنه، لاسيما أولاد نغماش منهم، فاضطره ذلك إلى اللجوء إلى الضفة اليسرى لتنظيم صفوف رجاله، وإعداد العدة لنزال جديد.

غير أن أهل فوته رفضوا دعمه بعد خلعهم لحليفه السابق المامي بيران وان. وأمام عجزه عن تكوين قوة قادرة على مقارعة منافسه، أخذ يغير على القوافل المتجهة إلى محطة ديه (محطة البراكنة) لحرمان خصمه من عائدات تجارة العلك.

وأدت تلك الاضطرابات وما نجم عنها من شل لتجارة العلك في محطة كانت توصف بأنها «آمنة وموثوق بها» إلى تدخل الفرنسيين لإقصاء الطرف الأقل موالاة لهم (المختار بن سيدي) فتوجه الوالي بويي وياميز صحبة عمدة اندر آلين، وكان من أصدقاء الأمير المختار بن سيدي يوم 19 مايو 1844م (فاتح جمادى الأولى 1260هـ) إلى محطة البراكنة، واستدرجا المختار ووزيره عبد الله انجاي واختطفاهما

[246] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص109.

إلى اندر. وقام الفرنسيون بنفي الأمير المختطف ومن معه إلى مستعمرتهم الجديدة الگابون[247]، واعترفوا بابن عمه ومنافسه محمد الراجل أميرا للبراكنة.

14- إمارة محمد الراجل بن المختار بن سيدي:

وانفرد الأمير محمد الراجل بالإمارة التي أصبح لبوبكر بن خدش فيها نفوذ قوي، حتى لجأ أحمد بن الليگاط التروزي إلى البراكنة، وتحالف مع سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي سنة 1848م (1264هـ)، وأخذ جناح أولاد السيد المناهض لمحمد الراجل يتعاطف مع سيدي اعلي وحليفه ابن الليگاط، فأقلق ذلك الأمير محمد الراجل فلجأ إلى طلب الدعم من أمير الترارزة محمد الحبيب الذي كان يستعد لملاحقة أخيه داخل البراكنة.

ولم يرق تصرف الأمير البركني لحلفائه الفرنسيين القلقين من تنامي نفوذ الأمير التروزي محمد الحبيب في المنطقة.

وازدادت الأمور تعقيدا بالنسبة لمحمد الراجل ابتداء من 1849م (1265هـ) عندما طالب ابن عمه امحمد بن محمد بن سيدي بعرش الإمارة مدعوما من طرف جناح من أولاد السيد وأولاد نغماش وأولاد أحمد والوزير المعزول انچاك مختار الذي «كانت تصرفاته تذكر، مع وجود الفارق، بتصرفات الوزير اخيارهم في الترارزة[248]».

وأدت الصراعات بين ابني العم إلى مزيد من اضطراب الأوضاع في البراكنة وتعطل التبادل ثلاث مرات في محطة ديه خلال موسم 1849م (1265هـ)، مما اضطر الفرنسيين إلى إرسال مدير الشؤون الخارجية بالمستعمرة الرائد كاي إلى عين المكان للتوسط بين الطرفين.

---

[247] يضيف پول مارتي في إمارة البراكنة (ص54-57) والنحوي في المنارة والرباط (ص321) أن الأمير وجماعته حاولوا الهروب من معتقلهم في المنفى يوم 13 سبتمبر 1844م (30 شعبان 1260هـ)، ومعهم ثلاثة من حراسهم العسكريين نجحوا في استقطابهم، ولكن الجماعة وجدت نفسها محاصرة في منطقة وثنية معادية فاضطرت إلى العودة إلى المعتقل. وهناك نشط الأمير كداعية إلى دين الإسلام في القرية. ويبدو أن الأمير استطاع أن يوصل معلومات عن ظروف اعتقاله إلى فرنسا دون علم السلطات الاستعمارية في غرب إفريقيا، فكتب شلشير نائب كاتب الدولة للمستعمرات رسالة موجهة إلى الحاكم الفرنسي في غرب إفريقيا يذكره فيها بأن المختار سجين سياسي، وأن اعتقاله انتهاك لحقوق الإنسان، وأشاد بعظمته وأمر بإطلاق سراحه وإعادته إلى بلده. لكن الرسالة لم تثمر ويبدو أن الأمير وأعوانه توفوا في منفاهم بالگابون.

[248] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص150.

وقد تمكن كاي من تسوية الخلاف بين الأمير محمد الراجل وامحمد بن محمد بن سيدي بتنازل الأول للثاني عن ثلث عائداته الضريبية من تجارة العلك (=500 بيصة)، لكن استياء أمير الترارزة القوي محمد الحبيب من إيواء البراكنة لأخيه أحمد ابن الليگاط جعله يغزو البراكنة لإخراج ابن الليگاط من أرضهم، معلنا تخليه عن الأمير محمد الراجل ودعمه لابن سيدي. ولولا نجدة السفن الفرنسية وتغطيتهم انسحاب البراكنة لما نجا محمد الراجل وشيعته من عقاب محمد الحبيب المحقق.

ولم يكن الفرنسيون، رغم مساندتهم في ذلك الظرف لمحمد الراجل، يأمنونه على سيدي اعلي ابن حليفهم السابق أحمدو بن سيدي اعلي، فاصطحبه ديشاتو معه إلى اندر لتأمينه.

ونجح التحالف البركني المناهض لمحمد الراجل (أولاد أحمد، وأولاد نغماش، وبعض أولاد السيد)، وبدعم قوي من أمير الترارزة، في خلع محمد الراجل وتنصيب امحمد بن سيدي أميرا للبراكنة سنة 1267هـ/ 1851م

15- إمارة امحمد بن سيدي:

واضطر الفرنسيون إلى الاعتراف بالأمير الجديد امحمد بن محمد بن سيدي، لكنهم حرضوا سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي على منافسته، فقام سيدي اعلي وعضده النافذ بوبكر بن خدش بقيادة جناح أولاد السيد وأولاد نغماش المناهض للأمير امحمد الذي اتخذ من المختار بن أعمر بن إبراهيم بن المخيطير بن سدوم بن السيد وزيرا له. ولقيت هذه الطائفة دعما معلنا من قبل الفرنسيين الطامحين لاحتلال بودور وتغيير شروط التبادل على الضفة اليمنى للنهر.

وجرت بين الطرفين البركنيين معارك دامية من أشهرها أيام "انفني العرش" جرح فيه الوزير المختار بن أعمر، و"الفرع"، و"آنگنتان"، وانهزم جناح سيدي اعلي في مختلف هذه المواجهات ونهبت أمواله في الأخيرة منها، واضطر إلى العبور بعدها إلى الضفة اليسرى.

وأعطى اندلاع حرب احتلال "الوالو" وتغيير شروط التبادل على الضفة اليمنى بين أمير الترارزة محمد الحبيب والوالي الفرنسي فيديرب، ووقوف الأمير امحمد بن سيدي إلى جانب محمد الحبيب؛ دفعا جديدا لتدخل الفرنسيين في الصراع البركني على السلطة، فألقوا بكل ثقلهم إلى جانب سيدي اعلي في حربه لانتزاع عرش الإمارة من

امحمد بن سيدي. وفي هذا السياق جاءت رسالة فيديرب في 15 نوفمبر 1855م (5 ربيع الأول 1272هـ)، المناشدة للمجموعة البركنية بالإطاحة بابن سيدي وتنصيب سيدي اعلي مكانه. وكتب فيدرب في هذا اليوم: «أتمنى بأن يتغلب سيدي اعلي على امحمد [بن] سيدي مولى محمد الحبيب الذي يخرب البراكنة أرض الترارزة، فالفرنسيون والبراكنة كانوا دائما أصدقاء ضد الترارزة.. وابن أحمدو الأول [سيدي اعلي] ينبغي أن يكون صديقا للفرنسيين كما كان والده، وأن يفهم جميع البراكنة بأنه ينبغي عليهم أن يتحدوا لتكوين أمة قوية ومتماسكة لا تظل تحت رحمة الترارزة، وعلى سيدي اعلي أن يقوم بدحر محمد الحبيب[249]».

ومثلت معركة "الركَبة" التي دارت في فبراير 1856م (جمادى 1272هـ) المرحلة الثانية من دعم الفرنسيين لسيدي اعلي، حيث زحف الفرنسيون وسيدي اعلي وحلفاؤهم من الزنوج على معسكر امحمد بن سيدي المعزز معنويا بوجود الشيخ سيديا الكبير وتلامذته في عين المكان. وقد انهزم الزاحفون شر هزيمة في هذه المعركة.

ودبر الفرنسيون محاولة اختطاف فاشلة للأمير امحمد بن سيدي قرب بودور في مارس 1857م (رجب 1273هـ)، في وقت بدأت فيه جبهة الأمير الداخلية تتصدع، حيث أثرت الحرب التي دارت بين فيديرب وأمير الترارزة محمد الحبيب على تماسك جناح امحمد بن سيدي ، فتخلى عنه أولاد أحمد، وتحالفوا مع أولاد دامان، وكانوا على وشك توقيع اتفاق مع الفرنسيين الذين نجحوا في توقيع اتفاقية تجارية مع إيدوعيش (في 1857م/ 1273هـ). وبما أن أولاد أحمد كانوا يشكلون قوة الأمير الرئيسية فقد لجأ امحمد إلى محمد الحبيب لإرجاعهم إلى الطاعة، وفاجأ أولاد أحمد جند الطرفين بغارة قتلوا خلالها المختار بن أعمر رئيس طائفة من أولاد السيد والعديد من مقاتلي امحمد بن سيدي، وأسروا مجموعة من الترارزة مثلوا بها وأرسلوها إلى محمد الحبيب. وآذنت هذه الغارة بتفاقم الوضع في كل من البراكنة والترارزة مما عجل بتوقيع اتفاقيات الصلح مع فرنسا: الترارزة في 20 مايو 1858م (6 شوال 1274هـ)، والبراكنة في 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ) [250]. وكان امحمد بن سيدي يعي جيدا دور الفرنسيين في الصراع على السلطة في إمارته، وتفضيلهم لسيدي اعلي عليه، إذ يقول في رسالة له إلى فيديرب بتاريخ 10 فبراير 1858م (25 جمادى الثانية 1274هـ) في ظرف جنح فيه الطرفان (الفرنسي والبيضاني) إلى السلم ما نصه: «...ولتعلم أنك لم تحترم علاقتك بنا، ونحن على علم بارتباطاتكم بعدونا سيدي اعلي، وليكن في علمكم أن

[249] الإرشيف الوطني السينغالي، الملحق رقم 8، نقلا عن، محمد عبد الله بن محمدا، الضرائب العرفية ودورها في أزمة إمارة البراكنة خلال النصف الأول من القرن 19م، مرقون.
[250] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص69-70.

ذلك لن يضرنا. فجماعة أولاد عبد الل عموما معنا [سواء من أولاد السيد أو أولاد نغماش] ومن يتبعهم من الموالين ولن يضرنا إلا ما كتب الله لنا. فإذا كنت تريد صداقتنا ودنا فاقطع كل صلة مع أعدائنا ولترسل لنا المعونات التي قطعت عنا منذ زمن...[251]».

وإذا كان الفرنسيون قد اعترفوا ضمنيا بامحمد بن سيدي كأمير للبراكنة بتوقيعهم معه اتفاقية 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ) المنهية لحالة الحرب، فقد حرصوا على إعلان هدنة بينه وبين سيدي اعلي الذي وقعوا معه نسخة من الاتفاقية ذاتها. أما سيدي اعلي فأظهر القبول بسلطة الأمير امحمد بن سيدي، وتوجه إليه، بعد مقام يسير في آدرار والترارزة، فصالحه أمام ملإٍ من قومه في دجمبر 1858م (جمادى الأولى 1275هـ) بناء على نصيحة من فيديرب. وبعد أيام من ذلك التصالح قتله غيلة (1858م/ 1275هـ) واستولى على منصبه الأميري وتزوج زوجته گرمي بنت الأمين البركنية[252].

16- إمارة سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي:

واستتب الأمر لسيدي اعلي (سيدي اعلي الثاني) وامتاز عهده الطويل (1858م- 1893م/ 1275هـ- 1311هـ) بالاستفادة المستمرة من علاقاته المتميزة مع الفرنسيين، وباستمرار العداء التقليدي بينه -ومعه قومه أولاد السيد وحلفاؤه أولاد اعلي بن عبد الل- وبين أولاد نغماش المتحالفين مع أولاد أحمد، وتشابك هذا العداء مع الصراع التقليدي بين الشراتيت وأبكاك طبقا لتحالف ثلاثي الأقطاب بات معروفا (أولاد السيد وأولاد اعلي والشراتيت ضد أولاد نغماش وأولاد أحمد وأبكاك). فجرت بين الطرفين أيام منها يوم "المريبز" سنة (1280هـ/ 1863م)، ويوم "گيمي" سنة 1290هـ/ 1873م، ويوم "الخليفي" في نفس السنة، ويوم "الخيرفيه" سنة 1294هـ/ 1877م، وكان يوما عظيما انهزم فيه أولاد نغماش وأولاد أحمد وانتهب متاعهم[253].

ومنها يوم "فيدفد"[254] حاصر فيه أولاد نغماش وأولاد أحمد سيدي اعلي شهرا، ومعهم بكار بن اسويد أحمد في جيش من إيدوعيش، حتى جاء امحمد بن هيبه رئيس

---

[251] الإرشيف الوطني السينغالي، الملحق رقم 8، نقلا عن، محمد عبد الله بن محمدا، الضرائب العرفية ودورها في أزمة إمارة البراكنة خلال النصف الأول من القرن 19م.

[252] المرجع نفسه، ص152.

[253] ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص35-36. وأضاف: «ولم ينج [للمنهزمين] إلا فرس تحت راكبه، ومات من أولاد أحمد ثمانون وخمسة عشر من باسين».

[254] موضع قرب ألاگ.

أولاد اعلي بن عبد الل وحليف سيدي اعلي إلى بكار فأعطاه ألفا على أن ينسحب، فانسحب وبقي أولاد نغماش وأولاد أحمد وحدهم فهزمهم سيدي اعلي ونهب أموالهم[255].

وعرف عهد الأمير سيدي اعلي توترا في العلاقات بينه وبين أمير الترارزة سيدي بن محمد الحبيب، الذي دعم محمد الحبيب بن المختار بن سيدي في مطالبته بعرش البراكنة، وحاول إقناع والي اندر الفرنسي فيديرب في نفمبر 1862م (جمادى الأولى 1279هـ) بالاعتراف بمحمد الحبيب بن المختار بن سيدي وخلع سيدي اعلي دون جدوى.

وهدد أمير الترارزة سيدي سنة 1864م (1280هـ) بغزو سيدي اعلي انتقاما من سرقة أحد أعوانه فرسا له، ثم نفذ تهديده بإرسال حملة إلى البراكنة وصلت إلى نواحي دبانگو (بوغي)، مما اضطر الوالي الفرنسي إلى التدخل لصالح سيدي اعلي، وحمل المتنازعين على حل خلافاتهما بالطرق السلمية. فأبرمت بإشرافه اتفاقية في 30 يونيو 1864م (25 محرم 1281هـ) التي التزم سيدي اعلي بموجبها بتعويض 250 بيصة من النيلة أو قيمتها بقرا أو خيلا لأمير الترازرة، والتنازل له عن ربع عائداته الضريبية المستحقة على محطة بودور الواقعة على التخوم بين الإمارتين. وبالمقابل منح أمير الترارزة أمير البراكنة الأمان واعترف به وحده أميرا للبراكنة، وأعطى الحرية لقوافل العلك في التوجه إلى محطتي بودور ودگانه، وضمن سلامتها[256].

وهكذا استتب الأمر لسيدي اعلي وعرفت إمارته لبعض الوقت استقرارا نسبيا، مع أنه شارك إلى جانب إيدوعيش وأولاد دامان المعضدين لأولاد فاطمه في بعض حروبهم ضد أخيهم اعلي بن محمد الحبيب.

وتعرض سيدي اعلي للتهديد بالغزو من قبل أمير الترارزة اعلي بن محمد الحبيب انتقاما من غارات سلب قام بها قومه ضد بعض قبائل الترارزة إذا لم يعوض سيدي اعلي تلك المنهوبات. وتدخلت من جديد السلطات الفرنسية لصالح البراكنة، ونجحت في تسوية النزاع بموجب اتفاق أبرم بين الطرفين في 5 يونيو 1879م (14 جمادى الثانية 1296هـ) التزم بموجبه سيدي اعلي بدفع تعويض قدره 10 أفراس لاعلي.

---

[255] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص109. وابن بابا، مرجع سبق ذكره، ص35.
[256] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص153.

واستفاد الأمير سيدي اعلي كثيرا من عائدات التجارة النهرية، وأبرم سلسلة من الاتفاقيات مع الفرنسيين كان آخرها اتفاقية 12 دجمبر 1891م (10 جمادى الأولى 1309هـ)، التي اعترفت مادتها الأولى بابنه أحمدو كخلف له وحيد على رأس الإمارة بعد وفاته، في حين طالب سيدي اعلي في مادتها الثانية بوضع إمارته بسكانها وممتلكاتهم ومجالات تحركهم تحت الحماية الفرنسية.

وتدخل سيدي اعلي في نفس السنة بإيعاز من الفرنسيين، في الصراع على السلطة بين أعمر سالم بن محمد الحبيب التروزي وابن أخيه احمد سالم بن اعلي لصالح هذا الأخير.

وجاءت مصاهرة أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب لسيدي اعلي لتعطي لتحالفهما السياسي سندا اجتماعيا. وتوفي سيدي اعلي سنة 1311هـ/1893م[257].

17- إمارة أحمدو بن سيدي اعلي بن أحمدو:

وبعد وفاة سيدي اعلي خلفه ابنه أحمدو (أحمدو الثاني) دون عناء، غير أنه واجه في بداية حكمه مجموعة من التحديات الداخلية والخارجية من أهمها الحرب بين إيچيچبه وأولاد أبييري التي اندلعت في نفمبر 1895م (جمادى الأولى 1313هـ)، ومحاولة الفرنسيين الفاشلة استخدامه لإقناع بكار بن اسويد أحمد بطرد زعماء الضفة اليسرى المناهضين للاحتلال الفرنسي اللاجئين إليه (على بوري انجاي ملك اچيولوف، ولات اديور ملك كايور، وعبدول بوبكر أحد زعماء فوته)، وما تلا ذلك من توتر في العلاقات بين الطرفين تمثل في حجب الفرنسيين لضرائب أحمدو العرفية وإغلاق الأمير لمحطات التبادل البركنية.

وشكل مشروع كبلاني لإخضاع المنطقة للاستعمار الفرنسي المباشر نقطة الخلاف الجوهري مع الأمير أحمدو بن سيدي اعلي الذي اضطره إخضاع البراكنة للاحتلال في 1903م (1320هـ) إلى الهجرة إلى تگانت قبل أن يلتحق بالشيخ ماء العينين سنة 1324هـ/ 1906م ويشارك في الجهاد ضد المستعمر. ولم يزل مع أهل الشيخ ماء العينين إلى أن توفي في "تگ الريح" بإقليم طاطا سنة 1932م (50-1351هـ).

---

[257] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

إمارة أولاد يحيى بن عثمان

قامت إمارة أولاد يحيى بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان بآدرار، وآدرار أرض جبلية تتخللها السهول تأخذ شكل جسم له ظهر (الظهر) وبطن (الباطن)، وله امتداد على شكل عنق، وينتهي بمؤخرة (سهوه) تمتد نحو الشمال الشرقي[258]، وتقع بلاد البراكنة والترارزة إلى الجنوب والجنوب الغربي من بلاد آدرار، وتحدها المريه وتگانت من الشرق والجنوب الشرقي، وتيرس الزمور وتيرس الغربية من الشمال، بينما يحدها الساحل المطل على المحيط الأطلسي من الغرب. وكان نفوذ إمارة أولاد يحيى بن عثمان أحيانا يتسع متجاوزا مقطير أو تيرس شمالا وغربا ليشمل مناطق بعيدة عن آدرار.

وتعرف إمارة أولاد يحيى بن عثمان كذلك بإمارة آدرار، ويحيى بن عثمان الذي تنسب الإمارة إلى أولاده هو الجد الجامع لمختلف المجموعات الحسانية في الإمارة، لاسيما المجموعتان الأساسيتان فيها: أولاد الجعفرية، ويتألفون من أولاد عمني الذين انحصرت فيهم السلطة الأميرية، وأولاد آگشار، وآگميترات، وأولاد غيلان المؤلفون أساسا -بصميمهم وغيره- من بطون الطرش، وأولاد سله، والغرابه، والذهيرات، ونغموشه[259].

وتعتبر المجموعة الغيلانية، أبلغ المجموعات الحسانية تأثيرا على السلطة الأميرية وسبل انتقالها داخل البيت الأميري؛ وخاصة ثالوث الطرش ونغموشه وأولاد سله.

وتنضاف إلى هاتين المجموعتين الكبيرتين قبائل محاربة أخرى كالعويسيات وآمگاريج والطرشان وأولاد بولحية، فضلا عن عبيد أهل عثمان الذين لا يستمدون وحدتهم القبلية من آصرة نسبية موحدة بل من الوظيفة الإدارية والعسكرية التي يشغلون في إطار السلطة الأميرية، بوصفهم مستشارين، ووزراء، ومؤتمني أسرار، وحرسا خاصا لأمراء أهل عثمان.

---

[258] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص6.

[259] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص154.

ومن أهم قبائل الإمارة المحاربة قبيلة إيدشلي التي كانت صاحبة السلطان في آدرار قبل مقدم بني حسان.

أما أهم القبائل الزوايا ذات الدور الديني والاقتصادي في هذه الإمارة فإيدوعلي، والاغلال، وإيدوالحاج، والسماسيد، وكنته، وأهل الشيخ محمد فاضل...إلخ[260].

كان أولاد يحيى بن عثمان يتمركزون في منطقة ارگيطه بين آدرار وتگانت، حيث اشتركوا في وقعة "تجالْ" (1100هـ/ 1689م) إلى جانب أولاد الزناگية ضد إيديشلي. وكانت رئاستهم في أولاد عمني بن آگشار بن آگمتار بن غيلان بن يحيى بن عثمان، ثم أورث عمني الرئاسة لابنه گراف الذي بدأت روابط أولاد يحيى بن عثمان بآدرار تزداد في عهده، ثم في عهد ابنه حمو بن گراف الذي عاش في ملتقى القرنين 17-18م (11هـ_12هـ)، وساعد إيديشلي الباطن الذين حالفوه وزوجوه إحدى بناتهم على محاربة إخوتهم إيديشلي الظهر، وعلى إبعاد بقايا أولاد امبارك من آدرار.

وورث عبد الرحمن بن حمو أباه فكان سلطانا مستبدا فلم يلبث أن ثار عليه ابن عمه عثمان بن الفظيل بن شنان بن بوبه بن عمني حوالي 1145-1146هـ/ 32-1733م فاندلعت بينهما حروب طاحنة قادت في حدود 1158هـ/ 1745م إلى انتصار عثمان بن الفظيل نهائيا على عبد الرحمن بن حمو. وقد وقف إلى جانب عبد الرحمن في هذه الحروب ذووه وأخواله إيديشلي وأبناء عمومته الطرشان وما سيعرف لاحقا بأولاد غيلان تگل (سفح جبلي يقع شمال غرب أطار) (أولاد سله والذهيرات ونغموشه)، بينما انضم إلى عثمان بعض أولاد الجعفرية، (لاسيما آگميترات)، والحيابنه وقسم من أولاد غيلان.

وتشير الروايات إلى أن عبد الرحمن انتصر في البداية على أعدائه، لكن عثمان استنجد بأخواله أهل هيبه أمراء البراكنة (فأمه بنت هيبه بن نغماش البركنية) فأنجدوه بجيش مكنه من التغلب على عبد الرحمن، وتأسيس إمارة أولاد يحيى بن عثمان.

1- إمارة عثمان بن الفظيل:

استطاع عثمان أن يستميل عددا من أنصار عبد الرحمن من أولاد الجعفرية، وأولاد غيلان، بعد هزيمة عبد الرحمن في معركة "انزيدان"، ثم أوقع بالبقية الباقية من

---

[260] المرجع نفسه، ص155.

شيعة عبد الرحمن عند تنمدان، وانسحب الغرابه من شيعة عبد الرحمن إلى إيدوعيش، وأهل حمو إلى بلاد الترارزة فمكثوا بها مدة من الزمن[261].

ثم حاصر عثمان جيش عبد الرحمن بتگل (غرب أطار)، مدة ثلاثة أشهر ثم هزمه، فلجأ أولاد غيلان الذين رفضوا طاعة عثمان إلى إيدوعيش والبراكنة والترارزة[262].

وواصل عثمان مطاردة إيديشلي وحلفائهم من الطرشان وغيرهم، فأخرجهم من الباطن، وجد في إثرهم حتى ألحقهم بالأطراف الشمالية الشرقية من منطقة الظهر، حيث جرت بينه وبينهم عدة وقعات: (الفشاره، تنجوكر، وتنتشل) انتصر فيها عليهم، وأرغمهم بعدها على الاستسلام، وعلى دفع تعويض مقابل السماح لهم بالعودة إلى مواطنهم الأصلية بباطن آدرار[263].

ومن إديشلي من لم يقبلوا بسلطان عثمان فتفرقوا في تجكانت، ومشظوف، وإيدوعيش، وإيدوعلي، وغيرهم.

وواصل إيديشلي الذين عادوا واسترجعوا أموالهم جباية المغارم على المجموعات التي كانت تخضع لهم في السابق[264]. أما عبد الرحمن فتوفي هاربا بسبب العطش[265]. واستمر حكم عثمان إلى ما بعد 1764م (1177هـ) تاريخ عودة أولاد غيلان تگل إلى آدرار، ثم توفي والإمارة ما تزال منحصرة في آدرار الغربي، عن نحو ثمانين سنة. وقبره في تگانت بموضع من أفام لوديات يدعى الگفله.

---

[261] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص147.

[262] يقول هوگي إن أولاد غيلان عادوا إلى آدرار سنة 1764م (1177هـ). اپيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص35.

[263] يروي الحضرامي بن الفروي: «أن عثمان طلب المدد من البراكنة، واستؤنف القتال بضراوة. وكان أولاد غيلان تگل مع إيديشلي، واستمرت المعركة ستة أشهر في الموضع المسمى تگل. فحاصرهم عثمان حتى نفدت المؤن، فانسحب أولاد غيلان ليلا، تاركين النساء والأطفال، واتجهوا نحو إيدوعيش. وبقي إيديشلي في ساحة المعركة. وكانوا يعرفون أنهم غير قادرين على الصمود في وجه الأعداء المعززين وحدهم، فهربوا إلى الشمال الشرقي. وعرض مبعوث من السماسيد، هو الطيب بن بتاج، خدماته على عثمان، وطلب منه الأمان لمن بقي من أعدائه وقال له: إذا كنت ترغب في حكم هذه الأرض وأهلها، فلا فائدة من إبادتهم لأنك ستحكم أرضا بلا سكان ولن تكسب شيئا، وسيتحتم عليك العمل بمفردك. امنح السلام لهؤلاء الناس واتركهم يعيشون في ظل رئاستك، فقبل عثمان، وذهب الطيب إلى إيديشلي وقال لهم: إنكم سائرون في طريق الهلاك فلماذا تستمرون في ذلك؟ أنتم تقاتلون من أجل أرضكم: فما النتيجة إذا هلكتم جميعا؟ من الأفضل أن تتجاوزوا الماضي على مرارته، فالعاقل من يعرف كيف يضمن المستقبل. اطلبوا السلم من السلطان، وتعاهدوا معه على استرجاع ما بقي من مالكم في سلام. وقبل إيديشلي الاقتراح فتم الاتفاق الذي استرجع بمقتضاه إيديشلي أرضهم مقابل تعويض الأمير عمن مات من ذويه في الحرب، طبقا لرغبته». اپيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص33.

[264] المرجع نفسه، ص34.

[265] وقيل بأنه لم يمت بسبب العطش أثناء هروبه وإنما قتله الجدري بعدما وضعت الحرب أوزارها . بونت، ص35.

2- إمارة الاگرع بن الفظيل:

ولما توفي عثمان بن الفظيل كان ابنه سيدي أحمد ما يزال صبيا، فخلفه أخوه الاگرع بن الفظيل، وتزوج زوجته. وواجه الاگرع عصيانا جديدا من إيديشلي لكنه تمكن من التغلب عليه. ولما راهق سيدي أحمد بن عثمان بن الفظيل أراد أن يسترجع إمارة أبيه، فسانده ابن عمه الفظيل بن صمبه[266]، ورجال من قومه، ورؤساء أولاد غيلان المعروفون بامحمدات (امحمد بن مكناس جد أهل الديك الذي سيصبح زعيما للطرش، وامحمد بن امحيمد جد أهل امحيمد رئيس نغموشه، وامحمد بن المحمود جد أهل بوبوط رئيس أولاد سله). وشن بعض رجالهم غارة على الترارزة فأعطوا لسيدي أحمد بدلا من الاگرع الفرس الذي يمثل عادة نصيب الأمير من الغنيمة، وبنت له أمه (زوجة عمه الاگرع) خيمة اعترافا له بأحقيته بالإمارة، فغضب الاگرع وهب خارجا بعد أن قلب قصعة من اللبن برجله، فقالت له زوجته: «إنك لن تستطيع إعادة هذا اللبن إلى القصعة» تريد أنه لن يستطيع استعادة الإمارة. واندلعت الحرب بين الاگرع وشيعته وفي مقدمتهم الطرش بزعامة أعمر اغدش جد أهل اخطيره، وسيدي أحمد وشيعته يتقدمهم أولاد غيلان، فوقعت بينهما وقعة "إيتلاتن"، انهزم فيها الاگرع وجرح فيها أعمر اغدش، ثم وقعة "تيدناتن" قتل فيها الاگرع[267].

3- إمارة سيدي أحمد بن عثمان بن الفظيل:

وتوطدت إمارة سيدي أحمد بعد هذه المعارك (حوالي 1199هـ/ 1785م)، وطالت مدته التي شهدت ما عرف بإصلاح امحمدات (امحمد بن مكناس، وامحمد بن امحيمد، وامحمد بن المحمود) القاضي بأن تكون أملاك إمارة أهل عثمان خارجة عن ملك الأمير الشخصي الذي يتقاسمه ورثته، بل تظل ملكا للإمارة يتصرف فيها الأمير الحاكم[268]. وبأنه يحق للأمير أن يزيد في المغرم أوالحرمة أوالغفر إذا رأى ذلك مفيدا.

واستمر حكم سيدي أحمد أكثر من أربعين سنة، وخاض في عهده وعهد عمه أولاد يحيى بن عثمان عدة معارك ضد أولاد دليم، كما شاركوا في حصار احنيكات

---

[266] كان صمبه أخا لعثمان، وكانت أمه زنجية. وكان قد اختلف مع باقي إخوته، ومنهم الأگرع، فهاجر إلى الترارزة، وأقام عند أولاد بنيوگ. فوقف عثمان وحده إلى جانب صمبه في الحصول على حقوقه، فلهذا وقف ابنه الفظيل إلى جانب سيدي أحمد ضد عمهما الاگرع.

[267] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص147.

[268] والسبب في هذا الإصلاح هو النزاع الذي نشب بعد مقتل الاگرع بين طائفة سيدي أحمد وطائفة الاگرع، حول أملاك الإمارة التي كانت تحت يده، فورثته اعتبروها تركة يجب أن تؤول إليها، بينما اعتبرت طائفة سيدي أحمد أنها أملاك عامة للإمارة لا يجوز إدخالها في أموال التركة.

بغداده سنة 1192هـ/ 1778م ضد إيدوعيش. ومات سيدي أحمد في سنة 1826م (1241هـ) أو بعدها بقليل، عن عدد من الأبناء من أم بركنية، وابن آخر أمه من العويسيات اسمه أحمد وشهرته ابن عيده[269]، كان في حياة أبيه يعد نفسه لخلافته بتكوين "حلة" خاصة به، وإظهار الشجاعة في الحروب، وتوزيع العطايا على زعماء المجموعات النافذة في الإمارة[270].

4- إمارة أحمد بن سيدي أحمد بن عثمان (أحمد ابن عيده):

وأوصى سيدي أحمد قبل وفاته لابنه البكر المختار (النان) بالإمارة. غير أن أخاه أحمد ابن عيده رفض الاعتراف بسلطة أخيه وانشق عنه، ونجح في الاستئثار بالسلطة دونه. وبينما دعمت الجعفرية وامحمدات المختار، اعتمد ابن عيده على أخواله العويسيات وحلفائهم من أولاد غيلان الظهر (أولاد سلمون، وأهل مانة الل، وأهل تگدي)[271] وإيديشلي[272].

وسرعان ما اندلعت الحرب بين الطائفتين: مع المختار أبناء عمه أهل أحمد بن الفظيل، وجمهور الجعفرية، وانضم إليه أهل كركوب بن صمبه بن الفظيل العمني، كان كركوب زوجا لأخت ابن عيده، فركب ولده سيدي أحمد بن كركوب إلى بعض أژناگه لجباية مغارم له لديهم، وكان في الجهة التي خرج إليها لصوص يقطعون الطريق، قد

---

[269] عيده اسم مرضعته، وكانت من التوابير. وقد توفيت أمه وهو صغير. ويروى أن زوجة أبيه نادته يوما بابن عيده على وجه السخرية، فجمع أهل "الحلة" وطلب، أو أوجب، ألا يدعى مستقبلا إلا بهذا اللقب.

[270] فمن ذلك «أنه شارك وهو ما يزال يافعا في غارة يقودها أخوه المختارلاسترجاع إبل نهبها أهل الشمال، وبعدما نشبت المعركة ظهر لفرسان آدرار أن عدوهم قد ضيق عليهم فأمر المختار أصحابه بالانسحاب، لكن أحمد ابن عيده لم يقتنع بالأمر، فانسل وتبع النهب بمفرده، وتمكن من استرجاع الإبل بعد قتل عدد من النهبة. وعند اقتسام الغنيمة أصر ابن عيده على أن يكون له سهمان على غرار أخيه قائد المجموعة، قائلا: إنه هو الذي استرجع الإبل، وإنه سيقاتلهم إذا رفضوا ذلك، فأذعنوا له ففرق سهميه على زعماء قومه الحاضرين. ومنه: ما قام به في "غزي" (غزو) تيراكلين، حيث طلب من أبيه إعداد غزو لمحاربة أولاد دليم، فجهز له مائة محارب ومائة جمل ومائة بندقية عند شار. فهاجم أحمد ابن عيده بهذا الجيش أولاد دليم واستاق إبلهم، فطاردوه فأدركوه عند تيراكلين، وهي بئر في تيرس الزمور، شمال آدرار. وكان أحمد ابن عيده قد احتاط لجيشه فسبق إلى البئر، وتزود منها بما يكفيه لعودته، فجاء أولاد دليم وهم عطاش، فأذن لهم أحمد بالشرب من البئر، ثم ألقى فيها جملا واشتبكوا، فأفلت منهم، فلم يجدوا من الماء ما يكفيهم للحاق به. وعاد أحمد إلى "الحلة" ومعه كل الإبل التي غنم من العدو. وقد ظل أحمد ابن عيده يعارض ما كان يقوم به أبوه من تفضيل لأبنائه الآخرين، حتى انتهى الأمر بالأب إلى الإقرار بسيادة ابنه ومنحه حق إقامة "حلة" منفصلة عرفت "بالحلة الكحله". وكان في تكوين حلة منفصلة إشارة إلى طموح ابن عيده إلى السلطة وعجز والده عن كبح جماحه. وكان أحمد ابن عيده قد ألف من حوله عصبة قوية قادرة على دعم مواقفه». اپيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص45-46. وفي سيدي أحمد هذا قال الشاعر الحساني:

لاج سيدي أحمد لادرار   لمبارك شور حارك
ويل ماجاه ألا البار   من هـــــو لمبارك.

[271] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص159.

[272] اپيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص47.

أرسل ابن عيده مجموعة من المقاتلين لتعقبهم والقضاء عليهم، وعندما واجه المقاتلون اللصوص هرب اللصوص فصادفوا سيدي أحمد بن كركوب فلجأوا إليه طالبين منه التدخل لدى خاله الأمير، لكن المقاتلين هاجموهم فجأة وقتلوهم جميعا، وقتلوا معهم سيدي أحمد بن كركوب فاعتقد كركوب أن ابنه قتل بمكيدة من الأمير ابن عيده، فانضم إلى المناوئين له.

وانضم امحمد بن المعيوف بدوره إلى المختار بعدما لجأ إليه رجال من أخواله من الجعفرية ممن كان في صف المختار وأهل أحمد بن الفظيل فأصر الأمير على تسلمهم، ورفض امحمد خفر جواره وتسليمهم إليه، وتطور الأمر إلى أن وقعت بينهم مناوشات عند النجام. ومات كركوب وامحمد بن المعيوف بعد ذلك بفترة وجيزة بالبراكنة حيث كانا لاجئين.

وجرت بين ابن عيده والمناوئين له معارك منها معركة "تيديرز" التي شارك فيها سيدي بن امحمد بن المعيوف (بعد موت أبيه امحمد) وجرح فيها الأمير اثني عشر جرحا، وماتت فرسه "الحرانه"، أصابها بوبكر بن اكليب الآگشاري، وأصاب الأمير لكنه لم يمت. ثم أنجد أولاد غيلان الأمير، ونفروا لقتال المختار فوقعت معركة "الطينطان"، ثم معركة "انجيلان" التي قتل فيها من جانب المختار صاحب رايته بكار الشين العمني، والمختار بن امديلش الآگشاري، وامحمد بن كاره السلي. وانهزم المختار وانسحب إلى الترارزة فآووه، ولم يزل هناك حتى انطلق مع أميرهم محمد الحبيب دليلا في صولته الشهيرة[273].

وحاول المناوئون لابن عيده تنصيب أخيه سيدي بن سيدي أحمد بن عثمان أميرا، لكن امحمد بن أحمد ابن عيده نجح في إفشال هذا الأمر، وتمكن من التوسط بين أبيه وأولاد آگشار، فقد كان سيدي بن امحمد بن المعيوف صديقا له، فعاد بفضل وساطته جل أولاد آگشار إلى آدرار، ورفض الحزام بن المعيوف وبعض قومه هذه الوساطة، وانتقلوا إلى الترارزة حيث أقاموا فترة من الزمن.

وعمد ابن عيده إلى إعادة تنظيم مجموعات الإمارة وتقريب الأسر الجعفرية التي قبلت بزعامته، وإضعاف غيرهم من الجعفرية المناوئين له ولآبائه تقليديا، الذين ظاهروا عبد الرحمن على جده عثمان، والاگرع على أبيه سيدي أحمد، والمختار عليه هو، وحمل الجعفرية المناوئة له على القبول بزعامة أسرها الملتفة حوله. واعتمد على

[273] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص147.

أولاد سلمون العائدين لتوهم من منفاهم بتگانت بفضل جهود صديقه سيدي أحمد بن مگيه ، وعلى أهل مانة الل المنفصلين عن الطرش في الباطن، والمتمركزين في الظهر بزعامة مانة الل وابنه العيدود. كما عزز أهل تگدي النغموشيون في الظهر تحالف مجموعات الظهر الغيلانية التي لعبت دورا مهما في توطيد سلطة ابن عيده. وهكذا شكل العويسيات، وأولاد سلمون، وأهل مانة الل، وأهل تگدي، نواة التحالف الأميري الذي حل محل تحالف امحمدات[274].

وأدى وجود هذه المجموعات المرتبطة بالسلطة الأميرية في منطقة الظهر إلى مد سلطة الإمارة تدريجيا نحو تلك المنطقة التي تحتضن مدينتي شنقيط وودان المهمتين، بعد أن كانت محصورة منذ نشأتها في منطقة الباطن، خاصة بين أطار وأوجفت.

ولم يعتمد أحمد فقط على هذه المجموعات وحدها، بل اعتمد كذلك على بعض طوائف إيديشلي الذين قامت سلطة أهل عثمان أصلا على حسابهم، فاعتمد على أهل الشيخ بن بكار، وكانوا قد تمركزوا في هضاب إيبي التي تمثل ثغور الإمارة الجنوبية الغربية، كما اعتمد على أولاد انتاده في الباطن.

وعرفت إمارة أولاد يحيى بن عثمان في عهد الأمير ابن عيده حروبا طويلة مع أولاد دليم من أشهرها يوم "إنال"، ويوم "أيرني"، وهو يوم "غزي (غزو) العيل"، ويوم "غزي الميه" (غزو المائة)، وهم مائة غاز انتخبهم الأمير: ثلاثة وثلاثون منهم من أولاد الجعفرية، ومثلهم من أولاد غيلان، ومثلهم من العويسيات، والأمير نفسه تمام المائة، قتل في هذا اليوم من أولاد دليم الرسول بن أيده قتله بوبكر بن اكليب الآگشاري، والريگط بن الدليمي، قتله اهبيطات بن الصديق السلموني[275].

وجرت بين أولاد يحيى بن عثمان والترارزة غارات متكررة بسبب إيواء كل طرف لمناوئي الطرف الآخر، لكن هذه الغارات كانت محدودة التـأثير، باستثناء غارة "الملحس" التي قادها أمير آدرار ابن عيده بنفسه على محصر محمد الحبيب، حينما كان بآوكار في غير منعة من قومه، سنة 1265هـ/ 1849م، فظفر وانتصر. وقد سمي غزو ابن عيده في هذه الغارة بغزو "المنكاسه" لأنه نهب كل شيء. وجاء رد محمد الحبيب على هذه الغارة في السنة الموالية (1266هـ/ 1850م)[276] من خلال حملته

---

[274] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص160.
[275] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص148.
[276] لما تأخر رد الأمير محمد الحبيب على غارة الملحس أثار ذلك سخرية أهل آدرار الذين قال شاعرهم:

محمد الحبيب السلطان	ما بان ان لاه يمـــتان
شتين فالخـــط أفگان	ما ج فيه ألا ج فالصيف

على آدرار المعروفة بالصولة. ثم وقع الفشل في قوم أحمد ابن عيده، فكاتب الشيخ سيديا ليتوسط له في العافية بينه وبين الترارزة[277].

ولم تمنع هذه المعارك المختلفة التجارة من الازدهار في آدرار في هذه الفترة، فكانت شنقيط ودان محطتين تجارتين مهمتين، لاسيما بالنسبة للقوافل المتجهة إلى تيشيت وولاته وتنبكتو، بينما كانت أطار محطة مهمة تمر بها القوافل التي تسير التجارات بين المغرب واندر (سينت الويس) بالسينغال.

وفي سنة 1860م (1276هـ) كلف فيديرب النقيب فينسان باستطلاع التخوم الواقعة شمال السينغال من أرض البيضان. ورافق فينسان في هذه الرحلة المترجم السينغالي المختار بن عبد الله الشيخ المشهور بابن المقداد[278]، وثلاثة حرسيين. وتمكن فينسان من الوصول إلى تيرس، عن طريق الشاطئ، ثم حاول الوصول إلى آدرار، فاستقبله أحمد ابن عيده في "حلته"، وأذن له بالتنقل في البلد، لكن معارضة زوايا آدرار لفينسان منعته من مغادرة "الحلة". وتحاشى الأمير الرد على اقتراح فينسان توقيع معاهدة تجارية بين الفرنسيين وإمارة آدرار. وعادت بعثة فينسان دون أن تتمكن من دخول أطار أو شنقيط[279].

وفي سنة 1277هـ/ 1861م توفي أحمد ابن عيده، ودفن عند كدية أمات الركيبات في شار، بعد خمسة وثلاثين عاما من الحكم.

هو گاع أظر بوجعران باخبار يسـتن الخريف

[277] قال عبد الودود بن انتهاه السمسدي في كتابه "نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار": «لما وقع الفشل في قوم أحمد ابن عيده ، وعلم من نفسه العجز عن حرب الترارزة، ولم تظهر له فيها فائدة، أرسل من يثق فيه في السر إلى السالك بن أحمدناه بأن يكاتب الشيخ سيديا في العافية بينه مع محمد الحبيب.. لأن الشيخ جل أهل آدرار تلامذته وأهل هديته فلا تهمة للمذكورين في كونه واسطة في العافية لأهل آدرار، وقد كتب السالك للشيخ سيديا رسالة لم ير مثلها.. وهي طويلة، ومحل الحاجة منها: «وبعد فإن أحمد ابن عيده مريدكم زعما، وخديمكم على أنفه رغما، يلتمس الذب عن بابه، والالتفات إلى جنابه، وطرد من يحوم حول رحابه». ابن انتهاه، نزهة الأخبار، مخطوط، ص34-35.

[278] هو المختار بن عبد الله الشيخ سك، سينغالي أخذ علوم العربية والشريعة عن أولاد ديمان كما أخذها عنهم والده قبله. لقبه والده بابن المقداد، وهو اسم رجل من أهل فاس قدم إلى المنطقة يحمل خزانة من الكتب مهداة من محمد بن عبد الرحمن حفيد المولى إسماعيل إلى قوم من أولاد ديمان، وكان عالما صالحا فتيامن عبد الله الشيخ باسمه وأطلقه على ابنه المختار. عمل المختار في اندر مترجما للفرنسيين إلى أن توفي سنة 1882م (1299هـ)، فقام الوالي بتعيين ابنه الأكبر عبد الله سك خلفا له، ولما اغتيل عبد الله من قبل أمير باوول سنة 1887م قام الوالي الفرنسي بتعيين أخيه دودو سك المشهور بمحمدن بن ابن المقداد المولود 1867م (1283هـ) في مكانه. وقد اكتسبت أسرة ابن ابن المقداد لاسيما محمدن شهرة واسعة لدى البياضين نظرا لإتقانهم للغة ولتقاليد ومعارف البيضان بما في ذلك قرض الشعر العربي الفصيح والملحون ومعرفة "أزوان"، ولإنفاقهم بسخاء –خاصة محمدن بن ابن المقداد- على كل من يحل بساحتهم من البياضين. وقد توفي محمدن بن ابن المقداد سنة 1943م (1362هـ). محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني (نصوص فرنسية غير منشورة)، المطبعة الجديدة، 2000م، انواكشوط، ص101-123.

[279] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص91.

وفتحت وفاته الباب أمام سلسلة من الصراعات والحروب الدامية بين أبنائه من أجل السيطرة على السلطة، فقد ترك أحمد من زوجاته المتعددة ستة أبناء هم: امحمد وسيدي أحمد أمهما بركنية، وعثمان ومحمد وأمهما اعويسيه، والشنظوره والمختار وأم كل منهما إيديشلاوية. ولكل مجموعة من هؤلاء الأبناء سندها القبلي القوي، وحلفها السياسي النافذ مما زاد من تأجيج الصراع على السلطة بينهم.

5- إمارة امحمد بن أحمد ابن عيده:

وتولى امحمد بن أحمد بن عيده بعد وفاة أبيه، بوصية منه، لكنه اغتيل من يومه أو غده[280]، أطلق عليه ببه بن سيدي أحمد العويسي النار بأمر من أخويه عثمان ومحمد وشيعتهما: أخوالهما العويسيات، وأصهارهما أولاد سلمون[281]، وحلفائهما الحيباينة، وأهل تگدي. ولم تقبل شيعة الأمير امحمد المؤلفة من الطرش وأولاد سله وبقية نغموشه وقسم من الجعفرية بهذا الاغتيال، فاندلعت المواجهات بين الطرفين، واضطرب آدرار، ولجأت أرملة الأمير امحمد اخديجه ابي بنت اسويد أحمد بابنها أحمد بن امحمد إلى أخيها أمير تگانت بكار بن اسويد أحمد، بينما لجأ سيدي أحمد شقيق الأمير المقتول إلى البراكنة، قبل أن يموت في ظروف غامضة.

وكانت شيعة الأمير المقتول امحمد أقوى من شيعة عثمان وشقيقه محمد فأوقعت بحلتهما في يوم "آرواكيم"، وضيقت عليهما حتى تركا آدرار، إلى الترارزة، ثم إلى أولاد دليم، بعد أن رفض الترارزة إيواءهما. ولحق بهما من استطاع أن يلحق بهما من شيعتهما مشكلين ما عرف بـ"المحصر الازرگ" (أي المحصر المتعدد الأجناس والقبائل). وضيقت شيعة الأمير امحمد مع ذلك على من بقي في آدرار من شيعتهما كالعويسيات الذين هلك بعضهم واضطر أغلبهم إلى ترك آدرار[282] بسبب ذلك، وبسبب الحرب التي جرت بينهم مع أولاد اللب[283].

---

[280] نقل اپيير بونت فيما يتعلق بكيفية مقتل امحمد بن أحمد ابن عيده: «قرر عثمان ومحمد قتل أخيهما امحمد، فأقدم ببه بن سيدي أحمد بن محمود العويسي بأمر منهما على مهاجمته ليلة وفاة الأمير أحمد ابن عيده، وأطلق عليه رصاصات جرحته ولم تقتله، فأرادت زوجته اخديجه ابي (بتشديد الباء المكسورة) التوجه به إلى تگانت لاجئة إلى أخيها بكار بن اسويد أحمد أمير تگانت، فتعقبهما أخوه عثمان وجماعة من أنصاره، وباشر الأمير امحمد اثنان من أولاد غيلان هما اميد بن العويسي والحضرامي بن مگيه، فقتلاه وهو على جمله. فدفن إلى جنب أبيه بمقبرة أهل عثمان، ونجت زوجته وابنها أحمد بن امحمد». اپيير بونت، بتصرف، مرجع سبق ذكره، ص54.

[281] فقد كانا متزوجين من ابنتي الحضرامي بن مگيه السلموني.

[282] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص56.

[283] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية محاولة لتأسيس ومقاربة المكتوب والمروي، مخطوط، ص30.

وظهر في هذه الفترة الشيخ سيدي امحمد بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي جاء من منطقة أزواد سنة 1856م (1272هـ) في وفادة إلى قبيلة الركيبات بالصحراء، ثم طاب له المقام هناك فبنى دارا ببئر أم اگرين واتخذها موطنا له، وامتد نفوذه ونفوذ مريديه إلى آدرار، وحاولوا بالتحالف مع أنصاره من مشظوف وأولاد غيلان بسط سيطرتهم على أهل الساحل، مما دفع مناوئيهم إلى التوحد تحت قيادة اعلي الملقب اغموگ بن محمد بن اعلي اللبي ومجابهتهم، فوقعت "الذريره" (الأولى)[284] سنة 1278هـ/ 1861هـ[285].

وآوى إبراهيم اخليل بن اعثيمين رئيس أولاد باعمر الدليمي عثمان ومن معه، وأهدى له عثمان أفراسا من أفراس الإمارة المعروفة بـ"الگشريات"[286]. ثم أخذ عثمان، بدعم من عدد من قبائل "التل" (الشمال) يقاتل أهل آدرار، فجدت بينه وبينهم معارك منها: يوم "اعراگيب الجحفة"، ويوم "الظايه الخظره"، ويوم "لگلات"، ويوم "آجليف"، ويوم "اكشضه"، ويوم "اتويشضه"، ويوم "انتوطفين" أغلبها عام 1279هـ/ 1862م[287]. وقد سمي هذا العام عام "لميظي"، باسم معركة خاطفة جرت بين مشظوف آدرار وأولاد دليم، مات فيها احماذْ بن اعثيمين الدليمي أخو إبراهيم اخليل، وأسر حرمة الل، ثم تمكن من الفرار[288].

6- إمارة عثمان بن أحمد ابن عيده:

وعندما لم يتمكن خصوم عثمان من القضاء عليه، وخافوا من أن ينتصر عليهم بمن معه من قبائل "التل" تظاهروا بقبول سلطته، ودعوه للصلح، فأجابهم، لكن الأمير

---

[284] تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية، 2004، ص37. والمراد بـ"الذريره" تشتت الناس وتفرقهم بسبب انتشار الحرب والمجاعة.

[285] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص28.

[286] عند بعض القبائل الشنقيطية المحاربة سلالات عريقة من الخيل معروفة بأسمائها، فخيل إدوعيش العريقة تسمى الحمامات، ولها خيل أخرى تعرف بالغزالات، وتسمى خيل أهل عثمان بن الفظيل الگشريات، وتسمى خيل الترارزة: بينطات واكبيشات والسبعيات. واكريكبات خيل أولاد بوحمد، ، وخيل العبلات من مشظوف تسمى اجديات، وخيل لحمنات تسمى الجريبات ومن فروعها الحوات وأمات الظفيرات والمعنگات، وخيل أولاد بالسباع تسمى الزريگات. والعتاق من الخيل الشنقيطية غالية الثمن وخاصة خيل تگانت وأدرار. ولما أخذ الفرنسيون ثلاثة خيول من خيل أمير إدوعيش بكار بن اسويد أحمد عند استشهاده في أبريل 1905م تم تقويم الواحدة منها بستين ناقة معها فصلانها. راجع، المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، هامش المحقق، ص62.

[287] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص148-149.

[288] تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص38. وشرح ما حدث قائلا: «وأسر حرمة الل فأراد مشظوف قتله بعد أن جردوه فنزع سكين أحدهم، ووثب على فرس لهم، فناشها ربها، فطعنه الدليمي في ذراعه فسقط جريحا، ونجا حرمة الل بالفرس».

عثمان ما لبث أن اغتيل على يد أحمد بن الديه واعليه بن سيدي بن الديك الطرشيين (من الصيايده) سنة 1280هـ/ 1863م، وهو في حلته قرب آمدير[289].

7- إمارة محمد بن أحمد ابن عيده:

وفي هذه الأثناء كان نفوذ الشيخ سيدي امحمد الكنتي يتصاعد كزعيم ديني قوي طامح إلى تأسيس إمارة إسلامية في منطقة الشمال، فزاره محمد بن أحمد ابن عيده في مقره ببئر أم اگرين، واعترف بإمامته[290] فعاضده الشيخ سيدي امحمد الكنتي[291]، وكانت له أيام ضد أولاد غيلان منها يوم "الطواز" ويوم "ترون".

ودخل كل من الشيخ سيدي امحمد ومحمد بن أحمد ابن عيده آدرار ظافرين، فاعترف خصوم محمد بإمارته، كما اعترف كثير من الناس بإمامة الشيخ سيدي امحمد الكنتي، الذي انضوت تحت لوائه قبائل كثيرة، وعارضته أخرى. وخاض الشيخ سيدي امحمد الكنتي معارك ضد بعض مناوئيه، فأوقع بأولاد بسباع في معركة "اگليبات الفهوده" (وتدعى أيضا معركة "الخشيب") سنة 1281هـ/ 1864م، ثم حشدوا له في تحالف واسع من أهل الساحل (أولاد بسباع، الرگيبات، أولاد دليم، أولاد اللب، الگرع، العروسيين) عند تورين بـ"گور اگنيفيده" سنة 1281هـ/ 1865م، فقتلوه ونهبوا محلته[292].

وانتهز رئيس أولاد اللب اعلي الملقب اغموگ بن محمد بن اعلي بن أحمد، بعد قتل الشيخ سيدي امحمد، فرصة انتجاع أهل آدرار بتيرس فقاد أهل الساحل (أولاد اللب، وأولاد دليم، وأولاد بسباع، وبعض تكنه، والرگيبات) نحو آدرار[293]، بعدما أوقعوا بشيعة سيدي امحمد الكنتي عند "تنواكه" سنة 1282هـ/ 1866م فقتلوا منها

---

[289] المرجع نفسه، ص149. ومحمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص162.
[290] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص58.
[291] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص149.
[292] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص35. وأضاف بأن الذي قتله الحريطاني بن محمد بن اعلي زعيم أهل سيدي عبد الل السباعي.
[293] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص35.

أكثر من مائة، وشتتوها، فاجتاحوا آدرار فوقعت "الذريره" (الثانية)[294]، واشتد الخوف، وانتشر الجوع، وخرج الناس على وجوههم هاربين[295].

وفي هذا الخضم قتل محمد بن أحمد ابن عيده الذي انضم إليه عمه المختار (النان) سنة 1866م (1283هـ)، قتله امحمد بن اخطيره وسالم بن ابيهنات الغيلانيان عند اگليب المشلية بلجام آدرار، فانقسمت شيعته، فترأس عمه المختار (النان) منها "حلة" جمعت أولاد محمد بن عثمان، وبعض أولاد الجعفرية، والحياينة، وأولاد سلمون، بينما عارض الطرش من أولاد غيلان، وبعض الجعفرية، وعبيد أهل عثمان زعامة المختار (النان)، وأقاموا "حلة" مستقلة دعت إلى بقاء السلطة في أبناء أحمد ابن عيده.

واجتاحت آدرار بسبب هذه الحوادث فوضى عارمة، لم يوقفها إلا هجوم أمير تگانت بكار بن اسويد أحمد المفاجئ على "حلة" المختار يوم "إيبي" (سنة 1288هـ/ 1871م)، الذي أدى إلى قتل المختار، وتشتيت شيعته.

وكان بكار في هذا الهجوم مصحوبا بابن أخته أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده، وعمه الشنظوره بن أحمد ابن عيده الذي خلف أخاه الأمير امحمد على زوجته اخديجه ابي بنت اسويد أحمد، فتسمى الشنظوره يومها أميرا، لكن الإمارة آلت في النهاية (سنة 1289هـ/ 1872م)[296] إلى ابن أخيه أحمد بن امحمد ابن عيده، بترشيح من مجموعتي

---

[294] تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص40. وابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص58.

[295] وفي هذه "الذريره" نسج أحمد بن ابده البارتيلي مقطوعته الشهيرة التي يعتبر فيها بحال البخاي بن اهبال الذي عشق زوجة بنت الديك، أحد أولاد غيلان ففداها منه بمال، فبينما هو ينتظر انقضاء عدتها وقعت "الذريره" فخرجت المرأة مع نساء هاربات على أقدامهن ، فأضر بهن الجوع فوجدن بقرا للبخاري فذبحت منه تبيعة، فوافاها البخاري فعنفها وهددها وطالبها بقضاء تبيعته، فقال ابن ابده:

«أبدت لنا نوافـــــذ الأقدار	معتبرا لأهــــــــل الاعتبار
انظر إلى معشـــــوقة البخاري	وعزها الآئل للصـــــــغار
كانت لنجل الديك عرسا وهو لا	يبغي بها من النســــــاء بدلا
ففرق البخار بالفــــــداء	بينهما للاعــــــج الأهواء
وكرعا كأس الصـــــبا زمانا	وكان من أمرهـــــما ما كانا(...)
ولم تزل في تيلك الحـــــال إلى	نعوذ بالله مـــــــن انواع البلا
أن ذبحت بنـــت لبون من بقر	عاشقها الذي بها قـــــد اشتهر
فرام أن تقضــــيه في الحين	بعد كلام غير مستـــــــلين
بل هم أن يوجعـــها بضربها	على خدود كان مفتـــونا بها
نفس الأريب انتبــهي واعتبري	وجددي العبرة أيضا وانظري...إلخ».

[296] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص273.

أهل مگيه وأهل تگدي[297]، ومباركة من خاله بكار بن اسويد أحمد، وتم خلع الشنظوره[298].

8- إمارة أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده:

واجتمع أهل آدرار على أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده المرشح للإمارة من قبل أولاد غيلان (لاسيما مجموعتي أهل مگيه وأهل تگدي)، وكان أهلا لذلك دينا وعدالة وعقلا وسياسة[299]، فكان لا يتهاون في رد المظالم وتأديب الظالمين، فازدهرت بلاده، وبلغ الأمن والاطمئنان غايتهما في عهده[300].

غير أن الحال فسد بينه وبين أولاد الجعفرية، بعد عامين من إمارته (سنة 1290هـ/ 1873م)، فتنصيب أحمد بن امحمد جاء في وقت كانت فيه الجعفرية المنتظمة حول أهل سيدي أحمد بن البرناوي العمناوي ترغب في تنصيب المختار بن امحمد بن سيدي أحمد بن عثمان، كما أن تقريب الأمير أحمد بن امحمد للمجموعة الغيلانية المؤثرة بزعامة وزيره الجديد إبراهيم بن مگيه لم يرق للجعفرية، فدبرت عملية اغتيال فاشلة للأمير حينما كان في واحة كنوال بآدرار بينما كانت "حلته" توجد بتيرس[301]. ورد الأمير على هذه المحاولة بيوم "اعيون البگر" الذي قتل فيه المختار بن محمد بن سيدي أحمد بن عثمان وفرسه، قتلهما إبراهيم بن مگيه، كما قتل فيه أبناء سيدي أحمد بن الفظيل الخمسة، وابنا البرناوي وغيرهم[302].

---

[297] بدأ التصالح بين مختلف الفصائل التي رضيت بإمارة أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده بمصالحة أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده لإبراهيم بن مگيه زعيم المجموعة الغيلانية القاتلة لأبيه الأمير امحمد.

[298] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص36. وقال: «فلما علم الشنظوره بنبإ خلعه وإمارة ابن أخيه، فوجئ بابن أخيه راكبا على جواد فهرب في وجهه، فطارده حتى أدخله القصبة التي هي دار بوتاج التي في أطار، ولم يخرج منها حتى مات غما». وابيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص 59. وأضاف: «وقع له –أي الشنظوره- ما وقع للاگرع بن الفظيل وابن أخيه سيدي أحمد، فقد دخل أحمد بن امحمد خيمة عمه وزوج أمه الشنظوره فأخذ البندقية والخيل، وخرج دون أن يستطيع الشنظوره أن يتعرض له، ومات الشنظوره بعد ذلك فجأة». بونت، ص59.

[299] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص150.

[300] وقد تغنى الشعراء بمآثره هذه، ومن أشهر ما قيل فيه قول ابن المبارك ابن اليمين:

من عافيت أحمد لمحمد ... ول أحمد ما يگبظ لغيار

حد الحد ألا يعطي حد ... ألحد اتل ماه لخبار...إلخ.

[301] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص61. وأضاف: «إن نجاة الأمير من هذه المؤامرة كان بفضل تدخل من بعض الجعفرية الموالين للسماسيد الذين حالوا دون حرق واحة كنوال».

[302] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص150.

وتعقب الأمير أحمد بن امحمد ابن عمه أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده الذي كان مع أخواله أهل البرناوي الممالئين للمختار بن محمد بن سيدي أحمد بن عثمان ليقتله، فلجأ إلى الحزام بن المعيوف فأجاره، فلم يقبل الأمير إجارته، فهاجر الحزام بمن معه من أولاد آگشار وأهل البرناوي وأحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده، ورجال من الجعفرية إلى الترارزة. ثم أخذوا يغيرون على آدرار، فوقعت بينهم وبين الأمير أحمد بن امحمد وشيعته مناوشات منها يوم "تگفه"، ويوم "تنديجمار" جرح فيه إبراهيم بن مگيه، وقتل فيه رجال من أولاد آگشار، ويوم "تندوجه" سنة 1876م (1293هـ).

وانتقل الحزام بعد هذه المناوشات إلى أولاد دليم، بينما عاد عدد ممن كان معه، من بينهم أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده إلى آدرار بعد مفاوضات مع الأمير[303].

واتصلت المناوشات بين الحزام وأولاد دليم من جهة وأمير آدرار من جهة أخرى، فجرى بينهم يوم "السفيرات" (موضع بتيرس على ساحل المحيط) سنة 1292هـ/ 1875م، ويوم "آغوييت" (جنوب وادي الذهب) سنة 1294هـ 1877م، قتل فيه إبراهيم اخليل رئيس أولاد باعمر وثلاثة من قومه، قتلهم سيدي أحمد بوريشه بن تگدي، وإبراهيم بن مگيه، ومحمد الأمين بن سيدي موسى، وكانت تحتهم أفراس الإمارة، التي أهدى عثمان ابن أحمد ابن عيده لإبراهيم اخليل فاستعادوها، ففرح الأمير بعودتها[304].

وعظمت سطوة أحمد بن امحمد إلى درجة أن سلطان المغرب بعث إليه سنة 1297هـ/ 1880م بوفد محمل بالهدايا النفيسة، وطلب منه الاعتراف بسلطته[305].

وفي سنة 1297هـ/ 1880م نشبت الحرب بين نغموشه (من أولاد غيلان) وأهل مانة الل من أولاد سلمون (من أولاد غيلان أيضا)، فكانت وقعة "اتخابيطه" عند مقطير

---

[303] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص62. وقيل إن أحمد بن سيدي أحمد عاد إلى آدرار واصطلح مع ابن عمه، بعدما جاء إلى الشيخ ماء العينين، فحثه على الرجوع وعلى عدم منازعة أحمد بن امحمد لما اشتهر عنه من العدل وحسن السياسة والأخذ على أيدي الظلمة.

[304] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص153. وقال بونت: «وبقيت من هذه الأفراس واحدة ردها ابن إبراهيم اخليل وخليفته اعلي سالم في السنة الموالية لأحمد بن امحمد لما أجابه إلى السلم». بونت، ص69.

[305] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص69.

أول وقعاتها، قتل فيها من نغموشه لوداعه بن بودرباله، ومن أهل مانة الل سالم بن سيدي المختار.

ثم قتل أهل مانة الل سيدي أحمد بوريشه بن تگدي سنة 1300هـ/ 1883م[306]، وهاجروا إلى إيدوعيش، وأخذوا يشنون الغارات على آدرار فحاربهم الأمير أحمد بن امحمد وإبراهيم بن مگيه، فجرت بينهم وقعات منها: السريز، وتنوجير، واگرارة أطاف، واحفر كرمط، وتيجرت...إلخ، مات فيها عدد من أهل مانة الل. وأغار أهل مانة الل على حلة الأمير عند الرغيويه، فقتلوا عددا من الرجال، ثم تبعتهم نغموشه ومعها الأمير فقتلوا عددا منهم[307].

وأضعفت هذه المعارك أهل مانة الل الذين عادوا إلى آدرار، بعد مكاتبة من الأمير، وانتهت بذلك تدخلات الأمير الدامية في القضايا الخاصة بأولاد غيلان.

وفي الثالث من نفمبر 1884م (15 محرم 1302هـ) حل الإسباني إيميليو بونيللي بالداخله لإقامة مركز تجاري، وربط علاقات تجارية مع بيضان المنطقة. وفي شهر دجمبر من نفس السنة أعلمت إسبانيا بقية الدول الأوروبية بأنها أصبحت تعتبر سواحل وادي الذهب محمية إسبانية. وفي يناير 1885م (ربيع الأول 1302هـ) شرع الإسبان في تشييد هذا المركز التجاري، وبينما كانوا يواصلون بناءه إذ هاجمتهم مجموعة من البيضان أغلبها من أولاد با أعمر من أولاد دليم، وفيها عناصر من قبائل مختلفة كالعروسيين وأولاد تيدرارين، ومجموعة من مريدي الشيخ ماء العينين، فقتلوا عددا من الإسبانيين، وأسروا عددا، ودمروا وزشات البناء، واستولوا على البضائع التي كانت في الباخرة "إينيس" التي كانت راسية بالمنطقة، فقال الأمير أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده إن الإسبانيين معاهدون له، وأنهم خرجوا بإذن منه، وجاء إلى الشيخ ماء

---

[306] أصبح لسيدي أحمد بوريشه بن تگدي حظوة لدى الأمير منذ استرجاعه لخيل الإمارة من أولاد دليم في معركة "آغوبيت"، فأثار ذلك ضده عدة مؤامرات لاسيما من طرف سيدي حرمه بن اخطيره وإبراهيم بن مگيه الذي كان يرغب في صيانة هيمنة أولاد سلمون على ظهر آدرار، وفي المحافظة على نفوذه لدى الأمير، فأشعلا نزاعا بين أهل تگدي وأهل مانة الل إثر شجار دام بين شبان من الطرفين كانوا يلعبون، وتباطأت إجراءات تسليم الدية حتى قتل سبط للعيدود بن مانة الل -وكان العيدود من زعمائهم- في غارة، فاتهم العيدود أهل تگدي بقتله مكرا، فحاول سيدي أحمد بوريشه إقناع العيدود بقبول الديه، فأمرت ابنة العيدود (والدة المقتول) شخصا بأن يربط حوار إحدى النوق في الخلاء ويحضر أمه فيعقلها قرب بيت العيدود، فحنت الناقة طوال الليل. وفي الصباح شكا العيدود لابنته من حنين الناقة، فقالت له: إن كل دابة تشكو فقدان صغارها إلا أنت. فانفعل، وخرج مسرعا وقلب قدح لبن كان في طريقه، وجمع أبناءه الثلاثة وأخاه وأمرهم بقتل سيدي أحمد بوريشه. بونت، ص71.

[307] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، 152.

العينين يريد تسلم الأموال التي نهبت منهم وديات قتلاهم، فأقنعه الشيخ ماء العينين بالعدول عن ذلك فعاد إلى آدرار[308].

وفي 1886م (1303هـ) توجهت إلى إقليم وادي الذهب بعثة إسبانية جديدة برئاسة خوليو سيرفيرا، وبعثت هذه البعثة برسالة إلى أمير آدرار تطلب فيها تأمينها والسماح لها بالسفر إليه. وتمكنت هذه البعثة رغم المضايقات الكثيرة التي تعرضت لها في الطريق من الوصول إلى مخيم الأمير بناحية كدية الجل، وأبرمت معه اتفاقية بتاريخ 12 يوليو 1886م (10 شوال 1303هـ) تعترف بالحماية الإسبانية، لكن هذه الاتفاقية لم تدخل حيز التطبيق[309].

وفي سنة 1307هـ/ 1889م قتل محمد السالك بن الفروي (من إيديشلي)، قتله الطفيل بن السالك بن حمدات (من إيديشلي كذلك)، ثأرا لأبيه الذي قتله محمد السالك في حرب بين أهل أعمر بن حومه وأولاد هنون، فاتهم إبراهيم بن مگيه، وكان صديقا لمحمد السالك به الشيخ بن النويصري قائلا للأمير: إن الطفيل لا يجرؤ على قتل محمد السالك إلا بمشورة الشيخ بن النويصري[310]، فشجع ذلك أخا المقتول سيدي أحمد بن الفروي، وكان حاضرا، على قتل الشيخ بن النويصري الذي جاء إلى خيمة الأمير لما علم بمقتل محمد السالك في انتظار ما سيسفر عنه الأمر، فقام إليه وقتله، والأمير والناس ينظرون.

---

[308] الطالب اخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، مرجع سبق ذكره، ص19-20-89. وأضاف أن أمير آدرار جاء إلى الشيخ ماء العينين ومعه فتوى من بعض الزوايا فبين له الشيخ ماء العينين وجه الحكم الشرعي، وأن ذلك هو السبب في تأليف الشيخ ماء العينين لكتابه "هداية من حارا في أمر النصارى".

[309] المرجع نفسه. ص21-22.

[310] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص53-55. ويشرح بونت الظروف المكتنفة لهذا الاغتيال فيقول: «عند وصول أحمد بن امحمد إلى الإمارة، كان الصراع قائما بين طرفين من إيديشلي هما أولاد هنون بزعامة الشيخ بن النويصري، والتحق بهم كل من المحيصر وأولاد ساسي (وهما فرعان من الظهر)، بينما التحق أهل الشيخ بن بكار من الظهر، وأولاد انتاده من الباطن بالطرف الثاني: أهل أعمر بن حومه، وكان أولاد انتاده في نزاع مع أولاد هنون حول ملكية واحة تيزنت. وقتل رجلان من أهل أعمر بن حومه في بداية عهد أحمد بن امحمد فاضطرم النزاع، وتدخلت الإمارة، وهاجر أولاد هنون والمحيصر إلى تگانت، ثم شنوا عدة غارات ضد خصومهم من أهل أعمر بن حومه. وخلال إحدى هذه الغارات قتل محمد السالك بن الفروي وهو تحت لواء الشيخ بن النويصري رجلا من أسرة أهل حمدات. وبعد سنوات من الغربة عاد أولاد هنون وحلفاؤهم إلى آدرار إثر غارة فاشلة ضد واحة تيزنت، انتهت بمصالحتهم للأمير، وخصومهم من إيديشلي. ثم إن الأمير أراد الإغارة على الترارزة إثر غارة شنها الحزام بن المعيوف من الترارزة على آدرار، فطلب الأمير من إبراهيم بن مگيه رجالا من أولاد غيلان، وطلب من الشيخ بن النويصري رجالا من إيديشلي، فقال الشيخ: إن واجب إيديشلي هو الدفاع عن آدرار وليس التدخل في الخارج، فأشار إبراهيم بن مگيه على الأمير بأن يوجه طلبه إلى محمد السالك بن الفروي، أحد أصحاب الشيخ بن النويصري المشهورين، فجاءه بثلاثة عشر رجلا من إيديشلي. ونجحت الغارة، وعاد محمد السالك وإبراهيم بن مگيه محملين بالغنائم، فسر الأمير بذلك. وغار الشيخ بن النويصري من حظوة محمد السالك الجديدة لدى الأمير، فجمع قومه وأخبرهم بأنه لم يعد مسؤولا عن محمد السالك. يومئ بذلك لأهل حمدات الذين كانوا يرغبون في قتله ثأرا لقتيلهم الذي قتله محمد السالك سابقا. وفي اليوم الموالي قتل محمد السالك بينما كان نائما في دار لرجل من السماسيد». (بونت، مرجع سبق ذكره، ص74-75).

وأظهر أولاد هنون الصبر حينها، لكنهم عزموا على الثأر من إبراهيم بن مگيه لدم الشيخ بن النويصري[311]، فلما قحطت الأرض، وخرج الناس إلى جهة تگانت وباطنها طلبا للنجعة، ورحلت حلة أحمد بن امحمد حتى نزلت التاخصه، ذهب سالم بن بوشامه في نفر من قومه إلى حلة بكار ليشاوروه حول قتل إبراهيم، فقد كانوا يدركون أنه لا يمكنهم قتل إبراهيم ما دام الأمير حيا، وكانوا يخافون إذا قتلوا الأمير من خاله بكار بن اسويد أحمد[312]، فلما قالوا له: لا نقدر على قتل إبراهيم بسبب ابن أختك، فقال لهم: "إن حلت بينكم وبين ابن أختي فاقتلوني قبله[313]. فرجعوا وتربصوا بالأمير وإبراهيم بن مگيه، والمتولي كبر ذلك سالم بن بوشامه الذي حلف لا أكل تمرا حتى يقتل أحمد بن امحمد، وامحمد بن گلاي، وأحمد بن سيدي المختار، ثلاثتهم من أولاد هنون، وأعمر بن محمد فو من أولاد ساسي، ثم هجموا على الأمير منصرفه من صلاة العشاء، هو وإبراهيم بن مگيه وسيدي محمود بن اهميمد، فقتل سالم بن بوشامه الأمير، ولم يمت إلا بعد وقت من إصابته، وقتل امحمد بن گلاي إبراهيم بن مگيه، وقتل أحمد بن سيدي المختار سيدي محمود بن اهميمد، وذلك في 13 رجب سنة 1308هـ (22 فبراير 1891م)[314].

9- إمارة أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده:

ولما أصيب أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده، وعرف أنه ميت استخلف ابن عمه أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده، وقال له: «لا تهدر دمي، ولا تعف عن بكار بن اسويد أحمد، فإنه مالأ إيديشلي على قتلي[315]»، فوعده بذلك[316]. فلما بويع

---

[311] وبهذه المناسبة قالت إحدى نساء إيديشلي تحرض على الثأر للشيخ بن النويصري:

واف عند الشيخ اصبر	فالضعيف أفالقاوي
وايديشلاوي ما نذكر	عاگب ذ الموت احراوي
عن بعد اتل ينذكر	في الدهر إيديشلاوي.

انظر، أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص39.

[312] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص65.

[313] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص75.

[314] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص153. كما قتل في تلك الليلة اسويدات بن الشيخ اللبي، وكان حديث عهد بعرس مع أخت الأمير أحمد بن امحمد. انظر، أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص44.

[315] المرجع نفسه، ص153. وحسب اپيير بونت فإن السبب في ممالأة بكار لإيديشلي أنه كان يريد الأخذ بثأر ابنه المختار الذي قتله إبراهيم بن مگيه سنة 1890م (1306هـ)، وكان لابد له لكي يشفي غيظه من إبراهيم أن يسمح بقتل الأمير الذي لا يفارقه. بونت، مرجع سبق ذكره، ص75.

[316] قيل إن أحمد بن امحمد استدعى أحمد بن سيدي أحمد وقال له: أريد منك ثلاثة أمور: الأول ألا تترك دمي يبرد، والثاني ألا تحمل ضغينة لأهلك (إيديشلي)، والثالث ألا تبعد أولاد غيلان عن سياسة إمارتك. فقال له: مت أنت بسرعة ولا تهتم بشيء. اپيير بونت، ص76.

لأحمد بن سيدي أحمد واستتب له الأمر، نفر من فوره إلى إيدوعيش، وكان قد حلف أمام كبراء "الحلة" أثناء بيعته على الأخذ بثأر الأمير المقتول، واجتمعت عليه للأخذ بهذا الثأر مختلف طوائف أبناء يحيى بن عثمان، وانضم إليه الحزام بن المعيوف، فوقعت بين الأمير الجديد وبين إيدوعيش أيام منها: يوم "آرزاگ" سنة 1308هـ/ 1891م قتل فيه امحمد بن بكار بن اسويد أحمد، ويوم "الطرطيگه" 1308هـ/ 1891م، وكان يوما مشهودا انتصر فيه أهل آدرار[317] انتصارا كبيرا على إيدوعيش[318]. وفي هذه الوقعة كان مع الأمير أحمد بن سيدي أحمد اثنا عشر رجلا من إيديشلي، فلما بلغ "تنتشل" تمالأ مع أولاد غيلان عليهم فقتلوهم ثأرا لدم أحمد بن امحمد وإبراهيم بن مگيه.

وغزت إيدوعيش أولاد يحيى بن عثمان فجرى بينهم يوم "امراير حمدون" (1309هـ/ 1891م)، انتصر فيه أولاد يحيى بن عثمان على إيدوعيش[319].

ثم جاء يوم "انتاكش" (1309هـ/ 1891م)، وكان شديدا على الطرفين، بعدما دخلت كنته الحرب إلى جانب أهل آدرار[320]. وبعد ذلك وقعت وقعة "آنكش" (قرب

---

[317] قال فيه الحزام بن المعيوف "طلعة" مشهورة يعرض فيه بفرسان إيدوعيش ممن كان ينوي نهب خيل أهل آدرار:

آنَ گالولِي عن عثمـــــــانْ   امحولِ يسبـتْ هـــوْلِ
بافرصْ عند احيَ من عثمـانْ   وامحولِ بكار ابحــــولِ
واكتنْ يامسْ رينَ فرســـــانْ   حظرُ للفـتــــنَ گالولِ
عن ما حانَ لِفرصْ عثمــــان   ألا حانَ بكار الحـــولِ.

وقد رد شاعر إيدوعيش على هذه "الطلعة" بعد انتصارهم على أهل آدرار يوم فرع الكتان.

[318] قال ابن انتهاه: «وكان غزوه لأهل تگانت من أعظم الأمور عند عامة الناس، لكون أهل آدرار في أسر إيدوعيش وقبضتهم منذ أحمد بن امحمد بن أحمد بن عيده، فهم لهم كالعمال في الأرض، فلما غزاهم أحمد وظفر بهم بالطرطيگه التي ما وراءها وراء عندهم لأنها من الأمكنة الصعبة، فجندل أبطالهم، وهزم خيلهم ورجالهم، وساق إبلهم، ومكث معهم في الحرب ثلاثة أيام، وهم معه في أشد ما يكون.. ورجع أحمد بن سيدي أحمد ومن معه في غاية الفخر لكونهم ارتقوا مكانا صعبا لم يخطر لأحد ببال من قبلهم. وفي ذلك قال محمد عبد الرحمن بن المبارك الگناني:

الاماره لاحمد كيفن جات   اسمعها مـــا ظل أولا بات
رباها تربيت الامنات   ادخلت كفالت حد اصديگ
حنكها بادموع الحرات   أرظعها بارفــود ابخاويگ
أصرطها ريگ أثلت كصرات   بامخل الاطفال ابگر سيگ
وانخلع منها الامارات   ألا فيهم وحد گالت گيگ
أذاك الريگ أل صرطها فات   جعلت بيه العربان ادگيگ
وسات عادتها وأبات   تصرط ش ماه ذاك الريگ».

راجع، ابن انتهاه، مرجع سبق ذكره، ص 56-57.

[319] قال بابا بن الشيخ سيديا: «يقال إن جيش إيدوعيش فيه ألفان وسبعمائة، ومعهم عالي بر السوداني الذي كان سلطانا لاچيولوف [ناهض الفرنسيين، فاضطر إلى ترك أرضه، فلجأ إلى إيدوعيش في عهد بكار بن اسويد أحمد]، وأن أهل آدرار في ذلك اليوم لا يتجاوزون سبعمائة، وكانت الدائرة فيه على إيدوعيش، وكان الحادث عظيما». بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق، إزيد بيه بن أحمد محمود، الطبعة الثانية، 1994، انواكشوط، ص125.، ص155.

قصر البركه) بين إيدوعيش وكنته وأولاد يحيى بن عثمان قتل فيها سبعة من أهل امحمد شين[321]. ثم يوم "فرع الكتان" (الفريع) سنة 1310هـ/ 1892م انتصر فيه إيدوعيش[322] على أولاد يحيى بن عثمان وكنته[323]، وكان مع هؤلاء أولاد اللب الذين فقدوا في هذا اليوم أحد أبطالهم هو بلاه بن البيظ، وجرح بطلهم سيدي امحمد بن محمد بن عثمان وفارسهم الشهير الأديب محمد بن أحمد مرحبه[324]. وفي هذا اليوم حالف إيديشلي إيدوعيش، انتقاما من الأمير على غدره برجالهم.

وكان يوم "فرع الكتان" آخر أيام الحرب بين الطرفين، فإيدوعيش اكتفوا بهذا الانتصار الحاسم، وأحمد بن سيدي أحمد انشغل بمعالجة التطورات التي حصلت في آدرار بعد انشقاق إيديشلي.

وخلال هذه الفترة كلف وزير المستعمرات الفرنسية (سنة 1891م/ 1308هـ) الإداري السينغالي فابير بالاتصال بأمير آدرار وتوقيع معاهدة سلام معه، فأقامت البعثة 47 يوما في مخيم الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل بتويزكت (190 كلم شمال انواكشوط) الذي كان يتولى الوساطة بين الفرنسيين وأمير آدرار، لكن فابير لم يتمكن من لقاء أمير آدرار الذي كان منشغلا بالحرب مع أمير تگانت، واقتصر الأمر على تبادل للرسائل بين الطرفين دون تحقيق أي نتيجة تذكر[325]. وبعد ذلك بأشهر تمكن مبعوث الفرنسيين المترجم السينغالي دودو سك المشهور بمحمدن بن ابن المقداد من الوصول إلى آدرار وتوقيع اتفاقية مع أمير آدرار يوم 8 أغسطس 1892م (15 محرم 1310هـ) تلتزم فرنسا بموجبها، بعدم التدخل في شؤون آدرار الداخلية، وبفرض احترام القوافل القادمة من آدرار إلى اندر، وبمساعدة الأمير في نزاعه مع أعدائه، وبأن

---

[320] في تاريخ تجگجه: «وقعة "انتاكش" بين كنته وأولاد يحيى بن عثمان من جانب، وإيدوعيش وأولاد طلحه من جانب آخر، قتل فيها من الأولين أربعون». عن المختار بن حامدٌ، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص278.

[321] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص278.

[322] لما انتصر إيدوعيش يوم "فرع الكتان" ردا على ماتقدم من قول الحزام يوم الطرطيگه:

گولِ الْ لَحزامْ ءُ لا فخــرَ — عني ريتْ البيهْ امْحَــولِ
ريتُ هو يومْ الحصْـــــرَ — ماش بَازْزَالْ امْجَـــولِ
ريتْ العودْ افبَلْ المهْــــرَ — واسيْسَاحْ افبلْ الحـــوْلِ

[323] قتل فيه من أبطال أولاد يحيى بن عثمان أعمر بن كركوب وغيره. المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص154، وص278.

[324] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص43.

[325] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص91.

تدفع له فرنسا 500 "بيصه" من "النيله" سنويا، مقابل تعهد الأمير بعدم توقيع أية اتفاقية مع أي قوة أجنبية أخرى[326].

وفي سنة 1314هـ/ 1896م فسد الحال بين الأمير أحمد بن سيدي أحمد وأولاد سلمون الذين هجموا على الأمير وحاصروه بدعم من أهل سيدي محمود، وقتلوا رجلا من أخواله يدعى امحمد بن محمد سالم بن البرناوي ونهبوا المال، ثم هاجروا باتجاه تگانت.

واشتبك الفريقان في يومين هما: يوم "آزويگه"، التقى فيه الحزام في عصابة مع محمد بن فيدار في جماعة[327] فقتل الحزام، وأخوه، ومحمد الكوري بن يعقوب، ومحمد بن لخديم، وأحمد بن كركوب وغيرهم، ويوم "تيدناتن"، قتل فيه الحضرامي بن محمد الأمين بن سالم بن المحمود، وابن صيگه وابن التونسي، ثلاثتهم من أولاد سله من أولاد غيلان، وقتل فيه أربعة من إيديشلي[328].

وحاول الأمير أن يفرض مغرما على بعض الملالكه فاستعظم أولاد غيلان ذلك، وكانوا متغيظين على الأمير لتسببه في جلاء أولاد سلمون عن آدرار[329]، فحاصروه في داره، ثم أفرجوا عنه وارتحلوا قاصدين اللحاق بقومهم (أولاد سلمون)، وذلك سنة 1315هـ/ 1897م، فنفر الأمير لقتالهم، بعدما عبأ إيديشلي الذين سبق أن شجع عودتهم من تگانت ضد أولاد غيلان، فوقعت بينهم وقعة "تاوجافت"، التي قتل فيها عدد من الطرفين. ثم أغار أولاد غيلان على حلة الأمير فقتلوا ثلاثة من إيديشلي.

ورحل الأمير إلى الساحل، ثم أخذ في تعبئة أولاد دليم (أعداء أولاد غيلان تقليديا) وغيرهم من قبائل الساحل ضد أولاد غيلان الذين هاجموا آدرار بمعية إيدوعيش[330] إبان غيبته ونهبوا أموالا كثيرة، وجاء الأمير أحمد بن سيدي أحمد ومعه أولاد دليم فاشتد الأمر، ثم صالح الأمير أولاد غيلان وترضاهم، فعادوا إلى آدرار 1316هـ/ 1898م.

لكن الصلح بين الطرفين كان هشا، فقد عزم الأمير من جديد على تغريم الملالكه، بينما أغار أولاد آگشار على مخيم للذهيرات الغيلانيين عند التوامه للأخذ بثأر

---

326 المرجع نفسه، ص91-92.

327 عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص68.

328 المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص155.

329 عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص67.

330 ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص81.

الحزام. والتهبت المشاعر من جديد، واشتد الضغط على الأمير[331]. وفي هذه الظروف انهدمت عليه داره في كنوال سنة 1316هـ/ 1898م فمات.

10- إمارة المختار بن أحمد ابن عيده:

واندلعت في أعقاب وفاة أحمد بن سيدي أحمد أزمة خلافة أوصلت إلى السلطة المختار بن أحمد ابن عيده[332]، مرشح الجعفرية على حساب مرشح أولاد غيلان محمد بن سيدي بن عثمان. وكان المختار رجلا متسامحا، فشهد آدرار في عهده أوضاعا متردية مشحونة بالفوضى والنهب، فلم يستتب الوضع، رغم أنه استوزر ابنه أحمد، فقبائل الساحل أخذت تحقق بفضل تسلحها بالأسلحة النارية الجديدة المتطورة المعروفة بـ"الوروار" تفوقا عسكريا على قبائل آدرار، لاسيما الركَيبات وأولاد بسباع الذين دفع ضغطهم على الإمارة الأمير وابنه إلى مطالبة الشيخ ماء العينين بالمساعدة في تهدئة الأوضاع المضطربة في المنطقة، وحثه على بذل جهده في إقناع ابن هيبه العمني بالصلح مع الأمير وشيعته من أهل عثمان، وعدم التحالف مع أولاد بسباع[333].

وفي سنة 1899م وصل محمدن بن ابن المقداد مجددا إلى آدرار، ونجح في إبرام اتفاق مماثل لاتفاقه السابق مع الأمير أحمد بن سيدي أحمد مع المختار يرفع عدد "البيصات" التي تمنح للأمير إلى 800 "بيصة"، وبقيت هذه المعاهدة بدورها حبرا على ورق.

وفي مارس 1899م (شوال 1316هـ) قررت فرنسا إيفاد بعثة استكشافية إلى عمق البلاد، وتم تكليف عالم آثار فرنسي يدعى بول بلانشي بقيادة البعثة التي تضم فرنسيين آخرين أحدهما جيولوجي، والآخر عسكري، كما تضم المترجم محمدن بن ابن المقداد، وثلاثين مجندا إفريقيا، وتتوفر على 85 جملا من بينها 67 محملة بالبضائع والمؤن.

---

[331] المرجع نفسه، ص82. ويفصل بابا بن الشيخ سيديا هذا الحدث بقوله: «ثم فسد ما بين أولاد غيلان من أهل آدرار وبين أميرهم أحمد بن سيدي أحمد، فراسلوا إيدوعيش فقدم عليهم عثمان بن بكار بن اسويد أحمد في جيش من إيدوعيش، وصاروا معهم يدا على بقية أهل آدرار فانتصروا عليهم، وحصروا أحمد في داره في أطار». بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص87.

[332] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص163.

[333] الطالب اخيار بن الشيخ مامينا آل الشيخ ماء العينين، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، 2005، ص505-506.

وانطلقت هذه البعثة من اندر في إبريل 1900م (ذي الحجة 1317هـ)، ووصلت إلى تويزكت مقر مخيم الشيخ سعد بوه، ثم واصلت باتجاه أطار الذي استقبلهم سكانه بالشتائم والتهديد، مطالبين الأمير بعدم السماح للنصارى بدخول المدينة، لكن أحمد بن المختار تولى استضافة البعثة نيابة عن والده الذي كان يوجد حينها خارج أطار، وتعهد بحمايتها. وبعث ابلانشي محمدن بن ابن المقداد إلى الأمير لإقناعه بالمجيء إلى أطار، أو السماح للبعثة بالانتقال إليه لتوقيع اتفاقية تجارية جديدة مع فرنسا. وبينما كان محمدن بن ابن المقداد يفاوض الأمير خارج أطار، تمت مهاجمة البعثة من قبل السكان، ووقعت اشتباكات متقطعة بين الطرفين يومي 9 و10 يونيو 1900م (11 و12 صفر 1318هـ) أسفرت عن قتل عشرة أشخاص من البعثة، ونهب القافلة، وأسر الفرنسيين الثلاثة، بينما لاذ بقية أفراد البعثة بالفرار عائدين إلى اندر.

وأوفد الوالي الفرنسي على وجه السرعة رسلا إلى كل من الشيخ سعد بوه والمختار ابن عيده لضمان سلامة الفرنسيين. وطالب سكان آدرار الغاضبون من دخول النصارى إلى بلادهم بإرسال هؤلاء الفرنسيين إلى الشيخ ماء العينين في السمارة، لكن الشيخ سعد بوه نجح أخيرا في استخلاصهم مقابل فدية مالية بعدما قضوا سبعة وسبعين يوما في الأسر[334]. واضطر المختار إلى التنازل عن الإمارة بعدما اتهم من قبل أولاد غيلان وبعض الزوايا بأنه شجع دخول الفرنسيين إلى آدرار[335]، فرحل إلى الشيخ سعد بوه، ثم التحق بكبلاني في بتلميت[336].

11- إمارة أحمد بن المختار ابن عيده:

وتسلم أحمد بن المختار الإمارة، لكنه في الواقع لم يحصل على مساندة خارج الجعفرية وشيعتها. وازدادت الاضطرابات في عهده، حيث غزا الرگيبات آدرار سنة 1319هـ (1901م)، ودارت معارك بين أولاد عمني وأولاد بسباع، منها يوم لمونك انتصر فيه أولاد عمني، ويوم النعاجية سنة 1319هـ (1901م)، ويوم تابرنكوت، ويوم بوخزامه سنة 1321هـ (1903م)، ومات أحمد في هذا اليوم الأخير الذي انتصر فيه أولاد بسباع بفضل "الوروار" الأمير أحمد بن المختار.

12- إمارة سيدي أحمد بن أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده:

[334] محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص169-228.
[335] اپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص92.
[336] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وبعد مقتل أحمد بن المختار دخلت الإمارة في فوضى جديدة انتهت بقبول أولاد غيلان تنصيب سيدي أحمد بن أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده. كان سيدي أحمد صغيرا عندما توفي أبوه، فنقلته أمه عيشه بنت عبد الله بن اعلي بن أحمد اللبية إلى الشيخ ماء العينين حرصا على أمنه، فلما جاءه أولاد غيلان ليتصالحوا مع الركيبات بعد سنوات من الحرب، نصحهم الشيخ ماء العينين بتأمير سيدي أحمد، فقبلوا بذلك[337]، فعاد سيدي أحمد مع أولاد غيلان إلى آدرار وتقلد الإمارة.

وجاء تنصيب الأمير الجديد في وقت بدأ فيه الفرنسيون بالتخطيط لاحتلال تگانت. وكان أهل آدرار يشعرون بأن احتلال تگانت سيقود إلى احتلال إمارتهم، فبدأوا في تنظيم المقاومة. وقاد ذلك إلى تسلل مجموعة من مجاهدي آدرار بقيادة سيدي بن مولاي الزين إلى تگانت، واغتيالها للمفوض العام لفرنسا في موريتانيا كبلاني (اكزافيي كوبولاني) بعاصمتها تجگجه يوم 12 مايو 1905م (7 ربيع الأول 1323هـ).

وشحذ هذا الاغتيال همم المجاهدين، وفي طليعتهم الأمير سيدي أحمد الذي أمده الشيخ ماء العينين بعدد كبير من المجاهدين على رأسهم ابنه الشيخ حسنا، كما أمدهم ملك المغرب السلطان عبد العزيز بمولاي إدريس بن مولاي عبد الرحمن بن مولاي سليمان (أحد أبناء عمومته من شرفاء تافلالت) لقيادة المقاومة.

لكن فرنسا المتفوقة عسكريا تمكنت بعد سنوات من المجابهة من دخول أطار يوم 9 يناير 1909م (16 ذي الحجة 1326هـ)، وأكملت احتلال آدرار في نفس السنة، لكن ذلك لم يمنع الأمير سيدي أحمد من مواصلة المقاومة لفترة طويلة، حتى استشهد في مواجهة مع الفرنسيين بنواحي وديان الخروب (بتيرس) سنة 1932م (1350هـ).

إمارة إيدوعيش

[337] المرجع نفسه، ص94.

تحولت الأسر الأميرية للمرابطين، بعد تفكك دولتهم، إلى رئاسات قبلية متفرقة. واستطاعت ذراري هذه الأسر (لاسيما ذرية الأمير يحيى بن عمر اللمتوني وذرية أخيه الأمير أبي بكر بن عمر، وذرية الأمير يوسف بن تاشفين) أن تحتفظ بنوع من الزعامة المتوارثة بين قبائل لمتونة الصنهاجية حتى مقدم بني حسان[338].

ولما جاء بنو حسان ودخلوا في حروب طاحنة مع قبائل صنهاجة اضمحل (أو ضعف) معظم هذه الرئاسات. وتمكن أوديكه بن آكر بن بگه (شهرته آكر أن بگه) بن أنمر بن عثمان (أحد أحفاد يحيى بن عمر اللمتوني وأحد رؤساء الأنباط) في بحر القرن العاشر الهجري (16م) من إخفاء ابنه بنيوگ لدى أسرة من إيدوعلي بشنقيط خوفا عليه من القتل، فكان أبناء هذه الأسرة يدعونه "خونه" (أخونا) فاشتهر بهذا اللقب[339]. وأظهر خونه لما كبر والتحق بقومه من الشجاعة وحسن التدبير وبعد النظر ما أهله لقيادتهم.

1- إمارة امحمد بن خونه:

وورث امحمد بن خونه رئاسة أبيه. وتمكن من إعادة لم شمل صنهاجة الذين شتتتهم الحرب حول ذويه إيدويدر (نسبة إلى يدر أن بگه[340]). وترجمت إيدويدر بالحسانية إلى إيدوعيش، ثم أصبحت علما على هذا التكتل الناهض. وتحالف امحمد بن خونه مع أولاد امبارك، وزوج ابنتيه العاليه ثم عيشه لهنون العبيدي بن محمد الزناگي أحد رؤساء أولاد امبارك[341]، فاستطاع من خلال ذلك أن يوطد السلطة التي ورث عن أبيه، وأن يضع الأسس الأولى لإمارة إيدوعيش[342] التي اشتهرت كذلك بإمارة تگانت. «ومعنى تگانت الغابة، وهي حلقة كآدرار، يحفها من الجانبين جبل عظيم، كجبل آدرار، يسمى سن تگانت، وأولها من جهة آدرار [من الناحية الشمالية الغربية] العاتگ، وهي كثبان عظام متصلة بجبال أكثرها سود، وبعضها زرق. وتنتهي تگانت من جهة [الشرق وشمال الشرق] في أدافر، وهو أرض كثيرة الرمال، قليلة المياه، ومن جهة الجنوب والجنوب [الغربي] في العصابه والرگيبه، ومن جهة [الجنوب] الشرقي في آوكار، [وهي] أرض واسعة واقعة بين تگانت وتيشيت وارگيبه والحوض فغربيها [الشمالي] مما يلي تگانت، [وجنوبيها الشرقي] مما يلي الحوض، وجنوبيها [الغربي]

---

[338] يوجد صدى لهذه الأسر الثلاث في ذراري هذه القبيلة.

[339] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص183.

[340] أي يدر بن بگه، ومعنى يدر يعيش.

[341] ولدت العالية بنت امحمد بن خونه لهنون العبيدي أربعة أولاد هم: بوسيف وحمو وممو وسيدي أحمد، ويطلق على هؤلاء وذراريهم أولاد العاليه. وولدت له أختها عيشه ثلاثة أولاد هم: عثمان وأحمد وبكار، ويطلق على هؤلاء وذراريهم أولاد عيشه.

[342] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص183.

مما يلي الرگيبه، وشرقيها الشمالي مما يلي تيشيت[343]». ويستوطن تگانت إلى جانب إيدوعيش إيدوعلي وكنته، وهما قبيلتان مشهورتان من قبائل الزوايا. كما نشأت بتگانت قبيلة أهل سيدي محمود الزاوية التي ستكون لاحقا بالرگيبه رئاسة خاصة بها[344].

وكانت أرض تگانت تضم إبان قيام إمارة إيدوعيش قبائل حسانية منها أولاد امبارك، وجلوا عن تگانت بعد يوم "آكرراي" والأيام التي تلته (1172هـ- 1173هـ/ 1758م- 1760م) باتجاه الرگيبه والعصابه والحوض حيث كان نفوذهم قد امتد إلى هناك منذ فترة، وأولاد الناصر والتحقوا بالحوض بدورهم، وأولاد طلحة، والعويسيات، وبعض أولاد بولحيه، والزبيرات والگوانيط، وغيرهم. كما آوت تگانت قبيلة مشظوف

---

[343] أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سبق ذكره، ص443، 454، بتصرف. وما بين المعقوفتين تصويبات حررناها بالتدارس مع الباحث يحيى بن احريمو، فالنص الأصلي للوسيط (بتصرف) كان كالتالي: «ومعنى تگانت الغابة، وهي حلقة كآدرار، يحفها من الجانبين جبل عظيم، كجبل آدرار، يسمى سن تگانت، وأولها من جهة آدرار غربا العاتگ، وهي كثبان عظام متصلة بجبال أكثرها سود، وبعضها زرق. وتنتهي تگانت من جهة الشمال في أدافر، وهو أرض كثيرة الرمال، قليلة المياه، ومن جهة الجنوب والجنوب الشرقي في العصابه والرگيبه، ومن جهة الشمال الشرقي في آوكار، وهي أرض واسعة واقعة بين تگانت وتيشيت وارگيبه والحوض فغربيها الجنوبي مما يلي تگانت، وغربيها الشمالي مما يلي الحوض، وجنوبها الشرقي مما يلي الرگيبه، وشرقيها الشمالي مما يلي تيشيت». وهذه الجهات هنا معربة من الحسانية وفق جهات أهل المناطق الشرقية، بينما اعتمد مؤلف الوسيط أثناء تعريبها جهات أهل المنطقة الجنوبية، نبه على ذلك الباحث محمد بن مولود بن داداه.

[344] خرج المرابط سيدي محمود بن الطالب المختار الحاجي من ودان إلى بلاد الرگيبه في ثمانينات القرن الثاني عشر للهجرة بسبب صراع وقع على الإمامة في ودان. وأخذ عن العالمين الطالب جدو بن نختيرو بن الطالب مصطف الغلاوي (تـ1184هـ/ 1770م) والشيخ سيدي الأمين بن حبيب الجكني (تـ1180هـ/ 1766م) الذي زوجه ابنته. واشتهر المرابط سيدي محمود بالصلاح فأقبل عليه الناس وانخرط في سلكه كثير من أهل المنطقة من إيدوعيش ومشظوف وأولاد امبارك وأولاد الناصر وأولاد داود وإيرالن، وعائلات من تجكانت ومسومه وتاگاط وتندغه وغيرهم. وقد هاجرت بهجرة المرابط سيدي محمود إلى الرگيبه فصائل من إيدوالحاج من إيدوبجه ولوتيدات وإيدياقب وأولاد الحاج وغيرهم.

ولما توفي المرابط سيدي محمود سنة 1200هـ (1786م) خلفه ابناه محمد الراظي وعبد الله، وكان عبد الله عالما فاهما حازما أخذ عن المختار بن بونه وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم وغيرهما، وسعى إلى توطيد الرئاسة التي أسس والده والتخلص من كنته الذين ناصروا إيدوالحاج في حربهم مع إيدوعلي، ثم فسد الود بعد ذلك بينهم وبين إيدوالحاج، ولم يزل يعد العدة لحرب كنته حتى توفي محمد بن امحمد شين أمير تگانت الذي كان يحول دون نشوب الحرب بين الطرفين، فقد انقسمت بموته سنة 1236هـ (1820م) إيدوعيش، وناصر بعض أبناء محمد بن امحمد شين عبد الله فاندلعت الحرب بينه وبين كنته. ولما وضعت هذه الحرب التي دامت سنوات أزوارها أصبح عبد الله بن سيدي محمود أحد الرؤساء الكبار في المنطقة، واجتمع عليه خلق كثير زيادة على ما اجتمع عليهم في عهد والده، وأقبل على إحياء الأرض وحفر الآبار وبناء السدود. وتوفي عبد الله سنة 1255هـ (1839م) فترأس ابنه محمد المختار وتوفي سنة 1261هـ (1845م)، ثم ترأس أخوه محمد محمود واشتهر بالسياسة والحزم والشجاعة فعمل على توسيع رئاسة أهل سيدي محمود، وفي أيامه تجدد القتال بين كنته وأهل سيدي محمود، فكان من أيام الحرب بين الطرفين يوم "اگطيع نخل الرشيد" سنة 1270هـ (1854م)، كما شارك في الحروب الدائرة في المنطقة، وكان يتحالف مع الشراتيت تارة ومع مشظوف تارة، ومع الأغلال أحيانا بحسب الحال. وفي سنة 1297هـ (1880م) هاجم "حلة" بكار بن اسويد أحمد واستولى على أفراس من خيله، فدخل في حرب مع إيدوعيش وواجههم بمشظوف سنة 1299هـ (1882م)، وكان مع إيدوعيش أولاد الناصر والاغلال فوقعت وقعة "أگمون"، وكان النصر فيها حليفه. ثم اغار عليه إيدوعيش ومعهم كنته يوم أدروم فهزموه، وقتلوا كثيرا ممن معه، وجرح المصطفى بن عبد الله بن سيدي محمود في هذا اليوم، وتوفي بعد ذلك جراء جراحاته. ثم اصطلح محمد محمود مع إيدوعيش . وتوفي سنة 1300هـ (1883م)، وبموته انقسمت حلته بين أبنائه. نقلا عن يحيى بن احريمو، ورقات في تاريخ أهل سيدي محمود.

التي قاومت بني حسان إلى جانب إيدوعيش، قبل أن تدخل مع إيدوعيش في شقاق، وترحل إلى الحوض حيث ستقيم هناك إمارة خاصة بها.

وتقطن بتگانت كذلك مجموعات من قبائل الرعيان، وأهل الفلالي، وإيدييسات، وتجكانت، ولادم، وإيديشلي.

ولما توفي امحمد بن خونه أصبحت إيدوعيش تضم ثلاث "حلل" رئيسية: "حلة" أهل أعمر بن امحمد بن خونه، وفي هذه الحلة بقي اسم إمارة إيدوعيش، ومع أهل أعمر أولاد اعلي انتونفه (تغده والسواكر...إلخ)، والأنباط وغيرهم من إيدوعيش، وساندهم أولاد طلحة والزبيرات من بني حسان. و"حلة" أهل اسويد بن امحمد بن خونه، وكانوا بتيشيت ونواحيها، ويساندهم العويسيات من بني حسان، وحلة أهل اعلي بن امحمد بن خونه، وكانت بين حلة أهل اسويد وحلة أهل أعمر، وساندتهم مشظوف، وانقسم باقي أبناء امحمد بن خونه بين "حلل" إخوتهم الثلاثة المذكورين.

2- إمارة أعمر بن امحمد بن خونه:

تأمر أعمر بن امحمد بن خونه الذي ولد سنة 1080هـ (1669م)[345] بعد وفاة أبيه امحمد خونه، وكان شجاعا بعيد النظر، قاد إيدوعيش في يوم "كساري" الذي وقع في شوال 1124هـ (نفمبر 1712م) بين أولاد امبارك يعضدهم أولاد الناصر وإيدوعيش ضد أولاد بوفايده وشيعتهم، ومثل هذا اليوم بداية اعتراف بني حسان بقوة إيدوعيش ومهاراتهم القتالية.

وفي عهد أعمر قتل رجل من أزناگه (صنهاجة) يدعى ببش رجلا من أولاد امبارك، فاشترط أولاد امبارك على رئيسه أعمر دفع دية مغلظة: مائة من كل صنف (خيلا وإبلا وغنما...إلخ) لتفادي الحرب، وكانت عند رجل من إيدوعيش يدعى بلاَّدي فرس عتيقة تدعى أنحيم، فأخفاها تفاديا لدفعها في دية ببش، ثم قبل بتسليمها لأعمر مكرها قائلا: لا يقدر الجبناء على منع شيء، فأثارت قولته حفيظة اعلي بابي بن أعمر فركبها وقال: والله لا يأخذها إلا من قتلني، وثار بقومه على أولاد امبارك، فاشتبكا. وأدى هذا الحادث إلى تصدع التحالف بين أولاد امبارك وإيدوعيش. ومات أعمر بن امحمد بن خونه حوالي 1145هـ/ 1732م، وترك ولدين هما بكار واعلي بابي.

3- إمارة اعلي بن امحمد بن خونه:

[345] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء إيدوعيش، مرقون، ص9.

وخلف اعلي بن امحمد بن خونه أخاه أعمر لكن ابن أخيه بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه لم يلبث أن أطاح به، وحل محله، وقد توفي اعلي هذا سنة 1170هـ/ 56-1757م.

4- إمارة بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه:

وتولى بكار إمارة إيدوعيش بعد عمه اعلي، وكان بطلا سائسا مقداما، تمكن هو وأخوه اعلي بابي من مد نفوذهما جنوبا باتجاه نهر السينغال، حيث ستعرف منطقة باكل (بكار) باسمه، ومنطقة سيلي بابي (ول اعلي بابي)باسم ابن أخيه عثمان بن اعلي بابي[346].

وفي عهده فسد الود بين إيدوعيش وأولاد امبارك فحدثت بينهم وقعات منها: يوم "دركَل" سنة 1152هـ/ 1739م، قتل فيه أعمر بن سدوم بن امحمد بن خونه، ويوم "انكَدَي" لأولاد الناصر -الذين دعموا إيدوعيش- على أولاد امبارك سنة 1159هـ/ 1746م.

---

[346] أصل كلمة سيلي بابي احسي ولد اعلي بابي (واسمه عثمان)، وأصل كلمة باكل بكار. أما بكار فتأمر، وأما اعلي بابي فهو الذي جاء بشاعر أولاد امبارك الشهير سدوم بن انجرتو إلى تكَانت، وهو سدوم بن أعمر بن الطالب بن حسون من قبيلة الحساسنة. قال المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي: «كانت أم اعلي بابي بن أعمر من أهل بهدل من أولاد امبارك، وكان متزوجا فيهم، فنشب خلاف بين سدوم بن انجرتو وأهل آكَمتار (بعض شعراء أولاد امبارك)، فقال اعلي بابي لسدوم: تعال معي إلى تكَانت، ولك ما تحب، الإمارة هناك لأخي، وكل ما ألتزم لك به من شروطك فسيتحمله هو، فشرط سدوم شروطه –حسب أعراف ذلك الزمن- وهي: "الكَبظ"، وهو نصيب من كل شيء (إبلا أو بقرا أو غنما أو مدا عند الحصاد أو الجذاذ...إلخ) سنويا لآل سدوم، و"سكَو الروايه"، وهو سقي راوية آل سدوم إذا وردت على البئر أولا وبلا عوض، و"جمل العكَده"، وهو جمل يدفع عن كل امرأة تتزوج من إيدوعيش ، و"وحشية الرحيل"، وهي كل وحش صيد يصاد أثناء الرحيل، فقد جرت العادة أن يحمل إلى خيمة الشعراء (المغنين) فيأخذون منه نصيبا ثم يرسلون الباقي إلى الذي قام باصطياده، وأما ما يصيده المرء في غير زمن الرحيل فهو له، لكن لآل سدوم منه الورك، ولهم الظهر من كل ذبيحة، ومن شروطه ألا يطول به الرحيل. وشرطت زوجته ميماها –كما تقتضيه الأعراف لمثلها-: "لكَمات ميماها"، وهي سبع لقمات من طعام "ونكَاله" -وهو الطعام الذي تعده جماعة النساء بالمناوبة بينهن- ترسل إلى ميماها، و"سلاخ ميماها" ومعناها أن السلاخ الذي يسلخ لها لا يذهب بشيء من لحمها، بل أجرته على إيدوعيش، وألا يحل أحد لها سقاء، فقبل اعلي بابي، وكان رجلا سخيا شهما مقداما، كل هذه الشروط، فلما وصلوا إلى تكَانت أخبر اعلي بابي أخاه الأمير بكار بالأمر فعرضه بكار على جماعة إيدوعيش فقبلوا بهذه الشروط، فكان سدوم بن انجرتو لا يمدح أحدا إلا افتتح مدحه بمدح اعلي بابي. وأول ما قاله سدوم في تكَانت "اتهيدينت أغوراس" يمدح بها الأمير بكار بن أعمر». المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007. ومدح سدوم من إيدوعيش بكارا هذا وابنه أحمد ديه، وأخاه أعمر آكَجيل بن بكار، والأمير امحمد شين بن بكار، وسيدي أحمد بن بكار، ومحمد بن بكار، وبكارا بن امحمد شين، واسويدانه بن محمد بن بكار، واعلي بابي بن أعمر بن امحمد بن خونا، وابنه عثمان بن اعلي بابي، وأخاه الرسول بن اعلي بابي، واعلي انبكَه بن اسويد بن امحمد بن خونه، وابنه الرسول بن اعلي انبكَه، وبكار (التيشيتي) بن اعلي بن امحمد بن خونه، وابنه الرسول بن التيشيتي، وإبراهيم بن أعمر بن سدوم بن امحمد بن خونه، وأخاه بكارا الصغير، وبكارا بن اللب بن خنوف. ديوان سدوم بن انجرتو، طبع، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص23-24.

وفي سنة 1172هـ (58-1759م) قتل أولاد امبارك خيار إهيت بن اسويد بن امحمد بن خونه، فثارت إيدوعيش وعزمت على التخلص من أولاد امبارك، فاندلعت بينهم في نفس السنة أيام أولها يوم "آكرراي"، كان مع أولاد امبارك في هذا اليوم اليتامى من البراكنة انتهت بتخلي أولاد امبارك عن تگانت بعدما قتلوا –ومعهم البراكنة- الشنظوره بن بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه سنة 1173هـ (59-1760م).

وفي سنة 1175هـ/ 1761م توفي الأمير بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه[347]، وله من الأولاد: امحمد شين، وأحمد ديه، وسيدي أحمد، ومحمد، وآگجيل[348].

5- إمارة امحمد شين بن بكار:

وخلف بكار ابنه امحمد شين، وكان أميرا عظيما، عرف بقوة الشكيمة وحسن التدبير، رفض وصاية بني حسان على إيدوعيش، وواصل الحرب ضد أولاد امبارك، فوقع بينهم يوم "آرزاك" سنة 1191هـ/ 1777م، قتل فيه من أولاد امبارك عثمان بن بوسيف بن دخنان، فتألب المغافرة (أولاد امبارك وأولاد الناصر وأولاد علوش وأولاد غيلان وأولاد طلحة وأولاد دامان والبراكنة وغيرهم) على إيدوعيش، وحاصروهم بين احنيكات بغداده سنة 1192هـ/ 1778م ستة أشهر «حتى أكلت الإبل شملتها من شدة الجدب[349]»، فأعطت إيدوعيش أربعين فرسا لأولاد عبد الل (أمراء البراكنة وشيوخ المغافرة) على أن ينسحبوا فانسحبوا وتفكك الحصار، وتفرق المغافرة افتراقا لم يجتمعوا بعده أبدا[350]. ثم أخذ إيدوعيش يغزون كل قبيلة من المغافرة من القبائل القريبة

---

[347] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 184.

[348] المؤرخ، محمد بن إبراهيم بن الدي، مرجع سبق ذكره، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[349] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص125.

[350] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لما طال الحصار، وبرح المرض بالحيوان، وإيدوعلي يمدون إيدوعيش بالميرة، كل خيمة من إيدوعلي تتكفل بثلاثين أسرة من إيدوعيش، ويقولون لامحمد شين إنه لا مناص له عن النصر لكي تطمئن تگانت، والأمير امحمد شين لا يبرح خيمته إلا إلى الصلاة، وحوله الصناع عاكفون على صناعة الرصاص، قالت ميماها لسدوم بن انجرتو وقد برح الجوع بالناس: انظر هل يستطيع هؤلاء القوم أن ينهوا هذا الحصار، فذهب سدوم إلى رجال إيدوعيش فجعل يتصل بكل واحد منهم فيقول له: أعطوا لأولاد حسان ما يريدون من المغرم، فيردون عليه: مثلك لا يقول هذا، حتى جاء إلى إبراهيم بن أعمر بن سدوم صاحب فرس "أم ارثم" (سيطلق سدوم اسمها على التهيدينه التي سينشئ بعد رفع الحصار) فوجده يتغنى بأبيات الحارث بن عباد:

يا بني تغلب قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثلـــه في الخوالي
قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني ليـس قولي يراد لكن فعالي...

فقال له: أعطوا لأولاد حسان ما يريدون من المغرم، فقال له: لعلك جعتَ؟ فلما جن الليل أرسل إليه ذودا من الإبل، ثم ذهب إلى امحمد شين فكلمه في شأن الحصار، فقال له: سأجيبك بعد صلاة الظهر، فلما قضيت صلاة الظهر قال الأمير لقومه إن الذخيرة قد جهزت وإن الحصار قد طال، فقال القوم: نخوض الحرب ولا رأي إلا الحرب، فقال لهم امحمد شين: عندي

منهم على حدة (أولاد الناصر، أولاد طلحة، أولاد علوش، أولاد يحيى بن عثمان...إلخ) وينتصرون عليها. كما واصلوا حربهم مع أولاد امبارك فجرت بينهم أيام كثيرة (زادت على التسعين)، اضطرت أولاد امبارك إلى ترك تگانت لإيدوعيش، فكان من هذه الأيام يوم "ليلة البهرَه" سنة 1192هـ/ 1778م، ويوم "تاوجافت" (شمال الرشيد) صبيحة "ليلة البهرَه"، ويوم "انواجه" سنة 1194هـ/ 1780م، ويوم "تغاده" سنة 1195هـ/ 1781م، ويوم "آوليليگ" سنة 1200هـ/ 1786م[351]. وكان امحمد شين قد تمكن من استقطاب أولاد طلحة والتحالف معهم، فشاركوا في هذا اليوم إلى جانب إيدوعيش.

وأعجز الأمير امحمد شين أولاد امبارك فصرفوا النظر نهائيا عن التوطن بتگانت فتمكن من توطيد سلطانه بها، ومد هيمنته باتجاه الرگيبه والعصابه.

وفكر امحمد شين فيما يتعزز به، فابتدع نظاما جديدا رفع فيه المغرم عن الزوايا، كما خفف فيه مغارم اللحمة، ورفع فيه عن من حارب من اللحمة المغرم، فتوافدت القبائل والجماعات من شتى الجهات على الإمارة طلبا للعافية، ونشأ حول الأمير حزام قبلي مختلف الأصول عرف بسارة امحمد شين[352].

وفي سنة 1202هـ/ 1788م توفي الأمير امحمد شين في گرو، ودفن عند الطلحاية المعروفة الآن بـ"طلحايت امحمد شين"، عن أبنائه بكار، والعويسي، ومحمد،

رأي آخر، وهو أن أرسل إلى أمير البراكنة امحمد بن أحمد بن هيبه أني أداريه بعدد من الخيل مقابل هدنة سنة، فوافقت الجماعة على رأيه، فأرسل أخاه سيدي أحمد بن بكار إلى ابن هيبه فاتفق معه على أربعين فرسا، فقال امحمد شين لقومه: نكروا حصان "البيظ" واجعلوه من بين هذه الأفراس، ومروا بها من حيث يراكم أولاد امبارك، وكان هذا الحصان لأولاد امبارك فغنمه أحمد ديه بن بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه في إحدى وقعاتهم ضد أولاد امبارك بعدما قتل صاحبه الگصاص الامباركي، فلما رأت أولاد امبارك الأفراس سيقت إلى البراكنة، وعلموا أن "البيظ" كان من جملتها، غضبوا وقالوا: كيف يمنح البراكنة الهدنة لإيدوعيش دوننا ونحن أصحاب "الشر" والسبب في الحصار؟ ففسد الود بينهم وبين البراكنة، واختل الوئام، وتنازعوا، فأصبح البراكنة مرتحلين، وفشل الحصار». ثم أنشأ سدوم اتهيدينته "أم ارثم" التي مطلعها:

«وكتن حنط اعلين حسان».

ويقول فيها:

«هذا كامل بامر السبحان	فرگ اعلين غير اتنـــــدم
اللحمي راح امن الحيوان	اعربيه من الكصرات انذم
الاول فيه اسبگن غيلان	حككناه إيـــل عاد اعثم
ألاول گرن امعاه اميدان	امن اگتم دجمبر الاصــــم
إيل اظهر ماي فحنان	كله اطبول ال لوخر تريتم....».

المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[351] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 186.

[352] المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007. وسينضم معظم سارة لاحقا إلى أهل سيدي محمود.

والمختار، وسيدي الأمين، واعلي، وبوسيف، وانقسمت إيدوعيش بعد وفاته إلى طائفتين عظيمتين، لكل منهما أميرها: طائفة بكار بن امحمد شين، وتسمى بخواگه (سميت بهذا الاسم لكثرة جيشها)، وطائفة عمه سيدي أحمد بن بكار وأخيه محمد، وتسمى مكزوزه (سميت بهذا الاسم لدقة تنظيم جيشها وفعاليته).

ووقع بين طائفة بكار وطائفة أعمامه يوم "غب" في جمادي الأخيرة سنة 1207هـ (يناير 1793م). قتل فيه سيدي أحمد بن بكار، قتله سنبله، أحد آغواليس (من أولاد اعلي انتونفه)[353]، فخلف سيدي أحمد أخوه امحمد بن بكار الملقب بـ "ابا" (عالم إيدوعيش) على زعامة مكزوزة، واستمر القتال فوقعت بين الطائفتين أيام منها يوم "اگليبات المصدار"، ويوم "تنبوزكري"، كلاهما سنة 1208هـ/1793م. وفي هذا اليوم الأخير قتل بكار بن امحمد شين، قتله سيدي أحمد بن اعلي بابي. وتولى محمد بن امحمد شين رئاسة بخواكه بعد قتل أخيه بكار، فأوقع بمكزوزه في يوم "اگليتت الشبار" سنة 1208هـ/ 1793م، الذي قتل فيه سدوم بن المشيخ التونفي، وأعمر بن سيدي اعلي الطلحاوي، وأفلح محمد بهذا الانتصار في تشتيت مكزوزه، وإعادة توحيد إمارة إيدوعيش تحت رايته، بعدما تخلى زعيم مكزوزه امحمد بن بكار عن القتال.

6- إمارة محمد بن امحمد شين:

وخلصت الإمارة لمحمد بن امحمد شين، وتوسعت في عهده حتى شملت، فضلا عن تگانت، الرگيبه وأجزاء من آفطوط والعصابه. وكان الأمير محمد بن امحمد شين «من أفضل شيوخ العرب وأعدلهم، وأعظمهم ملكا، وأشدهم صولة[354]»، وطد ملك أبيه وثبت أركانه، وحارب المغافرة وكانت له معهم أيام كثيرة، لاسيما مع أولاد امبارك وأولاد الناصر، فمن أيامه معهم: يوم "البيجوج" سنة 1209هـ/ 1794م ضد أولاد الناصر وأولاد امبارك. ويوم "تنتينه" سنة 1211هـ/ 1796م ضد أولاد امبارك، قتل فيه من إيدوعيش عثمان بن اعلي بابي، والفيخار بن اعلي بن أحمد بن حمو بن مقطير، وأخوه بوبكر. ومن أولاد امبارك امحمد دبو بن عثمان (من أولاد عيشه). وقتل قبيل الوقعة هيبه بن سيدي أحمد بن هنون العبيدي، قتله اعلي سانگلي أحد أهل خنوف، من

---

[353] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «كان الرسول بن بكار (التيشيتي) بن اعلي بن امحمد مساندا لأبناء امحمد شين في نزاعهم مع أعمامهم على الإمارة، فلما أصيب سيدي أحمد بن بكار أجهز عليه الرسول، وكانوا يرون الإجهاز على من أشفى على الموت عيبا، فخلف سيدي أحمد بن بكار أخوه محمد بن بكار على رئاسة مكزوزه، وحلف ليصيبن الرسول، وليجهزن عليه». المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[354] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص126.

الأنباط. وفي هذا اليوم نذرت أخت الأمير اخديجه بنت امحمد شين نفسها لعبد الله بن سيدي محمود، إن سلم إخوتها، فسلموا يومئذ، فتزوجها عبد الله[355].

وفي سنة 1214هـ (1799-1800م) أوقع جيش الأمير محمد بن امحمد شين بأهل اسويد وأولاد الناصر الذين قتل من كبارهم في هذا اليوم المحجوب بن حبيب الله بن المهدي رئيس أولاد يحيى بن معتوگ[356]، وإبراهيم فال بن محمد بن بكار رئيس أولاد اشبيشب، قتله محمد بن بكار بن أعمر المشهور بـعالم إيدوعيش[357]، فكافأه الأمير محمد.

وفي سنة 1219هـ/ 1804م قتل أولاد الغويزي امحمد خونه بن بكار الملقب بالتيشيتي بن اعلي بن امحمد بن خونه، فأوقع بهم الأمير محمد في يوم "تيمزورن" (ويدعى أيضا يوم "سنگطره")، ثم وقع بينهما يوم "گنبل" سنة 1220هـ/ 1805م.

وفي هذه السنة قتل أهل أعمر بن سدوم بن امحمد من خونه عثمان بن آگجيل بن بكار بن أعمر المشهور بـ"عثمان حتى"[358]، وسبب قتله له أنه «كان مسافرا ومعه زوجته، ولحمي يخدمه، فرأى غنما فقال للحمي: إن كانت هذه الغنم لإيدوعيش فاذبح لنا منها شاة، ففعل، فذهب صاحب الغنم -ويدعى ابن الاغظف- إلى إبراهيم بن أعمر بن سدوم بن امحمد بن خونه فقال له: إن عثمان اغتصب مني شاة، فسار إبراهيم إلى عثمان فقتله، ثم لجأ إلى أهل اسويد بن امحمد بن خونه، ورئيسهم يومئذ الرسول بن اعلي انبگه، مع أنه كان عصبا مع أهل أعمر بن امحمد بن خونه، فقد كان أهل سدوم بن امحمد بن خونه ممن انحاز إلى حلة أهل أعمر بن امحمد بن خونه بدل حلة اسويد بن امحمد بن خونه الذي هو شقيق سدوم. فلما علم الأمير محمد بن امحمد شين بالأمر أرسل إلى الرسول بن اعلي انبگه يسأله تسليم إبراهيم إليه، فأراد الرسول بن اعلي انبگه أن يجيبه إلى ذلك، فقالت له زوجته بنت اللواص: ابن عمك يلتجئ إليك تسلمه؟ فقال لها: هو أقرب إلي نسبا، لكنه عصبا مع أهل أعمر، وإنما جاءني بجناية، فقالت له: إذا سلمته فاخلع سروالك [كناية عن تخليه عن شأن الرجال والرؤساء]، وقال له المحمود لل رئيس العويسيات، وكان حاضرا: ما قالت لك المرأة صحيح، فقال: سأفعل ما قلتما، وإن كنت أراه خطأ[359]»، فرفض تسليمه وارتحل بقومه وحلفائه إلى أولاد

---

[355] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص187.
[356] يعرفون بإيحم معتوگ. المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.
[357] سيتوب محمد هذا في تجكانت لاحقا.
[358] كان عثمان هذا "زين حتى" (جميلا للغاية)، و"ارجيل حتى" (شجاعا للغاية)، و"معلوم حتى" (سخيا للغاية)، به ضرب المثل الحساني: "غايت ول آگجيل" (حاجة قصد بها ابن آگجيل) يضرب في الحاجة المؤكد تحققها. المصدر نفسه.
[359] المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

الناصر وأولاد امبارك فساندوهم، فسموا بالمثاليث، ثم نشبت الحرب بينهم وبين الأمير محمد الذي سانده أعمامه وبقية مكزوزة ثأرا لمقتل عثمان[360]، فجرت بين الطرفين أيام منها: يوم "العجينگي" سنة 1220هـ/ 1805م، ويوم "تكدمت" سنة 1221هـ/ 1806م قتل فيه من جانب الأمير: ديه بن سيدي أحمد بن بكار، وديه بن آگجيل، واعلي سانگلي، ومن جانب المثاليث: اعلي بن هنون بن اسويد، والرسول بن اعلي انبگه، وكانا يعرفان بفارسي إيدوعيش[361]، وقتل مع الرسول بنوه: بنيوگ، وخيار، وبابا، وسليمه، والحضرامي. وقتل سيدي بن مهني (بضم الميم) وأولاده السبعة، وإبراهيم بن أعمر بن سدوم وإخوته. وقتل محمد بن خيار من أهل أمحِي (من السواكر)، والمحمود لل رئيس لعويسيات، وبوسيف بن هنون بن بوسيف من أولاد امبارك (من فاته)[362]، ويوم "صفية انيوكشه" في 22 رجب 1221هـ (5 اكتوبر 1806م) على المثاليث، قتل فيه منهم السيد بن اعلي انبگه بن اسويد (من أهل اسويد). وقتل من أولاد امبارك البانون بن أحمد بن سيدي أحمد بن ممو بن هنون العبيدي، وهنون بن أعمر بن عثمان الراجل بن هنون العبيدي، وعثمان بن احميتي بن التادلاوي (من أولاد العاليه)، وعثمان بن هنون بن بكار بن هنون العبيدي (من أولاد عيشه). وقتل من إيدوعيش أحمد بن باريك (من تغده)، وابناه عثمان وسيدي أحمد، ويوم "تيكره" في نفس السنة أغار فيه أهل اعلي بن امحمد بن خونه على أولاد الغويزي فقتلوا عددا منهم ونهبوا الإبل، وذلك ردا على قتل أولاد الغويزي لامحمد خونا التيشيتي، ويوم "تيط" سنة 1222هـ/ 1807م، قتل فيه من أولاد امبارك الجيد من الجوده الغويزي رئيس أهل سيدي اعلي بن أوديكه، ويوم "غدار مانتو" على رأس سنة 1223هـ/ 1808م أغارت فيه إيدوعيش بقيادة عثمان بن امحمد شين على أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل، فقتل عثمان بن امحمد قائد الغارة، كما قتل سبعة من أولاد امبارك.

ثم انضم أهل اعلي بن امحمد بن خونه إلى المثاليث فوقع حصار "تيشيت انگونه" سنة 1223هـ/ 1808م من طرف إيدوعيش على المثاليث، ودام أكثر من شهرين[363].

[360] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لما قتل عثمان وأحضر ابنه إلى الأمير محمد بن امحمد شين أمر بحمله إلى عمه محمد بن بكار، وأوصى الصبي بأن يبكي ولا يسكت، فإذا سأله محمد بن بكار عما يريد قال له: أريد أبي، فلما جاء الصبي إلى محمد بن بكار وأجلسه في حجره بكى، فبذل له كل شيء مما يبذل لمثله فلم يقبل، فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أبي، ففهم محمد الأمر، وقال لهم: قولوا لمحمد بن امحمد شين بأنا معه فليمض للأخذ بثأر عثمان». المصدر نفسه.

[361] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص188.

[362] المرجع نفسه، ص187.

[363] تيشيت انگونه موضع باللبه من أرض تگانت، حاصر فيه الأمير محمد بن امحمد شين المثاليث، شهرين أو ثلاثة.

وفي سنة 1224هـ/ 1809م وقع يوم "اللفيعيه" قتل فيه من المثاليث ابيبكر بن أحمد درجه بن هنون بن بهدل، وأعمر بن أحمد بن بورايه بن بهدل (بطلا آسكر)، والرسول بن التيشيتي[364]. وقتل من جانب الأمير محمد بن امحمد شين: ديه بن بكار بن امحمد شين، وعثمان الملقب "عَير تگانت"، وهو ابن أعمر بن سيدي اعلي الطلحاوي.

ثم وقع يوم "الخندرية" سنة 1225هـ/ 1810م ضد أولاد امبارك، قتل منهم اعلي بلمختار بن سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف (من فاته). ثم يوم "أرقان" سنة 1228هـ/ 1813م ضد أولاد امبارك أيضا، قتل منهم اسويدانه بن عثمان (من أولاد بنت الگصاص).

وفي سنة 1233هـ/ 1818م وقع يوم "أباخ" ضد الترازة. صال فيه الأمير محمد بن امحمد شين منتصرا لقومه وصهرهم امحمد بن اعلي الكوري التروزي بعد يوم "أفچار"[365]، فجاء بإيدوعيش «مرتحلا بما خف من بيوته إلى تنتمغزين [قرب بتلميت]، وترك أكثر الأموال والأثقال عند گيمي [قرب مگطع الحجار]، ثم ساق الجيش من تنتمغزين فأوقع بالترارزة وقعة "أباخ"[366]» (5 كلم شمال مدينة الگوارب الحالية)، ونهب محلة أميرهم أعمر بن المختار[367].

وفي هذه السنة أسس الفرنسيون مركز باكل على ضفة النهر بگيدي ماغه، وسيصبح هذا المركز اعتبارا من 1821م/ 1236هـ مركز التبادل الرئيسي مع إيدوعيش.

---

[364] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «قاتل الرسول بن التيشيتي هو محمد بن بكار، قتله، وأجهز عليه قبل أن يموت، برا بقسمه الذي أقسمه عندما قتل أخوه سيدي أحمد، وأجهز عليه الرسول». مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[365] أغار في هذا اليوم أولاد دامان وامحمد بن اعلي الكوري وشيعته ومعهم رجال من إيدوعيش –وكانت إيدوعيش قد أصهرت إلى امحمد بن اعلي الكوري- على أولاد أحمد بن دامان، فانهزموا، ومات ثلاثة من أبناء امحمد شين هم حفيداه: اعلي، وبوشهاب، وابن أخيه المختار واسمه محمد، أدركه شيعة أعمر بن المختار حيا، فقال لهم: تطأ هنا خيل عمي محمد بن امحمد شين، فجاء آخر ذلك العام محمد بن امحمد شين صائلا.

[366] بابا بن الشيخ سيديا، مرجع سبق ذكره، ص126.

[367] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لم يصل أحد من أمراء إيدوعيش قبل محمد بن امحمد شين، وفي ذلك يقول الجيش بن سدوم بن انچرتو للأمير محمد بعد وقعة "أباخ" في اتهيدينت "الله إيزيدك فالعاطيك":

«إيعيش الحگت فاتشابيك زعمَ غير اعل الاجبال
صَـــوع لجيوش عبرَ ذيك أخبر الصوله عند محال
وانت صلت......................».

محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

وفي سنة 1234هـ/ 1819م وقع يوم "التويشطيه" ضد أولاد السيد (البراكنة)، قتل فيه من إيدوعيش الحاكوك بن بكار بن امحمد بن خونه[368].

وكان محمد بن امحمد شين يهدف من وراء الحروب الكثيرة التي خاض ضد جيرانه الشرقيين إلى إبعاد أولاد امبارك وأولاد الناصر وحلفائهم نهائيا عن التدخل في إمارته، بينما يعود السبب في وقعاته ضد كل من الترارزة والبراكنة إلى تدخله لدعم أولاد نغماش المناوئين لإمارة أولاد السيد في البراكنة، وامحمد بن اعلي الكوري المناوئ لإمارة أعمر بن المختار في الترارزة. واستفحل ملك محمد بن امحمد شين حتى كان ينتجع في تيرس مخترقا آدرار ونواحيه لا يقدر أحد على التعرض له[369].

وبسط الأمير محمد الأمن في البلاد ونشر فيها العدل، واعتمد على علامة دهره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، فاطمأن الناس وأمنوا، «ولم يعطوا ذراعا من الخنط في المداراة لأحد من أهل تگانت[370]» في حياته. وكان من حسن سياسته يؤدب من اغتصب دابة، أو ظلم أحدا، ويعطي الجوائز لمن قتل سبعا، وكان يشق الطرقات في الجبال، ويسد الكهوف، ويغلق الشقوق مخافة أن يسقط فيها إنسان أو حيوان.

وتنامى في عهد محمد بن امحمد شين النفوذ الروحي الذي تمتع به المرابط سيدي محمود الحاجي الوداني وابنه عبد الله من بعده بين صفوف إيدوعيش حتى أصبح عنصر استقطاب مواز للسلطة الأميرية، لجأت إليه مجموعات عريضة من هذه القبيلة إبان وبعد صراع مكزوزه وبخواگه، فكان الأمير محمد يتوجس خيفة من هذه القوة الصاعدة «ويقول: هم خراب إيدوعيش. وربما أمر جيشا معه بنهب غنم بعض المهاجرين من قبيلته إلى أهل سيدي محمود إذا رآها سمانا تنفيرا لأمثاله عن الهجرة إليهم، ثم قضى له غنمه سرا[371]». وتوفي الأمير محمد بن امحمد شين يوم الثلاثاء

---

[368] المصدر نفسه، ص188.

[369] يقول الأمير محمد في ذلك مفتخرا بأنه يتنقل من دار ملكه إلى ما وراء حوزته الترابية، وينتجع هنا وهناك لا يستطيع أحد أن يلحق به أذى:

«نجع لعنايه والتشـــطاط — سوحـــــل ابمبروم الليه
أكال ساحل عگلت الانباط — أكال تـــــــل المداحيه
أگلب ميجك واگليب الغين — كالهم نجع اخلاص الدين
وآجوير وعگـــلت تورين — كالهم بين أهــــل النيه
أكال وحدو نعـم أماسين — وآفتاســــــه والعرگيه
نجع رفعت مسلـم مظلوم — شام مــن درگل وادروم
بصماميط وتنيـــــموم — ولاعربيــــات الارويه
أصد راحل باشناه اليوم — لارض گلمسي والليه».

[370] بابا بن الشيخ سيديا، مرجع سبق ذكره، ص136.

[371] المرجع نفسه، ص140.

التاسع من ربيع الأول سنة 1236هـ (15 دجمبر 1820م) انفجرت عليه شحنة من البارود كانت بالقرب منه فقتلته. ودفن عند اصبيبيره (بلجام تگانت). وله من الولد: اسويد أحمد، وسليمان، وعبد الله، وعبد الرحمن.

7- إمارة اسويد أحمد بن محمد بن امحمد شين:

ولما مات محمد انفتح على إيدوعيش وسائر الإمارة باب الفتنة الذي كان مقفلا به، فأعلن ابنه اسويد أحمد نفسه خليفة له، ونازعه على الإمارة عمه المختار وإخوته.

وانقسمت إيدوعيش بينهما، فانحازت طائفة الأعمام إلى الرگيبه حيث أسست رئاسة خاصة بها هناك، واشتهرت هذه الطائفة باسم الشراتيت[372]، بينما بقيت طائفة الأمير اسويد أحمد بن محمد بن امحمد شين التي اشتهرت باسم أبكاك بتگانت[373]. وانضم أولاد الناصر وأولاد طلحة وكنته إلى اسويد أحمد[374]، بينما انضم أهل سيدي محمود والمهاجرون إليهم إلى أعمامه، فقد «كان آل سيدي محمود [عبد الله بن سيدي محمود وإخوته] وشيعتهم وكنته قبل موت الأمير محمد بن امحمد شين متعادين. وكان ميل إخوة محمد إلى آل سيدي محمود، وميل ابنه اسويد أحمد إلى كنته. وكان محمد يمنع وقوع الحرب ما دام حيا، فبموته ظهر ما كان مستورا.. فانضم كل من طائفتي الزوايا إلى أوليائه من طائفتي إيدوعيش[375]».

ووقعت بين المجموعتين حروب منها يوم "انوَدَر" في أواسط ذي الحجة 1236هـ/ أواسط سبتمبر 1821م، قتل فيه من جانب الشراتيت التنواجيوي بن اعلي بابي. ومن جانب أبكاك سيدي أحمد بن المختار بن سيدي الأمين الكنتي رئيس أولاد البح، وأحمد بن امحمد بن الطالب سيدي أحمد الكنتي رئيس أولاد سيدي حبيبلل. ويوم "چوك بص" أول ربيع الثاني 1237هـ (26 دجمبر 1821م) لأهل سيدي محمود

[372] تأمر المختار على هذه الطائفة التي عرفت بالشراتيت حتى توفي سنة 1242هـ/ 1826م، فخلفه أخوه اعلي، ثم تأمر بعده عثمان بن المختار بن امحمد شين، فأخوه أحمد، فبكار بن محمد بن المختار، فالرسول بن اعلي بن امحمد شين، فالمختار بن أحمد بن المختار بن امحمد شين، وفي عهده قدم الاستعمار فهاجر إلى المغرب حيث توفي بمراكش معمرا سنة 1328هـ/ 1910م.

[373] قال بابا بن الشيخ سيديا إن كل طائفة هي التي أطلقت على الطائفة الأخرى اسمها تنابزا بالألقاب وأضاف: «يعير أبكاك الشراتيت بالظلم والسيبة فيشبهونهم بالسباع المعروفة باشراتيت، ويعير الشراتيت أبكاك بأن الحرب ألجاتهم إلى أكل نوع رديء من العلك». إمارتا إيدوعيش ومشظوف، ص145.

[374] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لما اختلف اسويد أحمد مع أعمامه جاء إلى رئيس أولاد سيدي حبيلل الكنتيين أحمد بن امحمد، فقام أحمد بالدعوة لاسويد أحمد في كنته وإيدوعيش وأولاد الناصر وكانوا أخوال اسويد أحمد، أمه منينه بنت خبز الناصرية، وغيرهم، وظل يآزره حتى استتب له الأمر». المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[375] المصدر نفسه، ص145-146.

والشراتيت على أولاد سيدي الوافي (كنته)، قتل فيه محم بن الجيد الكنتي وغيره. ويوم "شگار" في تاسع شعبان سنة 1237هـ (فاتح مايو 1822م)، قتل فيه من جانب الشراتيت قوم منهم أحمد عاتي بن أحمد ديدي العجيلي، ومن جانب أبكاك المختار بن محمد بن اعليوه البوجودي (من أولاد طلحة)، وعبد الر حمن بن امينوه الكنتي رئيس أولاد سيدي الوافي، وأخوه المختار، وعمهما امحمد بن سيدي الأمين، وأحمد بن امحمد بن محمد بن بابا رئيس أولاد بوسيف البيض، في عدد من كنته. ويوم "اعليب الرال" في أواسط ربيع الثاني 1238هـ (أواخر دجمبر 1822م) قتل فيه أبكاك، ومعهم نفر من كنته وأهل سيدي محمود وأولاد الناصر، رجالا من الشراتيت، ويوم "أدروم" في ثاني صفر سنة 1239هـ (7 اكتوبر 1823م)، قتل فيه عثمان بن بيات بن اعلي بابي، وعبد الله بن أحمد بن يغلى التونفي، وجرح الأمير اسويد أحمد جرحه اعميرين بن هنون بن أحمد بن شبلي الناصري بينما كان نائما. ويوم "بوعنز" في جمادي الثانية سنة 1239هـ (فبراير 1824م)، قتل فيه من الشراتيت سبعة من أهل باريك (رؤساء العجيلات)، وأربعة من أهل هنون بن احليس (رؤساء اندايات) منهم عثمان بن أنيس بن الأعمش بن المگاري ، وقتل اعلي فال بن سيدي أحمد بن اعلي بابي. ويوم "لگران" سنة 1241هـ/ 1825م، قتل فيه عثمان بن اعلي بابي.

ثم فسد الحال بين الأمير اسويد أحمد وبين كنته وأولاد الناصر فرحل إلى عمه المختار أمير الشراتيت، واتفق معه ومع عبد الله بن سيدي محمود على حرب القبيلتين[376]، فوقع يوم "الجنكرونيه" (وهو يوم "الحصيره") في محرم 1241هـ (أغسطس 1825م). قتل فيه حمادي بن سيدي امحمد بن الشيخ سيدي المختار، قتله المختار بن اباه، وأخوه سيدي أحمد التونفيان، الملقبان بعدلي إيدوعيش.

ثم عاد الشراتيت وأبكاك إلى الصراع بينهما فوقع يوم "گصاص" في 16 رجب سنة 1241هـ (23 فبراير 1826م) بين الشراتيت وأهل سيدي محمود وأولاد الناصر في جهة، وأبكاك" من جهة أخرى، قتل فيه المختار بن اعلي بن امحمد شين، وبوسيف بن امحمد شين فارس الشراتيت وأخوه سيدي الأمين، وقتل من أولاد الناصر فال بن أحمد بن امبرح، وسيدي بن الحبيب بن امحمد بن بكار، وعمار بن اعلي بن بوزومه. ويوم "تاغطافت" بين أبكاك والشراتيت في أول صفر سنة 1242هـ (4 سبتمبر 1826م) دارت فيه الدائرة على الأمير اسويد أحمد. وهاجر الزبيرات على إثر هذه الوقعة إلى أهل سيدي محمود.

[376] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص191-192.

وخلال هذه «الحروب صار كثير من إيدوعيش شيعة لأهل سيدي محمود، وقطع النظر عن آل امحمد شين، بحيث صار جيشا.. لآل سيدي محمود يحارب من حاربوا ويسالم من سالموا.. فصارت إيدوعيش بذلك ثلاث طوائف أكثرها شيعة آل سيدي محمود[377]».

وفي آخر جمادى الأولى سنة 1242هـ (أواخر دجمبر 1826م) توفي رئيس الشراتيت المختار بن امحمد شين، فخلفه أخوه اعلي، لكن أغلب الشراتيت مالوا عنه إلى اسويد أحمد، فقوي سلطانه. وكان اسويد أحمد أسدا باسلا بصيرا بالحروب، «جرح مرة بضعة عشر جرحا فأصبح مرتحلا محمولا على الأيدي صائلا على أعدائه[378]».

وحارب اسويد أحمد عمه اعلي بن امحمد شين الذي تحالف مع كنته وأولاد الناصر، فهجم اسويد أحمد على أولاد الناصر عند "عريظَ ْ" فوقعت وقعة "امصيگيله"، سميت بذلك لصقالة طرفيها (إيدوعيش، وأولاد الناصر) من الأنصار.

ثم هجم على كنته عند "المخيشبه"، قرب "تنعمني"[379] فهزمهم[380]. ثم أوقع أولاد الناصر وكنته باسويد أحمد عند الزرافيه (موضع بأفله).

وعلى رأس عام 1244هـ (منتصف يوليو 1828م) أغار اسويد أحمد على اعلي بن امحمد شين فنهب أمواله وردم طبله. فحشد اعلي أولاد الناصر بقيادة بكار بن أحمد بن امبرح، وكنته بقيادة سيدي الأمين بن امينوه (واعتزل أولاد سيدي حيبلل من كنته الحرب) فوقع يوم "اچاگلي" (ويقال له أيضا يوم "البطحه") في جمادي الأولى 1245هـ (نفمبر 1829م) قتل فيه من جانب اعلي ابنه بكار.

وفي نفس السنة وقع يوم "جگه" ضد الأمير البركني أحمد الأول ابن سيدي اعلي.

---

[377] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، 146-147.

[378] المرجع نفسه، ص151. وفي ذلك يقول زفانه الجيش بن سدوم في اتهيدينة "جواب":

ريت راجل في الليل إبات   صاهر فيه أثنعشر ثقلَ

أيصبح متنوت بالرحلات   أسك بيه گلت غفلَ.

[379] قال المختار بن حامدٌ: «والمخيشبات أربع: هذه، والتي بقرب قصر البركه، والتي بقرب الخط الذي بساحله البوسيفيه، والرابعة في السهوة شرقي الحوض». الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص263.

[380] المرجع نفسه، ص192.

وفي ليلة الجمعة 8 جمادي الأولى 1245هـ (5 نفمبر1829م) قتل اسويد أحمد غدرا، قتله مولى لعمه اعلي بن امحمد شين يدعى "دمبه"، أطلق عليه النار بأمر من سيده ، على حين غفلة من الناس[381]، ودفن عند "انوار" من "أفام لوديات" (شمال غرب الرشيد). وفي هذه السنة تصالح أهل سيدي محمود وكنته[382].

8- إمارة سليمان بن محمد بن امحمد شين:

وتولى بعد اسويد أحمد أخوه سليمان، فانحاز عنه كثير من الشراتيت برئاسة عثمان بن المختار بن امحمد شين، فوقع بين الطرفين يوم "النوداش" (ويقال له أيضا يوم "الركيز") سنة 1246هـ/ 1830م، قتل فيه عثمان بن المختار بن امحمد شين.

ثم قتل سليمان، قتله ابن أخيه محمد بن اسويد أحمد أثناء اللعب على الخيل[383].

وانقسمت الإمارة وحلفاؤها إلى قسمين: أولاد اعلي انتونفه وأهل اسويد وأولاد طلحة مع أبناء اسويد أحمد، والگوانيط وكنته وأولاد الناصر مع عم أبيهم عبد الله بن امحمد شين. واندلعت الحرب بين الطرفين، فوقع بينهما يوم "اتويمرات" في أول ربيع الأول 1247هـ (9 أغسطس 1831م)، قتل فيه اعلي بن امحمد شين، ويوم "مونگل"

---

[381] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص150. وولد لاسويد أحمد محمد، ومنينه (أم أهل اسويد أحمد بن بوسيف)، وبكار، واخديجه ابي (أم أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده)، والمختار، وعالي مات صغيرا ولم يعقب.

[382] ابن اطوير الجنه، مرجع سبق ذكره، ص101.

[383] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «ترك اسويد أحمد أربعة من الولد، هم: محمد، وبكار، والمختار، وعالي، وكانوا صغارا، وخلفه أخوه سليمان فتزوج بأمهم افيطمات بنت محمد بن بكار، وأخذ يعلم ابن اسويد أحمد الأكبر محمد الفروسية. وذات ليلة أراد محمد أن يوزع العشاء –على عادته- فقال له العبيد: أخذه بكار، فقال لهم: هاتوا اللبن، فقالوا له: أخذه بكار، فقال لهم: أعطوني اللبن الذي يحلب للخيل، فقالوا له أخذه بكار أيضا، فاستدعاه ولامه، فقال له بكار: ما كنت أظنك تتأثر من فقد شيء، كيف تتأثر لفقد لبن نويقات، ولا تتأثر لفقد ملك أبينا الذي غصبه سليمان، فانحرف محمد إلى خيمته فلم يخرج منها من الغد، فسألت عنه أمه افيطمات فقيل لها: إنه شكى الحمى، فذهبت إليه، فقص عليها القصة، فقالت له: صدق بكار، فسكت. فلما أراد أن يذهب إلى سليمان ليتدرب على الفروسية، أمر أخويه بكار والمختار بالذهاب إلى أعمر بن أواه رئيس أولاد طلحة، وجعل الرصاص في مدفعه، وعادتهم في مثل هذا التدريب الذي يعرف بـ"التغاميس" أن تكون المدافع خاوية ليتسنى لكل من الطرفين أن يصوب نحو الآخر دون أن يلحق به أذى، فلما جال محمد وسليمان جولة أو جولتين أطلق عليه محمد الرصاص فقتله، ثم كان أول من جاءه خاله هنون بن محمد بن بكار، فقال له: ماذا حدث؟ فقال: قتلت سليمان، فقال له خاله: أتيت أمرا سيئا، فقالت له أمه –أخت هنون- افيطمات: أتيت أحسن الأشياء، ثم قال له خاله: اذهب إلى أولاد اعلي انتونفه قبل أن يسبقك إليهم عمك عبد الله بن محمد بن امحمد شين، فذهب إليهم، فدخل على الشين بن المختار بن سيدي أحمد، وكان من سادات إيدوعيش، فقال له: ما وراءك؟ قال: قتلت سليمان، فصمت، فقالت له زوجة الشين: لا شلت يمينك، فقال الشين لزوجته مري الخدم فليغنين إظهارا للابتهاج بما حدث، ثم ذهب محمد إلى أولاد طلحة، فلما رآه أعمر، وكان قد فهم الأمر حين أتاه بكار والمختار، قال له: هل سددت رميتك؟ وقالت زوجة أعمر: لو قدرت لحملتك، فكان محمد يقول بعد ذلك: ما وجدت أسرع إلى دعمي مثل النساء». محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

سنة 1248هـ/ 1832م، قتل فيه من جانب عبد الله اعليلوات بن أعمر بن اعلي بوزومه، وسيدي بن الحبيب في سبعة من أولاد الناصر يسمون "إيمجلان" أي الثيران، لجلادتهم، كانوا يساندون عبد الله.

وفي سنة 1251هـ (فاتح نفمبر 1835م) وقع يوم "العياط"، قتل فيه من جانب عبد الله: امحمد بن سيدي أحمد بن اعلي بن آبوجر رئيس إيبيلن، وعثمان بن الرسول بن امحمد شين. وقتل من جانب محمد بن اسويد أحمد: اعلي الاعيور من الگوانيط، وصمبه دام بن الأعمش بن المگاري التونفي.

ثم إن الشراتيت دعموا أهل اسويد أحمد فضاق الخناق على عبد الله، لكن محمد بن اسويد أحمد قتل فجأة على يد أحد حراسه ليلة الجمعة 27 رمضان سنة 1252هـ (5 يناير 1837م)، قتله مولى لأولاد الناصر كان يحرسه، فخلص الأمر لعبد الله.

9- إمارة عبد الله بن امحمد شين:

ولم يدن الشراتيت لعبد الله فتحارب معهم، فوقع بينه وبينهم يوم "الفج" سنة 1256هـ/ 1840م، كان معهم فيه أولاد الناصر وقتل فيه من جانب عبد الله آبي بن محمد بن بكار بن أعمر. ويوم "ادبلگي" في أول رمضان سنة 1256هـ (27 اكتوبر 1840م) انهزم فيه أبكاك، وقتل منهم أحمد بن امحمد بن عمار بن أبوهم بن شبلي، بارزه ابوكه بن الشعري الناصري فلقيا حتفهما معا، وسيدي محمود وامحمد ابنا أحمد، والشيخ بن اعميره بن اعلي بابي، وجرح في هذا اليوم بكار بن اسويد أحمد وقتلت فرسه (ادفينيجه). ثم يوم "أم الحنوك"، قتل فيه من أبكاك لمطوره رئيس العويسيات، وسيدي أحمد بن امعيمرات (من تاجونت)[384].

10- إمارة بكار بن اسويد أحمد:

وفي هذه السنة (1256هـ/ 1840م) انشق بكار بن اسويد أحمد على عبد الله، وسانده جمهور أبكاك وأهل سيدي محمود وتجكانت، ومع عبد الله كنته وأولاد الناصر وبعض أولاد امبارك، وأهل الرسول بن اعلي انبگه في بعض أهل اسويد، وأهل اعلي بن امحمد، وبعض شيعتهم، والشراتيت، فوقع بين الفريقين يوم "توروگلين"، ويوم "أوسار"، قتل فيه من الشراتيت فارسهم بوسيف بن اعلي بن امحمد شين، قتله بكار بن هنون الكوري بن بنيوگ بن بوسيف بن امحمد بن خونا. وقتل من أبكاك الحاج بن أحمد

[384] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، 194.

بن يغلى بن گلاي بن شبلي، وبيه بن اعلاتي بن البمباري من الأنباط، وامحمد واعلي ابنا أرجم، وعدد من أهل اسويد. وجرح الشنظوره وهنون ابنا محمد بن بكار بن أعمر وقتل فرساهما.

ثم تنازل عبد الله، وذهب إلى أهل الازرگ من كنته -حيث سيتوفى سنة 1258هـ/ 1842م- فاستبد بكار بأمر أبكاك «بل ربما شيخه عامة إيدوعيش.. وهو أهل لها لعقله وسياسته وكرمه وعزمه وحزمه وشجاعته ورمايته[385]».

وملأ صيت بكار البلاد، فقد كان ملكا مظفرا، حكم أكثر من ستين سنة، وكان معروفا بالصبر، والجلد، وحسن السياسة، والذب عن الزوايا[386]، والوقوف مع المظلومين، وقوة الشكيمة، والصبر على الحروب، فامتلأت الإمارات الأخرى من هيبته[387].

وامتاز عهد بكار بالاستفادة من التجارة الفرنسية في حوض السينغال الأعلى، لاسيما من عائدات التبادل في محطتي "باكل" و"ماتم" الخاضعتين لإيدوعيش منذ

---

[385] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص152.

[386] قال افرير جاه في تقريره المعنون بإقليم إيدوعيش: «كان بكار الأمير الأقوي من بين البيضان.. وكان إيدوعيش يحمون الزوايا ضد الأعداء والنهابين». افرير جاه، ص100.

[387] المرجع نفسه، وأضاف أميل هات في كتابه "إبتيت اكرونيك ديزيدوعيش": «بكار مثل عهده ذروة قوة الإمارة، وبلغ بقبيلته أقصى قوتها، واستمر ملكه قريبا من 70 سنة، ومن شبه المؤكد أنه كان -لولا الفرنسيين- سيعيد زعامة لمتونة على البلاد.. وبعد أن فرض احترامه زرع الرعب في قلوب الأعداء.. عاش مدة طويلة، نحو مائة سنة.. وكان يفتخر في آخر حياته بأنه تعامل مع كل الأحكام الفرنسية من الويس فيليب إلى الذين بعده، وأنه هزم كل القبائل حتى تنبكتو، وهزم فيديرب. لقد قاد وحده سياسته، وضمن لها استمرارا ووحدة ممتازين، وبقي الرئيس غير المنازع إلى يوم وفاته.. سيطر على كل موريتانيا الشرقية إلى الحوض.. ثم خاض الحرب ضد أولاد الجعفرية في آخر القرن التاسع عشر (م)، وكانت هذه فترة توسعه الكبرى.. أرغمه مقدم الفرنسيين وتوسعهم السريع إلى ترك كل مشاريعه لكي يتفرغ للمقاومة، ومات وسلاحه في يده.. لقد كان ذكاء هذا الرجل فوق العادة وكذلك كانت مهارته السياسية وقيمته العسكرية، لقد كان ملكا حقيقيا متفوقا في هذا الجزء من الصحراء على جميع أنظاره، وكانت شخصيته القوية قد طبعت كل تطورات الشرق الموريتاني». أميل هات، مرجع سبق ذكره، ص77، بتصرف. وقال افرير جاه في "إقليم إيدوعيش": «كان إيدوعيش [في عهد بكار] يسيطرون على الأقاليم التي تكون حاليا تگانت وگورگول وشرق البراكنة، ومن أدافر إلى أگان، وكان لإيدوعيش مغارم في رگ البراكنة وآدرار وتيشيت وغيرها». افرير جاه، ص98. وقال عنه سيدي بن الزين العلوي وعاصره: «ومن سيادته أنه إلى موته لم ينتفع بثلاثة أشياء: لم ينتفع بآمكبل، ولم ينتفع بمهر بنت له، ولم ينتفع بالذكر من نسل خيله، إنما يجعل الثلاثة للفقراء والمساكين. وقد بلغني والله تعالى أعلم أن أوقافه في سبيل الله قد بلغت مكة، وكان عابدا خائفا من ربه. يحكى عنه أنه تنعل بنعل جده محمد في مناقبه والناس مختلفة منها من يفضل بكار ومنها من يفضل محمد... وقد قيل في مدحه من شعر الحسانية في حياته وبعد موته ما لا يمكن ضبطه. ومن أحسن ذلك عندي ما قال شاعره:

أخيار عرب آمســـاگَ ... واخيار عرب احسي أحمـــدْ
واخيار مجموع أزنـــاگ ... بكار ول اسويد أحمــــــد».

انظر، سيد بن الزين العلوي، كتاب النسب، مخطوط، ص16.

1821م (1236هـ)[388]، حيث وقعت إيدوعيش اتفاقية تجارية جديدة مع افيديرب سنة 1857م (1273هـ)، تعترف بإمارة بكار وتمنحه 3% من قيمة العلك المجلوب إلى المحطات التي تسيطر عليها إيدوعيش، بدل 1000 بيصة من النيلة كان إيدوعيش يتلقونها سابقا من الفرنسيين مقابل حماية التبادل في المواسم[389]. ورغم مواصلة الفرنسيين دفع هذه الإتاوة لبكار باستمرار، وتجديدهم للاتفاق معه سنة 1895م (1312هـ) فإن الفرنسيين لم يحصلوا أبدا على ما كانوا يطمحون إليه، وبدا ما يأخذه منهم كأنه مغرم[390].

وخاض بكار حروبا طويلة ضد الشراتيت، «فإذا كان صلح فبكار هو الرئيس المطلق، وإذا تحاربوا يهزمهم مرة ويهزمونه أخرى، وقد يستعين بكار بكنته، ويستعين أبناء عمه [الشراتيت] بأهل سيدي محمود، وأغلب حروبهم إنما هي مناوشات، فإذا كان زمن البلح يستبقون إلى وادي تيججگه [تجگجه]، فأيهما سبق إليه يرجع عنه الآخر[391]».

وتحارب الأمير مع أمراء البراكنة (أولاد السيد) في إطار تحالفه مع أولاد نغماش، ومع الترارزة في إطار تحالفه مع أحمد سالم بن محمد الحبيب ضد أخيه اعلي، وجرت له أيام مع مشظوف، وأهل سيدي محمود، وكنته، وأولاد يحيى بن عثمان، وأولاد امبارك وغيرهم.

فمن أيام بكار بن اسويد أحمد المشهورة يوم "غب" سنة 1274هـ/ 1857م للشراتيت على أبكاك ومعهم جناح من الترارزة، ويوم "توروكيلين" بين "أبكاك" و"الشراتيت" الذين انضم إليهم أولاد الناصر، قتل فيه بطلهم الگنبر بن ابوكه من أهل الشعري، قتله محمد الشيخ بن اسويد أحمد بن امحمد شين الملقب العويسي، ويوم "أجار تافراوكت"، كان مع أبكاك أولاد سيدي حيبلل من كنته، قتل فيه أمير بن الرسول بن امحمد شين، ويوم "انبرواغ"، قتل فيه من أبكاك المختار بن الحجوري، ويوم "گيلالات"، قتل فيه من الشراتيت امحمد بن جدو بن خيار بن الحاج امحمد بن أبوهم بن شبلي التونفي، ويوم "تيشوطن"، قتل فيه من الشراتيت الهيبه بن سدوم بن أحمد بن

---

[388] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص170.

[389] أميل هات، ايتيت اكرونيك ديزيدوعيش، مرجع سبق ذكره، ص96.

[390] المرجع نفسه، ص95-97. وأضاف أن مبعوث افيديرب علي صال سنة 1860م (1276هـ) عومل في تگانت من طرف بكار كسجين، والضابط الفرنسي ماج الذي زار تگانت في مهمة استكشافية أواخر 1860م (1277م) لم يتمكن من زيارة الكصور بسبب عدم تجاوب بكار.

[391] أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص490.

التيشيتي، ويوم "مال" سنة 1280هـ/ 1863م قتل فيه من أبكاك محمد المختار الملقب "كَر" أكبر أبناء بكار بن اسويد أحمد.

وبعد هذا اليوم فسد الود بين أهل اعلي بن امحمد شين وإخوتهم أهل المختار، فنزع بكار طبل أهل اعلي وأعطاه لأهل المختار. فترأس المختار بن أحمد بن المختار بذلك الشراتيت[392].

وفي سنة 1283هـ/ 1866م وقع يوم "انيور" بين بكار وأولاد عيشه من أولاد امبارك بقيادة أميرهم أعمر بن عثمان.

وفي سنة 1288هـ/ 1871م وقع يوم "إيبي" هاجم فيه الأمير بكار بن اسويد أحمد الذي كان مصحوبا بابن أخته أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده، وعمه الشنظورة بن أحمد ابن عيده "حلة" المختار ابن عيده فشتتها وقتل المختار، فمثل ذلك بداية لسلسلة من التدخلات المستمرة لبكار في شؤون إمارة آدرار.

وفي سنة 1293هـ/ 1876م وقع يوم "أيرياره" بين إيدوعيش ومشظوف، وفي سنة 1297هـ (1880م) استولى محمد محمود بن عبد الله بن سيدي محمود على أفراس لبكار بن اسويد أحمد[393]، فوقع جراء ذلك يوم "أگمون" سنة 1299هـ/ 1882م، مع الأمير بكار إيدوعيش وكنته وأولاد الناصر، ومع محمد محمود بن عبد الله بن سيدي محمود رئيس أهل سيدي محمود أحمد محمود بن المختار بن المحيميد أمير مشظوف، فكان النصر حليف مشظوف وأهل سيدي محمود، ثم تفرقوا، وارتحل مشظوف راجعين إلى بلادهم حزما من أميرهم، وتفرق بعض جيش أهل سيدي محمود، فعلم إيدوعيش وحلفاؤهم بذلك فساروا إليهم وأوقعوا بهم في يوم "المدروم"[394].

واندلعت الحرب بين بكار وأولاد يحيى بن عثمان فجرت بين الطرفين أيام شهيرة منها يوم "آرزاگ" سنة 1308هـ/ 1891م، ويوم "الطرطيگه" 1308هـ/ 1891م، ويوم "امراير حمدون" (1309هـ/ 1891م)، ويوم "انتاكش" 1309هـ/ 1891م، ويوم "آنكش" (قرب قصر البركه) بين إيدوعيش وكنته وأولاد يحيى بن

---

[392] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص195.

[393] المرجع نفسه، ص274.

[394] المرجع نفسه، ص275. و بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص154.

عثمان قتل فيه سبعة من أهل امحمد شين[395]، ويوم "فرع الكتان" (1310هـ/ 1892م) الذي تحالف فيه كنته مع أولاد يحيى بن عثمان[396].

وفي مطلع 1894م (أواخر جمادى الثانية 1311هـ) بعثت الإدارة الفرنسية باندر (سينت الويس) محمدن بن ابن المقداد إلى أمير الشراتيت المختار بن أحمد بن المختار، ليقترح عليه معاهدة تحالف، وذلك في وقت كان الأمير بكار يهدد فيه بقطع الطرق التجارية التي تربط بين الإمارة ومراكز التبادل الفرنسية، حيث كانت العلاقة بين بكار والفرنسيين في تلك الفترة سيئة.

وفي سنة 1896م (1313هـ) وقع أبكاك اتفاقية جديدة مع الفرنسيين، لكنها لم تؤد إلى إصلاح العلاقة المتوترة بين بكار والفرنسيين.

ولما فسد ما بين أولاد غيلان وأمير آدرار أحمد بن سيدي أحمد سنة 1315هـ/ 1897م لجأ أولاد غيلان إلى بكار فأمدهم بجيش يرأسه ابنه عثمان فكانت لهم وقعات مع الأمير وشيعته.

---

[395] هم: محمد بن سيدي أحمد لبات، وعثمان بن أحمد بن المختار بن امحمد شين، وإبراهيم بن اعلي بن امحمد شين، وابناه بوسيف وعثمان، وإبراهيم بن سيدي بن اعلي، وسابع. المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص278.

[396] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص154. وقال ابن الأمين الشنقيطي: «كانت كنته متحالفة مع أبكاك، وكان الشراتيت يغيرون أحيانا على كنته للخصوصية التي بين الشراتيت وإيدوالحاج من جهة، وكنته وأبكاك من جهة أخرى، وربما تقابلت الفئتان، فتقاتلت كنته مع إيدوالحاج والشراتيت مع أبكاك.. ثم إنه وقعت موجدة بين بكار وابنه إبراهيم المعروف بإبراهيم بن إبراهيم، أضيف إلى نفسه لأنه لما تكدر من أبيه أقسم ألا يضيفه أحد إليه إلا قتله، فأضيف إلى نفسه، فرحل إبراهيم عن أبيه ونزل مع الشراتيت وأهل سيدي محمود، ثم إنه ذهب في فرسان واستاق إبلا لكنته، فتبعه فرسان منهم فأتوه من الأمام، فقالوا له: أنت غالط أو متعمد؟ فقال لهم: بل متعمد. فقالوا له: إن كنت تريد بالإبل أباك فاذهب بها إليه، وإن كنت تريد أن تسوقها إلى أعدائنا فإن ذلك لا يكون. فقال: إنه سيكون. فقتلوه وردوا إبلهم، فعلم أبوه بذلك، فقال: هذا ظالم يستحق القتل.

ثم إن كنته قتلوا أيضا اثنين من أبناء بكار، فغضب لذلك، فعلم كنته أنهم لا يقدرون على حربه، وكان ذلك زمن قتل إيديشلي لأمير آدرار أحمد بن امحمد ابن عيده (سنة 1308هـ/ 1891م)، فاحتمى ببكار قتلة ابن عيده فأجارهم، فرأت قبيلة كنته ذلك فرصة، فانضموا إلى أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده، واصطف بكار ومن معه من أبكاك مع الشراتيت لقتال كنته وأولاد يحيى بن عثمان، فتلاقى الجيشان في تگانت، فتقابلت كنته مع الشراتيت، فهزمت الشراتيت، وتقابلت أبكاك مع أهل آدرار فهزمهم أبكاك. ثم إن بكار رجع إلى حرب الشراتيت، فصار يضارب هؤلاء من ناحية وهؤلاء من ناحية حتى غلب الجميع». (الوسيط بتصرف، ص494-495). وقال ابن انتهاه إن هذه الوقعة تسمى "ابلحنوك". (نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والآثار، ص57). وقال المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي: «إن كنته جلوا عن تگانت بعد هذا اليوم تفاديا لحرب بكار، ما عدا أولاد سيدي حيبلل منهم، حلفاؤه قدما وأصهاره، فقد كانت أم الخيرات بنت امحمد بن أحمد بن امحمد زوجا له، وأم لثلاثة من أبنائه. وقد عاد بعض الكنتيين لاحقا إلى تگانت بعد ذلك». محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

وامتد بالأمير بكار العمر حتى هاجمه الفرنسيون سنة 1323هـ/ 1905م فقاد لحربهم قبائل تگانت إلى أن استشهد في يوم "بوگادوم" (ويعرف أيضا بيوم "رأس الفيل") في فاتح إبريل 1905م (25 محرم 1323هـ) عن نحو أربع وتسعين سنة. ودفن عند "رأس الفيل" (50 كلم شرقي "كيفه").

وخلف بكارا ابنه عثمان في وقت أخذ فيه الاستعمار الفرنسي يتطلع إلى بسط سلطته على إمارة تگانت.

إمارات أولاد امبارك

يراد بأولاد امبارك أبناء امبارك بن امحمد بن عثمان بن مغفر، كانت لهم عند مقدمهم إلى بلاد شنقيط جبايات ومغارم بتيرس، ثم بآدرار والگبلة، قبل أن يستوطنوا منطقة تگانت في صدر القرن الحادي عشر للهجرة (17م)، ويفرضوا سيطرتهم على قبائلها.

وكان أولاد امبارك ينقسمون إلى مجموعتين هما أولاد الفحفاح (الفحفاح بن امبارك)، وأولاد امبارك الصغار (أولاد إخوة الفحفاح: الغصاص وسلمون وأعمر). وقد تلاشت هذه المجموعة الأخيرة وتفرقت في القبائل.

وانقسمت ذرية الفحفاح بدورها إلى مجموعتين هما مجموعة فرع أولاد الذيب بن الفحفاح، ومجموعة فرعي أولاد الغويزي بن الفحفاح وأولاد أعمُر (بضم الميم) بن الفحفاح (وهو أعمُر بن الذيب بن أعمُر (بضم الميم) بن الفحفاح)، وعلى هذه المجموعة كان يطلق اسم أولاد الفحفاح عرفا دون أولاد الذيب الذين تلاشوا في القبائل أو انقرضوا.

ثم تفرقت مجموعة أولاد الفحفاح (أولاد الغويزي وأولاد أعمُر)، فكان لفرع أولاد الغويزي الذي كان مستقلا عن فرع أولاد أعمُر مغارم بالگبلة، ثم انجلى عنها بعد هزيمته يوم "أگيرت" (شمال صنگرافه) سنة 1041هـ/ 1631م، واستقر – بعد قضاء مدة يسيرة بآفطوط وتگانت- في العصابه والرگيبه وبعض أجزاء الحوض، حيث كون

رئاستين هما: رئاسة أهل سيدي أحمد بن أوديكه (أوديكه الاگرع بن النبيگه بن الغويزي)، ورئاسة أهل سيدي اعلي بن أوديكه، وإمارة هي إمارة أهل بوسيف بن أوديكه.

أما أعمُر فمن ذريته أولاد اعبيد (العبيدات)، وأولاد گيسوم، وأولاد أوديكه، وأولاد أحمد، وأولاد النمداي، وأولاد بنيوگ، والعدد والرئاسة فيهم في فرع أولاد بنيوگ بن أعمُر، كان ابنه محمد الزناگي بن بنيوگ رئيس عامة أولاد أعمُر، من بنيه: بوسيف وبهدل ودخنان وارشيد، وتعرف ذريتهم بأولاد بنت الغصاص، واللب وسدوم وبهدي وتدعى ذريتهم بأولاد أم النون، وكانت لهم رئاسة خاصة بهم، ويدعى أولاد بنت الغصاص وأولاد أم النون جميعا فاته انغلي، اشتهروا بفاته، وكونوا إمارة قوية بالحوض، كانت في بيت أهل بوسيف بن محمد الزناگي منهم. وكان معهم أولاد أحمد بن أعمُر بن الذيب وأولاد اعبيد (العبيدات) بن أعمُر بن الذيب، فكانوا يدعون جميعا بأهل "الگاشوش"[397]، وكانت للعبيدات منهم رئاسة خاصة بهم.

ومن بني محمد الزناگي أيضا هنون العبيدي وحمه وبهدل ومِمه وأعمر الشماته وبنعيش أمهم اعبيدية[398]، ويطلق على سائر ذراريهم سوى ذرية هنون العبيدي فونتي وكانت لهم رئاسة خاصة بهم تسلسلت في بيت أهل حمو الفونتي، وقامت لأهل بهدل بن محمد الزناگي منهم سلطنة عظيمة بباغنه (باخونو)[399]. أما أبناء هنون فبوسيف وحمو وممو وسيدي أحمد، ويدعى هؤلاء وذراريهم بأولاد العاليه، نسبة إلى أمهم العاليه بنت امحمد بن خونه من إيدوعيش، وعثمان وأحمد وبكار، ويدعى هؤلاء وذراريهم بأولاد عيشه، وهي أخت العاليه، وفي أولاد العاليه وأولاد عيشه إمارة أهل هنون العبيدي، وهي الإمارة العامة لأولاد امبارك، آلت أولا إلى أولاد العاليه ثم انتقلت إلى أولاد عيشه، وبقيت في أولاد العاليه رئاسة خاصة بهم. واللب، ولا شقيق له. وديده ولا شقيق له، أمه بوفايدية، كانت هي السبب في انخضاد شوكة ذويها أولاد بوفايده، وإخوتهم أولاد منصور في بلاد الحوض، وتمهيد الطريق أمام أولاد امبارك للنزوح إليه. وذلك أن قومها أولاد بوفايده قتلوا ابنها ديده بن هنون العبيدي فأفرطت في النياحة عليه، وتحريض زوجها على حربهم، وعمدت إلى قتل حوار فباتت أمه تحن حتى الصباح، فاستجاش هنون العبيدي رئيس عامة أولاد أعمر (بضم الميم)، وابن عمه اعلي بن

---

[397] الگاشوش: الصدر، وسموا به لأنهم كانوا هم الطائفة الغربية من طوائف أولاد امبارك الحوض، فكانوا على احتكاك دائم مع إيدوعيش خلال حروبهم الطويلة معهم، فسموا بالصدر لتصدرهم لهم، وذبهم عن حياضهم.

[398] اسمها فاطمه بنت احميد العبيدي، وبها سمي ابنها هنون بهنون العبيدي. انظر، صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص87.

[399] باغنه منطقة تقع جنوب الحوض، شرق منطقة كارته (دولة مالي الحالية) المصاقبة للحدود الموريتانية. تميزت بموقعها الزراعي والرعوي الجيد، وبموقعها الاستيراتيجي بالنسبة لخطوط التجارة.

المختار بن أوديكه رئيس أولاد الغويزي قبيلتي إيدوعيش ورئيسهم يومئذ أعمر بن امحمد بن خونه، وأولاد الناصر ورأسهم بهدل بن هنون بن أعمر بن اشبيشب، وبهدل بن امحمد بن حماد (بتفخيم الميم) من أولاد عبد الكريم، فساروا إلى "انول" (بتفخيم اللام)، المنهل المشهور بالحوض، ثم هموا بالرجوع لجهلهم ما وراء "انول" من الأرض، فأتاهم هرثوم الزيدي في قومه فقادهم دليلا إلى موضع "كساري" الذي به أولاد بوفايده وإخوتهم أولاد منصور، وشيعتهم ياداس، وطلبتهم إجمان وغيرهم، فدارت الدائرة على أولاد بوفايده ومن معهم سنة 1124هـ/ 1712م. وقيل إن ياداس كانت يومئذ ستمائة فارس، ودامت الحرب سبعة أيام، ولم ينهزم أولاد بوفائدة وشيعتهم، إلا حين أعان سودان ذلك البلد أعداءهم عليهم[400].

وتمكن أولاد امبارك بهذا الانتصار من بسط سيادتهم تدريجيا على بلاد الحوض التي استقروا فيها نهائيا بعد يوم "آكرراي" سنة 1172هـ (58-1759م) بينهم وبين إيدوعيش. ومع أن بلاد الحوض ضمت عددا من القبائل الحسانية الأخرى (أولاد الناصر، أولاد داود، أولاد موحمد، لوكارات... إلخ) فإن أيا منها لم يتمكن من مناهضة أولاد امبارك الذين انعقد لهم بهذه المنطقة ملك عظيم. وحرص أولاد امبارك على القيام بالعدل والشرع، مسندين الفتوى والقضاء إلى الزوايا (لاسيما قبيلتي تنواجيو والاغلال). وكانت المنطقة تضم قبائل زاوية كثيرة منها الگسيمه، وإيدوبلال، وتافلالت، وتجكانت، والوسرة، وإيديبسات، وغيرها. وشكل الزنوج: السوننكيون، الفلان وبمباره وغيرهم جزءا من النسيج الاجتماعي الذي بسط أولاد امبارك سيطرتهم عليه.

واشتهر عن أولاد امبارك حرصهم على تمثل القيم النبيلة (من فروسية، وشجاعة، وكرم، ونجدة، ونخوة) فقصدهم الشعراء والزفانون، وتباروا في مدحهم، ووصف أحوالهم، وبأسهم في حروبهم، وكرمهم، ونخوتهم، فازدهر الشعر الحساني في ظل دولتهم التي ظهر فيها أحد أعظم شعراء البيضان الحسانيين (سدوم بن انچرتو)، وولد "أزوان" (موسيقى) البيضان، أو نضج في أحضانهم، لاسيما بين أسرتي أهل آوليل وأهل آگمتار، قبل أن يتداوله الشعراء والمغنون في المناطق الأخرى.

وامتدت دولة أولاد امبارك من العصابه إلى باغنه: سلطان فرع أولاد الغويزي في العصابه وأجزاء من الحوض، وسلطان فرع أولاد أعمُر، في ما وراء ذلك من بلاد الحوض إلى باغنه. كانت إمارة أولاد أعمُر قبل نزوحهم إلى الحوض موحدة تحت إمرة

---

[400] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص24.

بوسيف بن محمد الزناگي (أحد قواد المغافرة في حرب شربُبه)، فلما مات خلفه أخوه هنون العبيدي بن محمد الزناگي، فلما مات هنون انقسمت الإمارة بين بنيه وبني أخويه بوسيف وبهدل، ورث بنوه عنه الإمارة العامة، وملكوا وسط الحوض، وملك بنو أخيه بوسيف بن محمد الزناگي الذين اشتهرت إمارتهم بفاته، وشكلت مع فرعي العبيدات وأولاد أحمد بن أعمُر ماعرف بأهل الگاشوش، الأراضي الواقعة في غرب وجنوب الحوض، وامتدت إمارتهم إلى كينگي (في مالي الحالية)، بينما ملك بنو أخيه بهدل بن محمد الزناگي الذين عرفت إمارتهم بسلطنة باغنه، ومعهم فونتي، منطقة باغنه التي تقع إلى الجنوب من بلاد الحوض[401].

أولا- إمارة أولاد الغويزي:

كانت إمارة أولاد الغويزي[402] من أولاد امبارك في أهل بوسيف بن أوديكه (الاگرع) بن النبيگه بن الغويزي، واستقرت في أجزاء من العصابه والرگيبه والحوض.

وقد بدأت هذه الإمارة بـ:

401 المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص133.

402 كانت في أولاد الغويزي فضلا عن إمارة أهل بوسيف بن أوديكه رئاستان هما: رئاسة أهل سيدي أحمد بن أوديكه بن النبيگه بن الغويزي، ورئاسة أهل سيدي اعلي بن أوديكه بن النبيگه بن الغويزي، ستذكران في فصل الرئاسات الحسانية.

1- إمارة اللب بن بوسيف بن أوديكه الغويزي:

تغلب اللب بن بوسيف بن أوديكه (الاگرع) بن النبيگه بن الغويزي على أولاد عگبه وانتزع منهم ملكهم، وملك "إيسكرانهم"[403]، فكان أول ملوك أولاد امبارك، بل المغافرة جميعا تملكا لـ"إسكران"، بعدما صارت إليه كورارة "محلة" ابن دهموش رئيس أولاد عگبه، وتغلب على ما كان بيده وأيدي أولاد بوكار وغيرهم من أولاد عگبه من المغارم في البيضان والسودان[404].

2- إمارة هنون الكوري بن اللب بن بوسيف:

وبعد وفاة اللب بن بوسيف تأمر ابنه هنون الكوري، وفي عهده وقع يوم "گيفه" بين فرعه أولاد أوديكه وبين سائر أولاد الغويزي الآخرين، قتل فيه محمد بن أحمد بن أحيمد بن سيدي اعلي بن أوديكه. وقتل الجرموني بن اعكرتمه.

ومات هنون الكوري مقتولا، قتله أبناء عمومته أولاد النبيگه الغويزيون سنة 1149هـ/ 1736م[405].

3- إمارة بوبكر بن هنون الكوري بن اللب بن بوسيف:

وتأمر بعد هنون الكوري ابنه بوبكر، وكان من خيار المغافرة. وقتله أولاد أعمُر (أولاد امبارك) في وقعة "چگم" في 26 صفر سنة 1161هـ (26 فبراير 1748م)[406]، فانتقلت الإمارة بعد وفاته من أهل هنون الكوري بن اللب إلى أبناء عمهم أهل أحمد بن اللب[407].

4- إمارة سيدي أحمد بن امحمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف:

---

[403] "إسكران" في الأصل تجمعات سكانية ملك أهلها البقر تقيم على المناهل، ولا تظعن إلا نادرا، ثم صارت تطلق على مخيم الأمير الذي أصبح يمتلك "آسكر" من البقر خاصا به.

[404] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص26.

[405] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص138.

[406] وقعة "چگم" –ويطلق عليها أيضا حصار چگم- جاءت تتويجا لحرب اندلعت بين أولاد امبارك، حينما قتل عثمان الباشا بن هنون بن بهدل بن محمد الزناگي سيدي أحمد بن إبراهيم بن سيدي أحمد بن أوديكه.

[407] هو المقول فيه:

يالسايل عن أخيار العرب — وازينهم دين وازينهم امليكه
بوبكر ول هنون ول اللب — ول بوسيـف ول أوديكه

وتأمر بعد بوبكر بن هنون الكوري ابن عمه سيدي أحمد بن امحمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف، وكان من سادات المغافرة وفرسانهم وذوي العدل فيهم، توسع ملكه على حساب السودان. وتوفي الأمير سيدي أحمد سنة 1190هـ/ 1776م، فتنازع على الإمارة بعده أخوه بوبكر بن امحمد وابناه هنون وأحمد بوشارب[408].

5- إمارة هنون بن سيدي أحمد بن امحمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف:

واستبد هنون بن سيدي أحمد بن امحمد بن أحمد بن اللب بالإمارة بعدما تمكن هو وأخوه أحمد بوشارب من قتل عمهما بوبكر بن امحمد سنة 1191هـ/ 1777م. لكن هنون قتل غدرا على يد خاله أحمد بن بوبكر بن هنون الكوري الذي قتل أيضا المختار بن امحمد بن أحمد بن اللب عم الأمير هنون طمعا في الملك. ثم أحس بأنه فاشل في تحقيق مرغوبه، فهرب إلى "آسكر" أهل هنون بن بهدل في "باغنه"، فقتله هناك رجل من أهل سيدي اعلي يسمى چَله (بتفخيم اللام)[409].

6- إمارة أحمد بوشارب بن سيدي أحمد بن امحمد بن اللب:

وتأمر بعد هنون أخوه أحمد بوشارب، ولم تطل مدته[410].

7- إمارة بوسيف بن سيدي أحمد بن امحمد بن اللب:

وتولى الإمارة بعد الأخوين الشقيقين هنون وأحمد بوشارب أخوهما الأكبر بوسيف، وكان بعيدا من الملك لكونه ابن أمة، لكنه أظهر من مخايل الرئاسة والسياسة ما تقاصر عنه إخوته، وطالت مدته، وتوطد سلطانه بعدما هزم إخوته امحمد وأعمر والحبيب وابن أخيه سيدي أحمد بن أحمد بوشارب الذين نازعوه الإمارة، وقتل في حربه معهم أخوه أعمر وابن أخيه سيدي أحمد[411].

8- إمارة سيدي أحمد فال بن بوسيف بن سيدي أحمد:

وخلف بوسيف ابنه سيدي أحمد، وكان محمود السيرة، وطالت مدته كذلك لكنها لم تبلغ مدة أبيه. ووقعت في عهده عند "غابو" (غابو الثاني) معركة بين أولاد الغويزي

---

[408] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص139.
[409] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص83.
[410] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص139.
[411] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وبين "الگاشوش" ومعهم أهل بهدل، فكانت الدائرة فيها على أولاد الغويزي، كما وقع في عهده يوم "جكير" بين الطائفتين، كان النصر فيه لأولاد الغويزي[412].

9- إمارة الشيخ أحمد بن سيدي أحمد فال:

وتأمر بعد سيدي أحمد فال ابنه الشيخ أحمد. ونازعه عمه أعمر بن بوسيف، فنفاه إلى سيگو بلاد ماصه (منزا)[413].

10- إمارة الطالب جدو بن سيدي أحمد فال:

ثم تأمر بعد الشيخ أحمد أخوه الطالب جدو، لكنه مات بعد ليال قلائل من حكمه، وانقرض عقب الأمير سيدي أحمد فال بموت الطالب جدو.

11- إمارة أعمر بن بوسيف:

وتولى بعد الطالب جدو بن سيدي أحمد فال بن بوسيف عم أبيه أعمر بن بوسيف الذي رجع من منفاه بعد موت الأمير الشيخ أحمد، وكان محمود السيرة.

وقتل الأمير أعمر غدرا عند "آرويج كندور"، قتله قوم من أهل سيدي محمود. وكان حيا حوالي سنة 1270هـ/ 1853م[414].

12- إمارة اعلي امحمد بن بوسيف:

وتأمر بعد أعمر أخوه اعلي امحمد، وكان يلقب بـ"ول اعويليه". مكث في الإمارة سبع سنين.

13- إمارة امحمد فال بن سيدي أحمد فال:

---

[412] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[413] حكمت أسرة أهل ماصه (منزا) البمبارية سيگو سنة 1176هـ/ 1763م بعدما تغلب والدها والو (انگولو جارا) الذي كان من طبقة العبيد على السلطة في سيگو، ثم خلفه ابنه ماصه (منزا) سنة 1203هـ/ 1787م، ثم تبعه ابنه دا (دعا) بن ماصه سنة 1221هـ/ 1806م، فأخوه شيفولو بن ماصه، فأخوهما كورانكيبي بن ماصه، فأخوهم ويتايونام بن ماصه، فأخوهم ماسال دمبا بن ماصه، فأخوهم توروكوروماري بن ماصه، فأخوهم عالي بن ماصه (عالي ويتاله) وأطاح به الحاج عمر الفوتي بعد سنتين أو ثلاث من توليه الحكم سنة 1277هـ/ 1861م.

[414] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص139-140.

وتولى بعد اعلي امحمد ابن أخيه امحمد فال بن سيدي أحمد فال بن بوسيف، وطال حكمه، ونازعه بوسيف بن الفلالي بن بوسيف بن سيدي أحمد لكنه لم يتمكن من إزاحته، وأدت صراعاتهم الداخلية إلى تلاشي ملك أولاد الغويزي، وتقلصت إمارتهم حتى أصبحت مجرد رئاسة قبلية محدودة. ولما اقتحمت فرنسا منطقة خاي (مالي الحالية) سنة 1891م (1308هـ) أعفته[415].

ثانيا- إمارات أولاد أعمُر:

وهم الذين كان يطلق عليهم عرفا أولاد امبارك، وقد ظهرت فيهم ثلاث إمارات: إمارة أهل هنون العبيدي بن محمد الزناگي (الإمارة العامة) بوسط الحوض، وإمارة أهل هنون بن بهدل بن محمد الزناگي المشهورة بالسلطنة بباغنه، وإمارة فاته (إمارة أهل هنون بن بوسيف بن محمد الزناگي) بغرب وجنوب الحوض.

---

[415] المرجع نفسه، ص139.

أ- إمارة أهل هنون العبيدي بن محمد الزناگي (الإمارة العامة):

1- إمارة بوسيف بن هنون العبيدي:

وهو من أولاد العالية بنت امحمد بن خونه الإيدوعيشي. كان أميرا فارسا مقداما، شارك في مد نفوذ أولاد امبارك ببلاد الحوض. وكون عقبه رئاسة خاصة بهم[416] بعد أن انحرفت عنهم بوفاته الإمارة إلى أولاد إخوتهم لأم عيشه.

2- إمارة عثمان بن هنون العبيدي:

وتأمر بعد بوسيف بن هنون العبيدي أخوه لأبيه عثمان بن هنون العبيدي من أولاد عيشه. وكان عثمان بطلا شجاعا، اختلف في عهده أولاد امبارك وإيدوعيش، فوقع بينهما يوم "درگل" سنة 1152هـ/ 1739م، قتل فيه أعمر بن سدوم بن امحمد بن خونه، ويوم "انكَدَي" سنة 1159هـ/ 1746م لأولاد الناصر وإيدوعيش على أولاد امبارك الذين قتل منهم محمد بن ممو بن هنون العبيدي، وافريكيش بن يهدي بن دخنان، قتل الأول بنعيش بن أعمر بن موسى الناصري، وقتل الثاني اعلي بن ابريهمات بن الشويخ العياسي. وتوفي عثمان سنة 1162هـ/ 1749م.

3- إمارة بكار بن هنون العبيدي:

وخلف عثمان أخوه بكار بن هنون العبيدي، وفي عهده ضرب زلزال قوي منطقة الحوض وغيرها من مناطق بلاد شنقيط، صبيحة الأحد 27 محرم 1169هـ الموافق 1 نوفمبر 1755م، ذعر الناس لهوله[417].

وفي سنة 1172هـ (58-1759م) قتل أولاد امبارك خيار إهيت بن اسويد بن امحمد بن خونه، فثارت إيدوعيش وعزمت على التخلص من أولاد امبارك، فوقع بينهما يوم "آكرراي" شارك فيه البراكنة إلى جانب أولاد امبارك، ثم لم تزل الحرب بينهما

---

416 سيأتي ذكر هذه الرئاسة لاحقا.

417 حتى قال في هذا الزلزال سيدي أحمد بن سيدي محمد بن أيجل الزيدي في فشتاليته:

وفيه أراضينا جميعا تزلزلــت   وما أحد منا ارعوى بتبتــل

انظر، المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص87.

مشتعلة حتى تخلى أولاد امبارك عن تگانت لإيدوعيش نهائيا، بعد أكثر تسعين وقعة[418] أعظمها حصار "احنيكات بغداده" سنة 1192هـ/ 1778م الذي تألب فيه المغافرة مع أولاد امبارك، للقضاء على شوكة إيدوعيش، فحاصروهم ستة أشهر بالحنيكات قرب تجگجه «حتى أكلت الإبل شملها من شدة الجدب[419]»، ثم تمكن إيدوعيش من فك الحصار بعدما بذلوا أربعين فرسا لأولاد عبد الل على أن ينسحبوا فانسحبوا. وتوفي بكار بن هنون سنة 1195هـ/ 1781م.

4- إمارة عثمان بن بوسيف بن أحمد بن هنون العبيدي:

وتأمر بعد بكار عثمان بن بوسيف بن أحمد بن هنون العبيدي، وكان بطلا شجاعا مقداما، اشتهر بفارس "الحلة"، من أشهر الأيام التي وقعت في عهده يوم "آوليليگ" سنة 1200هـ/ 1786م بين أولاد امبارك وإيدوعيش، مات فيه أحمد ديه بن بكار بن أعمر. وتوفي الأمير عثمان في جمادى الأولى سنة 1206هـ (يناير 1792م)[420].

5- إمارة هنون بن بوسيف بن أحمد بن هنون:

وخلف هنون بن بوسيف بن أحمد بن هنون أخاه عثمان، وكان أميرا عظيما، فارسا بطلا مقداما، كريما، سخيا، مدحه سدوم بن انچرتو بـ"التهيدينه" المشهورة بتفرغ زينه[421].

وفي عهده حدث الطاعون المشهور بـ"مقاطة" (الأولى)، وهو طاعون فتاك وصل إلى منطقة الحوض وما جاورها سنة 1207هـ/ 1793م قادما من أزواد، وكان شديدا لا يعيش صاحبه إلا قليلا، ففني بسببه خلق كثير. وقد امتد هذا الوباء حتى وصل إلى تگانت[422].

كما استمرت في عهده حروب أولاد امبارك مع إيدوعيش، فوقعت بينهما أيام منها يوم "البيجوج" سنة 1209هـ/ 1794م، كان مع أولاد امبارك فيه أولاد الناصر، ويوم "تنتينه" سنة 1211هـ/ 1796م، قتل فيه من إيدوعيش عثمان بن اعلي بابي،

---

418 راجع فصل إمارة إيدوعيش من هذا الكتاب.
419 بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص125.
420 المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص129.
421 مطلع هذه "التهيدينه" هو:
أفگراش انجوع انقيوان   شيخ انزايله واحلله...إلخ.
422 المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص184.

والفيخار بن اعلي بن أحمد بن حمو بن مقطير (التونفي)، وأخوه بوبكر. ومن أولاد امبارك امحمد دبو بن عثمان (من أولاد عيشه). وقتل قبيل الوقعة هيبه بن سيدي أحمد بن هنون العبيدي، قتله اعلي سانگلي أحد أهل خنوف، من الأنباط، وكان يوما شديدا على إيدوعيش.

وفي سنة 1215هـ/ 1800م أوقع هنون بن بوسيف بأولاد طلحه فقتل المختار بن اعليوه (من أولاد بوجوده)، ثم أوقع بهم ثانية عند "كدامه" سنة 1216هـ/ 1801م، ومات من أولاد امبارك في هذه الوقعة المختار بن أعمر بن بوجرانه.

وفي سنة 1219هـ/ 1804م عاد طاعون "مقاطة" إلى المنطقة، ودام فيها أكثر من سنة، وقتل في ولاته وبواديها وحدها خلقا كثيرا[423].

وفي سنة 1220هـ/ 1805م وقع يوم "العجينگي" بين أولاد امبارك وإيدوعيش، ثم يوم "تگدمت" سنة 1221هـ/ 1806م قتل فيه من أولاد امبارك بوسيف بن هنون بن بوسيف، ويوم "صفية انيوكشه" في 22 رجب 1221هـ (5 اكتوبر 1806م) قتل فيه منهم البانون بن أحمد بن سيدي أحمد بن ممو بن هنون العبيدي، وهنون بن أعمر بن عثمان الراجل بن هنون العبيدي، وعثمان بن احميتي بن التادلاوي (من أولاد العاليه)، وعثمان بن هنون بن بكار بن هنون العبيدي (من أولاد عيشه)، ويوم "تيط" سنة 1222هـ/ 1807م، قتل فيه من أولاد امبارك الجيد بن الجوده الغويزي رئيس أهل سيدي اعلي بن أوديكه.

وفي سنة 1232هـ/ 1817م وقع يوم "بنعوم" بين أولاد هنون العبيدي وأبناء أعمامهم فونتي، قتل فيه من أولاد العاليه المعلوم بن أعمر بن بوسيف بن هنون العبيدي، ومن أولاد عيشه المختار بن محمد بن أحمد بن هنون العبيدي.

وفي 6 رجب 1233هـ (12 مايو 1818م) وقعت وقعة "ولاته" بين أولاد العاليه وأولاد عيشه، قتل فيها من أولاد العاليه بوسيف بن عثمان بن اعلي سالم، ومن أولاد عيشه بوسيف بن هنون بن أحمد.

[423] حوليات ولاته، مصدر سبق ذكره، ص13. والمختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص184.

ثم وقع بين الفريقين يوم "وسط" (وهي بئر ببلاد باغنه) في جمادى الأولى سنة 1234هـ (مارس 1819م)، قتل فيه من أولاد العاليه المختار بن عثمان بن بوسيف، وكباد بن عثمان بن اعلي سالم، ومن أولاد عيشه محمد وسيدي بيبيه بن هنون بن أحمد.

وفي سنة 1240هـ/ 24-1825م وقعت وقعة "انترش" بين أهل هنون العبيدي وفاته وأولاد داود، وبين فونتي وإيدغموسه (أولاد موحمد) عند شكرطيل، قتل فيها عثمان الزايغ بن هنون النفاع، وهنون بن اعلي بن المختار بن سيدي أحمد[424].

وتوفي هنون بن بوسيف في ثاني ربيع الثاني سنة 1242هـ (ثاني نفمبر 1826م).

6- إمارة عثمان بن هنون بن بوسيف:

وخلف هنون ابنه عثمان الملقب ابحيْده. وفي عهده وقع يوم "غابو" (غابو الأول) ببادية "النواره" يوم 20 شعبان 1246هـ (3 فبراير 1831م) لأهل هنون العبيدي وفاته، على أهل بهدل وسائر فونتي والعبيدات، قتل فيه من فونتي دخنان بن سيدي إبرهيم، ومن فاته عثمان بوركبه بن اعلي بابي من أولاد بنت الغصاص، وقطعت يد محمد بن سيدي أحمد بن الدليل.

وفي شوال سنة 1253هـ (يناير 1838م) وقع يوم "آجوير" ضد أولاد الناصر، مات فيه من أولاد امبارك: أعمر بن سيدي أحمد بن ممو (من أولاد العاليه)، وعثمان بن امحمد بوسيف، والعيمار بن محمد (الغصاصيان)، ولبات بن بوشنوفه، (من أولاد أم النون من فاته)، وهنون بوها رئيس العبيدات، واثنا عشر منهم، من بينهم هنون جام.

وفي سنة 1257هـ/ 1841م وقع يوم "مد الل" بين أولاد عيشه وشيعتهم من جهة، وأولاد العاليه وأهل بهدل وسائر فونتي وشيعتهم من جهة أخرى، وكان يوما مشهودا تضعضعت بسببه قوة أولاد امبارك ومات فيه خلق من سادتهم وفرسانهم، منهم سيدي أحمد بن المختار بن هنون طاعو رئيس أولاد العاليه، والمختار بن أعمر بن اعلي (خطري) رئيس أهل بهدل، وعثمان بن هنون الزايغ بن هنون النفاع من فونتي فارس أولاد امبارك قاطبة، وأخوه سيدي أحمد، وابن لعثمان الزايغ، واعلي بابي بن أحمد بن حمه من فونتي. وفي سنة 1266هـ/ 1850م وقع يوم "عيجون" انتصر فيه أهل "الگاشوش" ولوكارات على أولاد عيشه، وأولاد الناصر، وأولاد الغويزي،

---

[424] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص261.

ومشظوف، وكنته[425]. وفي جمادى الأولى سنة 1267هـ (مارس 1851م) توفي الأمير عثمان[426].

7- إمارة محمد الشيخ بن عثمان بن هنون:

وتولى بعد الأمير عثمان ابنه محمد الشيخ، وكان يلقب بالأطرش، وقعت في عهده معركة بين أولاد موحمد وأهل هنون العبيدي قتل خلالها هنون بن بوسيف، وذلك 1268هـ/ 1852م، ومعركة "آگوينيت" في نفس السنة لمشظوف على أولاد عيشه[427]، ولم تطل مدته فتوفي سنة 1270هـ/ 1853م.

8- إمارة أعمر بن عثمان بن هنون:

وخلف محمد الشيخ أخوه أعمر بن عثمان بن هنون. وكان أميرا قويا، غنيا، له مغارم كثيرة على سودان وبيضان المنطقة، وله جبايات كبيرة على قوافل تيشيت وولاته والنعمة وسوگولو وغيرها، فارتفع شأن قومه من أولاد امبارك في عهده كثيرا، لكنه تعرض لتحديات متعددة، فقد تعرض قومه لغارات متكررة من جهة فلان سنبورو وغيرهم من السودان الذين حرضهم أو جندهم جيش الحاج عمر الفوتي الذي فتح بلاد كارته سنة 1271هـ/ 1855م، واشرأبت نفسه إلى باغنه[428] حيث أغار عليهم السودان وعلى طلبتهم تنواجيو سنة 1273هـ/ 1856م، وقتلوا منهم رجالا منهم اثنان من أهل الطالب أحمد بن محمد راره. ثم أغاروا عليهم في السنة التي تليها فقتلوا جميع من وجدوا من الرجال، ونزح أولاد امبارك عن أرضهم بعد هذه الغارة. وتمكن أعمر خلال هذه المناوشات من مهاجمة جيش الحاج عمر الفوتي بغتة في سنفاخه، وإرغامه على الفرار إلى چونگوي، ولكن جيش الحاج عمر تلقى تعزيزات جديدة تمكن بواسطتها من إرغام أولاد امبارك على الانكفاء نحو باغنه، قبل أن يضطرهم إلى الانكفاء نحو الشمال، فلم يزالوا بتلك النواحي حتى أواخر 1277هـ (منتصف 1861م) فعادوا إلى أرضهم[429].

---

[425] المرجع نفسه، ص130-131.

[426] حوليات ولاته، مصدر سبق ذكره، ص29.

[427] الناني بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرقون، ص111.

[428] تنازع على المنطقة ثلاثة: الحاج عمر الفوتي وأولاد امبارك وأحمدو بن أحمدو بن أحمدو لبو (أحمدو الثالث) ملك ماسنه، ففاز بها الحاج عمر الذي انتزعها من الطرفين.

[429] پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، نشر جمعية الدعوة الإسلامية، 2001، ص258-259.

وفي سنة 1283هـ/ 1866م وقع يوم "انيور" لأعمر بن عثمان على بكار بن اسويد أحمد. ثم تلاه يوم "افاره" (ويدعى أيضا يوم آگوينيت) لمشظوف وكنته وأولاد الناصر وأهل محمد الراظي من أهل سيدي محمود على أولاد امبارك ومعهم أولاد موحمد وأهل الطالب مصطفى، مات فيه من أولاد امبارك ومن حالفهم خلق كثير، وتفرقِوا أيدي سبا. ومات الأمير أعمر بعد هذه الوقعة بقليل مصابا بالجدري (1283هـ/ 1866م)[430].

وخلف الأمير أعمر ابنه عثمان فتأمر إمارة إسمية في وقت تلاشى فيه ملك أولاد امبارك، وتفرق سلطانهم بين مختلف أقارب الأمير أعمر، في وقت فرضت فيه مشظوف سيادتها نهائيا على الحوض، وأطل فيه الاستعمار، فأصبحت **"حلة"** أهل هنون العبيدي مجرد رئاسة قبلية ضيقة.

ب- سلطنة أهل هنون بن بهدل بن محمد الزناگي:

1- سلطنة هنون بن بهدل بن محمد الزناگي:

كان هنون بن بهدل بن محمد الزناگي أول من وطد لأولاد امبارك الملك بمنطقة باغنه التي اجتاحوها وملكوا "إسكرانها"[431]، ورتبوا على أهلها المغارم، كل بطن من قومه من أولاد امبارك له أصحابه الخاصون به. وقد اشتهرت إمارة هنون هذا وعقبه من بعده بالسلطنة، واشتهر أمراؤها بالسلاطين. وقد أعطاه المولى إسماعيل العلوي ظهيرا بالسلطنة على باغنه سنة 1727م (1139هـ)، معززا بذلك شرعية ملك أولاد

[430] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص131.
[431] "إسكران" في الأصل تجمعات سكانية ملك أهلها البقر تقيم على المناهل، ولا تظعن إلا نادرا، وقد تطلق على مخيم الأمير الذي أصبح يمتلك "آسكر" من البقر خاصا به.

امبارك للمنطقة التي كان أولاد بوفايده ينازعونهم في حكمها، وهاجموها سنة 1126هـ/ 1714م بقيادة رئيسهم الخظير بن أحمد بنان بن أحمد بن بوهم[432].

وكان هنون بطلا وسلطانا عظيما، أخضع كثيرا من قبائل السودان لأولاد امبارك ودوخ باغنه سنة 1148هـ/ 1735م، وتوفي هنون سنة 1155هـ/ 1742م.

2- سلطنة أعمر بن هنون بن بهدل:

وخلف السلطان أعمر أباه هنون، لكن اعلي بوزگراره بن بوسيف بن محمد الزناگي (من فاته) نازعه في ملك "آسكر"، وكاد يتغلب عليه، لولا أن الموت اختطفه[433].

وفي عهد السلطان أعمر اندلعت الحرب بين "آسكر" أهل بهدل و"آسكر" أهل اللب بن بوسيف (من أولاد الغويزي) في باغنه عام 1163هـ/ 1750م، ويسمى هذا العام عام حرب "إسكران".

وتوفي السلطان أعمر سنة 1171هـ/ 1757م[434].

3- سلطنة اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل:

وخلف أعمر ابنه اعلي الملقب "بوسروال"، ونازعه عمه اعلي الشيخ بن هنون سنة 1175هـ/ 1761م فساند امحمد بُكر رئيس أولاد رحمون (من أولاد يونس) اعلي الشيخ، بينما ساند بُوبو بن امحمد موسى رئيس أولاد إيعيش (من أولاد يونس) اعلي بن أعمر بن هنون، وكان بين أولاد رحمون وأولاد إيعيش عداوة، فتحالف اعلي الشيخ مع بوبو بن امحمد موسى سرا على أن يغدر اعلي الشيخ بصاحبه امحمد بُوكر مقابل أن يغدر بوبو بصاحبه اعلي بن أعمر بن هنون، فاستدرج اعلي الشيخ امحمد بُوكر فقتله، وقتل معه ابنه غدرا، واستدرج بوبو اعلي بن أعمر بن هنون فحبسه وأرسل إلى عمه اعلي الشيخ بن هنون، فلما أتاه أشفق عليه فلم يقتله، «وقال إنه منعه من قتله حينئذ كون عينيه كعيني أخيه أعمر بن هنون[435]»، فتركه بوبو في محبسه حتى يرى فيه رأيه، فانفلت من محبسه ولحق بمحلته، فلم يزل يقاتل عمه اعلي الشيخ حتى غلبه بعد سبع

[432] الناني بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرجع سبق ذكره، ص63.
[433] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص67.
[434] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص132.
[435] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص48.

سنين من الحرب، وطرده إلى سيگو حيث مات. وعزم اعلي على الانتقام من بوبو لكنه لم يظفر به، حتى توفي حوالي 1190هـ (1776م)، لكنه ظفر بابنه زيدان بن بوبو فقتله غدرا حوالي سنة 1202هـ/ 1788م. وقوي سلطان اعلي، وعظم شأنه، ودام حكمه أكثر من أربعين سنة، ودان له البيضان والسودان المحيطون به من كل جانب، وملك من العبيد والذهب المجلوبين من السودان ما لا يوصف[436]. «وكان أرفع ملوك أولاد امبارك ذكرا، وأنفعهم للمسلمين، وأكثرهم عددا وعدة[437]»، وتنافس الشعراء والمغنون في مدحه[438]، وبسط الأمن والعدل حتى كان يجعل الذهب في ريش النعامة ثم يرسلها فلا يستطيع أحد أن يتجرأ عليها، ولو وجدها في الخلاء، فلقبه الناس لذلك بـ"اعلي العافية".

وفي 1187هـ/ 1773م وقع الشر بينه وبين أمير سيگو، فانتصر فيه السلطان اعلي.

وفي سنة 1199هـ/ 1785م صال السلطان اعلي بن أعمر على إيدوعيش بتگانت، ثم عاد دون أن يظفر بشيء[439].

ووقعت في عهده وقعة "بنعوم" بين أولاد العاليه وفونتي سنة 1202هـ/ 1788م، ووقعة "أرطان" بين أولاد الناصر وأولاد علوش وبعض أولاد امبارك سنة 1203هـ/ 1789م.

وفي عهد السلطان اعلي هذا وصل الرائد الإنگليزي هوگتون إلى سوني، جنوب انيور سنة 1791م (1205هـ)، فتم اعتقاله ونقله إلى بنعوم حيث يوجد "آسكر" (مقر السلطان) فحبسه أولاد امبارك عندهم، ومات في محبسه بعد ذلك بقليل مريضا[440].

وفي مارس سنة 1796م (رمضان 1210هـ) أسر أولاد امبارك الرحالة الإنگليزي مونگو پارك في چاره، وتم اقتياده إلى مخيم اعلي، حيث ظل سجينا مدة

---

[436] يقول فيه زفانه:

«ول أعمر ما امعاه الواصه   معط مولان عارف اطريگو
مالك البيظان وأهل ماصه   أمالك إيفلان وأهل سيگو».

[437] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص132.

[438] هو الذي أنشأ فيه "إيگاون" (المغنون) شور گتمار، الذي سموه باسم طبل السلطان اعلي، وكان من عادة المغنين أن يتغنوا بطبول الأمراء والسلاطين وينشأوا فيها الأشوار، كما هو حال طبل هنون العبيدي "الرزام" وغيره.

[439] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص248.

[440] پول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سبق ذكره، ص261.

أربعة أشهر، وكان أولاد امبارك حينها في حرب مع بمبارة كارته[441]، فحدث أن هاجم زعيم بمباره داسه كوليبالي "آسكر" السلطنة في يوليو 1796م (محرم 1211هـ)، فتمكن مونگو پارك من الإفلات من سجنه والهروب مستغلا انشغال أولاد امبارك بصد الهجوم وهرب[442]. وقد وصف مونگو پارك السلطان اعلي بن أعمر بأنه «شيخ عربي ذو لحية بيضاء كثة، وأنه دائم الامتطاء لجواده الأبيض، أما إذا توجه إلى المسجد فإنه يمشي راجلا.. ولا يبيت في مكان معروف من حلته[443]».

وتوفي السلطان اعلي سنة 1213هـ/ 1798م.

4- سلطنة أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل:

وتولى بعد اعلي ابنه أعمر الملقب بالعيمار، وكان سلطانا قويا، قتل عمه هنون سنة 1202هـ/ 1788م لأجل نخوة فيه[444].

وقدم إلى السلطان أعمر المؤرخ القاضي صالح بن عبد الوهاب في أواخر عهده فقلده القضاء فلم يزل معه حتى مات السلطان في ذي الحجة سنة 1223هـ (يناير 1809م)[445].

5- سلطنة امحمد آماش بن اعمر بن اعلي:

وخلف أعمر بن اعلي ابنه امحمد المشهور بآماش، وكان مسرفا في سفك الدماء، فتخلى صالح بن عبد الوهاب عن القضاء له ورحل عنه. ثار عليه ابنا عمه أعمر وأحمد اللب ابنا عثمان بن ابيبكر بن أعمر بن هنون بن بهدل فأوقع بهما سنة 1224هـ/ 1809م بإشلم (موضع بباغنه)، وقتل أعمر بن عثمان بن ابيبكر.

---

[441] كارته منطقة زراعية ورعوية تقع في غرب دولة مالي الحالية، عاصمتها مدينة انيور، كانت تحكمها سلالة وثنية تدعى ماساسي حتى فتحها الحاج عمر سنة 1271هـ/ 1855م، وحطم أصنامها، وحولها إلى بلاد إسلامية.

[442] پول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سبق ذكره، ص262.

[443] وصل مونگو پارك إلى حاضرة بنعوم حيث مقر السلطان اعلي يوم 12 مارس 1796م (2 رمضان 1210هـ) ووصف في كتابه "رحلة إلى داخل إفريقيا" مجلس السلطان، وذكر ما شاهده من ضرائب يدفعها السودان لأولاد امبارك مقابل حمايتهم. ويسمي الرحالة الإنگليزي سلطنة أولاد امبارك بـ"مملكة أولاد أعمر" ويذكر أن طولها مسيرة عشرة أيام (نحو 300 كلم).

[444] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص101.

[445] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص255.

وفي عهده وقعت حرب "وسط" في جمادى الأولى سنة 1234هـ (مارس 1819م) بين أولاد العاليه وأولاد عيشه، فأعان السلطان آماش أولاد العاليه بالأسلحة والخيل سرا، حيث كانت أم آماش واعلي وخطري أبناء أعمر بن اعلي من أولاد العاليه، في حين كانت أم أخيهم هنون من أولاد عيشه.

ووقعت في عهد السلطان آماش كذلك وقعة "سمي" بين أهل هنون العبيدي وفاته وأولاد داود جميعا ضد فونتي وأولاد موحمد والفلان في أوائل ربيع الأول سنة 1235هـ (أواخر دجمبر 1819م)[446].

6- سلطنة اعلي بن أعمر بن اعلي:

وتولى بعد السلطان آماش شقيقه اعلي بن أعمر بن اعلي، وكان من خيار سلاطين أولاد امبارك، لكن تدخل السلطان آماش وأخويه اعلي وخطري إلى جانب أخوالهم أولاد العاليه في حرب "وسط" دفع أخاهم لأبيهم هنون الذي كانت أمه من أولاد عيشه إلى تدبير اغتيال السلطان اعلي بالتعاون مع بعض أخواله من أولاد عيشه، وبالتعاون مع رئيس عبيد السلطان جدو بن سنبورو، فتمكنوا من قتله غدرا، وذلك في جمادى الأخيرة سنة 1244هـ (دجمبر 1828م)[447].

7- سلطنة هنون بن أعمر بن اعلي:

وتولى هنون بن أعمر بن اعلي السلطنة بعد قتله لأخيه السلطان اعلي، لكن أخاه المختار بن أعمر الملقب خطري تآمر بدوره مع أخواله أولاد العاليه، وأحد كبار العبيد يدعى ابن بيدالي، فقتلوه في صفر 1245هـ (أغسطس 1829م)[448].

8- سلطنة المختار (خطري) بن أعمر بن اعلي:

وحل المختار بن أعمر بن اعلي الملقب خطري محل أخيه هنون، في وقت بدأت فيه مجموعات أولاد امبارك تتحالف ضد بعضها البعض، بسبب المؤامرات والانشقاقات التي تولدت عن حرب "وسط" وما أعقبها، حيث حرض أولاد العاليه خطري على محاربة قتلة شقيقه اعلي من أولاد عيشه المشاقين له حتى يعترفوا برئاسته

[446] المرجع نفسه، ص133.

[447] الناني بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرجع سبق ذكره، ص108-109.

[448] المرجع نفسه، والمختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص133.

عليهم[449]، فجرت بسبب هذه الأوضاع، وفساد أحوال أولاد امبارك السياسية عدة وقعات منها وقعة "غابو" الأول يوم 2 شعبان 1246هـ (16 يناير 1831م) بين أهل هنون العبيدي وفاته، وأهل بهدل وسائر فونتي والعبيدات، ووقعة "غابو" الثاني بين جميع أولاد الغويزي من جانب، وأهل بهدل وأهل الگاشوش من جانب آخر، يقود أهل "الگاشوش" سيدي أحمد بن المختار، بينما يقود السلطان خطري أهل بهدل. وانجرت هذه الوقعة عن قتل أهل "الگاشوش" لأحمد بن ملادة الغويزي. كما وقع يوم "طلي" بين أهل بهدل وأولاد أم النون، وقد قتل في هذه الوقعة محمد بن ميمن بن محمد بن إيغينس، وأخوه سدوم، وعثمان بن بنباري، كلهم من أولاد أم النون، ووقعة "كُبير" بين أولاد عيشه وأهل بهدل.

وفي سنة 1257هـ/ 1841م وقع يوم "مد الل" الذي فني فيه خلق كثير من أولاد امبارك وقتل فيه السلطان خطري.

وبموته انحسر سلطان أهل بهدل[450]. وكان خطري في عهده سلطانا عظيما غنيا سخيا[451]، كانت تأتيه الإماء من باغنه تحمل أطباق الذهب[452].

9- سلطنة اعلي بن خطري (المختار) بن أعمر بن اعلي:

ولجأ اعلي بن خطري الذي مات عنه أبوه صغيرا، إلى أمير فاته المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار، وحاولا أن يحييا سلطان أهل بهدل في باغنه، فقاما بغزو بعض بمباره والفلان، ففتحا مدينة چگنه، وقتلا أمير الفلان محمد بن الحاج إبراهيم بن ألفا (أشفغ) كداد البواري، وعددا كبيرا من السودان سنة 1268هـ/ 1852م، لكن جيوش الحاج عمر الفوتي التي وصلت إلى المنطقة 1271هـ/ 1855م هاجمت باغنه، وتمكنت –بعد معارك دامية- من دحرهم وتشتيتهم وخضد شوكتهم، منهية بذلك أي أمل في إعادة إحياء سلطنتهم التي انقسمت إلى شظايا قبلية متناثرة.

---

[449] الناني بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرجع سبق ذكره، ص110.

[450] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص133.

[451] مدحه نفرو بن آوليل باتهيدينت الغصاص الشهيرة التي يقول في مطلعها:

«متوسل للرب القهار..........إلخ».

[452] ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص80.

ج- إمارة فاته:

1- إمارة سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف بن محمد الزناگي:

أول أمراء أولاد بوسيف بن محمد الزناگي تميزا بعد انقسام أولاد أعمُر. كان سيدا لأولاد بنت الغصاص، زعيما، بطلا، شجاعا.

2- إمارة المختار بن سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف:

وتأمر بعد سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف ابنه المختار، وكان يلقب بالأذكر، وكان من جلة العرب، جلدا، جهوري الصوت، قتله إيدوعيش بعد أن بلغ من الكبر عتيا[453].

3- إمارة سيدي أحمد بن المختار بن سيدي أحمد:

وتأمر بعد المختار ابنه سيدي أحمد[454]، وكان من فرسان العرب وشجعانهم وكرمائهم، أغار العبيدات في عهده على فاته سنة 1214هـ/ 1799م) في "إيولان"

[453] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص134.
[454] هو الذي قيل فيه:
«سيدي أحمد للمختـار اعلى حســـان اشريف

بسبب قتل فاته لأحمد درماز بن بكار العبيدي، فقتلوا سيدي أحمد بن أحمد بن دخنان، وابنه، وسيدي أحمد بن أعمر (امعيمرات) بن بوسيف بن دخنان الفاتيين، وقتل من جانب بوالاعراف أحد أبناء ممو بن محمد الزناگي، فقاد فاته ومعهم أهل هنون العبيدي في يوم "تنگه ناگه" ضد العبيدات سنة 1214هـ/ 1800م، فهزمهم، وقتل منهم اثنا عشر غلاما أولي ذوائب كانوا يحمون طبلهم([455]).

كما قاد قومه في يوم "غابو" الأول، لأهل هنون العبيدي وفاته على أهل بهدل وسائر فونتي والعبيدات الذي أصيبت فيه يد محمد بن سيدي أحمد بن الدليل الفاتي، فكان لابد من قطعها، فامتنع فأحضروا المغنين فأخذوا في الغناء حتى استخفه الطرب، فقالوا له: إن لنا إليك حاجة، فقال: ما حاجتكم؟ فقالوا له: يدك هي حاجتنا، فقال لهم: هاهي فاقطعوها، وإن شئتم فاقطعوهما معا[456]، وقاد سيدي أحمد قومه أيضا في يوم "غابو" الثاني. وتوفي سنة 1255هـ/ 1839م.

4- إمارة المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار:

وتأمر المختار الصغير على فاته بعد أبيه سيدي أحمد، وكان من فرسان العرب وساداتهم وحذاقهم. وهو الذي قام بإحياء دولة أهل بهدل في باغنه مناصرا لاعلي بن خطري بن أعمر. قاد أهل الگاشوش ومعهم لوكارات في يوم "عيجون" ضد عثمان بن هنون وقومه (أولاد عيشه)، وعثمان بن الحبيب وقومه (أولاد الناصر)، والمراد بن اعلي وقومه (أولاد الغويزي)، وأحمد محمود بن المختار بن المحيميد وقومه (مشظوف)، وأحمد بن امحمد وقومه (كنته) وانتصر عليهم سنة 1266هـ/ 1850م.

ووقع في عهده يوم "ابلعروگ" بين أولاد امبارك ومشظوف. أبلى فيه سيداتي بن اعلي بالمختار بلاء حسنا. ونالت هذه المعارك المختلفة وحروب المختار الصغير في

ادوم يالقهـــــــار واتعين ياللطيـــف».

[455] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص134.

[456] المرجع نفسه، ص264. والمغني الذي أطربه هو محمد بن اسويد بوه المطرب المشهور بجودة شعره الحساني ذهب إليه بأمر من سيدي أحمد بن المختار (وكان سيدي أحمد أبا لهامه زوج محمد بن سيدي أحمد بن الدليل) ومعه عدد من المطربين يحملون آلاتهم معهم، وأنشأ يقول:

«گَواتْ أرْيَـامُ كَامـلاتْ في الظيگ امنيْن إيفـاتِـن
صَبْـحُ عـندُ مترَاجْـمَاتْ الـيوْم التــيدَناتِـــن
فتنـة غابُو ما لو امثِـيـل اتعد فيهَ كل حِيــــل
سَنـدْ المسلم وَلْ الدلـيـلوسَايْ المسْلم عـــاتِــن
شَگاگ الـبَـيْظ من الخيل والرجْلِ تِيجكـرَاتِـــن...إلخ».

انظر، المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، هامش المحقق، ص320.

باغنه ضد السودان، ومجابهته لجيوش الحاج عمر الفوتي منه كثيرا، فتقلصت قوته، وانحلت عرى جيشه، وآل به الأمر إلى أن قتل في وقعة "تيمزين"[457] لصمبني المدعوم من قبل جيش الحاج عمر الفوتي على أولاد امبارك في جمادى الثانية سنة 1274هـ (يناير 1858م)، التي سبى فيها هذا الجيش نساء وذراري أولاد امبارك.

5- إمارة بادي بن المختار الصغير:

وخلف المختار الصغير ابنه بادي فواصل الحرب مع الفوتيين، وكان جلدا قويا شجاعا، لكنهم هزموه في النهاية، ونهبوا جميع ماله، وسبوا نساءه، فحشد لهم ثانية فهزموه بعدما نال منهم في عدة وقعات. ثم أبرم سنة 1277هـ/ 1861م صلحا مع القائد مصطفى الهوصي (أحد قواد الحاج عمر الفوتي)، تمكن من خلاله من العودة بذويه من أولاد امبارك إلى أرضهم التي أرغمهم سودان سنبورو على تركها سنة 1273هـ/ 1856م بعد غارات متتالية فني فيها خلق من رجالهم وسبي فيها عدد من نسائهم. وفي عهد بادي هذا وقع يوم "گصمباره" سنة 1278هـ/ 1861م بين أولاد أمبارك والاغلال، قتل فيه الجيد بن غلام الغلاوي.

6- إمارة هنون بن المختار الصغير:

وتأمر بعد بادي أخوه هنون في ظرف تداعت فيه القوى المختلفة على أولاد امبارك بعدما فقدوا معظم قوتهم. ووقع في عهده يوم "اترنگنبه" ضد حشد أحمد بن الحاج عمر الفوتي.

7- إمارة اعلي بن المختار الصغير:

وتأمر بعد هنون أخوه اعلي، ووقع في عهده يوم "الزويكيات" ضد أولاد الناصر، لكن الظروف الشديدة التي مر بها أولاد امبارك، وضغط السودان وجيوش الحاج عمر الفوتي عليهم من الجنوب والشرق، وتصاعد قوة مشظوف الضاغطين من الغرب والشمال أدت إلى تفرق قومه من أولاد امبارك وتقويض إمارة فاته، وتحولها إلى مجرد زعامة قبلية ضيقة.

وتمكن اعلي من العودة بقومه إلى گينگي بعد وصول الفرنسيين إلى المنطقة، وظهورهم بانيور سنة 1891م (1308م)، معيدا لملمة شتات بعض مجموعات أولاد

---

[457] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

امبارك من حوله، إلى أن توفي بسيگو (مالي الحالية) في شوال 1314هـ (مارس 1897م)[458].

وبوفاته تلاشى أمر فاته نهائيا في وقت رسخ فيه الفرنسيون تواجدهم في المنطقة، وأخذوا يتطلعون إلى بسط نفوذهم على بلاد الحوض التي ورث مشظوف فيها معظم سلطان أولاد امبارك.

إمارة مشظوف

شهدت قبيلة مشظوف على مدار تاريخها تحولات اجتماعية وسياسية عميقة، وأخذت هذه القبيلة شكلها الحالي إبان قيام إمارتها في الحوض، حيث جذبت إليها نجاحاتها الحربية والسياسية عددا كبيرا من العشائر والبطون التي كانت تدور في فلك أولاد امبارك. وتتفرع مشظوف حاليا إلى ثلاثة فروع رئيسة هي: النبيطات، والحمنات، وأولاد بوهماد[459]، وهؤلاء الأخيرون من أصول دليمية[460]، تزوج بوهماد وابنه بكو في

[458] پول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سبق ذكره، ص265.
[459] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص200.
[460] فبوهماد وفق ما هو مكتوب على ضريحه –حسب پول مارتي- بن منصور بن ادريك بن دليم.

النبيطات، فولد لهماد ابنان أحدهما اخلد أبو لخلد، والآخر علول أبو أولاد علول، وعن أولاد علول تفرع بطن ثالث يدعى أهل حمان[461].

وولد لبكو محم (محمد) جد أولاد محم، وموسى جد أهل موسى، وابريك جد أهل ابريك، واعبل جد العبلات. وفي أولاد بكو رئاسة مشظوف، في أولاد محم منهم. وتفرع أولاد محم إلى أهل إبراهيم، وأهل سيدي، وأهل همد، والمساسكه، ومن أهل إبراهيم منهم تنحدر الأسرة الأميرية الحالية لمشظوف (أهل المحيميد)[462].

وتعصبت مع هذه القبائل الثلاث (الحمنات، النبيطات، أولاد بوهماد) عشائر كثيرة مختلفة الأصول، كأولاد الوافي المتعصبين مع الحمنات، وهم من أصول دليمية[463]، والمزاوير المنتسبين إلى الأشراف الأدارسة، وأولاد ساله وهم من بطون شتى فيهم العلويون وفيهم أولاد يحيى بن عثمان وغيرهم، والشومات وهم من أولاد يحيى بن عثمان أيضا، والجنابجة وهم من أولاد عگبة، وأهل الحسن منهم ينتسبون إلى أولاد بسباع[464]، وأولاد ملوك وينتسبون إلى المغافرة، وأولاد خيرة وينتسبون إلى أولاد امبارك، والتجار وينتسبون إلى الأنصار...إلخ. وتتوزع مشظوف خلال الحرب إلى ثلاثة ألوية: لواء مناع، ولواء أوليدات، ولواء الحمنات[465].

وكانت نواة قبيلة مشظوف الحالية في بلاد الحوض وما وراءها إبان مقدم الأفواج الأولى من بني حسان إلى المنطقة. وبعد وقعة "دكرش"[466] التي جرت خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م) بين مشظوف وأولاد موحمد، ومات فيها عدد من رؤساء مشظوف، نزحت قبيلة مشظوف إلى بلاد تگانت وأطراف آدرار، وشاركت إلى جانب إيدوعيش في الصراع الذي جرى بين هذه الأخيرة وبين المغافرة عموما.

---

[461] الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، تحقيق ولد الشيخ محمد الأمين محمد المختار، مرقون، ص65.

[462] قيل إن المحيميد (واسمه محمد محمود) بن المختار بن إبراهيم بن محم بن بكو بن بوهماد هو الذي وضع حدا لهيمنة أولاد علول بقتله آخر رؤسائهم المسمى ابيطرات، ونصب نفسه رئيسا لمشظوف، وكان له الفضل في وضع الأسس الأولى لمعالم وحدة مشظوف، توفي في موضع يقال له بوسالف سنة 1820م (1235هـ). المرجع نفسه، ص34.

[463] المرجع نفسه، ص61.

[464] المرجع نفسه، ص73.

[465] قال الشيخ المحفوظ: «فأولاد بكو دون العبلات والمزاوير وأولاد ساله فئة في الحرب يقال لها مناع، والعبلات من أولاد بكو والخلد وعلول من بني بوهماد والتجار والشومات من أولاد ملوك عصبة في الحرب يقال لها أوليدات، والأولى يقال لها خالفة أولاد محم، وفيها النبيطات، أما الحمنات فلا يدخلون في قسمة، ولكن يجعلون كمينا خلف العدو». الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، ص75.

[466] موقع يقع غربي انول المنهل المشهور الذي جرت عنده وقعة "كساري".

ولما ظهرت إمارة إيدوعيش، وعظم سلطانها، ضايقت مشظوفا، فتركت تگانت إلى الحوض في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (19م)، حيث قامت لهم هناك إمارة عظيمة، امتدت من المناطق الواقعة بين آوكار شمالا، و (مالي الحالية) جنوبا، ومن مرتفعات أفله غربا إلى نواحي كساري وولاته شرقا، شاملة كل بلاد الحوض.

ويعرف الحوض بأنه منخفض شاسع، تطل عليه هضاب تگانت من الجهة الشمالية الغربية، وأرض الرگيبه من الجهة الغربية، ويحده ظهر تيشيت من الجهة الشمالية، وظهر ولاته والنعمة من الجهة الشرقية. جزؤه الشمالي يعرف بآوكار، وهو أراض رملية واسعة تحفها من جانبها الغربي كتلة صخرية ضخمة تعرف بأفله، وتخترق آوكار كتلة صخرية أخرى تعرف باسم الركيز.

1- إمارة أحمد محمود بن المختار بن المحيميد:

ورث أحمد محمود رئاسة أبيه في مشظوف، وظهرت عليه مخايل الزعامة في تگانت وهو شاب في حياة والده[467]. قاد هجرة مشظوف إلى الحوض سنة 1269هـ/ 1852م، وقامت على يده إمارتهم بالحوض، بعد سلسلة من الحروب مع أولاد امبارك، وغيرهم من أصحاب الشوكة في المنطقة. أما أبوه المختار فتوفي في طريق هجرتهم بتاسكاست (بين تگانت وأفله).

وكان أحمد محمود موصوفا بالعدل والسياسة ونفوذ الأمر[468]، أسند إلى العلامة الشهير محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي قضاء الإمارة[469]، وبسط العافية، وأمن القوافل، وجبى الجبايات، وتطاول إلى جباية الرسوم من الفرنسيين في محطة "مدينه" (في مالي الحالية) سنة 1870م (1286هـ).

وفي 29 مارس 1871م (7 محرم 1288هـ) كتب قائد محطة "مدينه" رسالة إلى الحاكم الفرنسي بالسينغال يخبره فيها أن ملك مشظوف طلب منه في السنة الماضية تسديد إتاوة سنوية مقابل السماح للفرنسيين بالتبادل في محطة "مدينه"، وأنه أرسل إليه

[467] قال بابا بن الشيخ سيديا: «حدثني الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني رحمه الله تعالى أنه لقي أحمد محمود قبل خروج مشظوف من تگانت وهو شاب، في حياة والده المختار بن المحيميد، ومخايل ما ظهر منه بعد ذلك لائحة عليه من عزة النفس وإباية الضيم والامتعاض لما يسومهم العرب من الخسف». إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص166. وقال المختار بن حامدٌ: «وقيل إن بكار بن اسويد أحمد رآه وهو صبي فقال: إنني أكره هذا الرأس الكبير لما فيه من اليمن، وقد صدقت فراسته». الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص201.

[468] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص201.

[469] وسيخلف محمد يحيى الولاتي في هذا المنصب ابنه محمد المختار الذي ظل قاضيا لولاته وأهل المحيميد حتى وفاته حوالي 1933م (1351هـ). الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص39.

في هذه السنة يسأله عن الجواب[470]. وعندما تأخرت الإتاوات الفرنسية عن الأمير أحمد محمود أمر بقطع الطريق على القوافل المتجهة إليها، وبإتلاف العلك الذي يصر أصحابه على جلبه إلى المحطة. وسيؤدي هذا التصرف إلى انشقاق النبيطات وأولاد ساله (تميدات) على الأمير، وإلى فقدان مشظوف بعد ذلك (سنة 1875م/ 1292هـ) السيطرة على المحطة لصالح إيدوعيش.

غير أن هذا لم يمنع أحمد محمود من بسط هيمنة حقيقية على الحوض، حيث «بلغ من العظمة والملك والقوة ما لم يبلغ مثله أحد من أمراء هذه البلاد الصحراوية، وبلغ سائر مشظوف من الكثرة، وكثرة الخيل والإبل وسائر الماشية ما لم تبلغه قبيلة من قبائل هذه الصحاري[471]».

وكان الأمير أحمد محمود مظفرا، منصورا، لم تنهزم له راية إلا نادرا، من أيامه المشهورة يوم "تاغطافت" 1277هـ/ 1861م، على جيش الحاج عمر الفوتي، كان مع الفوتي في هذا اليوم الاغلال، قتل فيه مشظوف قائد جيش الحاج عمر عبد السلام وعددا كبيرا من رجاله، ويوم "تنبنبه" في فاتح ربيع الأول سنة 1278هـ (6 سبتمبر 1861م) على جيش الاغلال الذي قيل إنه بلغ اثني عشر ألفا، وكان مع مشظوف في هذا اليوم أولاد الناصر، فحالوا بين الاغلال والماء فانتصروا عليهم بعد قتال دام ستة أيام.

وفي سنة 1279هـ (1862م) سارت مشظوف وأهل انبرح من أولاد الناصر، مع غيرهم نحو ولاته، فحاصروا أهلها، فقاتلهم أهل بورده، وقتل الغاظي بن الغله، وأحمد ارشق بن سيدي المختار بن سيدي أحمد رئيس أهل بورده[472]، وفي سنة 1282هـ/ 1865م وقع يوم "ولاته" انتصروا فيه على أولاد امبارك وأولاد بله، وفي سنة 1283هـ/ 1866م وقع يوم "افاره" على أولاد امبارك وأولاد موحمد وأهل الطالب مصطفى[473]، فلم يبق في الحوض أحد يساميهم قوة وبأسا ورئاسة.

وفي سنة 1290هـ/ 1873م، حاصر الأمير أحمد محمود أولاد ساله وأولاد الناصر وإيدوعيش، وفي سنة 1292هـ/ 1875م وقع يوم "غرجوگه" على أولاد

---

[470] المرجع نفسه، ص42.
[471] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص165.
[472] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص271.
[473] المرجع نفسه، ص201.

الناصر والنبيطات وأولاد ساله (تيمدات) والشراتيت والسودان وبعض أهل سيدي محمود.

وفي سنة 1299هـ/ 1882م وقع يوم "أگمون" لمشظوف وأهل سيدي محمود على إيدوعيش وكنته وأولاد الناصر، ثم انفصل أهل سيدي محمود عن مشظوف، فأوقع بهم إيدوعيش وكنته وأولاد الناصر عند المدروم.

وفي سنة 1300هـ/ 1883م أغار أهل أعمر بن امحمد على أهل المحيميد عند المدروم[474]، وفيها انتصر أولاد الناصر على الأمير أحمد محمود في يوم "فوق"، وانتقم أحمد محمود قبل تمام الشهر من أولاد الناصر في يوم "الفشه". وبعد شهرين أغار أحمد محمود على أولاد الناصر عند تاغطافت فحمل أثاثهم واستاق ماشيتهم.

ووصلت قوة مشظوف في الحوض في هذه الفترة إلى درجة لا تضاهى، فقد كانوا من الوفرة وكثرة العدة بحيث أنه كان في كل لواء من ألويتهم الثلاثة (أولاد محم، وأوليدات، والحمنات ألف فارس) «غير محسوب في أفراسهم الأمهار، التي لم تقو بعد على الركوب[475]».

وفي 24 رمضان سنة 1301هـ (18 يوليو 1884) توفي الأمير أحمد محمود عصر يوم الجمعة بموضع يدعى الميلحه (شمال تمبدغه)، عن ثمانين سنة قضى منها أربعين في الإمارة[476].

2- إمارة محمد محمود بن أحمد محمود:

وتولى محمد محمود بن أحمد محمود الإمارة بعد وفاة أبيه. وفي سنة 1305هـ/ 1888م، ثار عليه إخوته المختار الشيخ وامهادي واعلي محمود وابن عمه أحمد بن اعلي محمود، فانقسمت مشظوف إلى طائفتين عظيمتين متحاربتين[477]، وانتصر الثائرون في أيام منها: يوم "شكرطيل" في 19 ذي الحجة 1305هـ (27 سبتمبر

---

[474] المرجع نفسه، ص275.

[475] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص165.

[476] الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص36.

[477] انضم أغلب مشظوف وأولاد محم والحمنات إلى الثائرين، وتسموا بـ"المحصر الساحلي" (الشمالي)، وبقيت مع محمد محمود مجموعة من أولاد خيرة والعبلات وأولاد ملوك وأولاد علول وأولاد العناني والشومات وأولاد ديات والدككات والرويصات والمساسكه وبعض الجنابجه ومعظم أولاد ساله، وتسموا بـ"المحصر الشرگي" (الجنوبي). الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص44.

1888م)، ويوم "بوخزامه" في آخر صفر 1306هـ (4 نفمبر 1888م)، أصيب فيه أحمد بن عبد الرحمن رئيس الحمنات إصابة قاتلة، ويوم "أكنو" 5 ربيع الثاني 1308هـ (18 نفمبر 1890م) الذي جرح فيه الأمير محمد محمود، ثم مات من جرحه، عند "الظايه الطويله" في نفس السنة.

3- إمارة أحمدو بن محمد محمود:

وخلف أحمدو أباه محمد محمود في الإمارة، وكان عاقلا ذكيا، فنجح في كسب ولاء عمه المختار الشيخ الذي وعده بالاعتراف به كرئيس "للمحصر الشرگي (الجنوبي)"، كما فاوض ابن عمه أحمد بن اعلي محمود وحزبه من أجل حل أزمة الإمارة، مظهرا عدم الاكتراث بقتلة والده[478].

وانعقد اجتماع في ولاته بين أحمدو بن محمد محمود وأحمد بن اعلي محمود في يناير 1892م (جمادى الآخرة 1309هـ)، اتفق فيه الطرفان على الهدنة بينهما، كما اتفقا على اغتيال اعلي محمود بن محمد المختار الملقب المقوفف الذي ساد اعتقاد خطأ بأنه هو قاتل الأمير محمد محمود بن أحمد محمود بن المحيميد. وقد نفذ هذا الاغتيال، وآلت الهدنة بين الطرفين إلى الفشل[479].

وفي هذه الفترة وقع أول احتكاك بين مشظوف والمستعمر الفرنسي، فقد قامت قوة عسكرية يقودها الملازم مارشان غداة غزو الفرنسيين لانيور، بقطع الطريق على جيش الشيخ أحمد بن الحاج عمر الفوتي لمنعه من الوصول إلى سيگو، وكان الفرنسيون بحاجة إلى مساعدة البيضان من أجل تحقيق هذا الهدف، وتوقعوا أن تساعدهم مشظوف التي كان الملازم الفرنسي مارشان قد عفا عن أحد أبنائها قبيل ذلك[480]، لكن ظن الفرنسيين خاب، فقد تأكدوا بعد مضي عدة أيام من أن مخيمات من

---

[478] قيل إنه كان إذا عير بإهماله قتلة أبيه قال:

«أل شاف اگعاد   امع گوم اعناد
إشك ان هاد   وان مان هاد».

وأحيانا يقول:

«أل شاف املاس   امع گوم اعكاس
إشك أن ناس   وان مـــان ناس».

[479] الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص45.

[480] جاء في تقرير الملازم مارشان: «إن العفو الذي منحته لشاب مشظوفي سقط أسيرا خلال عملية سلب ضد أهل انگولو وفر لي الفرصة التي كنت أبحث عنها، فبعد يومين تقدم إلي عدد من المحاربين يقودهم المختار الشيخ بنفسه لتقديم الشكر». پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، مرجع سبق ذكره، 94.

أولاد الناصر ومشظوف المتحالفين مع المختار الشيخ وفروا المأوى للشيخ أحمدو وساعدوه على الوصول إلى سيگو مرورا ببلدتي باسكنو وچا. وفي فبراير 1893م (رجب- شعبان 1310هـ) التقى العقيد الفرنسي أرشينار في گونبو المختار الشيخ الذي طلب منه الاعتراف به كزعيم لمشظوف، كما طلب منه إعادة المخيمات التي كانت تحت سلطته، وفرت إلى مناطق النفوذ الفرنسي.

غير أن السلم لم يسد بين الفرنسيين ومشظوف، فمن جهة ظل رجال المختار الشيخ، حالهم كحال باقي مشظوف، يغيرون على قوافل المجموعات المعادية لهم، المتجهة إلى الأسواق الواقعة في مناطق النفوذ الفرنسي، ومن جهة أخرى لم يستتب الأمر للمختار الشيخ داخل مشظوف، حيث آلت الوقعات التي جرت بين الأمير أحمدو وابن عمه اعلي محمود والاغتيالات الأميرية التي رافقت ذلك إلى القضاء على كل فرص المختار الشيخ في الزعامة.

ومن أشهر وقعات الأمير أحمدو يوم "أيتگهار" سنة 1310هـ (1892م)، ويوم "إدريس" في صفر 1310هـ (سبتمبر 1892م)، ويوم "آرشان" 1313هـ (1895م) على أحمد بن اعلي محمود، ومعه أولاد الفاغي من مشظوف وأهل احمد بن الحبيب من أولاد الناصر.

وفي جمادى الأولى 1314هـ (اكتوبر 1896م) اغتيل الأمير أحمدو في انعيجيات (قرب ولاته) من قبل عميه امهادي واعلي محمود ابني أحمد محمود بن المختار بن المحيميد وابن عمه أحمد بن اعلي محمود، وبتواطئ من المختار الشيخ الذي قتل الأمير في خيمته.

4- إمارة أحمد بن اعلي محمود:

وأعلن أحمد بن اعلي محمود نفسه أميرا بعد اغتيال ابن عمه أحمدو لكن ملكه لم يستتب لأن محمد المختار بن محمد محمود قتله في شوال 1314هـ (مارس 1897م) ثأرا لأخيه الأمير أحمدو المغدور في انعيجيات[481].

5- إمارة محمد المختار بن محمد محمود:

[481] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص203.

وتأمر محمد المختار بن محمد محمود بعد قتله لأحمد، وكان عادلا، نافذ الكلمة، دفع المختار الشيخ إلى التخلي نهائيا عن المطالبة بالزعامة في مشظوف، فسكن مع الحمنات حيث توفي في 18 ذي الحجة 1318هـ (8 إبريل 1901م).

واجتمع شمل مشظوف أو أغلبهم على الأمير محمد المختار، فسكنت به البلاد، واطمأنت ، وكثر الرخاء، وانتشر الأمن، لكن قبائل الشمال كانت تغير أحيانا على حين غرة على المواشي والقبائل في الحوض، فكان الأمير يطاردهم ويصدهم. كما أن الفرنسيين الذين فرضوا سيطرتهم على بلاد مالي أصبحوا يشكلون هاجسا بالنسبة له، بسبب المعارك التي يدخلون أحيانا ضد بعض رعاياه، أو ضد القبائل المصاقبة لأرضه.

وفي يناير 1897م (شعبان 1314هـ) قتل مجند فرنسي من أصل مغربي في بوچگيره ونهبت قرية نامبالا من قبل مجموعات من لوليدات وأولاد ملوك، فأصدرت السلطات الفرنسية في گونبو أمرا باحتجاز مخيمات مشظوف المتواجدة في المنطقة، مما تسبب في إحداث بلبلة في أوساط مشظوف.

وفي إبريل من نفس السنة (ذي القعدة 1314هـ) تفاهم الأمير محمد المختار مع الفرنسيين على تهدئة الوضع، لكن هذه التهدئة فشلت في يونيو 1898م (محرم 1316هـ) لأسباب مختلفة من أهمها تحريض كنته أزواد لقبائل الإمارة على عدم التعامل مع الفرنسيين، وعلى مقاومتهم على غرار ما فعل الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي ورجاله الذين هزموا الفرنسيين هزيمة منكرة قرب تنبكتو وقتلوا عددا من قادتهم في نفس الشهر(يونيو 1898م/ محرم 1316هـ)، وعدم مقاطعة الأمير لأولاد ملوك وأولاد سيدي الذين قتلوا رقيبا فرنسيا عند رأس الماء، فضلا عن إصرار الأمير محمد المختار على أن يصرف له الفرنسيون –كما كتب بذلك إلى قائد المنطقة- إتاوات تصل إلى مائة قطعة من النيلة بوصفه زعيما كبيرا لا يقل أهمية عن زعيم إيدوعيش بكار بن اسويد أحمد[482].

وتسبب هذا الوضع في نهب مشظوف لكل ما هو فرنسي، وقطعهم الطريق على المتعاملين مع الفرنسيين من البيضان. ولم تجد الدوريات الفرنسية نفعا في وقف هذه الوضعية التي أدى تفاقمها إلى مقتل جندي فرنسي آخر، فقررت القيادة الفرنسية تنظيم حملة لمواجهة مشظوف، وانطلقت هذه الحملة من كارونگا في 26 يوليو 1898م (7 ربيع الأول 1316هـ)، لكنها لم تحقق شيئا.

---

[482] پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص95.

ووقع الأمير محمد المختار في تيگماطين في 4 أغسطس سنة 1898م (16 ربيع الأول 1316هـ) اتفاقية مع الفرنسيين للمساعدة في إعادة التهدئة إلى المنطقة. لكن الوضع بقي على حاله تقريبا لأن مشظوف ظلت عموما تسير في الخندق المقاوم للفرنسيين. وفي اكتوبر 1908م (رمضان 1326هـ) كتب الحاكم الفرنسي إلى الأمير محمد المختار ليفرض عليه شروطا جديدة، فرد عليه الأمير برسالة قاسية وصف فيها الفرنسيين بأنهم لا يحفظون العهد، ويغالون في معاهدة تيگماطين. وظلت علاقة الإمارة بالفرنسيين متوترة ومتذبذبة حتى توفي الأمير محمد المختار مقتولا يوم 12 يوليو 1909م (24 جمادى الثانية 1327هـ) على يد محمد سالم بن الخاطر البحيحي الذي كان ضمن غزو فيه أفراد من أولاد غيلان والرگيبات وأولاد بسباع تسلل ليغير على الحوض.

6- إمارة اعلي محمود بن محمد محمود:

وتأمر بعد محمد المختار أخوه اعلي محمود في وقت كانت فيه فرنسا تتطلع إلى احتلال الحوض، فقد توغلت سنة 1908م (1326هـ)حتى وصلت إلى باسكنو والنعمه، فحاول الأمير الجديد أن يعيد التوازن إلى التعامل بين فرنسا والإمارة على أساس الاتفاق القديم بين الفرنسيين وأخيه. وكالعادة ظل المشظوفيون يشاركون في عمليات التحرش بالفرنسيين، إلى أن احتلت فرنسا ولاته سنة 1912م (1330هـ)، وبسطت نفوذها على المنطقة.

إمارة البرابيش

كان أولاد عبد الرحمن (الرحامنة) البربوشيون أول من قدم إلى منطقة أزواد، قدموا إليها سنة 920هـ/ 1514م، مدفوعين من بعض أبناء عمومتهم الذين انتصروا عليهم في بعض حروبهم الداخلية في جنوب المغرب، وذلك إبان الانتشار الحساني ببلاد شنقيط[483]، وقد سلك البرابيش وأبناء عمومتهم من الرحامنة للوصول إلى أزواد طريقين مختلفين، فتوجهت منهم طائفة مباشرة باتجاه نهر النيجر مرورا بإيگيدي الشمالي، بينما اتجهت طائفة أخرى إلى آدرار، وانطلقت منه إلى تگانت والحوض والگبلة (الترارزة والبراكنة)، حيث فرضت سيادتها على هذه المناطق فترة من الزمن قبل أن تنتقل إلى أزواد.

وهيمنت طوائف البرابيش التي وصلت إلى منطقة أزواد خلال القرن العاشر للهجرة (16م) على سكان المنطقة، بفضل تصاعد نفوذها لدى ملوك السونگاي، حتى أصبحت لها الكلمة الفصل في أزواد في القرن الحادي عشر الهجري (17م)، وأمير البرابيش يومئذ عيسى بن سليمان رئيس أولاد عبد الرحمن، وفروعهم أولاد جلول، وأولاد اسعيد، وأولاد غيلان، والخطورات، والنهارات، وغيرها[484].

وقويت شوكة أولاد عبد الرحمن بعد انتصارهم على التوارگ وعظم سلطانهم، وسيطروا على طرق التجارة في الصحراء المحاذية لهم، وعلى مملحة تغازة[485].

ولما جاء الجيش المغربي إلى تنبكتو 999هـ/ 1591م حافظ البرابيش على نوع من الاستقلالية والنفوذ في الصحراء، حيث استنجد القاضي نور الدين عمر الذي خاف من بطش باشا تنبكتو محمود بن زرقون بالأمير البربوشي عيسى بن سليمان، قرب تغازة، فأجاره وأوصله إلى مأمنه[486].

والتحق خلال هذه الفترة عبو بن مخلوف البربوشي (من أولاد عامر الرحمونيين)، بالشيخ الصالح الشريف سيدي أحمد بن آده مؤسس أروان، وسكن معه هو وابنه اسليمان، ثم توفي عبو بأروان.

وبعد وفاة الأمير عيسى بن اسليمان تأمر ابنه الفلالي، وكان أميرا قويا، تعرض لركب باشا تنبكتو علي بن عبد القادر عند توات سنة (1041هـ/ 1631م) حينما كان

---

[483] القاضي محمد محمود بن الشيخ الأرواني، الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد شنقيط والمغرب وتنبكتو وأروان، مخطوط، ص19.
[484] المصدر نفسه، ص20.
[485] پول مارتي، البرابيش، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، ص10.
[486] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص139.

متوجها إلى الحج فنهبه، «وكاد أن يقتل الباشا لولا أنه استجار بكبيري الرفقة العالمين سيدي أحمد بن عبد العزيز الجراري وسيدي محمد بن أحمدو بابا التنبكتي، وافتدى منه بمال عظيم، وصده عن الحج بعدما قتل من قتل من أصحابه[487]».

ولما خلع جيش الرماة الباشا علي عبد القادر في محرم 1042هـ (يوليو 1632م) وولوا مكانه عليا بن مبارك الماسي لجأ الباشا المخلوع إلى الأمير الفلالي بن عيسى البربوشي، وكانت "حلته" آنذاك قرب تنبكتو، وطلب منه مساعدته على الهرب، فلم يمكنه من ذلك ورده إلى تنبكتو، فقتله الباشا الجديد علي بن مبارك[488].

وخلال هذه الأحداث تزوج اسليمان بن عبو بن مخلوف بابنة أمير أولاد عبد الرحمن الفلالي بن عيسى (قبيل سنة 1044هـ/ 1634م بقليل)، وذلك في آخر حياة الشيخ سيدي أحمد أگ آده (بن آده) الأرواني[489].

وكان البرابيش في ذلك العهد مسيطرين على جل الطرق التجارية المؤدية إلى تنبكتو من الشمال. وكانوا في صراع شبه دائم -هم والتوارگ- مع باشوات تنبكتو، لاسيما الباشا يحيى بن محمد الغرناطي الذي هاجم بلدة بنبا فأخرج منها البرابيش والتوارگ قهرا سنة 1061هـ/ 1651م، ثم بعث إليهم بالأمان فلم يجيبوه.

وفي سنة 1073هـ/ 1662م نزل المغافرة بولاته، وأغار عليهم البرابيش أربع مرات، ثم لحق بهم المغافرة فاقتتلوا من أول القيلولة إلى أن زال النهار، ثم اصطلحوا وتوقف القتال، فلما اطمأنوا غدر بهم المغافرة ونهبوهم فبقوا بولاته إلى أن جاءت إبل لبعض التجار فاشتروها وارتحلوا عليها قافلين إلى أروان[490].

وقصد أبناء عبو بن مخلوف (إخوة اسليمان)، ومعهم إيعيش بن العطشان (جد أولاد إيعيش البربوشيين)، أزواد تجارا، في رفقة يقودها عيسى بن عبو بن مخلوف. وكان أمير أولاد عبد الرحمن في هذه الفترة مولعا بجمع الإبل "الزرگ" (وهي الإبل

---

[487] المرجع نفسه، 192.

[488] المرجع نفسه، ص194.

[489] قال القاضي محمد محمود الأرواني: «بنى الشيخ سيدي أحمد بن آده أروان، فكان ممن سمع بخبره، وقصده للزيارة - في صدر القرن الحادي عشر- عبو بن مخلوف من بني عامر الرحموني البربوشي، ومعه أولاده الأربعة: عيسى ومحمد وأحمد وسليمان، فسكن عبو بن مخلوف وابنه الصغير سليمان مع الشيخ سيدي أحمد، ولم يلبث إلا قليلا ثم توفي، فتزوج ولده سليمان بابنة شيخ أولاد عبد الرحمن، وذلك في آخر حياة الشيخ سيدي أحمد (المتوفى 1044هـ/ 1634م)». الترجمان، ص20. وقال پول مارتي: إنها من أولاد اسعيد. البرابيش، ص22.

[490] عائشة بنت احمياده، نظرة تاريخية على رئاسة البرابيش، مرقون، ص23 نقلا عن جدو بن الطالب الصغير البرتلي، مخطوط.

البيضاء التي داخل بياضها سواد)، ويفرض على كل من امتلك ناقة هذا وصفها أن يأتيه بها، ويعاقب أو يقتل من لا يمتثل ذلك.

وكانت عند إيعيش بن العطشان ناقة تحمل أوصاف النوق التي يحوز الأمير لنفسه، فسمع الأمير بخبرها فأرسل إليه يريدها، فأبى إيعيش، فأرسل الأمير من يأتيه به هو والناقة فأتى بهما، فاغتصب الناقة، وحلق لحية إيعيش، ثم سرحه، فتلثم إيعيش وعاد إلى رفقته، وكانت بين أروان وتنبكتو، فلما رأوه على تلك الهيئة أجمعوا على حرب أولاد عبد الرحمن، وانطلقوا إلى اسليمان بن عبو في أروان[491]، فأعلموه بنيتهم، فسار معهم، وترك زوجته الرحمانية، ثم عمدوا إلى إبل لأولاد عبد الرحمن فنهبوها، وانطلقوا إلى مضاربهم بإيگيدي (الشمالي)، فلما علم أولاد عبد الرحمن بالخبر ركبوا في إثرهم فأدركوهم بمحل بئر أيدنان[492]، فتقاتلوا فانهزم أبناء اسليمان ومن معهم، وقتل قائدهم عيسى بن عبو بن مخلوف.

وصمم أنيس بن عيسى على الأخذ بثأر أبيه، فرحل إلى المولى إسماعيل العلوي، فبالغ له في فساد أولاد عبد الرحمن في أزواد، وخروجهم عن الطاعة، فأذن له المولى إسماعيل في الأخذ بثأره منهم، ومكن له في قومه[493]، فجمع أنيس "محلة" (جيشا) كبيرة من الرحامنة وغيرهم، فانطلق بها إلى إيگيدي، فجهز الزاد، وهيأ الأنعام، ثم ارتحل بالمحلة في ثمانمائة رجل قاصدا أروان سنة 1092هـ/ 1681م، فلما وصلوا إليه علموا أن "حلة" أولاد عبد الرحمن عند "تنتهون" بين تنبكتو وأروان، فقصدوها. وكانت إبل أمير أولاد عبد الرحمن مصابة بالجرب فاجتمع لها رجال المحلة بتنتهون لعلاجها، فجاء جيش أنيس، وهم منهمكون في علاج الإبل فلم يتمكنوا من أخذ أسلحتهم، ففتك بهم أنيس وصحبه، وقتلوا أميرهم وعددا كبيرا من رجالهم، وسبوا نساءهم، وأخذوا الأموال، وعمدوا إلى الإبل فحلوا عقلها واستاقوها، فسمي ذلك العام عام "أم اعگال"[494].

ومر أنيس بأروان قافلا بجيشه، فترك عمه اسليمان بن عبو في محلة هناك، وترك له مائة وخمسين رجلا من قومه يحرسونه، ورجع هو بالجيش.

---

[491] قال الأرواني: «فتعرض لهم غزو من التوارگ فيه أربعون رجلا فسألوهم "الغفر"، فقالوا لهم نعم، وأفرشوا لهم الفرش، فلما اطمأنوا إليهم قتلوهم ودفنوهم، فمكان دفنهم هو المعروف الآن بالردمه». الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص21.

[492] لم تكن البئر قد بنيت يومئذ.

[493] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص21-22.

[494] المصدر نفسه، ص37.

وتلاشت بعد هذه الوقعة إمارة أولاد عبد الرحمن، لتحل محلها إمارة أنيس بن عيسى بن عبو بن مخلوف وأولاد عمه اسليمان بن عبو بن مخلوف البربوشيين.

1- إمارة أنيس بن عيسى بن عبو بن مخلوف:

وانتقل أنيس بن عيسى بمحلته التي كانت تضم أربعمائة رجل، دون الخدم والحشم، إلى أروان سنة 1093هـ/ 1682م، وارتحل معه قومه من البرابيش: (أولاد أحمد بن عبو بن مخلوف، وأولاد بوخصيب، وأولاد عيشه، وأولاد عمران، وأولاد غنام، وأولاد إدريس، والمحافيظ)[495] فدانت له المنطقة، ودخل تحت حكمه كل من في أزواد من أهل البادية وأهل الصحراء، وعظم ملكه حتى اشتهر بسلطان الصحاري[496].

وفي عهده جاء المصطفى التارگي بجيشه إلى أروان غازيا البرابيش سنة 1102هـ (90-1691م)، فاقتتلوا فانهزم المصطفى وجيشه وولوا هاربين[497].

وفي عام 1104هـ/ 1692م نشبت الحرب بين البرابيش والتوارگ أيضا، فانهزمت التوارگ[498]. ثم توفي الأمير أنيس.

2- إمارة الحاج محمد بن اسليمان بن عبو بن مخلوف:

وخلف الحاج محمد بن اسليمان بن عبو بن مخلوف ابن عمه أنيس بن عيسى بن عبو، وكان أميرا قويا ضم إليه بقايا أخواله الرحامنة، ودخل في حروب متقطعة مع التوارگ والرماة المغاربة. وفي عهده اندلعت الحرب بين البرابيش عند "أگُومار" سنة 1115هـ/ 1703م، وطارد بعضهم بعضا حتى دخلوا تنبكتو، ووصلوا إلى ولاته في شوال سنة 1116هـ (فبراير 1705م) فملكوها ست سنوات ثم ارتحلوا عنها عائدين إلى أزواد سنة 1122هـ/ 1710م[499] بعدما أوقع بهم أولاد يونس بـ"توگ" الوقعة التي

---

[495] تاريخ البرابيش، مخطوط، ص4.
[496] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص98.
[497] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص27.
[498] المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[499] تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، مرجع سبق ذكره، ص44. وتاريخ ابن اطوير الجنه، مرجع سبق ذكره، ص51-52.

تفرقت فيها حشاشة البرابيش، وهم مائة طفل ظفر بهم أولاد يونس في ذلك اليوم[500]. وتوفي الحاج محمد بعد ذلك بقليل.

3- إمارة دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان:

وتولى بعد الحاج محمد ابنه دحمان[501]، لكن مدته لم تطل. ورئاسته لم تستتب بسبب اختلاف البرابيش[502]. ثم توفي.

4- إمارة اعلي بن دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان:

وتأمر بعد دحمان ابنه اعلي، واستعاد البرابيش في عهده بعض قوتهم. وفي سنة 1141هـ (1728م) غزا اعلي بجمع من رجاله من أروان قاصدا أولاد بوفايده في الگبلة (في الغرب) فهزمهم أولاد بوفايده عند "تدنيت"، وأسروا الأمير اعلي بن دحمان، ففداه ابن اعبيد أمو الغلاوي بمائة ناقة من الإبل[503]، ثم رجع الأمير اعلي إلى أروان.

وفي سنة 1148هـ/ 1735م، تنازعت بنواحي تنبكتو بعض مجموعات البرابيش، على إثر خصومة وقعت بين فتيان من أولاد عامر وفتيان من المحافيظ، وقتل في هذا النزاع ثلاثة منهم[504].

وتسبب ذلك في انقسام البرابيش إلى طائفتين متحاربتين: طائفة أولاد عامر (وتطلق أولاد عامر على أولاد اسليمان وأولاد أحمد بن مخلوف)، ومعهم أولاد غيلان وأولاد بوخصيب، وطائفة المحافيظ، وأولاد عيشه، وأولاد عمران، والنهارات، ومن معهم، وأمرت هذه الطائفة الأخيرة عليها حام بن بدلَه.

ونزل أولاد عامر ومن معهم بـ"أگومار" بأمر من باشا تنبكتو أحمد بن القائد سنبير، ثم أمرهم الباشا بأن يرتحلوا إلى "ابراز" حتى لا يكونوا عرضة لأعدائهم أولاد

---

[500] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص50. وقال المختار بن حامدٌ: «سموا بحشاشة البرابيش لأنهم كانوا يجمعون في ذلك اليوم الحشيش ليفرشوه تحت الحصر». المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مصدر سبق ذكره، ص22.

[501] لم يذكر المختار بن حامدٌ ولا تاريخ البرابيش دحمان هذا، كما لم يذكره الأرواني في حديثه عن أمراء أزواد في أول كتابه (ص25-55)، وذكره بعد ذلك عند سرده للائحتهم (ص99).

[502] تاريخ البرابيش، مصدر سبق ذكره، ص6.

[503] حوليات ولاته، مصدر سبق ذكره، ص14.

[504] تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، مرجع سبق ذكره،ص58.

عيشه والمحافيظ ومن معهم الذين نزلوا في "صدراية الاعظام" على طريق أروان، فلم يطيعوه، ثم بدا لهم بعد أيام أن يفعلوا ذلك، فرحلوا إلى "ابراز"، وحطوا به الرحال يوم 14 محرم 1149هـ (26 مايو 1736م)[505].

ثم انتقلت الطائفتان إلى تنبكتو ليشهد الباشا على صلحهما الذي سعى فيه قاضي أروان الفقيه سيدي الوافي بن طالبنا بن محمد بن سيدي أحمد بن آده، والكاهية في أروان علي بن عبد الكريم، لكن الصلح فشل، فأمر الباشا بأن يمنع البرابيش من البيع والشراء جراء ذلك، فبذل البرابيش مالا لبعض الرماة بقيادة الرامي أحمد بن أشفغ منصور مقابل عزل الباشا، فأقنع ابن أشفغ منصور الجيش بعزله، فعزله الجيش يوم 19 صفر من نفس الشهر (29 يونيو).

وفي يوم 20 صفر 1149هـ (30 يونيو 1736م) خرج القاضي سيدي الوافي وسيدي عبد الوهاب بن علي بن الشيخ من تنبكتو إلى "صدراية الاعظام" حيث طائفة المحافيظ، وأولاد عمران، وأولاد عيشه، والمحافيظ...إلخ ليحثوها على الصلح.

واستجابت هذه الطائفة للشيخين سيدي الوافي وسيدي عبد الوهاب فرحلت معهما باتجاه تنبكتو. فلما دنوا من "ابراز" عرسوا حتى يعرج الشيخان على أعدائهم فيكلمانهم في شأن الصلح. غير أن أولاد عامر لما رأوهم مقبلين مع الشيخين جاشت صدورهم فوثبوا عليهم فاقتتلوا.

وانهزمت طائفة أولاد عيشه ومن معهم أمام أولاد عامر وحلفائهم، وفروا بعدما مات منهم ستة وعشرون رجلا، باتجاه كندام، وتنبكتو، ومعهم صبيانهم، ونساؤهم، وجرحاهم، فتفرقوا في البيوت، وتبعهم أولاد عامر إلى تنبكتو فنهبوهم، وشاركهم التوارگ في نهبهم، فماجت المدينة واضطربت وانقطعت السبل[506].

واتصل الرماة، بعضهم ببعض، وتشاوروا فيما بينهم حول تعيين باشا جديد حتى لا تظل البلاد سائبة، فاختاروا القائد سعيد بن القائد علي التزركيني وعينوه باشا جديدا في 22 صفر 1149هـ (2 يوليو 1736م)، لكن الفتنة ظلت متواصلة بين رماة تنبكتو والتوارگ من جهة وطائفتي البرابيش من جهة ثانية.

---

[505] المرجع نفسه، ص72.

[506] المرجع نفسه، 76.

وعادت طائفة أولاد عيشه وإخوانهم إلى جهة أروان، لكنهم ما لبثوا أن عاودوا الانتجاع والتعرض للقوافل بنواحي تنبكتو.

وعلم أولاد عامر في جمادى الثانية 1149هـ (اكتوبر 1736م) بوجود أعدائهم بالقرب من "حللهم"، فركبوا إليهم، فتلاقوا عند "نبكة حام" واقتتلوا قتالا شديدا، مات فيه خلق كثير من الطرفين، لكن الخسائر في أولاد عامر كانت أفدح، حيث فقدوا عددا من كبرائهم، كالحاج يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان، وحافظ بن إيعيش بن الحاج محمد، ومرزوق الشيخ، والحاج علي معتوگ، وجرح الأمير اعلي بن دحمان، جرحا لقي بسببه حتفه[507].

وشهدت منطقة أزواد مجاعة شديدة في هذا العام حتى أكل الناس في أروان وتاودني النباتات والجلود.

5- إمارة محمد بن حافظ بن إيعيش بن الحاج محمد بن اسليمان:

ولما توفي الأمير اعلي بن دحمان تولى الأمر بعده ابن عمه محمد بن حافظ بن إيعيش[508] بن الحاج محمد بن اسليمان، ولم يلبث إلا قليلا، ثم توفي.

6- إمارة اعلي بن حافظ بن إيعيش:

وتأمر بعد محمد بن حافظ أخوه اعلي بن حافظ[509]، فلم يلبث أن توفي كذلك.

7- إمارة محمد بن اعلي بن حافظ:

وخلف اعلي بن حافظ ابنه محمد، واصطلحت المجموعتان على إمارته سنة 1165هـ/ 1752هـ. ثم ثار عليه ابن عمه محمد بن يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان فانتزع منه الإمارة قهرا.

8- إمارة محمد بن يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان:

---

[507] المرجع نفسه، ص 39، 64. والأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص25.

[508] ذكر الأرواني محمد هذا وأنه خلف اعلي بن دحمان في الصفحة 99 من الترجمان، بينما ذكر في الصفحة 28 أن حافظ هو الذي خلف اعلي، وتقدم أن حافظ قتل في وقعة "نبكة حام".

[509] المصدر نفسه، ص99.

ولما تأمر محمد بن يوسف عمل أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ وحلفاؤهم، على إحداث الشقاق بينه وبين أبناء عمه أولاد أحمد بن عبو بن مخلوف، «فآجر أحمد دوله العيشي [من أولاد عيشه] اميسه تكراس العمراني –وكان من دهاة العرب- بمائة مثقال من الذهب على أن يزرع الخلاف بين بيدي بن معتوگ ومحمد بن يوسف، فجعل اميسه يخرج كل يوم إلى الطريق ينتظر الواردين حتى أقبلت عير من الساحل فيها تجار شرفاء، فسلم عليهم، وقال لهم ممن أنتم؟ فأخبروه بحالهم ونسبهم، فقال لهم: أنتم شرفاء ضعفاء ليس عندكم من المال إلا القليل، فأنصحكم بالذهاب إلى بيدي بن معتوگ فإنه ابن عم أمير البرابيش محمد بن يوسف فإذا صرتم أضيافه توجه لكم في الأمير فلم يأخذ منكم "الغفر"، وكان اميسه يريد من وراء ذلك أن يرفض الأمير طلب بيدي فيثير حربا بينهما. ونفذ الأضياف نصيحة اميسه فنزلوا بدار بيدي وسألوه أن يتوسل لابن عمه الأمير أن يترك لهم "الغفر"، ففعل فترك لهم الأمير محمد بن يوسف "الغفر". فلما رأى اميسه ذلك ذهب إلى محمد بن يوسف خفية وقال له: ما فعلت لا يفعله الأمراء فإنك إن تركت "الغفر" لأبناء عمك نازعوك في الإمارة، فـ"الغفر" هو مدار الإمارة، وأنت تقدر أن تعطيهم كل ما طلبوا من الأموال من إبل وخيل وذهب وفضة، فقال له: ما قلت صحيح، وأرسل محمد بن يوسف إلى بيدي بأنه لا يقدر أن يتساهل في "الغفر"، ولكن له ما أحب من المال عوضا عنه»، فرد عليه بيدي بأنه فهم قوله، وأنه لا حاجة له في المال.

فلما لم يتيسر لاميسه مراده من جهة محمد بن يوسف وبيدي، ذهب إلى بيدي مرة أخرى، فقال له: كيف ترضى بما فعل بك ابن عمك، ترك لك "الغفر" حتى سمع الناس بأنه ترك لك من لاذ بك، وعرفوا بأنك رجل وجيه، ثم استخف بك بعد ذلك، كما يفعل باللحمة، وعرضك لسخرية العرب، فقال بيدي: قولك حق. فأرسل إلى محمد بن يوسف بأنه لا بد أن يترك له "الغفر"، فذلك هو اللائق به، فامتنع محمد بن يوسف من ذلك، فغضب بيدي وانحرف عن الأمير فمال إليه أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ وأمروه من يومئذ. واندلعت الحرب بينهم وبين محمد بن يوسف فتقاتلوا عند "انباك إيفرشي"[510]».

ثم وقعت بينهم وقعة "أفراي" (في 1166هـ/ 1753م) فتقاتلوا قتالا شديدا مات فيه خلق كثير من الفريقين، ثم تهادنوا.

[510] المصدر نفسه، ص44.

وفي عام 1167هـ/ 1754م أو الذي يليه[511] غدر أولاد أحمد بن عبو بن مخلوف بالأمير محمد بن يوسف في أروان وفتكوا به، وذلك أنه دخل عليه في بيته نهارا محمد بن الأمين بن بوراص ومعه أحد أولاد بيدي ومحمد بن أعمر بن الأمين في داره فلما رءاهم ارتاع لدخولهم عليه في وقت غير معتاد، فسلموا عليه فرد عليهم، وقال مرحبا يا بني عمي، ما جاء بكم في هذا الوقت؟ فقالوا له: حاجة لنا. وقام إلى مصافحتهم، فلما صافح محمد بن الأمين والتفت إلى محمد بن أعمر يريد مصافحته طعنه محمد بن الأمين بحربته، فمد الأمير محمد بن يوسف يده يتلمس خنجره ليأخذه، فطعنه محمد بن أعمر في أعلى رقبته، وكان رجلا قويا فأنفذ حربته فيه حتى خر صريعا، فشقوا بطنه ثم خرجوا[512].

فلما شاع الخبر ذهب محمد بن الأمين إلى ابن أگ سلطان التوارگ، ليعترف له بالأغفار (الإتاوات) التي كانت لمحمد بن يوسف على القوافل.

وكان التوارگ قد استعادوا نفوذهم وسلطانهم في المنطقة، بعدما تراجع سلطان الباشوات، وصالحوا البرابيش على أربعين بكرة من الإبل أو قيمتها[513] يدفعها أمير البرابيش -الذي يجبي أضعاف ذلك كل سنة- للتوارگ مقابل إعانتهم للبرابيش على أعدائهم، وتأمينهم للقوافل التي تدفع "الغفر" للبرابيش وتمر بأرض التوارگ.

كما صالح البرابيش قبائل الهگار على أربعين مثقالا من الذهب سنويا أو قيمتها من الإبل، تدفع لأمينوكال (أمير) الهگار لضمان أمن القوافل المارة بأرضهم[514]، «فأما عدد "الغفر" الذي كان يأخذه أمير البرابيش [على البضائع الواردة إلى أروان] فهو سبعة مثاقيل سوى ثلث من الذهب لكل حمل، أوقيمة ذلك من الحوائج، وبعيرا عن كل جلب من الإبل، أو عن كل سَوق من الملح، ومن منع "الغفر" نهب ماله أو قتله في الحين، ومن دفع "الغفر" لم يظلمه أحد من الأجانب، ومن تعرض له رده عنه أهل الإمارة ولو بالقتال[515]»، «ويأخذ أمير البرابيش من قائد مملحة تاودني غفرا سنويا قدره أربعمائة رأس من الملح [حمل مائة ناقة]، فإذا أعطاها له لم يتعرض له ولا

---

511 ذكر التاريخ الأول مولاي القاسم بن مولاي سليمان في حولياته، بينما ذكر الأرواني في الترجمان التاريخ الثاني.
512 الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، 155.
513 المصدر نفسه، ص157.
514 پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، 39.
515 الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص156.

للقوافل القادمة إليه، بينما تدفع كل قافلة غفرا معلوما لقائد المملحة قدره حمل بعير أو نصفه من الميرة، كما يدفع له كل من يخرج الملح من السبخة الخمس[516]».

وأما القوافل التي تفد إلى المنطقة فهي قوافل «أهل غدامس، وأهل توات، وتجكانت، واعريب، والبرابره، وتكنه، وأولاد بسباع، وأهل تافلالت، وأهل طرابلس وغيرهم، فأما أهل غدامس فأكثر تجارتهم وحوائجهم، هم وأهل توات: الكحال، والشمة، والتمر، ويردون على أزواد في الشهر مرتين، أو أكثر، ولا يخلو شهر من مجيء رفقة كبيرة منهم.. والرفقة قد يكون فيها الألوف من الإبل.. وأما تجكانت ومن معهم من أهل الساحل [الجنوب] والغرب، فلا يجلبون إلا السكر، والأتاي، والحنابل، والزربيات، والبرانس، والجرامق، والخنط، وغيرها من حوائج الغرب الكثيرة، وكل شهر أو شهرين تأتي منهم رفقة كبيرة عظيمة فيها الألوف أيضا، وأول مجيء تجكانت لأروان جاؤوا في رفقة من اثنتي عشرة ألف ناقة، حاملة كلها إلا القليل، ثم حملت الملح من تاودني.. وكان الاغلال، وأهل بورده، وإجمان، وتنواجيو، ومشظوف، وأولاد بله يأتون بالألوف من الإبل لبيعها كل حين، ولحمل الملح.. والحوائج التي يشترون من أروان هي: البخور، والصمغ، والعاج، والريش، والرقيق[517]».

وعلم أولاد اسليمان بذهاب محمد بن الأمين إلى سلطان التوارگ فأرسلوا إليه امحمد بن رحال بن دحمان، فاعترف السلطان ابن أگ بامحمد بن رحال دون محمد بن الأمين.

9- إمارة امحمد بن رحال بن دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان:

واستتبت الإمارة لامحمد بن رحال. وتواصل في عهده النزاع بين أولاد اسليمان وأولاد أحمد بن عبو وحلفائهم أولاد عيشه والمحافيظ وأولاد عمران...إلخ، فلما كان عام 1170هـ/ 56-1757م وقع قتال شديد بين الطرفين عند الحفرة البيضاء، ثم تجددت الحرب بينهم في آخر العام عند بئر الحسين بين تينكبتو وأروان.

---

[516] المصدر نفسه، ص158. وقال إنه لما جاء الفرنسيون صار من يخرج الملح من مملحة تاودني -الواقعة على بعد 200 كلم شمال أروان- يدفع العشر للقائد وعشرا آخر للفرنسيين. وأضاف: «أول من بنى تاودني وحكم فيها القائد اصوير، ثم خلفه ابنه القائد محمد، ودخل عليه القائد أحمد الحيوني وتقاتل معه، حتى أخرجه من تاودني بإعانة من السلطان، والظاهر أنه مولاي الرشيد في آخر حياته، وبناء تاودني وقع في القرن الحادي عشر، وذرية القائد اصوير وبنو عمه في تمنارت الآن، وهم أمراء قومهم قريبا من واد نون. ثم تولى بعد القائد أحمد الحيوني ابنه عبد المالك، ثم بعده ابنه القائد أحمد الزين، ثم بعده ابنه القائد ناجي الملقب آدبه كينه، ثم بعده مولاه القائد محمد الأمين بن گربه، وفي زمنه دخل الفرنسيون الأرض وحكموها، ثم بعده القائد المختار بن الكنتي الجكني التيندوفي، ثم بعده القائد آدبه بن الأمير اندهي سيدي محمد بن الأمير الحبيب الأرواني» الترجمان، ص159.

[517] المصدر نفسه، ص156.

وفي هذا العام اشتدت وطأة أولاد عيشه وأولاد أحمد وحلفاؤهم، على أولاد اسليمان ومن معهم من البرابيش، وصار كني العيشي هو صاحب الحل والعقد فيهم، فضاقت الحال على أولاد اسليمان ومن معهم حتى أرسل امحمد بن رحال عام 1171هـ/ 1757م إلى كني فتصالح معه فوقعت العافية. ثم بعث امحمد بن رحال بعد ذلك بفترة إلى كني من يقتله غدرا فقتله، فحينئذ رحلت أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ إلى الگبلة (الغرب) ثم عادوا إلى أزواد فصاروا يدعون منذ ذلك اليوم بالبرابيش الگبليين[518].

وفي عام 1172هـ/ 1758م تجدد القتال بين أولاد أحمد وأولاد اسليمان عند "نبكة الغشوه" بين بوجبيها وكرطال، ومات في هذا القتال خلق كثير من الطرفين، وسمي هذا العام بـعام "الغشوه".

وفي عام 1174هـ/ 1760م وقع الغلاء المفرط بأزواد، بسبب فساد الأحوال بين الرماة والتوارگ والسودان، وانقطاع الأسواق. «وفيه بنى امحمد بن رحال أمير البرابيش قصبته عند بئر بوجبيها، وجمع عسكرا عظيما بين العبيد والبرابيش، وأسكنه هناك، وطلب من القاضي سنبير بن القاضي سيدي الوافي أن يأذن لتلميذهم الطالب سيدي أحمد في الذهاب معه ليكون وكيلا على القصبة ففعل فكان ذلك سبب عمارة بوجبيها[519]».

وفي عام 1179هـ/ 1765م اقتتل البرابيش من جديد في يوم عرف بـيوم "الزرايب". وفي عام 1183هـ/ 1769م اقتتلوا أيضا قتالا شديدا عرف عامه بـعام "اطويره"، مات فيه كثير منهم. وفي عام 1185هـ/ 1771م دارت عند تهيگيمت معركة كبيرة بين البرابيش "الگبليين" وبين بطن اجمل[520] فانهزم البرابيش "الگبليون". وفي عام 1192هـ/ 1778م توفي الأمير امحمد بن رحال[521].

10- إمارة اعلي بن امحمد بن رحال:

وتأمر بعد امحمد بن رحال ابنه اعلي. وفي عهده تواصل النزاع بين قبائل البرابيش. واتصل الأمير اعلي بالشيخ سيدي المختار الكنتي الذي كان والده امحمد بن

---

518 المصدر نفسه، ص58.

519 المصدر نفسه، ص47.

520 قال في الحسوة: «ومن قبائلهم.. أولاد بوخصيب، وأولاد إدريس، وأولاد غنام، ويقال لهؤلاء الثلاث بطن الجمل». انظر، صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص46.

521 الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص49.

رحال يجله ويكرمه، فضمن له انقطاع المنازعين وثبات الملك[522]، واعترف اعلي للشيخ سيدي المختار بتحقق ما وعده به عندما خاطبه بحضور جمع من البرابيش بقوله: «يا اعلي ما أعطيتك لم أعطه لك خفية.. أعطيتك أربعا لم يعطها أحد من آبائك: أعطيتك رقاب البرابيش وأموالهم، وقد كان آباؤك يواسون البرابيش بأموالهم لكفاية شرورهم واستمالة صدورهم، ومصداق ذلك أن أبناء غيلان الذين هم ناب البرابيش وحشوتهم، صاروا تحت يدك، وطوع حلك وعقدك، وأعطيتك الشد [التبغ] وقد كان لا يؤتى به إلا من الساحل، ويجيء مرة في العام أو مرتين، وهو الآن يؤتى به من توات بأضعاف ما كان يجيء به من الساحل، ثم لا ينقطع العام كله، وأعطيتك التوارگ، وقد كان آباؤك يغرمون لأسفل سافل منهم، ويفدون عليهم وفود الرعية على ولاتهم، وهم الآن يهدون لك، ويفدون عليك أذلاء منقادين لأمرك، الشريف منهم والمشروف.. يهدون إليك فحول خيلهم، وكرائم إبلهم.. ثم هذا السرج الذي أركبتك عليه [الملك الذي وهبتك إياه] لو اجتمع الثقلان على أن ينزلوك عنه لم ينزلك عنه غيري[523]».

وفي عهد الأمير اعلي نهب أولاد المولاة بقيادة أميرهم محمد بن المعلوم سنة 1194هـ/ 1780م إبلا للبرابيش، فتعقبوهم، وقاتلوهم فهزموهم وقتلوا منهم خمسين رجلا من بينهم أميرهم محمد بن المعلوم. وفي عام 1200هـ/ 1786م جرت بين أولاد أحمد وأولاد اسليمان وقعة ظفر فيها أولاد أحمد بالأمير اعلي فجرحوه جراحات تولد له منها استرخاء برجليه، حتى صارتا لا تثبتان في الركاب، ويسمى هذا العام الذي جرت فيه هذه الوقعة عام "ابراز"[524].

وفي عام 1204هـ/ 1790م وقع يوم "كورشي" دار فيه قتال عظيم بين الفريقين وحلفائهم. واصطلح بعد هذا اليوم عرب الگبلة سوى أولاد أحمد: (أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ) مع أولاد اسليمان[525].

وفي عام 1206هـ (1792م) اجتاح المنطقة وباء شديد عرف بـ"مقاطة" (الأولى) هلك فيه خلق كثير، ظهر في قرية المبروك (شمال شرق تنبكتو) آخر سنة 1206هـ وأقام بها ستة أشهر، وفي فاتح محرم 1207هـ دخل تنبكتو وقتل كثيرا من الناس حتى خرج شرفاء تنبكتو وطلابها وجميع كبرائها يلتمسون من الله العفو عن المسلمين. وطافوا بالبلد يستشفعون بصلحاء تنبكتو كي يرفع الله عنهم ما حل ببلادهم،

---

[522] الشيخ سيدي محمد الخليفة، الطرائف والتلائد، مخطوط، ص198.
[523] المصدر نفسه، ص208.
[524] المصدر نفسه، ص32.
[525] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص249.

وفي شهر جمادى الأولى سنة 1207هـ دخل هذا الطاعون أروان فقتل 150 شخصا، ودخل بوجبيها، ثم دخل السودان وكان يقتل في كل يوم نحو 100 نفس، وامتد إلى الحوض فدخل ولاته في شهر رمضان سنة 1208هـ ومكث فيها أزيد من عشرة أشهر. ودخل تگانت سنة 1209هـ وقتل في المنطقتين خلقا كثيرا[526].

وفي عام 1208هـ (93-1794م) تمالأ أولاد اسليمان وعرب الگبلة والتوارگ على أولاد أحمد فهجموا عليهم، ولم يكن مع أولاد أحمد أحد، فقتلوا رئيسهم محمد بن الأمين وأولاده وعددا كبيرا منهم، حتى لم يبق من أولاد أحمد في ذلك اليوم إلا رجال معدودون لاذوا بأهل أروان فتفرقوا في بيوتهم، فحاصروهم مدة، ثم تمكنوا من الخروج خفية فالتحقوا بمن لم يحضر الوقعة من أبناء عمهم، فرحلوا عن أزواد مغربين، فنزلوا على أولاد علوش وأولاد امبارك فأمنوهم. ويسمى هذا العام عام "ملزم الزرافه".

وركب أولاد أحمد وأولاد علوش غازين البرابيش بأزواد، فأغاروا عليهم فانهزم البرابيش، وفر كثير منهم، ورجع أولاد أحمد وأولاد علوش بما نهبوا.

وفي سنة 1217هـ/ 1802م توفي أمير البرابيش اعلي بن محمد بن رحال[527].

11- إمارة امهمد بن امحمد بن رحال:

وتولى الأمر بعد اعلي أخوه امهمد بن امحمد بن رحال، فغزا أولاد علوش في أول عهده البرابيش أيضا فهزموهم ونهبوهم، ومات في هذا الغزو ابن الأمير بوبكر بن امهمد. وفي عهده رام أهل الكوري التقدم على بطن اجمل قهرا من أولاد اسليمان، فلم يرض الأمير امهمد وأولاد اسليمان بذلك فقاتلوهم حتى أذعنوا[528].

وفي عام 1220هـ/ 1805م غزا البرابيش أولاد علوش في أرضهم فهزمهم أولاد علوش، فرجعوا هاربين، وقتل أولاد علوش يومئذ سنبير العمراني أحد رؤساء البرابيش.

---

[526] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص49. والمختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص184، وانظر أيضا هامش المحقق.

[527] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص99.

[528] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص33

وفي عام 1222هـ/ 1807م أغار أولاد علوش على البرابيش عند تلگان فقاوموهم مقاومة شديدة لكنهم انهزموا، فنهب أولاد علوش الإبل. ومات امهمد في ذي الحجة سنة 1222هـ (فبراير 1808م)[529].

12- إمارة أحمد بن اعبيدَه بن امحمد بن رحال:

وتأمر بعد امهمد ابن أخيه أحمد بن اعبيدَه بن امحمد بن رحال، فتوحدت البرابيش تحت رايته، وكان سائسا مقداما شجاعا، «من نازعه أباده لوقته[530]».

وفي عهده احتدم الخلاف بين البرابيش وأولاد داود، فعزم أولاد داود على نزول أزواد وطرد البرابيش منه، فركبوا في خمسمائة مقاتل على الإبل وثمانين فارسا، فلما بلغوا رأس الطلح وجدوا ترمز هناك ففرت ترمز بإبلها، فهموا بإدراكهم فأعجزوهم، فاتجهوا إلى أروان فلم يجدوا البرابيش هناك فاقتحموا المدينة يريدون ملكها، وعلم بهم البرابيش فجاؤوا من الغد فخرج أولاد داود للقائهم فاقتتلوا فما مرت ساعة حتى انهزم أولاد داود، واستحر فيهم القتل، فلجأ بعضهم إلى بيوت المدينة، وفر الباقون، فأمن البرابيش كل من دخل في بيوت أروان من أولاد داود.

وفي عام 1232هـ/ 1817م غزا بطن الجمل أحمد بن اعبيده عند بير لميلح ولم يكن معه غير ثمانين خيمة، فثبت لهم حتى هزمهم.

وفي 1241هـ/ 1826م جاء الرحالة الإنگليزي گوردن لينگ إلى السودان، وانطلق من تنبكتو باتجاه أروان، فتبعه الأمير أحمد في الثالث من شوال 1241هـ (9 مايو 1826م) في نفر من قومه فأدركه عند "أسهب" غرب "المجيدي" وقتله مع مرافقيه هناك بعدما عرض عليه الإسلام وأعرض عنه[531]، وقام أتباعه بحرق جميع أثاثه وكتبه، وذلك أن أمراء المنطقة كانوا قد تعاهدوا على أن كل من خرج لجهته قتله، فخرج لجهة أزواد فقتله أمير البرابيش[532].

---

[529] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص99.
[530] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص50.
[531] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص36.
[532] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص50.

ومر إبراهيم بن عمر بن صالح البربوشي بجثث لينگ ومرافقيه الذين قتلوا معه، بعد أيام من قتلهم، فدفنهم[533].

وفي 1243هـ/ 1828م وصل إلى المنطقة المستكشف الفرنسي ريني كايي (ولد كيجه) الذي كان يتكلم العربية ويدعي الإسلام، وعبرها دون أن يصاب بأذى[534].

وفي عام 1245هـ/ 1829م نهب أهل تنبكتو دارا لأهل أروان في تنبكتو فيها كثير من الملح، ومنعوهم من شراء الزرع بسبب رفض أهل أروان إعطاء المداراة مع أهل تنبكتو الذين عجز باشا تنبكتو عثمان بن القائد بوبكر عن تأمينهم بعدما تشتت جيش الرماة، فصارت كل فرقة تجمع الإتاوات على من قدرت عليه، وكان النفوذ في هذه الفترة في المنطقة بيد ملك ماسنه أحمد بن لبو، فأمر أمير قصر أروان الشيخ سيدي أحمد الحبيب قاضي أروان سيدي أحمد ين القاضي سيدي محمد (حفيد القاضي سيدي الوافي بن طالبن) بأن يكتب لأحمد بن لبو يشكو له أهل تنبكتو، ويبين له أن «أهل أروان يدارون عن أنفسهم وأموالهم أولاد امبارك وأولاد علوش، وجميع من يتعرض لهم من التوارگ، ويدارون أهل تاودني عند حملهم الملح من معدنه، وأولاد دليم، وغيرهم، وهذا كله لا يعني أهل تنبكتو حتى يكون ذلك مما يوجب عليهم أن يعطوا معهم مداراة[535]»، فانتصر أحمد بن لبو لأهل أروان وأجبر أهل تنبكتو على الإمساك عنهم.

وفي آخر صفر 1267هـ (3 يناير 1851م) تقاتل أولاد علوش وأهل بورده مع البرابيش عند أروان قتالا شديدا، وانهزم أولاد علوش وأهل بورده، وقتل عدد منهم فيهم الطالب بن ارشق وسيدي الصغير بن سيدي المختار[536].

وفي سبتمبر 1853م (ذي الحجة 1269هـ) وصل إلى تنبكتو الرحالة الإنگليزي "هنري بارث"، فأقام مع الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي مدة. وخلال إقامته بتنبكتو جاء اعلي بن الأمير أحمد إلى تنبكتو في دجمبر 1853م مع "أزولاي" (قافلة الملح)، فتاقت نفسه إلى قتل هذا الإنگليزي الذي تسمى بعبد الكريم، كما قتل أبوه لينگ من قبله، لكن الموت فاجأ اعلي في 19

---

[533] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص36.
[534] المرجع نفسه، ص37.
[535] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص51.
[536] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص268.

دجمبر 1853م بتنبكتو[537]، وعاد بارث بعد أشهر أدراجه دون أن يتمكن من الخروج من تنبكتو باتجاه الشمال. وتوفي الأمير أحمد سنة 1269هـ/ 1853م[538].

13- إمارة امهمد بن أحمد بن اعبيده:

وتولى الإمارة بعد أحمد ابنه امهمد، وفي عهده وقع غلاء مفرط ومجاعة شديدة ابتدأت عام 1285هـ/ 1868م، وامتدت إلى السنة الموالية «حتى تفرق البرابيش في البلدان يريدون الزرع، وأكثرهم دخل أرض أولاد علوش، لطلب ما يسدون به خلتهم[539]».

وفي عام 1287هـ/ 1870م نهب الرعيان إبل أولاد عيشه البربوشيين، فركبوا في أثرهم فالتحقوا بهم، وتقاتلوا، فانهزم أولا عيشه، ومات عدد من أعيانهم.

وفي 1289هـ/ 1872م غزا الرعيان أزواد فنهبوا إبل البرابيش، فاقتفوا آثارهم، وأدركوهم بعدما جاوزوا غدير "كدامه" (غرب ولاته) فاقتتلوا معهم، فانهزم الرعيان وانجلوا عن الإبل.

ورجع البرابيش إلى غدير "كدامه" - وهو على هيئة البئر- ليشربوا منه فمال إليهم الرعيان وهجموا عليهم هنالك وهم غافلون، فمات كثير من البرابيش، منهم من رؤسائهم البكاي بن أحمد بن اعبيده، وأخوه محمد، وعلي بن السيد العيشي، ومان بن محمد العمراني.

وفي عام 1290هـ/ 1873م ركب الأمير امهمد في جيش عظيم قاصدا الرعيان ثأرا ليوم "كدامه"، فانهزموا في وجهه، فقتلهم قتلا ذريعا، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم فساق الجميع إلى أروان، ثم «ذبح جميع صبيانهم ومعلميهم عند جبل گانب[540]».

وفي عام 1292هـ/ 1875م أغار أولاد المولاة على الهمال (كنته)، ثم عرجوا على حلة البرابيش عند "الاعلاب" فأغاروا عليها، ولم يكن فيها حينئذ من الرجال المقاتلين إلا حماد بن حدي العمراني، ويسمى هذا العام عام "الاعلاب".

---

[537] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص37.

[538] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص268. وقال الأرواني إنه توفي سنة 1288هـ/ 1871م عند عرگ أزوزال (غرب أروان). الأرواني، مصدر سبق ذكره، ص 53.

[539] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص53.

[540] المصدر نفسه، ص34. وأضاف: «ولم يمت من جيش البرابيش إلا رجل واحد هو محمد ولد بلخير السعيدي».

وفي هذه الفترة نهب أولاد داود إبل امهمد بن أحمد بن اعبيده رئيس البرابيش فطاردهم فلحق بهم عند "تاخمرت" وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا. وفي عام 1293هـ/ 1876م توفي الأمير امهمد[541].

14- إمارة سيدي محمد بن امهمد:

وخلف سيدي محمد أباه امهمد. وكان أميرا قويا تلقب بسلطان أزواد[542]. وفي أول عهده (عام 1294هـ/ 1877م) تقاتل البرابيش مع أهل بورده في تاودني، فانهزم أهل بورده وهربوا فغنم البرابيش أثاثهم ومتاعهم ومواشيهم.

وفي عام 1295هـ/ 1878م تجدد الغلاء واشتدت المجاعة وتعددت المصائب فمات كثير من الخلق.

وفي 1297هـ/ 1880م وصل المستكشف النمساوي "أوسكار لينز" إلى أروان وعاد بسلام دون أن يلحقه أي أذى.

وفي عام 1298هـ/ 1881م أغار أولاد المولاة على إبل للبرابيش في بوجبيها فنهبوها فتبعهم البرابيش فأدركوهم عند بئر لمزيريف على طريق توات، فانهزمت البرابيش وقتل منهم رجال منهم أولاد مسعود الخصيب.

وفي 1299هـ/ 1882م تشاجر الأمير سيدي محمد مع ابن آبيشي العيشي فخرج ابن آبيشي من أروان قاصدا قصر المامون فأرسل إليه الأمير أربعة ليقتلوه وهو في الطريق، فقتلهم[543].

وفي عام 1300هـ/ 1883م أغار السكارنه وأولاد المولاة على إبل للبرابيش في أزواد فنهبوها فركب البرابيش في إثرهم فادارکوا عند بئر "تنحيه" فاقتتلوا فانهزم السكارنه وأولاد المولاة وفروا، واسترجع البرابيش إبلهم واستولوا معها على إبل اسكارنه وأولاد المولاة وجميع حوائجهم.

---

[541] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص269. نقلا عن تاريخ البرابيش. وفي الترجمان أنه توفي 1295هـ (1878م) ، الأرواني، مصدر سبق ذكره، ص55. وفي البرابيش لپول مارتي أنه توفي 1297هـ (1880م) ، پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص39.

[542] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص53.

[543] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص55.

وفي عام 1301هـ/ 1884م نهب أهل الساحل إبلا لأهل الحبيب (رؤساء أروان)، والبرابيش في أزلاي عند اتليگ، فركب من البرابيش غزو من تسعين رجلا (عشرة منهم من الوسره) في أثرهم، فلحقوا بهم عند مضيق بين جبلين يدعى الحنك فاقتتلوا فانهزم أهل الساحل، ثم لما أراد غزو البرابيش الرجوع سلك نفس المضيق، فشعر بذلك أهل الساحل فهجموا عليهم فلم يجد رجال البرابيش متسعا يقاتلون فيه، فأفناهم أهل الساحل.

وفي عام 1303هـ/ 1886م تشاجر الأمير سيدي محمد بن امهمد مع أولاد عيشه وأهل غيلان على بكرة "الغفر" التي كانت البرابيش تعطي لأمير إيلمدن فرحل أولاد عيشه وأهل غيلان فنزلوا على الهگار على طريق توات «وذبحوا على هگار وتعاهدوا معهم وأخذوا منهم الأمان[544]». ويسمى هذا العام عام "تگافيت أولاد عيشه". ثم رجع أولاد عيشه إلى أزواد عام 1304هـ/ 1887م بعدما راضاهم الأمير سيدي محمد.

وفي عام 1305هـ/ 1888م تقاتل الأمير سيدي محمد بن امهمد مع التوارگ عند "أگومار"، وأعان السودان التوارگ فهزمهم سيدي محمد جميعا، ولم يمت من جيشه أحد وجرح عيدي العيشي البربوشي.

وفي 1306هـ/ 1889م تشاجر الأمير سيدي محمد مع الكنتي بن الشانع الجكني التيندوفي (والد المختار بن الكنتي قائد تاودني) «حتى هم ابن امهمد بقتل الكنتي، وذلك بسبب رفضه دفع إتاوة ألزمه الأمير أن يغرمها فامتنع. ثم صالح الناس بينهما على أن يدفع الكنتي الإتاوة، فحلف الأمير ابن امهمد ليحملن الكنتي الملح بنفسه دون إعانة من عبيده أو من غيرهم، فغضب الكنتي وأبى، ثم وافقهم أمير تجكانت محمد البشير بن العبد وعروة بن سيدي محمد الأرواني، فقبل ابن امهمد بأن يحمل العبيد الملح عن الكنتي. وكظم الكنتي غيظه حتى خرج قافلا إلى تيندوف، فمر مع قومه بإبل تحمل الملح للأمير فهشموا الملح ونهبوا الإبل[545]».

وفي عام 1307هـ/ 1890م أغار الهگار على إبل البرابيش عند موضع بين بوجبيها وأروان فنهبوها وقتلوا أحمد بن امبيريك العمراني، وأسروا بابه بن محمد بن اسويلم، فقال لهم إنه شريف، فخلوا سبيله.

---

[544] المصدر نفسه، ص35. والذبح عادة قديمة في المجتمع الصنهاجي تدل على توكيد العهد وعدم الرجوع فيه.

[545] المصدر نفسه، ص165.

وفي عام 1309هـ/ 1891م اختلفت ترمز مع الأمير سيدي محمد فرحل بترمز شيخهم الصديق بن الشيخ إلى أولاد علوش فحالفوهم، ثم نهضوا معهم نحو أزواد فجاؤوا إلى رأس الطلح فوجدوا به إبلا للأمير سيدي محمد بن امهمد وابا أحمد العمراني فنهبوها، وقتلوا بوبكر بن إبراهيم بن عمار الرتيبي، فركب سيدي محمد في إثرهم في مائتين وخمسين رجلا ولحق بهم عند باسكنو فاقتتلوا فانهزم جيش سيدي محمد بن امهمد، ومات في ذلك القتال دحمان بن أحمد بن اعبيده في عدد من البرابيش، وجرح عدد منهم، ومال البرابيش إلى بئر في تلك الناحية تدعى بوزريبه للشرب منها، فمات عندها كثير من جرحاهم.

وفي عام 1310هـ/ 1892م ركب الأمير سيدي محمد بن امهمد قاصدا أولاد علوش فأغار عليهم عند المصيگيل فهزمهم، وقتل جمعا كبيرا من رجالهم ونهب مواشيهم وأثاثهم، ولم يمت من جيشه إلا رجل واحد من الگوانين. وفي آخر هذا العام ركب أولاد علوش يريدون أزواد فأغاروا على البرابيش عند "نبكة اجماعه" وقتلوا حمو البوهنداوي ونهبوا الإبل، فركب البرابيش في أثرهم فلحقوا بهم بعدما وصلوا إلى خيامهم فاقتتلوا فانهزم البرابيش، ومات منهم في ذلك اليوم سبعون رجلا[546].

وفي 1311هـ/ 1894م استولى الفرنسيون على تنبكتو، فنظم الأمير سيدي محمد المقاومة ضدهم. وعمل على قطع السبل عليهم، ومقاومة من يدخل بلاده منهم، ومعه في تلك المقاومة الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي وقومه، والأمير التارگي محمد أواب وقومه، وانگونه أمير كلنتصر وقومه، فلم يزل يقاوم الفرنسيين حتى أعجزوه واحتلوا كامل أرضه.

---

[546] المصدر نفسه، ص43.

الرئاسات الحسانية

اشتهر من الرئاسات الحسانية التي لم تبلغ مبلغ الإمارات من حيث التنظيم السياسي:

1- رئاسات أولاد دليم:

أ- رئاسة أولاد المولاة:

كانت أولا في أزواد، وكانت دائرة بين بيت هيبه بن عبد الله بن بوعاده (من أولاد بوكرزية)، وبيت عبد الرحمن بن احمادو بن بله، فمن رؤسائهم ارشيد بن هني (أو هدي) بن عبد الله بن بوعاده اشتهر بالشجاعة، وقرض الشعر (الحساني)، ومحمد المعلوم بن امحمد الاگرع (أو ابن امحمد بن أحمد بن الاگرع) بن عبد الرحمن غزا البرابيش فقتل بطلهم أحمد الملقب الجمل بن إبراهيم بن غيلان، وابنه محمد، وابن أخيه فرج بن الحاج محمد بن إبراهيم، ثم غزاهم ثانية فقتلوه حوالي 1220هـ/ 1805م، وأجلوا أولاد المولاة من أزواد إلى آركشاش فحالفوا أولاد سالم بن الشويخ. ومن رؤسائهم كذلك امحمد بن المهدي بن هيبه بن عبد الله بن بوعاده، واجديدو بن سيدي

الأمين مات يوم آركشاش الذي انتصر فيه الرگيبات على أولاد المولاة فتفرقوا بين البرابيش، والقواسم وتافلالت.

ب- رئاسة أولاد امعرف:

وهم أولاد الشويخ، وأولاد الرميثية، فأولاد الشويخ، وكانوا في تيرس وانتقلوا إلى إينشيري بعد الخلاف مع أبناء عمومتهم أولاد دليم على الزعامة السياسية، وكانت رئاستهم في بيت اللب بن الشويخ، فابنه اعلي، فابنه محمد، فابنه الفظيل، فابنه محمد، فابنه أحمد الملقب أيده الذي حارب ابن عيده (أمير آدرار)، وكان آنذاك رئيسا لأولا دليم عامة، واشتهر بالعدل، وكان حيا سنة 1237هـ/ 1821م.

ثم خلفه على رئاسة أولاد اللب: اعلي الذي انفصل أولاد اللب عن أولاد دليم بسبب رئاسته العامة التي رفضها أولاد دليم، وقتله العويسيات[547]. ثم أخوه سيدي أحمد الملقب فارس "خمرازه" وهي فرسه، وقتله العويسيات هو الآخر. وخلفه ابن أخيه محمد بن اعلي بن أحمد (أيده) الذي قتله أولاد دليم، فعمه عثمان بن أحمد (أيده)، وعمر فخلفه وهو ما يزال حيا ابن عمه اسويدات بن امحمد الملقب بالشيخ (بكسر الشين) بن باركلل بن امحمد بن الفظيل، وقتله أولاد دليم أيضا. فخلفه محمد بن عثمان بن أحمد (أيده)، وعمر بدوره، فخلفه في حياته اعلي الملقب اغموگ بن محمد بن اعلي بن أحمد (أيده) المشهور باظمين الساحل، وقتله السكارنه، فترأس بعده ابنه عبد الله الذي قتله العلب الساحليه، فابن عمه سيدي امحمد بن محمد بن عثمان المقتول يوم فرع الكتان مع أولاد يحيى بن عثمان ضد إيدوعيش، فمحمد الملقب مماها (بتفخيم الميمين) بن عبد الله بن اعلي (اغموگ) والفظيل بن اللب بن عثمان، وعليهما دخلت فرنسا[548].

ومن أولاد الشويخ: أولاد سالم، والگرع، وأولاد سدوم، والوعران، ولكل منهم رئاسة خاصة به[549].

---

[547] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص46.

[548] المرجع نفسه، ص42-49.

[549] المرجع نفسه، ص42-49. وفيه أن الرئاسة في أولاد سالم كانت في بيت أهل بوشويبه، من رؤسائهم أعمر بن بوشويبه، ثم ابنه محمد بينه بن أعمر الذي قتله الرگيبات في حربهم معهم، ثم خلفه ابنه حماده الذي مات أيضا في حربهم مع الرگيبات سنة 1889م (1306هـ) عند بئر ام اگرين، وأن الرئاسة في الوعران كانت في بيت محمد بن اعبيد الل. وأما الگرع فطلع الاستعمار على أربعة رؤساء لبطونهم الأربعة: الشيخ بن محمد بن أحمد بن محمد بن المكناس رئيس أهل الغزال، ثم رئيس عامة الگرع. واعلي بن هيبه رئيس الدخن، والمامي بن سيدي رئيس أولاد امهلهل، والامجد بن بوطريگ رئيس أولاد امحيمد.

وأما أولاد الرميثية -وكانوا بتيرس ونواحي انواذيبو والداخلة، فمنهم لوديكات، وكانت رئاستهم في بيت جابر بن أوديكه، ثم في ابنه منصور، ثم في الشيعة بن منصور، ثم في أخيه أحمد، ثم في محمد بن اعلي بن بكار بن جابر، ثم في عبد الصمد بن الشيعة، ثم في ابنه سيدي بابه الذي قتله أولاد اللب، فرأسوا أخاه الحبيب فقتله أولاد اللب أيضا، فرأسوا أخاهما العروسي، وهو الذي أغار على سرح الترارزة يوم المدروم، وقتل سنة 1323هـ/ 1905م[550]، وخلفه ابنه احمين الذي توفي 1359هـ/ 1940م إبان الفترة الاستعمارية.

ومن أولاد الرميثية كذلك أولاد باعمر، وكانت الرئاسة فيهم في بيت الشيخ انبريهي (ابن إبراهيم) بن عمي بن المسيده. ومن مشاهير رؤسائهم إبراهيم اخليل بن اعثيمين بن عمار بن الشيخ انبريهي، قتله أولاد يحيى بن عثمان يوم آغوييت 1294هـ/ 1877م، فخلفه ابنه اعلي سالم، ثم أحمد بابا بن اعلي سالم. وفي عهده دخلت فرنسا المنطقة.

ومنهم أولاد تگدي، وكانت الرئاسة فيهم دائرة بين بيت مختار بن حمو بن احمود بن تگدي، وبيت ابن عمه امحمد بن الزبير بن حمو. ومنهم السراحنة، وكانت رئاستهم في بيت عثمان بن اللب بن مرزوگ بن عمي بن بوكديه بن ميم. ومنهم أولاد الخليگة، وكانت رئاستهم في بيت امحمد بن السيد بن الخليگة[551].

2- رئاسات أولاد اعروگ:

تطلق أولاد اعروگ بن أودي على أولاد يونس، وأولاد عگبه، وأولاد داود، فأما أولاد يونس فكانوا أولا رؤساء عامة أولاد اعروگ، وكانت فيهم عدة رئاسات أعظمها رئاسات أولاد ازعيم، وأولاد رحمون، وأولاد إيعيش.

فمن رؤساء أولاد ازعيم ميارة بن أبي بكر، كان في ولاتة التي غادرها أولاد ازعيم سنة 1201هـ/ 1786م.

ومن رؤسائهم بادي بن الطالب محمود، عاش في القرن الثالث عشر الهجري (19م)، وأبلى في الحرب ضد أهل فوته بلاء حسنا. ولما فر أحمد بن الحاج عمر

---

[550] المرجع نفسه، ص42-49.

[551] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، رجع سبق ذكره، ص86، وجزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص170، والجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص100.

الفوتي في وجه ملاحقة فرنسا نزل به فأكرمه، وأبلغه مأمنه، رغم العداوة السابقة بينهما، فكافأه أحمد بذهب كثير كان يحمله معه. ولأولاد ازعيم قرية في مالي يقيمون بها تدعى ليره.

ومن رؤساء أولاد رحمون محمد بكر توفي آخر القرن الثاني عشر الهجري (18م).

ومن رؤساء أولاد إيعيش بوبه بن محمد موسى، عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (18م). ثم ابنه زيدان، قتله اعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل الامباركي في صدر القرن الثالث عشر الهجري (19م) لعداوة بين أبويهما.

ومن رؤساء أولاد عگبه بن اعروگ موسى بن المختار (من أولاد مزوك)، قتله أولاد امبارك، فقتل به أولاد مزوك التادلاوي بن حمو بن هنون العبيدي.

وإلى أولاد داود اعروگ انتقلت رئاسة أولاد اعروگ لما تلاشى أمر أولاد عگبة. ويقال إن دولتهم -أي أولاد عگبة- انقرضت ولم توجد فيهم بندقية، وإنما كان سلاحهم السيف والرمح والخنجر والعصا التي كان البيضان يتقنون فنون القتال بها.

واستطاع أولاد داود اعروگ أن يشكلوا قوة حقيقية في منطقة الحوض، شاركوا بفضلها في سلسلة طويلة من الحروب الدامية.

وكانت رئاسة أولاد داود اعروگ في القديم لأولاد زيد، ثم للجامات منهم، فمن رؤسائهم هرتوم الزيدي الذي دل المغافرة على موضع كساري حيث أوقعوا بأولاد بوفايده سنة 1124هـ/ 1712م.

وكان لأولاد زيد على أولاد علوش يوم عند تگلط أوقعوا فيه بهم الوقعة المشهورة سنة 1073هـ/ 1662م، فأثخنوا فيهم قتلا، وملأوا بئر تگلط من قتلاهم، فتفرق أولاد علوش على إثرها.

وتسلسلت رئاسة أولاد زيد في عائلة أهل الفراري الذين منهم أحمد بن الفراري، ثم ابنه امحمد، ثم ابنه كدادو، توفي سنة 1236هـ/ 1820م في وقعة سمي. ثم ابنه النفع، ثم ابنه أحمد، ثم ابنه امحمد، وفي رئاسته دخلت فرنسا فترك الرئاسة لأخيه الخليفة وهاجر هو. ثم تنازل الخليفة لأخيهما كدادو بن النفع فترأس.

وفي بطون أولاد زيد الأخرى رئاسات منها رئاسة الاكتاف، وممن تولاها اعلي بن اميسي، ثم ابنه يحيى، وكان حيا سنة 1275هـ/ 1858م.

ومنها رئاسة أولاد لحسن، وهم من زوايا أولاد زيد، عرفوا بالعلم والتقوى. من رؤسائهم العالم المعروف الحاج لحسن بن أغبدي (توفي 1123هـ/ 1711م) كان بتيشيت، وحج فلقي في حجه بمصر العلامة الخرشي شارح الشيخ خليل فرد عليه أربعين مسألة من شرحه، ارتكزت رئاسته على علمه وتقواه، تشهد بذلك نفاسة مصنفاته، وكثرة خريجيه. وخلف الحاج لحسن ابنه سيدي محمد فحاربه بكار بن الطالب اعلي بن العگيد البوفايدي، ومعه مهاجرو أولاد بوفايدة، فخرج بطائفته من تيشيت بعد أن قتل بكارا سنة 1154هـ/ 1741م، وتوجه إلى باسكنو، وكان الفلان كثيرون بنواحيها فأدركوا عندهم الرفعة والقدر.

ومن رؤسائهم المتأخرين سيدي أحمدن بن سيدي خليفة بن سيدي عبد الله بن سيدي محمد كان رئيس أولاد زيد إبان دخول فرنسا.

أما أولاد علوش فقووا وكثروا بعد يوم تگلط، وكونوا رئاسة عامة في أولاد داود، وكانت في عائلة أهل بوموسى (العثامنة)، فمن رؤسائهم بيده (الأول) بن امحمد بن إبراهيم بن موسى، ثم محمد بن بيده، ثم أخوه هنون بن بيده، وفي أيامه قتل أولاد علوش الفقيه عمو بن الطالب عبد الجبار بن الحاج الطيب بن الطالب الصديق الجماني 1210هـ/ 1795م فنشبت حرب بين أولاد داود وإجمان من أيامها يوم "بطحت ولاته" في العاشر من شوال سنة 1210هـ (18 إبريل 1796م)، ويوم "تنوكر" في آخر صفر 1213هـ (12 أغسطس 1798م)، كان مع أولاد علوش فيه جميع أولاد داود اعروگ، ومع إجمان أولاد داود امحمد، ويوم "بقي" لعشر بقين من الشهر الموالي (ربيع الأول 1213هـ/ فاتح سبتمبر 1798م) ، ويوم "ابرودات" ، ويوم "زوغ الحامي"، ويوم "آكريبات".

ومن أيام هنون كذلك يوم "گيبه" سنة 1217هـ/ 1802م لأولاد موحمد ومعهم لادم والفلان وفونتي (من أولاد امبارك) على أولاد داود اعروگ معهم أهل هنون العبيدي وفاته وأهل بهدل (من أولاد امبارك)، قتل فيه من أولاد داود اعروگ سيدي محمد بن أحمد بن الفراري الزيدي، ويوم "المخيشبه" سنة 1218هـ/ 1803م لأولاد موحمد على أولاد داود اعروگ، ويوم "الرماشية" سنة 1233هـ/ 1818م على أولاد داود اعروگ أيضا، ويوم "كبده" سنة 1233هـ أو 1234هـ/ 1818م أو 1819م على أولاد موحمد، قتل منهم فيه أحمد بن كعبوش واعلي بن الشين في خلق كثير، ويوم

"جيگي" في رجب سنة 1233هـ أو 1234هـ/ 1818م أو 1819م على أولاد داود اعروگ، قتل فيه المختار بن هنون بن بيده العلوشي في مائة أو يزيدون من بينهم اعلي بن محمد بن الحاج من فونتي، وابن لأخيه ديسي، ويوم "زرگاگه" في تاسع ذي القعدة 1233هـ (10 سبتمبر 1818م) على أولاد داود، قتل فيه منهم ارشق بن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الحاج بن بورده، واعلي بن آفشال بن بيده العلوشي، وغيرهما. وقتل من أولاد موحمد أحمد بن الفاظل بن محمد بن أحمد بن الطالب المصطفى، وابن عمه ابراهيم بن الأمين. وقتل فيه من أولاد امبارك سيدي أحمد بن محمد بوسيف وابن عمه، ويوم "سنفغه" سنة 1234هـ/ 1818م، قتل فيه من أولاد داود احماه الل بن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الحاج عبد الله بن بورده. ومات من أولاد امبارك ديسي بن محمد بن الحاج (من فونتي)، ويوم "الحصره" سنة 1235هـ/ 1819م على أولاد داود، قتل منهم فيه سيدي بن محمد بن أعمر، وسيدي إبراهيم بن سيدي محمد بن عيسى وغيرهما، وفي هذه السنة قتل هنون على يد إجمان فخلفه بيده (بيده الثاني) بن هنون. وفي نفس السنة أو التي تليها وقع يوم "سمي" بين أولاد داود وأولاد موحمد.

وفي رئاسة بيده (الثاني) بن هنون وقع يوم "شكرطيل" سنة 1240هـ/ 1824م، وقتل فيه من أولاد داود سيدي المختار بن بونا، ومن أولاد امبارك هنون بن اعلي بن بلمختار (من أولاد بنت الغصاص)، وتوفي بيده سنة 1250هـ/ 1834م.

ثم ترأس أخوه سيدي بن هنون، ودامت رئاسته حتى سنة 1274هـ/ 1858م. وفي سنته الأولى (1250هـ/ 1834م) وقع القتال بين لادم وأولاد علوش في ولاته.

وفي سنة 1257هـ/ 1841م وقع قتال بين أهل بورده وإيزماتن (التوارگ).

وفي سنة 1258هـ/ 1842م دارت وقعة بين أولاد علوش وأهل بورده في بطحاء ولاته، قتل فيها احميده بن أمگس العلوشي.

وفي سنة 1260هـ/ 1844م وقعت مناوشات بين أولاد داود اعروگ وأولاد الناصر وكنته.

وفي سنة 1262هـ/ 1846م التقى غزو من أولاد الناصر بأولاد علوش وأهل بورده ليلا، وتقاتلوا، وتسمى هذه الغزوة غزوة "البدل" لأنهم تبادلوا فيها المطايا.

وفي سنة 1263هـ/ 1847م أغار أولاد علوش على عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي ونهبوا متاعه، وقتلوا عشرة من كنته فيهم محمد بن سيدي الأمين وابنه بابا. وتسمى هذه الغزوة غزوة "تخمرت".

وفي السنة التي تليها (1264هـ/ 1848م) غزا عابدين أولاد علوش وقتل منهم نحو الثلاثين.

وفي سنة 1267هـ/ 1851م غزا أولاد داود اعروگ البرابيش، فلما بلغوا "تگانت كينه" بين تنبكتو وأروان أصابهم عطش فقصدوا أروان ليشربوا منه فتلقاهم البرابيش فقتلوا منهم نحو سبعين، منهم الطالب بن ارشق، وسيدي الصغير بن سيدي المختار، وأغلى گومو بن سيدي المختار بن سيدي الصغير ثلاثتهم من أهل بورده.

وفي سنة 1268هـ/ 1852م غزا أولاد علوش كنته في جهة "اشراط" ، ونهبوا مالا عظيما.

وفي سنة 1270هـ/ 1853م أو التي بعدها نهب أولاد داود اعروگ إبل امهمد بن أحمد بن اعبيده رئيس البرابيش، فأدركهم عند تخمرت فهزمهم، ولقي عدد منهم حتفه.

وفي سنة 1272هـ/ 1855م كانت وقعة أولاد داود اعروگ على إيگلاد (التوارگ).

وفي جمادى الأخيرة سنة 1274هـ/ 1858م اغتيل سيدي بن هنون بن بيده في باسكنو على يد أولاد أخيه.

ثم ترأس الشيخ بن بيده بن هنون بن بيده من 1274هـ/ 1858م إلى 1280هـ/ 1863م.

ثم تلاه الشيخ بن سيدي بن هنون بن بيده، واستمرت رئاسته إلى 1315هـ/ 1897م.

ثم خلفه سيدي بن الشيخ بن سيدي إلى سنة 1331هـ/ 1913م. وفي عهده دخلت فرنسا.

وكانت في أولاد بوعلي العرب من أولاد علوش رئاسة مخصوصة في بيت أهل بوضروس. كما كان لأهل بوردة رئاسة مشهورة ارتكزت على العلم والجاه تسلسلت الرئاسة في أربعة عشر رجلا منهم بدءا بالحاج عبد الله بن بورده (تـ1170هـ/ 56-1757م وانتهاء بسيدي المختار بن امحمدي بن سيدي المختار بن أحمد أرشق الذي ترأس في عهد فرنسا سنة 1368هـ/ 1949م[552].

3- رئاسات أولاد رزگ:

كان أولاد رزگ من أعظم بني حسان سلطانا في آدرار، وأولهم تملكا في بلاد الگبلة، حكموا على بلاد الترارزة والبراكنة من القرن العاشر حتى صدر القرن الحادي عشر الهجري (16م- 17م)، كما كانت لبعضهم بآدرار (خاصة أولاد عطية) مغارم وجبايات. واشتهروا بالنخوة والأنفة، حتى صارت كلمة اترزگي في لغة بني حسان مرادفا للأنفة.

كان أول من ملك الگبلة منهم أولاد رحمون بن رزگ، ثم تغلب عليهم أولاد بوعلي وأولاد اخليفة وأجلوهم.

فمن رؤساء أولاد بوعلي، واسمه محمد بن رزگ: موسى بن عمران بن اعلي، كان ابنه گدول بن موسى مشهورا بالسطوة والعظمة، فكان يحمي حوض نهر السينغال إذا انحسر عنه ماء السيل فلا يطؤه إنسان ولا حيوان حتى ييبس، وذلك حتى لا تعثر خيله بسبب آثار الوطء، وكان شديدا على أزناگه، وعلى تشمشه حتى إنه كان إذا أتت راويته إلى بئر من آبارهم لايبرك جمله، بل تسقى قربه وجمله واقف، وإذا أصبح البقر باركا من حوله لا يقدر أحد على أن يثيره ولو مالكه، حتى ينهض البقر بنفسه، واتفق أن جاء يوما في رفقة من صحبه إلى تشمشه بأگننت، فباتوا يقتسمونهم، وأجمعوا أن يصبحوهم بالغارة أو بقبول المغرم، فحدث أن قتله عمه منصور وأبناؤه: بوهماد وممو وامهلهل وكاني أبناء منصور في تلك الليلة[553]، ولم يعقب گدول إلا ابنته عيشه أم أولاد عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز المعروفين بأولاد البوعلية[554].

ومنهم: منصور بن عمران عم گدول، كان له من الولد ممو وكاني، وانقطع عقبهما، وبوهماد وامهلهل، فأما امهلهل فتنحصر بقيته في ابنه سيدي أحمد الذي تاب

[552] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص166-177.
[553] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص65-66.
[554] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص11.

ودخل في إيدوالحاج القبلة، فاندمج عقبه فيهم، وفي قبيلة إيكمليلن، وهو جد عبد الله ومحمد ابني بو المختار بن سيدي أحمد اللذين كانا من أبطال حرب شربُبه مع الإمام ناصر الدين.

وأما بوهماد فمنه البطن الشهير بمحم بن أگد ويه وهو بيت الرئاسة في أولاد بوعلي كان الرؤساء منه يضعون التيجان على رؤوسهم، واستمر ذلك إلى مجيء الاستعمار.

ومن هذا البيت: امهينين بن عيسى قتل في وقعة النيش بين المغافرة وأولاد رزگ عام 1039هـ/ 1629م، فخلفه أخوه محمد، وفي عهده أوقع الكتيبات بإخوتهم أولاد بوعلي، فغضب أولاد بوعلي من ذلك غضبا شديدا، حتى ألجأهم الغضب إلى أن مالأوا المغافرة على الكتيبات، فكانت الوقعة المشهورة التي انهار بسببها ملك أولاد رزگ سنة 1040هـ/ 1630م[555].

ومن رؤساء أولاد بوعلي في عجز القرن الحادي عشر (17م): اعلي البوعلي الذي أخبر المغافرة بغرة الزوايا في حرب شربُبه فأحدقوا بهم.

ومنهم: أهل اعلي وناس المشهورون بالنخوة، منهم: أعمر بن اعلي وناس، كان رئيسا قويا، زاحم اعلى الكوري أمير الترارزة على ضرائب النصارى العرفية ومغارم السودان فقتله الأمير.

ومنهم: حمزة بن اعلي الكوري بن اعلي وناس شايع الجنرال فيدرب في حربه ضد الترارزة (1272هـ/ 1275هـ- 1855/ 1858م) مات 14 دجمبر 1887م (28 ربيع الأول 1305هـ)، فخلفه ابن عمه أحمد بن البو بن اعلي وناس، ثم ابنه البو، ثم ابنه سيدي بن البو، قتله تغرجنت يوم السمسيات، فخلفه ابنه أحمد الذي دخلت عليه فرنسا وتوفي سنة 1373هـ/ 1953م.

---

[555] وكان بيت أهل محم بن أگد ويه كبيت ابن عمهم گدول بن موسى بيت عظمة وسطوة، كان منه الرجلان اللذان مرا بامرأة من إيداشفغه تصلي الضحى وحولها صبيها، وكان صبيحا وسيما، فتقاولا أن كلبيهما لم يتغديا، فشقا الصبي نصفين بين كلبيهما. باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص66-67. ويضيف نص شيم الزوايا لليدالي أنه اتفق أن فرغ أحد الكلبين من نصفه قبل الآخر، فأخذ في مناوشة الكلب الثاني على نصيبه، فذب عن الكلب الثاني صاحبه بقتل الكلب الأول، فاقتتل الرجلان فماتا معا. وقال الشيخ موسى كمرا في المجموع النفيس عازيا لابن احمد يوره: إن الحرب بين أولاد رزگ بدأت سنة 1020هـ.

وكان أولاد اخليفه بن رزگ الرؤساء بعد أولاد بوعلي، منهم: أوديكه بن بو أيوب الذي نزل عنده قضاة الزوايا في سبعين راكبا لجباية الزكاة، فأرسل إلى المغافرة، واحتال عليهم حتى حبس سيوفهم، فجاء المغافرة فقتلوا القضاة عن آخرهم. وقد توفي 1092هـ/ 1681م.

ومن حفدة أوديكه هذا من رؤساء أولاد اخليفة أحمد بن أعمر، وابنه يحظيه الخليفي الذي قتله اعلي الكوري بسبب منافسته في إتاوات النصارى، ثم ابنه أعمر بن يحظيه، ثم ابنه صنبه بن أعمر، فابنه المختار بن صمبه، فابنه إبراهيم بن المختار الذي أبرم اتفاقية تجارية مع فرنسا سنة 1245هـ/ 1829م. ومن بطون أولاد اخليفة: أهل سيره، وأهل ساسي بلاخ، وأهل مور، وأهل أحمد بن أعمر، وتسلسلت فيه رئاستهم حتى طلوع الاستعمار، وبعض زواياهم اليوم في قبيلة إيدولحاج.

ومن أولاد رزگ أولاد بيجه بن شمه (إيدكشمه) من أولاد سيدي اشواص الذين كانوا من أمراء أولاد رزگ وعظمائهم في المنطقة، وإليهم آلت بئر تندگسمي التي اشتق اسمها من اسم آل بيجه بن شمه (إيدكشمه)، وكانت تندگسمي قبلهم لقبيلة انگادس الذين ملكوها بعدما رحل عنها أغرمان. ولم تكن بلاد أولاد سيدي اشواص مقتصرة على تندگسمي، بل كانت لهم مناطق شاسعة تشمل العريه وجزءا من إگيدي (الجنوبي) وجزءا من فاي. وقد أقطع أولاد سيدي اشواص امرابط مگه بن أبييري منطقة واسعة من هذه الأرض تشمل مسيرة يوم للراكب في كل جهة انطلاقا من تنديله (في الجزء الشمالي من إيگيدي الجنوبي)، فأقام امرابط مگه بها حظيرته المشهورة بـ"ازريبت امرابط مگه" التي من دخلها كان آمنا[556]. ثم مر المغافرة بامرابط مگه إبان نهضتهم إلى أولاد رزگ، فسأله أحمد بن دامان الدعاء والمساعدة، ووعده بتثبيت ما أقطعه أولاد رزگ من الأرض إذا ما انتصروا عليهم، فوقعت معركة انتيتام (1040هـ/ 1630م) وانتصر المغافرة فثبتوا له تلك الأرض.

---

[556] تقول الرواية الشفهية إن أحد رؤساء أولاد سيدي اشواص اغتصب من امرابط مگه بقرة حلوبا (تدعى مگه) تملكها زوجته، فلما قدم بها وربطها إلى جانب خيمته خيل إليه أن والد زوجته هو الذي يرضع البقرة بدل عجلها، بينما خيل للزوجة أن والد زوجها هو الذي يرضعها، وكاد أولاد سيدي اشواص أن يقتتلوا بسبب ما أثار هذا الموقف من سخرية الحاضرين وانقسامهم بين شيعة الزوج وشيعة الزوجة، فعند ذلك رجعوا على امرابط مگه بالاعتذار وأقطعوه الأرض المذكورة جبرا لخاطره. يحيى بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، معهد الدراسات الإفريقية، 99، ص60-63 و90-92.

وإبان الفوضى التي دبت في صفوف أولاد رزگ بعد هزيمتهم في انتيتام آوت بقايا من أولاد سيدي اشواص منهم أولاد بيجه بن شمه (إيدكشمه) إلى "امرابط مگه" فساكنوه وصاهروه[557].

4- رئاسات المغافرة:

أ- رئاسات أولاد الناصر:

كانت في أولاد الناصر عدة رئاسات، غير أن رئاستهم العامة كانت غالبا في بيت اشبيشب بن عيسى بن بوخروفه بن مسعود بن معتوگ بن عنتر. ومن رؤساء هذا البيت الشعري بن اشبيشب. واعلي بن الشعري. وموسى بن اعلي بن الشعري، حارب أولاد بله سنة 1135هـ/ 1722م وأعمر بن موسى بن اعلي بن الشعري، توفي سنة 1152هـ أو 1153هـ/1739م.

ثم ابنه بكار في عهده جدت وقعة "يوم أرطان" سنة 1203هـ/ 88- 1789م لأولاد الناصر على أولاد امبارك وبعض أولاد علوش الذين مات من أشرافهم الديخن بن أعمر بن إبراهيم بن موسى، وابن عمه هنون بن علوش بن امحمد بن إبراهيم، والمختار بن أحمد بن عيسى بن إبراهيم بن الجودة وآميگاي بن إبراهيم بن همد بن عيسى. ثم امحمد بن بكار.

ثم إبراهيم فال بن امحمد بن بكار قتل في وقعة "يوم أير" للأمير محمد بن امحمد شين على أهل اسويد وأولاد الناصر سنة 1214هـ/ 1799م.

ثم أخوه أحمد المعروف بولد امبرح توفي في ربيع الثاني سنة 1229هـ/ 1814م.

ثم أخوهما الحبيب اغتاله إيدوعيش سنة 1235هـ/ 19-1820.

ثم بكار بن أحمد (ولد امبرح) قتله أبكاك سنة 1250هـ/ 1834م.

---

[557] المختار بن حامدٌ، تساويد خاصة. ومحمد بن أبي مدين، المنيحة، ويحيى بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص60-63 و90-92.

ثم عثمان بن الحبيب (1250- 1269هـ/ 1834م- 1852م)، وكان من أعظم رؤساء العرب دولة في الصحراء وأرفعهم قدرا، في عهده وقع "يوم آجوير" سنة 1253هـ/ 1837م بين أولاد الناصر وأولاد امبارك[558].

ثم أخوه أعمر بن الحبيب (1269هـ- 1270هـ/ 1852م- 1853م)، لم تطل مدته إذ قتله فال بن امحماده بن أحمد بن امبرح ليلا بمدفع أصابه في شقه الأيمن فمات لحينه.

ثم بابا بن بكار (1270هـ- 1271هـ/ 1853م- 1854م) نازعه إبراهيم بن الحبيب.

ثم أخوه امحماده توفي سنة 1278هـ/ 1861م.

ثم اعلي بن موسى بن بكار بن أحمد بن امبرح اغتاله أهل الحبيب في مستهل ربيع الثاني سنة 1280هـ/ 1863م.

ثم أحمد بن عثمان بن الحبيب (1280هـ/ 1305هـ- 1863م/ 1887م) أوقع بمشظوف "يوم فوغ" سنة 1300هـ/ 1883م.

ثم بكار بن أحمد بن عثمان 1305هـ- 1315هـ (1887م- 1897م) نازعه عمه سيدي أحمد الحبيب، وأثناء النزاع باغتتهما فرنسا باحتلالها لتلك النواحي سنة 1312هـ (1894م).

ثم أخوه أعمر بن أحمد عثمان، كان مقداما قويا جلدا إلى درجة أنه كان يلقي بالفارس وفرسه، توفي سنة 1342هـ/ 1923م.

وكانت في أولاد الناصر رئاسات فرعية منها رئاسة أولاد إبراهيم بن الشبيشب: وهي في بيت محمد الحرطاني بن إبراهيم، ومن رؤسائهم المختار البازي بن يوسف بن هنون بن محمد الحرطاني، من مشاهير العرب، وأخوه آفشال من أسخيائهم، والعزه بن البازي، كان من فحول العرب وأشدهم حزما وأرفعهم ذكرا وبكار بن العزه.

---

[558] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص132.

ومنها رئاسة أولاد حرمة الله بن أحمد بن مسعود بن معتوگ وهي في بيت أهل أوديكه بن اعلي بن عباد بن حرمة الله المعروفين بأولاد خط السماء، من رؤسائهم الفظيل بن أوديكه، وابنه سيدي أحمد بن الفظيل، وابن عوف بن سيدي أحمد، وبودرجه بن ابن عوف، وبوبكر بن عامر بن ادهيمين بن الفظيل بن أوديكه، وابنه سيدي أحمد بن بوبكر.

ومنها رئاسة أولاد اسعيد بن مسعود بن معتوگ وكانت في معتوگ بن اسعيد، وانتقلت إلى أعمر الخروف، ثم إلى ابنه سيدي أحمد، وقد قتلهما أولاد امبارك، فانتقلت إلى غلاب بن سيدي أحمد، ثم إلى الرسول بن سيدي أحمد بن أعمر لخروف، ثم إلى اعلي بيه بن النطاح.

ومنها رئاسة آفاشيل (أولاد كروم بن بواخروفه) وكانت في بيت هنون بن أحمد بن التليلي وابنه بكار، ثم اعلي بونه بن بكار[559].

ومنها رئاسة أولاد يحيى بن معتوگ وكانت في أهل كيسوم بن سليمان، من بطن آغرشان، ومنهم رؤسائهم امحمد بن بكار بن كيسوم، وابنه سيدي المختار، والمحجوب بن حبيب الله بن المهدي بن كيسوم -قتل "يوم أير" سنة 1214هـ/ 799-1800م، وكان من فرسان العرب وعظماء قومه، ومحمد بن اعمر بن اعلي بن الغويزي بن نكدي بن الشين من آغرشان أيضا، وأعمر طالب بن اعلي بن محمد بن اعبيد الله بن الغويزي، والشيخ بن اعلي بن محمد بن أحمد بن بوجناح بن بوزيد بن الشين، وابنه محمد.

ومنها رئاسة أولاد عبد الكريم بن امحمد بن معتوگ وهي في بيت حماده بن اعلي الزناگي بن مالك بن عبد الكريم، ومن رؤسائهم بهدل بن امحمد بن حماد قائد أولاد عبد الكريم في وقعة "يوم كساري"، وهو أول من اتخذ منهم طبلا أخذه من "كساري"، واصنيبه فال بن سيدي أحمد بن امحمد بن حماده، وابنه المختار، وأبناؤه إبراهيم، وأحمد فال، واعلي، وآبيلاي، ثم امحمد، وعمر، وبكار، أبناء إبراهيم بن المختار بن اصنيبه، ثم حماد بن بكار بن إبراهيم بن المختار بن اصنيبه فال، نافسه على الرئاسة اعلي عمو بن آبيلاي بن المختار بن اصنيبه فال، ثم النانى، وأعمرن، وهنون، وامخيطير، والرحموني، وسيدي بنو أحمد بن سيدي أحمد بن هنون وكلهم من أولاد مالك بن عبد الكريم.

---

[559] المرجع نفسه، ص121.

ومنها رئاسة الخدائع (أولاد أحمد بن معتوگ) وكانت في حبيب (ابن أو حفيد) تگدي بن أحمد بن معتوگ، ثم في ابنه عمر بن حبيب، فابنه إبراهيم بن عمر، فابنه بوزومه.

ومن رؤسائهم أيضا: بوعسريه بن محمد بن أحمد بن الدخين بن عيسى بن حبيب، وعبد الله بن عليلوات بن أعمر بن اعلي بن بوزومه قتل يوم "مونگل" سنة 1248هـ/ 32- 1833م[560].

ب- رئاسات أولاد داود امحمد:

واشتهر عقب داود بن امحمد بن عثمان بأولاد داود امحمد، وكانت فيهم رئاسات منها رئاسة أولاد بوفايدة (العرب) كان من رؤسائهم العناني بن كاله، ثم أحمد بن العناني، ثم أبوهم بن أحمد، ثم امحمد بن أبوهم، ثم أحمد بنان بن امحمد، توفي سنة 1142هـ/ 1729م، وكانت له أيام مع البرابيش هزم فيها جيشهم سنة 1141هـ/ 1728م عند "تدنيت" وأسر اعلي بن دحمان منهم ففداه ابن اعبيد امو الي بمائة ناقة.

وفي سنة 1142هـ/ 1728م وقع يوم "بطحت ولاته" بين أولاد بوفائدة ومعهم إخوتهم أولاد منصور وبين أولاد طلحة، وفيه أوقع التوارگ بأولاد بوفائدة عند "رأس الماء"، ومات من أولاد بوفائدة: هنون بن اكدويه.
ثم ترأس الخاطر بن أحمد بنان (1142هـ- 1153هـ/ 1729م- 1740م). ثم عبد الله زيدان بن بكار بن امحمد بن أبوهم (1152هـ- 1156هـ/ 1739م- 1743م).

وبعد هذا العهد تسكت المصادر عن رئاسة أولاد بوفائدة (العرب) وحروبهم لكننا نجدهم مع أولاد بله بن امحمد بن داود وأولاد طلحة بن داود قد حاربوا إجمان في قتالهم مع أولاد علوش في وقائع "بطحت ولاته" سنة 1210هـ/ 1795م، و"تنوكر" و"بقي" سنة 1231هـ/ 1816م.

ومنها رئاسة أولاد بوفائدة (المهاجرين) من رؤسائهم: الطالب اعلي بن لعگيد. ثم ابنه بكار صاحب الحرب في تيشيت ضد سيدي محمد بن الحاج لحسن بن آغبدي الزيدي، غلبت في هذه الحرب طائفة سيدي محمد بعد أن قتلوا بكارا سنة 1154هـ/ 1741م. ثم جدو بن بكار الذي طرد أهل الحاج لحسن من تيشيت.

---
[560] المرجع نفسه، ص122.

وقد استمرت رئاسة المهاجرين في عائلة أولاد بوفائدة بتيشيت حتى أخرجهم منها أهل أعمر بن اعبيد (من أولاد بله بن امحمد بن داود) فهاجروا إلى "ولاته"، وكان منهم علماء مشهورون[561].

ومنها رئاسة أولاد نخله (أولاد سليمان بن داود) : كانت في أولاد الراحل الذين منهم أهل أحمد بركه بن الراحل، فكانوا بينهم كالملوك ثم هاجر أكثر أولاد نخله إلى أهل الحاج الأمين من الأغلال ولم يبق أحد منهم في العرب.

ومنها رئاسة أولاد طلحة بن داود من رؤسائهم الصديق بن طلحة. ثم عبدي بن الصديق. ثم المخينز بن عبدي. ثم إبراهيم بن المخينز، قتله أولاد الناصر سنة 1164هـ/ 1751م، وقيل سنة 1167هـ/ 53- 1754م، اشتهر بالعدالة والورع. ثم بنيوگ بن إبراهيم. ثم أعمر بن بنيوگ. ثم المامي بن أعمر، تنازل عن الرئاسة لما تفكر في قوله تعالى {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}.

ثم أحمد بنان بن بنيوگ، قتل في وقعة "يوم حمدون" سنة 1309هـ/91-1892م.

ثم إبراهيم الشيخ بن أحمد بنان، كان يقيم الحدود، وعليه دخلت فرنسا الصحراء فهاجر إلى "التل" ومات هناك. ثم أخوه سيدي الأمين، ثم أعمر بن إبراهيم الشيخ، فابنه إبراهيم الشيخ، فأخوه بنيوگ بن أعمر، فابنه أواه.

ومنها رئاسة أولاد بله بن امحمد بن داود (العرب) كانت رئاستهم العامة في أولاد علول (من الدحاحنه)، فمن رؤسائهم اعلي بن علول، فابنه إبراهيم، فامهلهل بن إبراهيم، فداود بن امهلهل، فالمختار بن داود، فأعمر بن المختار، فمحمد بن أعمر، فابنه أعمر بن محمد الذي تنسك وصحب الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي، وبذلك شغرت الرئاسة العامة في "أولاد علول"، ثم رجعت إليهم بعد حين، فكان من رؤسائهم إبراهيم بن زيدان بن إبراهيم بن أحمد بن اعلي بن علول. فابنه محمد، هاجر بقومه سنة 1317هـ/ 1899م إلى الحوض الشرقي، وفي رئاسته دخلت فرنسا الصحراء. فابنه إبراهيم. فأحمد بن عبد الله بن علال بن أحمد بن اعلي بن علول.

---

[561] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص 47.

ثم ترأس بعد هؤلاء من أولاد إبراهيم بن اعلي بن علول السالك بن محمد فال بن المختار بن سيدي محمد بن أعمر بن محمد بن أعمر بن المختار بن داود بن امهلهل بن إبراهيم.

وكانت هناك رئاسات في شتى بطون أولاد بلة[562].

فمن رؤساء العناترة اخليفه بن هنون بن الكنتاوي، وأولاده وهم: محمد وأحمد واسويدات الذين كانوا شيوخ أولاد بله أيضا في آخر أمرهم.

ومن رؤساء أولاد سالم بن دحان: بكار بن اعلي بن محمد بن احميده بن سالم، قتل في "وقعة إيسيل" بين بطون أولاد داود بن امحمد سنة 1165هـ (1752م).

ومن رؤساء أولاد بله (المهاجرين) اعلي بن أعمر بن اعبيد، جاء بأولاد بله إلى تيشيت في الثاني من صفر سنة 1204هـ (1789م). وأحمد تياه بن اعلي بن أعمر، كان هو وأبوه تحت حكم أهل لعگيد من مهاجري أولاد بوفائدة. ودخل جزء من أبنائه في الاغلال.

ثم أخوه إبراهيم بن اعلي، فاقت سلطته سلطة أبيه، توفي سنة 1248هـ أو 1249هـ، (1832م أو 1833م) فتنازع الرئاسة بعده ابناه محمد وإبراهيم وآل الأمر إلى أن قتل محمد ابنا لعبد الله بن المختار بن عبد الله رئيس أهل إبراهيم بن الحاج، فكانت الوقعة بين أهل أعمر بن اعبيد ومعهم "ماسنه" وبين "الحجاج" و"الدحاحنه" يوم الجمعة تاسع رمضان 1266هـ (19 يوليو 1850م)، قتل فيها من أهل أعمر بن اعبيد: اعلي بن تياه وعمه السالك، وابنان لسيدي بن أعمر بن لوداعه وغيرهم، ثم كانت "وقعة أهتك" في ذي الحجة من نفس السنة، وبإثرها انسحب "الحجاج" و "الدحاحنة" من تيشيت وبنوا قريتهم "آغريجيت"[563].

ومن رؤساء الحجاج ثم أهل إبراهيم بن الحاج عبد الله بن المختار بن عبد الله بن إبراهيم، كان أكثر أهل البلاد مالا ومعروفا، حج وبعد أن قفل راجعا وقعت الحرب المذكورة آنفا مع أهل أعمر بن لعبيد، توفي سنة 1268هـ (1851م). ثم ابنه سيدي بن عبد الله.

---

[562] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص122.
[563] المرجع نفسه، ص132.

ومن رؤساء أهل محمد بن الحاج محمد المختار بن أعمر بن إيله بن محمد بن الحاج، كان رأس أهل "آغريجيت" عقلا ونبلا. ثم ابن عمه عبد الله بن الحاج اعلي بن إيله. ثم اعلي بن سيدي الأكحل، وفي رئاسته دخلت فرنسا الصحراء[564].

ج- رئاسات أولاد امبارك:

كانت في فرع أولاد الغويزي من أولاد امبارك، فضلا عن إمارة أهل بوسيف بن أوديكه رئاستان هما: رئاسة أهل سيدي أحمد بن أوديكه بن النبيگه بن الغويزي، ورئاسة أهل سيدي اعلي بن أوديكه بن النبيگه بن الغويزي.

فمن رؤساء أهل سيدي أحمد بن أوديكه: سيدي أحمد بن إبراهيم بن سيدي أحمد بن أوديكه. قتله عثمان الباشا بن هنون بن بهدل، وذلك هو سبب الحرب بين أولاد امبارك التي قتل فيها بوبكر بن هنون الكوري (الغويزي) في حصار "جگم". وابنه اعلي بن سيدي أحمد من مشاهير رؤساء المغافرة، وكان له أبناء تولوا رئاسة قومهم، هم: أحمد المشهور بالمراد، واببييه، والسيد، وودكه، وحماد، وامحمد، وهنون.

ومن رؤسائهم إبراهيم فال بن اعلي فال بن السيد بن اعلي، قتله أهل سيدي محمود يوم الخميس آخر ذي الحجة سنة 1268هـ (14 اكتوبر 1852م) في وقعة "گبو" في حربهم ضد أولاد الناصر وبعض أولاد الغويزي، والعلوشي بن هنون بن اعلي.

وأما أهل سيدي اعلي بن أوديكه فمن رؤسائهم: سيدي اعلي بن أوديكه. وابنه أحيمَده بن سيدي اعلي، وابنه بكار بن أحيمَده، وابنه بهدل بن بكار، وأخوه أحمد بن بكار. قتله اعبيد بن خيار الناصري العياسي سنة 1177هـ، 1763م في وقعة يوم "انبش"، وأخوهما الجوده بن بكار، وأعمر بن أحمد بن بكار، ومحمد خي بن أعمر بن أحمد بن بكار، قتله ايدوعيش، والجيد بن الجوده، قتله أهل اعلي بن امحمد بن خونا في وقعة "تيط" سنة 1222هـ، 1807م، وأخوه سيدي أحمد بن الجودة، وأعمر بونا بن سيدي أحمد بن بكار، وأعمر بونا بن سيدي أحمد بن بهدل بن بكار، وأحمد بن سيدي بن بكار، قائد أولاد الغويزي في وقعة "غابو" الأخيرة، وعابدين بن (أو حفيد) الجودة بن بكار، واحمَيدو بن الشنظوره، وأحمد بن عابدين، وفي عهده دخلت فرنسا.

---

[564] المرجع نفسه، ص166.

وكانت في فرع أولاد أعمر من أولاد امبارك فضلا عن إماراتهم الثلاث (إمارة أهل هنون العبيدي، وسلطنة أهل بهدل، وإمارة فاته) رئاسات فرعية في أولاد العاليه، وفونتي، وأولاد أم النون، والعبيدات.

فممن تقلد رئاسة أولاد العاليه بعد انحراف الإمارة عنهم إلى إخوتهم أولاد عيشه: سيدي أحمد بن بوسيف بن هنون العبيدي، وابنه امحمد بن سيدي أحمد، وإخوته أعمر بي، والمختار، وبوسيف، وكان أعظمهم رئاسة، وهنون طاعو، والمختار بن امحمد بن سيدي أحمد، تاب وهاجر إلى الزوايا، واسويد أحمد بن المختار بن هنون طاعو، قتله أولاد عيشه يوم "مد الل"، وبموته تلاشى أمر أولاد العاليه.

ومن رؤساء فونتي: اعلي بن امحمد بن الحاج محمد (من أهل حمو البيض)، قتله احميدَه بن أمگس العلوشي يوم "جيگي" سنة 1234هـ/ 1819م، ثم أخوه ديسي، قتله أهل هنون العبيدي وفاته يوم "سمي"، ثم أخوهما عثمان الكوري، ثم دحان بن سيدي إبراهيم بن أحمد بن الحاج محمد قتيل أهل هنون في وقعة يوم "غابو الأول" كان رأس قومه وفارسهم، ثم عثمان الگطايه بن أعمر بن حمو، ثم اعلي بابي بن أحمد بن حمو قتيل أهل هنون العبيدي في يوم "مد الل"، وهو من أهل حمو الكحل.

ومن رؤساء أولاد أم النون عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن امحمد بن اللب بن سدوم بن امحمد الزناگي، ثم بوشنوفه بن محمد بن إيغينس بن امحمد بن اللب قتله مشظوف، فأخوه ميمين قتله أهل بهدل، فلبات بن بوشنوفه قتله أولاد الناصر في يوم "آجوير" سنة 1253هـ/ 1837م، فاعلي بن ميمين[565].

ومن رؤساء العبيدات وكانت رئاستهم في بيت علول بن الابرص أحمد درماز بن بكار، قتله فاته، فكان هذا سبب وقعة "إيولان" على فاته سنة 1215هـ/ 1800م، التي قتل فيها سيدي أحمد بن أحمد بن دخنان، وابنه، وسيدي أحمد بن امعيمرات بن بوسيف بن دخنان من أولاد بنت الغصاص. ثم بولعراف بن الحاج محمد بن ممو بن امحمد الزناگي، فهنون بن أحمد الملقب هنون جام[566].

د- رئاسات البراكنة والترارزة وأولاد يحيى بن عثمان:

---

[565] المرجع نفسه، ص135.

[566] المرجع نفسه، ص140.

من رئاسات البراكنة المشهورة رئاسة أولاد اعلي بن عبد الله، تعاقب على الإمارة فيها كل من بكار الغول بن اعلي بن عبد الل المتوفى 1092هـ، 1681م، وأخوه امحيمد بن اعلي بن عبد الل، فابنه اعلي بن امحيمد توفي سنة 1139هـ/ 1726م، فابنه هيبه بن اعلي نازعه بكار ونغماش ابنا أعمر غرظو بن امحيمد فقتلاه في يوم گيمي بإعانة أخوالهما اليتامى ، فاسويد بن هيبه، فاعلي بن هيبه بن اعلي بن امحيمد الذي قاتل اليتامى وأولاد أعمر غرظو وانتصر عليهم في أيام "جگجل" و"الگليته" و"فرع الطلحايه" و"علب الكصره" بمعاونة أبناء الناصري وجميع أولاد اعلي، فكان ذلك سببا في انقراض سطوة أهل أعمر غرظو وأخواله اليتامى. وبعد اعلي بن هيبه ترأس ابنه إبراهيم بن اعلي وقتله إيدوعيش بمساعدة امحيمد بن المختار بن الناصري، فقتل به ابنه وخليفته سيدي هيبه امبارك فال بن الناصري، فكان ذلك سببا للحرب بين أهل الناصري وأهل هيبه، وانقسام أولاد اعلي إلى بيض هم طائفة أهل الناصري، وكحل هم طائفة أهل هيبه المعروفين بالمحيصر. وخلف سيدي هيبه ابنه امحيمد الذي خلفه ابنه سيدي أحمد، دخلت فرنسا البلاد في عهده فهاجر إلى "التل"[567].

وكانت لقبائل الترارزة الحسانية (أولاد دامان والعلب وأولاد بنيوگ وغيرها) رئاسات داخلية خاصة بها، كما كانت في بطون أولاد دامان رئاسات فرعية فرئاسة أهل عبله بن دامان كانت في بيت محمود بن عبله. ورئاسة أهل آگمتار بن دامان في بيت توجه بن امحمد بن دله بن آگمتار. ورئاسة أولاد عتام بن دامان في بيت أحمد بن عتام. ورئاسة أولاد ساسي بن دامان في بيت سيره بن الكوري بن ساسي. ورئاسة أولاد زنون بن دامان في بيت هيبه بن أحمد بن إبراهيم بن امحمد بن زنون.

وكان في كل من أولاد غيلان وأولاد آگشار وغيرهم من أولاد يحيى بن عثمان رئاسات داخلية خاصة بهم.

دولة الحاج عمر الفوتي

[567] المرجع نفسه، ص122.

1- نشأة الحاج عمر الفوتي وبداية أمره:

ولد عمر بن سعيد الفوتي المشهور بالحاج عمر تال سنة 1210هـ (1796م)[568] في قرية هلوار التابعة لمدينة بودور السينغالية لأسرة دينية محافظة من قبيلة تالبه، التي قال الشيخ موسى كمرا بأن أصلها من البيضان، مضيفا بأن ذلك «يحتمل من جهة كونهم أصلا من فلان هندربه[569]» التي هي في الأصل إحدى القبائل التي كانت تشكل جزءا من إمارة بيلگه الشنقيطية. ويسرد الشيخ موسى كمرا روايات تفيد بأن آباء الحاج عمر الفوتي هاجروا من بلاد شنقيط إلى السينغال في عهد جدهم آلجوما (آليجانا) سيلمان[570].

وكان سعيد الفوتي والد عمر تال أحد تلامذة محظرة أهل همر (عمر) فال بابيري (قرب تيواون) وممن اشتهر بالفتوى في هلوار. وحفظ عمر تال القرآن مبكرا، ثم انتقل إلى قرية دربس فتعلم بها على يد زوج أخته العالم الشيخ بسمور[571] الأمير بن عبد الله تلميذ الشيخ تفسيرو حماد الذي أخذ العلم عن قبيلة أولاد ديمان ببلاد شنقيط[572] فدرس عليه اللغة والنحو والفقه، ثم ارتحل يطلب العلم فدرس ما أمكنه من العلوم الشرعية، وكانت له رحلة في طلب العلم إلى بلاد شنقيط[573].

---

[568] هكذا نقل الشيخ موسى كمرا في "أشهر العلوم وأطيب الخبر في سيرة الشيخ الحاج عمر" (منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2001)، وقال أحمد بن بدي العلوي في "الدرع والمغفر" إنه ولد عام 1213هـ (1799م) وقال سيدي عبد الله بن محمد الصغير التيشيتي في تاريخه إنه ولد 1212هـ (1798م).

[569] الشيخ موسى كمرا، أشهر العلوم وأطيب الخبر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص148. وقد ناقش الشيخ موسى كمرا في هذا الكتاب (ص133 وما بعدها) مسألة انتساب الحاج عمر إلى الأصل القرشي الذي نقله أحمد بن بدي العلوي في كتابه "الدرع والمغفر"، مشككا في ذلك. ونقل الشيخ موسى كمرا أن ألفا ممدو بوكر الذي في ووسوبي جانجا زعم أن عنده تاريخ هندربه، وأن أصلهم من الشام، ثم سكنوا في قصر البركه [ببلاد شنقيط] مدة، وكانوا مع تاگه [إمارة بيلگة]، ثم فارقوهم لفتنة بينهم، ثم ارتحلوا إلى نواحي منگل، ومنها ارتحلوا إلى فوته عبر مناطق من أرض مالي. أشهى العلوم، ص149. ولعله من هنا جاء أصل الرواية التي اعتمد عليها صاحب الدرع والمغفر في قرشية الحاج عمر.

[570] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص134.

[571] بسمور لقب لكل من تولى إمارة الضياع التي تحرث.

[572] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت، 2005، ص39.

[573] جزم برحلة الحاج عمر الشنقيطية جميل أبو النصر، ومادينا لي تال. انظر، أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، الندوة العالمية المنعقدة بتنبكتو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 1997، ص33. وقالت مادينا لي تال إن عمر بن سعيد أقام ببلاد شنقيط للدراسة والتحصيل مرتين على الأقل، وعاد من الرحلة الأولى متمكنا من الشريعة وعلم الكلام، أما رحلته الثانية فهي التي التقى خلالها لأول مرة شيخه في الطريقة التجانية عبد الكريم الناقل في بلدة انگاولى قرب بودور على الضفة الشنقيطية، وتضيف الباحثة مادينا لي تال أن عمر بن سعيد مكث مدة إلى جانب شيوخ تگانت (بتجگجة) حيث نشأت في ذلك العهد زاوية تجانية فتية. راجع، أحمد

وفي ناحية بودور التقى عمر بن سعيد بأحد علماء فوتا چالون يدعى عبد الكريم بن أحمد الناقل، كان عائدا إلى بلاده من بلاد شنقيط، حيث كان مع شيخه الصوفي السيد مولود فال اليعقوبي التجاني(تـ1267هـ/ 1851م)، فتتلمذ عليه ورافقه إلى فوتا چالون ومكث معه سنة وبضعة أشهر، ثم خرج حاجا وبلغه وهو في أرض مالي أن سيدي محمدا الغالي المغربي التجاني بمكة المكرمة فلحق به ومكث معه ثلاث سنوات.

وقفل الحاج عمر عائدا سنة 1245هـ (1829م)، فمر بمصر وعرج على الشام، ومر بليبيا وسكن نيجيريا حيث شارك الحاج عمر الإمام محمد بلو في تدبير سياسة الجهاد والغزو[574].

ولما توفي الإمام محمد بلو سنة 1253هـ/ 1837م ارتحل الحاج عمر عائدا إلى بلاده فحل بمدينة حمد الله عاصمة ماسنه ونزل ضيفا على أميرها الشيخ أحمد بن حمدي (محمد) لبو، ومنها انتقل إلى فوتا چالون عن طريق سيگو فاستوطن چيگونكو بفوتا چالون، وأصبح له هناك أتباع ومريدون، فقد كان الشعور الديني الذي اجتاحها بعد استقرار بعض فلول دولة الإمام ناصر الدين فيها ما يزال متوقدا، في حين تعاني السلطة الإمامية فيها من الخلاف المستشري بين حزبي السوريا وألفايا الماميين.

وبعد عدة سنوات عظم فيها صيت الحاج عمر عاد إلى مسقط رأسه هلوار ليتفقد ذويه[575].

وخلال هذه الرحلة التقى الحاج عمر بشيخه الشنقيطي السيد مولود فال اليعقوبي الذي شهد له بأنه أصبح من أكابر الطريق وشيوخها. ووصل الشيخ الحاج عمر إلى مسقط رأسه سنة 1262هـ/ 1846م.

الأزمي، الحاج عمر الفوتي والمغرب، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، ندوة دولية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 2001، ص187-188.

[574] تعرف الحاج عمر خلال رحلته التي دامت عدة سنوات على كثير من العلماء والأمراء، ووصل بعد فترة قضاها بليبيا إلى برنو بنيجيريا، ثم انتقل منها بعد خلاف وقع بينه وبين أميرها إلى سوكوتو فنزل على الإمام محمد بلو بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن فودي سنة 1246هـ (1830م) فأكرمه وأجله وزوجه ابنته حفصة، وتوفيت في هوصا دون أن تنجب. وولد للحاج عمر في سوكوتو ابنه وخليفته أحمد الكبير وأخته فاطمة أمهما عائشة بنت محمد نعم قاضي عثمان بن فودي.

[575] بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1980، ص21. ومر الحاج عمر الذي ترك أسرته حيث كان يقيم بچيگونكو في طريق عودته بإمام فوته الغربية أليمان بوبكر، وكان عالما نبيلا فتحادثا في أمر الجهاد، والتقى عددا من علماء الوالو وفوته وحاورهم. انظر، الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص177.

وبعدما مكث ستة أشهر بفوتا تورو قفل الشيخ الحاج عمر تال راجعا إلى فوتا چالون، ورحل معه بعدما بايعه عدد من رؤساء فوتا تورو خلق من مريديه ومحبيه وقاصدي إحياء الإسلام والجهاد معه. وآخى الحاج عمر بين القادمين معه من فوتا تورو ومريديه من أهل فوتا چالون، وسمى أولئك بالمهاجرين وهؤلاء بالأنصار[576].

وضاق إمام فوتا چالون المامي عمر ذرعا بالشيخ الحاج عمر، فرحل عنه إلى أرض تدعى دينگراي تابعة للملك يمبا ساغو ملك مملكة تمبا الوثنية، وأذن يمبا للحاج عمر في الإقامة بذلك الموضع شريطة أن يؤدي له صاعا من الذهب كل سنة، وكان ذلك عام 1265هـ/ 1849م[577]. ومن هذا المكان أخذ الحاج عمر يوطد مذهبه، وينشر طريقته الصوفية، ويعلم العلم، ويجمع السلاح.

واستمر على ذلك ثلاث سنوات، فقد كان الحاج عمر الذي اشتهر بمعارضته للوجود الأوروبي في بلاده يجمع الأتباع لطريقته التجانية من جهة والأنصار للجهاد ضد الكفار المجاورين له من جهة أخرى[578].

وعلم الملك يمبا ساغو بأن الحاج عمر يجمع العدة ويصنع الأسلحة فغضب، وأرسل إليه الرسل ليسلم لهم ما لديه من السلاح، فامتنع الحاج عمر وقرر التهيؤ لحرب يمبا مع قلة فئته وقوة عدوه، وقام ببناء حصن حول قريته دينگراي.

وجهز الملك يمبا ساغو جيشه وغزا الحاج عمر في دينگراي لكنه انهزم أمام أصحاب الحاج عمر المفعمين بحماس الجهاد ضد الكفار. وبعد هذه المعركة نظم الحاج عمر أنصاره وغزا مملكة تمبا ففتحها وأذعن له ملكها يمبا معلنا دخوله في الإسلام.

وعاد الحاج عمر بعد هذا الانتصار إلى موطنه دينگراي، وترك في يمبا من يعلم أهلها شرائع الدين الإسلامي، لكن الملك يمبا ساغو أضمر الخيانة فكتب إلى صهره وجاره الملك بونچوگو بأنه سيرحل إليه بأمواله وحشمه ليتعاونا على حرب الحاج عمر، وفي نيته أن يغدر بالملك بونچوگو ويحتل مملكته ثم يحارب الحاج عمر بعد ذلك.

---

[576] المرجع نفسه، ص27.

[577] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص191.

[578] كان الحاج عمر يرى أن النصارى قد وصلوا إلى عقر تورو، بعدما بسطوا نفوذهم على كل بلاد الوالو، وأنهم قد اشتروا الضمائر وملكوا السلاح، وأنه إذا عادت هيبة الإسلام إلى فوتا چالون، وانتشر منها إلى سيگو وانيور وكارته التي ما يزال الكفر منتشرا فيها مع أنها تتوسط بلاد المسلمين، فإن أمر النصارى سيكون هينا. وربما كان الحاج عمر يطمح إلى ربط هذه البلاد بشمال نيجيريا شرقا حيث إمارة صهره الإمام محمد بلو بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن فودي في سوكوتو، فتصبح للإسلام بذلك امبراطورية قوية قادرة على مجابهة النصارى. انظر، بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، مرجع سبق ذكره، ص21.

وعلم سينبارا بن الملك بونچوگو، وكان في تمبا مع خاله يمبا ساغو، بما يضمره خاله لأبيه فأرسل إليه بالخبر، فلما وصل يمبا ساغو إلى بونچوگو قتله واصطفى أمواله وذراريه. وعلم الحاج عمر بالأمر فأرسل إلى بونچوگو يريد أموال يمبا ساغو لكونه ما تركها له إلا ظنا منه أن إسلامه كان صحيحا، فأبى بونچوگو وهدد الحاج عمر، فاندلعت الحرب بين الطرفين، وأرسل الحاج عمر إلى فوتا تورو يطلب المدد للجهاد ضد هذه المملكة الكافرة، وانتهت الحرب بانتصار المسلمين، بينما كان المدد الفوتي في طريقه إلى الحاج عمر.

ووصل المدد وانتهت الحرب، واطمأنت الأرض بالحاج عمر وأنصاره، فشرع في تأسيس دولته وتثبيت أركانها في أرض الإسلام الجديدة. وكان ذلك سنة 1269هـ/ 1852م. وطمع الحاج عمر في فتح بلاد انگالام والقضاء على سيري مانا، وفتح مملكتي سيگو وكارته، ومحو الوثنية من هذه الممالك، فجعل يرسل إلى محطة باكل لشراء السلاح، وإلى فوتا تورو لحث الناس على الالتحاق به للجهاد، وواصل فتح المناطق المحيطة به.

وهرب بعض أعداء الحاج عمر إلى گيدي ماغه وأخذ يؤلب أهلها ضده، فأرسل الحاج عمر إلى قائده مودي محمد اتشام بأن يحاربهم، فخاف بعض أعيان گيدي ماغه ممن كانوا قد انخرطوا في سلك الحاج عمر الفوتي على أهليهم وذراريهم هناك فهرعوا إلى الحاج عمر وتوسلوا إليه بأن يتركهم لهم ففعل[579]، وسير جيشا كبيرا إلى سلي «فهدمها وقتل رجالها وسبى نساءها، وجعل الأغلال في أعناقهم والقيود في أرجلهم، ثم وفد عليه وفد من گدياگه ووفد من گيدي ماغه مستسلمين[580]».

2- اتصال الزوايا البيضان بالحاج عمر الفوتي:

وخلال هذه الفترة انتشر خبر الحاج عمر تال في كل أرجاء شنقيط، فاتصل به عدد من أعلام وعلماء الزوايا مدحه بعضهم، وتتلمذ عليه بعضهم، ومنهم من تولى له القضاء، أو انضم إلى جيشه، أو نافح عن مواقفه[581]. وكان الحاج عمر كما قال بوبكر

---

[579] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص42.

[580] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص232.

[581] فمن أبرز من مدحه الشيخ محمد المامي، واعتبره أهلا للإمامة في حائيته التي يرد فيها على قصيدة للحاج عمر، ومن أبرز من انخرط في سلكه ابن انبوجه التيشيتي، وأحمد بن محم العلوي، ومن أبرز من نافح عنه أحمد بن بدي العلوي صاحب كتاب "الدرع والمغفر في الرد عن الحاج عمر".

باري «أجل من تابع حمل مشعل الحركة الإصلاحية التي لم تفتأ منذ ناصر الدين[582]». وشعر الفرنسيون بخطر الحاج عمر عليهم فحرموا بيع الأسلحة لأنصاره في جميع محطاتهم التجارية.

وتأكد ملك كارته المتمركز بانيور ممادو كانچا من أن جيوش الحاج عمر الفوتي ستتجه إليه بعدما تم لها فتح المناطق الغربية القريبة منه، فبادر إلى تجهيز جيش ضخم من بمباره أمر عليه قائده المغوار ينفللي سيما فالتقى بجيوش الحاج عمر غير بعيد من خاي، ودارت الدائرة بعد معارك عنيفة على الجيش البمباري. وقام الحاج عمر بتطهير منطقة كولوم التي جرت فيها المعركة، وبنى في كانيا كاري قلعة حربية.

وفي يوم الخميس 27 جمادى الأولى 1271هـ (15 فبراير 1855م) هاجم الحاج عمر مدينة يليمان إحدى أهم مدن كارته ففتحها وقتل ملكها مانا موري با، وقتل كل عائلة دمبله فيها، ثم لم يزل يقاتل قبائل كارته ويبيدهم حتى استسلم له ممدو كانچا ودخل الحاج عمر مدينة انيور ظافرا، وحطم أصنامها وفرض الإسلام على أهلها.

وكتب الحاج عمر إلى ماسنه وفوته وزوايا البياضين يبشرهم بما أحرزه من النصر والتمكين، فالتحق به عدد من أعلام زوايا البيضان من مختلف الأصقاع، فقربهم الحاج عمر وجعلهم من وجوه دولته، «وكان لأبناء تيشيت [منهم] مكانة كبيرة في العلاقات التجارية للدولة العمرية بعدما التحق بعض تجارهم بالحاج عمر في انيور خلال حملة كارته.. وأسسوا [هناك] حيا يدعى تيشيت، أنشأوا فيه المحاظر، ونظموا منه رحلات القوافل[583]».

وكانت مؤن تيشيت في ذلك العهد تأتيها من سيگو وكارته[584]، وكذلك ولاته التي كاتبه أهلها واتصلوا به[585].

3- اصطدام الحاج عمر بأولاد امبارك وماسنه في باغنه:

---

582 أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، مرجع سبق ذكره، ص36.

583 أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي والمدرسة التجانية في تشيت نقلا عن روبنسون، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، مرجع سبق ذكره، ص97.

584 وفي ذلك يقول سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه قصيدة مطلعها:

سبحان ربك رزاق المساكين   من أهل تيشيت في أرض السوادين

كم دون أرزاقهم من مهمه قذف   ودونها من أبي سيـــــف وهنون.

585 رسالة مخطوطة باسم أهل ولاته موقعة من قبل المحجوب بن الإمام ودبو بن العناية وأحمد بن بركة الله.

ولما فتح الحاج عمر تال بلاد كارته اتصل به صمبني بن أبي بكر سيسى أمير فلان وورولبه بباغنه فبايعه. وكان صمبني على خلاف مع جيرانه البمباريين الوثنيين، ويعاني من سطوة رؤساء باغنه من أولاد امبارك الذين كانوا يغرمونه، ونفوذ حلفائهم من أمراء ماسنه، فطلب من الحاج عمر الفوتي جيشا «ليجاهد به كفار أرضه[586]»، فأمده الحاج عمر بجيش يقوده ألفا عمر بن تشيرنو بيلا، فشب نار الحرب في تلك المنطقة. وبينما كانوا كذلك علم ألفا عمر بن تشيرنو بيلا بأن جيشا ماسنيا يقوده عبد الله بن أبي بكر هم صالح قد عسكر بالمنطقة فأرسل إليه بالهديا وطلب منه المسالمة، فقد كان الحاج عمر وجيشه يدركون بأن إمارة ماسنه قد تدخل الحرب إلى جانب أهل باغنه.

وإمارة ماسنه إمارة إسلامية فلانية قامت في بقعة خصبة تمتد من عقفة نهر النيجر شرقا إلى مشارف سيگو غربا، ومن مدينة جني جنوبا إلى مدينة تنبكتو شمالا. وكان أهلها قبل قيام إمارتهم الإسلامية مجرد تجمعات قبلية صنهاجية وفلانية خضعت لنفوذ كل من غانه ومالي والسونگاي، ثم هاجر إليها بعدما أصبحت معقلا من معاقل الفلان المهمة قوم من أحفاد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي الشنقيطي[587] يعرفون بأهل بكار بن إبراهيم بن بكار، نزحوا من تيجريت ببلاد شنقيط باتجاه الضفة، وسكنوا بلحسي قبل أن ينتقلوا من بلاد شنقيط إلى بودي في السينغال، ومن بودي هاجر قسم منهم إلى ماسنه، وكانوا إبان هجرتهم إليها عصبة مع قبيلة وطابه الفلانية، ثم تحول بعضهم إلى قبيلة أورولبه الفلانية، وهم يدعون في الفلان ببكارنابه (نسبة إلى جدهم بكار)[588]. وقد اشتهر منهم عثمان بن إبراهيم الذي أنشأ بماسنه محظرة معروفة توارثها أبناؤه بعده، وظهر من أحفاده رجل اسمه أحمد بن حمدي (محمد) لبو بن بوبو بن إبراهيم بن عثمان، فتعلم العلم وتصوف على الطريقة القادرية، وانضم إلى حركة عثمان بن فودي الإسلامية بنيجيريا، ثم رجع بعدما استتب أمر عثمان بن فودي إلى مسقط رأسه بماسنه، فقاد حركة إصلاحية دينية سنة 1231هـ/1816م تمكن على إثرها من تأسيس إمارة إسلامية قوية، بعدما جمع حوله جيشا دينيا قويا تغذيه العصبية الفلانية، فأسقط به في البداية سلطنة فلانية كانت تعرف بمملكة آردو، ثم امتدت فتوحاته فانتزع أجزاء من مملكة سيگو البمبارية التي كانت تسيطر آنذاك على مدينة جني. وخلت بسبب حروبه بلاد فيته الفلانية التي كانت تمتد إلى مدينة باسكنو الشنقيطية، فكان ذلك سببا في استقرار أبناء شيخ الناس وسيدي أحمد

[586] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص267.

[587] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم هو الذي حفر بئر تن إبراهيم بتيجريت حوالي 536هـ/ 1142م.

[588] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص140. والشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص92.

وسيدي بوبكر بني الحاج سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي النازح من تيشيت إلى ولاته بسبب الحرب التي وقعت بينه وبين بكار بن الطالب اعلي بن العگيد البوفايدي في باسكنو التي اتخذوا منها وطنا لهم[589]، ثم أصبحت مركزا لجميع أولاد داود.

وبعدما استتبت سلطة الشيخ أحمد بن حمدي لبو أخذ في جهاد البمباريين الوثنيين من حوله، وبسط نفوذه على مناطق مختلفة واسعة، واستولى على جني، ودخل مدينة تنبكتو ظافرا، فضمها إلى إمارته وقضى فيها على سلطان التوارگ وبقية الرماة[590]، وبنى مدينة حمد الله واتخذها عاصمة لدولته، وطلب من الزعماء والسلاطين المجاورين له أن يبايعوه بوصفه أميرا للمؤمنين وأرسل سفارة إلى الآستانة لربط علاقات مع العثمانيين. وتوفي الشيخ أحمد سنة 1261هـ/1845م، فخلفه ابنه أحمد بن الشيخ أحمد بن حمدي لبو (أحمد الثاني)، ومكث في الحكم 8 سنوات، وتوفي سنة 1269هـ/1853م. ثم خلف أحمد هذا ابنه أحمد (أحمد الثالث) الذي اصطدم بالحاج عمر الفوتي.

وحارب جيش الحاج عمر يوم 16 شوال 1272هـ (19 يونيو 1856م) قبيلة چاورا، ودمر عاصمتهم چاليگا، ثم توجه بعد عدة معارك خاضها في المنطقة إلى عاصمة باغنه باساگا فحاصرها وفتحها في 22 شوال 1272هـ (25 يونيو 1856م).

وعسكر جيش ثان من ماسنه في گيمبا مع فلول من سكان باغنه بينما كان الحاج عمر نازلا بجيشه في سنفاگا، ثم ارتحل الجيش الماسني فنزل بكاساكيري، وجهز الحاج عمر جيشا ضخما أمر عليه ألفا عمر بن تشيرنو، وحدثت أول مواجهة عسكرية بين الطرفين في ذي الحجة 1272هـ (أغسطس 1856م)[591]، انتصر فيها الجيش الفوتي.

---

[589] في سنة 1154هـ/ 1741م وقعت في تيشيت وقعة شهيرة عرفت بوقعة سابو سيري بين طلبة أولاد بوفائدة برئاسة بكار بن اعلي بن العگيد البوفايدي ومعهم بنو عمومتهم أولاد بلة وماسنه من جهة وطلبة أولاد زيد (من أولاد داود اعروگ) برئاسة سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي ومعهم بنو عمومتهم طلبة أولاد علوش وإيدوالحاج تيشيت من جهة أخرى، وقد أدت هذا الوقعة التي مات فيها خلق إلى هجرة هؤلاء الأخيرين إلى ولاته. وقد ذكر ذلك صالح بن عبد الوهاب في الحسوة البيسانية مضيفا «أن شيخ الناس (توفي في رمضان سنة 1187هـ) وسيدي أحمد وسيدي بوبكر (أبناء الحاج سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغبدي) وسيدي أحمد وسيدي المختار (ابني شيخ الناس) سكنوا بلاد فيتَه من بلاد السودان فأدركوا فيها رفعة وقدرا جليلا. فلما خلت بلاد فيتَه بفتنة أحمد لبو الفلاني استقلوا بقرية من قرى فيتَه اسمها باسكنو واحترمهم إيفلان وصاروا ملجأ لجميع أولاد داود بالميرة وحفظ من أتاهم منهم من عدوه». انظر، صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص 58.

[590] بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، مرجع سبق ذكره، ص71.

[591] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص273.

وقام الحاج عمر بإطلاق سراح من أسر في هذه المعركة من الماسنيين وتسريحهم إلى بلادهم.

وواصل الحاج عمر جهاده فهاجم إمارة ڇانگوتا الوثنية بينما كان أميرها سونانكورو خارجها يقاتل بعض جيوش الحاج عمر في أطراف كارته وفتحها.

4- رجوع الحاج عمر إلى فوتا تورو:

ورأى الحاج عمر أنه بات بحاجة إلى زيادة أعداد جيشه، فقرر العودة إلى بلاده الأصلية فوتا تورو لطلب المدد منهم لكونهم أهله وعشيرته، فكلف قائده ألفا عمر بن تشيرنو بالرجوع إلى مدينة انيور عاصمة الحاج عمر في تلك الفترة ليكون خليفته على البلاد حتى يعود، ووزع القواد على الثغور والمناطق المفتوحة ثم قفل راجعا إلى فوتا تورو. وخاض الحاج عمر في طريق عودته عدة معارك، وقام أحد أجنحة جيشه بمهاجمة الفرنسيين بمحطة مدينة خاسو قرب حوض نهر السينغال المحصنة، لكن قائد المحطة الكولونيل بول هول هزمه بعدما فقد عددا كبيرا من الرجال. وعاد جيش الحاج عمر الفوتي في 18 شوال 1273هـ (11 مايو 1857م) إلى محاصرة مدينة خاسو في ستة آلاف رجل، واستمر الحصار حتى هطلت الأمطار وامتلأ النهر، فجاء فيدرب في سفينة عسكرية إلى خاي، وهاجم بخمسمائة رجل مجهزين بأسلحة حديثة جيش الحاج عمر في 26 ذي القعدة 1273هـ (18 من يوليو 1857م) فانهزم الحاج عمر بسبب تفوق الآلة الحربية الفرنسية، وكثر القتل والأسر في صفوف الجيش العمري، «وعلم الشيخ وقتئذ ضعف المسلمين عن مقاومة جيش فرنسا لكثرة الجرحى من جيشه والشهداء[592]».

واحتك الحاج عمر خلال هذه الفترة بإيدوعيش الذين كانوا يسيطرون على التجارة في محطة "باكل"، وجرت بينه وبين أميرهم بكار بن اسويد أحمد مراسلات.

وواصل الحاج عمر طريقه إلى فوتا تورو، مستمرا في غزو المناطق التي يمر بها، واكتتاب المستعدين للجهاد من المسلمين وإرسالهم إلى انيور حتى وصل إلى گانجور أوائل شعبان 1274هـ (أواخر مارس 1858م)، فجاءه أهل بوندو فزين لهم الالتحاق بانيور قائلا إن أرضهم أصبحت أرضا للنصارى فلا تصلح لهم مجاورتهم، فاستجاب له بعضهم وتلكأ بعضهم، فقام بشن الغارة على من لم يستجب له منهم، وغنم

---

[592] المرجع نفسه، ص293.

مدفعين كبيرين من مدافع الفرنسيين انجلوا عنهما خلال اشتباك خاطف وقع بين الحاج عمر الفوتي وحاكم بوندو المامي بوبكر الذي أعانه الفرنسيون على الحاج عمر.

وبعث الحاج عمر بمن قبل الهجرة من أهل بوندو إلى انيور، ثم واصل طريقه فمر بهردلدي، قبل أن يحط الرحال بهوري فودي في أوائل ذي الحجة 1274هـ (أواسط يوليو 1858م). وهناك جاءه رؤساء فوته وأعيانهم فخطب فيهم وحرضهم على الهجرة إلى عاصمته الجديدة انيور لكون بلادهم أصبحت دارا للنصارى يجب تركها، فاستجاب له عدد منهم فبعث معهم أخاه تشيرنو بوبكر إلى انيور. وبقي الحاج عمر في هوري فودي حتى انسلخ الخريف[593]، ثم ارتحل منها في دجمبر قاصدا تورو.

5- الحاج عمر يعود إلى انيور وجيشه يستأصل سلطان أولاد امبارك:

وبعدما أقنع الحاج عمر من استطاع إقناعه بالهجرة من أهل فوته قفل راجعا إلى انيور، وفي طريق عودته مر بقرب ماتام فأمر بعض رجاله بالإغارة على بعض القرى المتحالفة مع الفرنسيين فأغاروا عليهم يوم 9 إبريل 1859م (5 رمضان 1275هـ)، ومر جيشه بموضع تصل إليه فيه أسلحة الفرنسيين فقاموا بإطلاق النار عليه فقتلوا أفرادا من جيشه، فلم يلتف الحاج عمر إلى ذلك وواصل طريقه[594]، لأنه كان يدرك أن ميزان القوى لم يسمح له بعد بمجابهة الفرنسيين. وكان الوالي الفرنسي فيديرب يناصبه العداء، ويشير في مراسلاته أن الحاج عمر لا يريد من وراء تأسيس دولته إلا طرد الفرنسيين من السينغال.

ونزل الحاج عمر وجيشه بگيمو، وصالحه أهل گيدي ماغه بالمال، وترك فيهم حامية من جيشه أمر عليها حفيده سري آدما، وجعل لها بيت مال لتكون بوابة للمهاجرين من فوتا تورو إلى انيور.

«وأثناء مرور الجيش بگيمو سمعوا أن سلطانا من سافاربه [=البيضان] يقال له هنون قد جاء ليقاتلهم، فركبوا ووقعوا على جيشه فهزموه، وقتل هنون فغنم الجيش العمري ما وجد معه من إبل وخيل عراب[595]». ووصل الحاج عمر إلى انيور يوم الخميس 27 ذي الحجة 1275هـ (28 يوليو 1859م).

---

[593] موسم الأمطار.

[594] المرجع نفسه، ص332. وقال: إن الفرنسيين أطلقوا النار على جيش الحاج عمر كذلك عندما حاذوا محطة باكل، وأن الشيخ لم يرد على استفزازاتهم.

[595] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص54.

وخلال رحلة الحاج عمر هذه خضد صمبني وجيش الحاج عمر الفوتي المساند له شوكة أولاد امبارك وحلفاءهم من البيضان، وتمكنا بعد معارك دامية من الوقوف في وجه أهل بهدل الذين كانوا يحاولون إحياء سلطنتهم بمساعدة أمير فاته المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار، وتشتيت جيوشهم.

وشن جيش الحاج عمر الفوتي وصمبني الغارة على كل ذي علاقة بأولاد امبارك من القبائل المحاربة أو من الزوايا كتنواجيو طلبة (أشياخ) أولاد امبارك، الذين أغاروا عليهم سنة 1273هـ/ 1856م، وقتلوا منهم رجالا منهم اثنان من أهل الطالب أحمد بن محمد راره. ثم أغاروا عليهم في السنة التي تليها فقتلوا جميع من وجدوا من الرجال[596].

ودحر هذا الجيش فات انغلي ومن معهم من أولاد امبارك في وقعة "تيمزين"[597] في جمادى الثانية سنة 1274هـ (1858م)، حيث قتل أميرهم المختار الصغير وسادة فرسانهم، وسبى نساءهم وذراريهم، ثم كر عليهم بعدما تأمر ابنه بادي بن المختار الصغير فهزمهم بعد معارك ضارية، ونهب أموالهم، وقام بسبي نسائهم.

وتمكن الأمير الامباركي أعمر بن عثمان بن هنون خلال هذه المعارك من مهاجمة جيش الحاج عمر الفوتي بغتة في سنفاخه، وإرغامه على الفرار إلى چونگوي، لكن جيش الحاج عمر تلقى تعزيزات جديدة تمكن بواسطتها من إرغام أولاد امبارك على الانكفاء نحو باغنه، قبل أن يضطرهم إلى التوجه باتجاه الشمال، فلم يزالوا بتلك النواحي حتى أواخر 1277هـ (منتصف 1861م) فعادوا إلى أرضهم بعد صلح وقعوه مع مصطفى الهوصي أحد قواد الحاج عمر الفوتي[598]. وأدت هذه الحروب إلى تلاشي ملك أولاد امبارك في المنطقة، بينما أدى استرقاق جيش الحاج عمر للسبايا من نساء البياضين وتكاثر هذه السبايا وتعدد قبائلها إلى إعادة بعض الزوايا النظر في مساندتهم للجهاد العمري[599]، لاسيما مع مصادرة الحاج عمر الفوتي لبعض زروع الزوايا بحجة أن الجيش الإسلامي في حاجة إليها[600].

---

596 المرجع نفسه، ص165.

597 المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص134.

598 پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، مرجع سبق ذكره، ص258-259.

599 قال العالم والشاعر سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجه التيشيتي الذي رحل إلى الحاج عمر الفوتي فانخرط في سلك دولته يخاطب أبناء جنسه من البيضان ويحثهم على مبايعة الحاج عمر الفوتي حتى لا تتعرض نساؤهم للسبي:

«وأخاف يا بيض الجلود عليكم   إن لم تفيؤوا عاجلا أن تغنموا

واصطدم جيش الحاج عمر الفوتي فضلا عن أولاد امبارك بأولاد يونس وأولاد داود وغيرهم من بني حسان المتواجدين في المنطقة[601].

وعلم الحاج عمر لدى عودته إلى انيور أن كارونكا، وهو أحد الأمراء الذين تم إخضاعهم سابقا، قد تمرد، وأخذ يحشد الجيوش ويغير بها على خليفته ألفا عمر بن تشيرنو بيلا، ويقطع الثغور، وبلغه أنه تحزب مع مناوئيه من مختلف القبائل، ومعه ملك سيگو في ذلك، وأن أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد بن حمدي لبو يؤيدهم ويغريهم على محاربته وإخراجه من تلك الأراضي، فخرج من انيور يوم 14 صفر 1276هـ (12 سبتمبر 1859م) مقتفيا آثار كارونكا، وعلم خلال مطاردته له في باغنه أن الفرنسيين أغاروا في 18 ربيع الأول 1276هـ (15 اكتوبر 1859م) على گيمو، وقتلوا حفيده سيري آدما وهزموا جيشه وأسرا ألفا وخمسمائة رجل، «فأرسل الحاج عمر إلى فيديرب، وتصالحا على أن يكون النهر حدا بينهما، فما كان عن يسار النهر إلى المشرق للشيخ، وما كان عن يمينه إلى المغرب للحاكم الفرنسي، وتعاهدا على ألا يقع أحدهما على الآخر[602]».

وفي الرابع والعشرين من ربيع الثاني 1276هـ (20 نفمبر 1859م) هاجم الحاج عمر إمارة ماديكويا التي لجأ إليها كارونكا ففتحها، وقتل ملكها كتلا وجميع رجالها، وسبى نساءها، بينما خرج منها كارونكا هاربا.

فينال بيض بناتكـــم ذل السبا ويعمهن هـــوان فيء يقسم
فيكن من بعض المقاسم عرضة إما لبيع واتخـــــاذ يهضم
ويقلن يا ويلاتنا مــــا بالنا صرنا سراري أسودين أنظلم
فيقال متن بغيظكن وقـــرن في هذا الـهوان فقومكن الظلم».

[600] أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، مرجع سبق ذكره، ص39. وأضاف: «ولما كان فتح كارته وباغنه إيذانا بالاحتكاك الفعلي بين الحاج عمر وبلاد شنقيط، واختبارا لما يشكله الجهاد العمري من تهديد للبنية السياسية والاجتماعية والفكرية الشنقيطية، كان من الطبيعي أن تتباين المواقف منه بتباين منطلقات أصحابها ومواقعهم واتجاهاتهم. وقد صور أحمد بن بدي –صاحب كتاب الدرع والمغفر- هذا التحول في موقف الزوايا، إذ قال مخاطبا الحاج عمر: واعلموا أن الزوايا كانوا في غاية الاعتقاد، مسرورين بقدومكم البلاد، لأن النصارى دمرهم الله أفسدوا في الأرض أي إفساد، ونهبوا الأموال وأخذوا النساء والأولاد، يغيرون ويعيثون، ولا صاد يصدهم عما يريدون.. فصار الزوايا شاة بين ذئاب، بحيث لا تسمع أصوات الكلاب، فلما وقع من أمر الجيش ما وقع، من أخذ أمتعتهم والزرع، أنشدوا بلسان حالهم وإن لم يقولوه بلسان مقالهم:

ياويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد».

[601] بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، مرجع سبق ذكره، ص34.

[602] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص333.

وأغار أهل بليري على جيش الحاج عمر بماديكويا فوجدوه متهيئا للحرب، ثم جمع له أهل سيگو جيشا ضخما يقوده بونوتا فهاجموه في السادس والعشرين من جمادى الثانية 1276هـ (19 يناير 1860م) فتمكن من صد الجيش.

وجهز الحاج عمر جيشا أمر عليه عبد السلام فتوجه إلى الصحراء فأغار على من وجد من البيضان الذين سكنوا الصحراء خوفا من الحاج عمر فقتل منهم خلقا.

وارتحل الحاج عمر من ماديكويا، وخاض عدة معارك في نواحي سيگو وظفر بكارونكا فقتله، وتقدم إلى جامنا ففتحها.

وبلغ عالي بن ماصه البمباري ما قام به الحاج عمر فجهز الجيوش لحماية إمارته (سيگو)، وتقدم الحاج عمر إلى مدينة ويتاله المحصنة فحاصرها، وقام بإطلاق الذخيرة من المدفعين الفرنسيين اللذين غنمها في بوندو لبث الذعر في نفوس مناوئيه، وهي حيلة دأب عليها جيش الحاج عمر خلال معاركه الحاسمة مع السكان الذين لم يعتادوا سماع أصوات مثل هذا النوع من الأسلحة. وتمكن الحاج عمر من فتح ويتاله يوم الأحد 22 صفر 1277هـ (9سبتمبر 1860م)، بعد ثلاثة أيام من الحرب، وبعد خسائر جسيمة تكبدها الطرفان، وقتل فيها تتا بن عالي بن ماصه. وارتحل الحاج عمر إلى صنصندي (سانساندي)[603] فدخلها من غير قتال، وأقام فيها في انتظارا انتهاء موسم الأمطار وهبوط مياه النهر.

6- استنجاد عالي بن ماصه بأحمد بن أحمد الماسني والشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي:

ولما وصلت إلى عالي بن ماصه نتائج معركة ويتاله، وعلم بنزول الحاج عمر صنصندي أرسل إلى الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي في تنبكتو يستنجد به فكتب إليه الشيخ سيدي أحمد البكاي: «اعلم يا عالي أني لكم في أمر شديد، إذ أنتم كفار وعدوكم مسلم، إن أعنتكم خفت، وإن لم أعنكم كانت مصيبة.. والحاصل يا عالي أني لكم معين بكل وجه جائز[604]». كما أرسل عالي بن ماصه إلى أمير ماسنه أحمد بن أحمد بن حمدي لبو يخبره بما حل بمملكته، ويستنجد به، ويعلمه بأنه اعتنق الإسلام، فوعده أحمد بمناصرته، وأمره ببناء مسجد يظهر به إسلامه.

---

[603] المرجع نفسه، ص365.

[604] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص96.

وراسل أمير ماسنه الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي يستشيره بشأن هجوم الحاج عمر الفوتي المتوقع على سيگو فكتب إليه الشيخ سيدي أحمد البكاي: «لا تترك سيگو للحاج عمر، لا تتركه له. ولو قالها لك كل عربي وكل فلاني فلا تسمع لهم. لا تسمع لهم، مسلمين كانوا أو كفارا، بل اجعلهم مسلميك أو كفارك ولا تتركهم للحاج عمر، فإنه إن ملك سيگو عنك وصار له قوة ذلك الإقليم كله، من خيله، ورجله، وماله، وذهبه، وودعه، ونعمه، وزرعه، فما تصنع أنت حينئذ وفي أي شيء تشتغل؟ ثم أتراه يقعد عنك ولو قعدت عنه؟ ولو صح ذلك وهو لا يصح لجاءه أهل أرضك يهرعون إليه.. فاصدع بما تنوي وتريد، وأظهره قائما جهارا، واجمع قومك عليه، فإني لا أخاف عليك منه، فإنك تبارك الله أكثر منه جمعا، وأشد منه قوة، وأجرأ أبطالا، مع أنك ولله الحمد تجد ما لا يجده، فإنك تجدني لك عليه، ولا يجدني له عليك، وهي فضيلة إن لم تضيعها لم يضع لك شيء.. فقل له إنك قد أجرت هؤلاء الكفار، أو هؤلاء المسلمين، واطلب منه طلب المسلم إلى أخيه المسلم أن يدعهم لك، فإن تركهم حصل المطلوب، وإلا فقل له إني غير تاركهم لك، وإني على ذلك لا أريد قتالك، فادعه إلى الشرع، فإن استجاب لك أو نازعك في ذلك أحد من الفلان من قومك أو من غيرهم فاكتب إلي حينئذ، فإني أكتب لك كتابا من العلم الصحيح لا يجد الحاج عمر ولا أحد من الفلان ولا من العجم كلهم ولا من العرب محيدا ولا محيصا عنه، ولا يدري ما يقول فيه إلا أن يسلمه[605]».

وكتب أمير ماسنه أحمد بن أحمد بن حمدي لبو إلى الحاج عمر الفوتي رسالة جاء فيها: «من أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد.. إلى الأخ الفقيه الحاج عمر بن سعيد.. أما بعد فقد بلغنا على ألسنة الواردين بحيث صح لدينا أنك حللت صنصندي ودخلتها بعدما بلغك أنهم بايعونا وأنهم من سائر رعتنا لشهرة ذلك وشيوعه، وعلم العام والخاص بوقوعه فساءنا منك ما بلغنا عنك إذ أنت المعتقد المرموق، المقتدى به بين الناس الموثوق، فإذا صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل، والأخذ في إثارة الفتنة وإحياء الأباطيل، اتخذك أهل الأهواء حجة في ذلك، وذريعة إلى ما هنالك، فعاثوا وأفسدوا وأضلوا.. هذا على أنا نراك تتسلل تسللا، وتسر الحسو في الارتغاء إلينا، فقد تعرضت لنا دون أهل باغنه وهم بغاتنا، إذ كلهم داخلون تحت بيعتنا من رئيسهم المختار [الصغير بن سيدي أحمد بن المختار أمير أولاد امبارك] إلى مرؤوسهم صمبني وغيره كما يعلم كل أحد، فصمبني بغى بغير سبب.. وقد علمت أن لنا قتال الباغي.. فيا ليت شعري بما استحللت قتالنا معه؟ فأعرضنا عنك خوفا من الله تعالى في إثارة الفتنة بين المسلمين لا خوفا منك لأنا لا نراك تجاهد وتغلب إلا من

[605] المرجع نفسه، ص96-97. وانظر، أضواء على الحاج عمر الفوتي من خلال المخطوطات العربية، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، مرجع سبق ذكره، ص217.

وجدتنا غلبناه من باغنه إلى هنالك.. والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا، وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك، ويكون أهل صنصندي مبايعين فإن قبلت تركهم جعلك الله من القابلين، فعسى الله أن يجمعك عليه، ويأخذ بناصيتك إليه فتترك إثارة الفتنة بينك وبين إخوانك، فالجواد يكبو والصارم ينبو، فتدارك ما فرط منك، ولا تعرض عن الله فيعرض عنك، فلا بد للعبد من ربه في جميع الأحوال، وإن أصررت على ذلك وتماديت فيما هنالك، ورضيت بتحمل دماء المسلمين في عنقك، ولم تبال بنهي خالقك، ومليك رقك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومن أنذر فقد أعذر، وجاز دفع صائل ولو بقتل بعد الإنذار[606]».

فأجابه الحاج عمر برسالة جاء فيها: «منا إلى أحمد بن أحمد وجماعته من الماسنيين.. أما بعد فقد وردت علينا رسالة من جهتكم.. أما القول بمبايعة أهل صنصندي إياكم، وكونهم من رعيتكم، وأن ذلك اشتهر، وعلمه الخاص والعام وانتشر، فالجواب فيه أنا ما سمعنا بهذه البيعة، ولا طرقت سمعنا هذه الوقعة، فما كانت قبل هذه المقالة، ولا أنشأت إلا في هذه الرسالة، وأحرى أن يعلم العام والخاص بها، فالله أعلم بقصد كاذبها في جلبها، وما زلنا حيث فتح الله لنا حتى أتتنا مكاتيبهم بأنهم يأمروننا بإنقاذهم من مغربهم ومشرقهم..

وأما قول هذا الكاتب: تتسلل إلينا..إلخ فجوابه أنا لا نظن أننا في محاربة الكفار، ومحاولة قطع دابرهم متسللين إليكم إلا بعد تحقيق أنكم وهم على حد سواء، أعاذكم الله من ذلكم..

وأما تعرضنا دون أهل باغنه وأنهم تحت بيعتكم جميعا، فقد علم كذبه عند عامة من يعرفها إذ حين إتياننا إليها وجدناها على ثلاثة أقسام: قسم كفار محضا، وقسم منافقون رفضوا الدين رفضا، وقسم مسلمون وأهم أقل قليل تحت هذين القسمين، ولا نعلم مبايعة إسلامية تعم جميع هؤلاء، وإلى الآن ما تعرضنا دونهم بل دون أنفسنا وحريمنا، وضعاف قومنا فيا ليت شعري ما الموجب إلى صولتكم علينا؟..

وأما أنهم بغاتكم فعلى تسليمه فقد أوجب الله عليكم قبل قتالهم قتال من بينكم وبينهم من المشركين الخالصين الذين لم يشوبوا شركهم بزي المسلمين.

وأما أمر صمبني فإن كان بغى عليكم بعدما ارتحل عن وطنه إليكم، فالله يعلم سبب فراره منكم إلى قراره.

[606] المرجع نفسه، ص367-368، وقد اقتصرنا منها على المهم، وما بين المعقوفتين توضيح من طرفنا.

وأما قوله: والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا فهو من أمهات العجب وأغرب الغرائب، كيف يصح إسلامهم وهم والله اليوم على كفرهم.. ولكن الحق أن أهل سيگو الآن لم يبق منهم والحمد لله إلا عالي هذا وحده بلا عيال، وأيقن بالتهلكة، وذهاب المملكة، فأراد أن يتخذكم عضدا دون كفره، ويوقع الحرب بينكم وبين إخوانكم المسلمين ويبقى على نكره، فأعطاكم الأموال فقبلتموها، واتخذ لكم كذيبة بلسانه فأفشيتموها..[607]».

7- اشتباك جيش الحاج عمر الفوتي مع مشظوف:

وفي هذه الأثناء جهز الحاج عمر جيشا بقيادة قائده عبد السلام، فاشتبك مع مشظوف في يوم عرف بيوم "تاغطافت" (سنة 1277هـ/ 1861م)، انتصر فيه مشظوف على جيش الحاج عمر الفوتي، وقتلوا قائده عبد السلام وعددا كبيرا من رجاله، وكان مع الجيش الفوتي في هذا اليوم الاغلال[608].

8- تجدد المواجهة مع ماسنه:

وبعث أمير ماسنه بجيش جديد إلى الحاج عمر أمر عليه عمه با لوبو بن بوكر بن حمدي لوبو، وبعث برسالة جديدة إلى الحاج عمر جاء فيها: «إما أن تبايع وتدخل تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك، وإما أن ترحل وترجع إلى حيث أتيت، وأجلنا لك ثلاثة أيام حتى تطوي فيها أمتعتك، وإلا سأبعث إليك خيلا جردا ورجالا مردا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال مثلك[609]»، فأجاب الحاج عمر بأن «أحمد بن أحمد قد كفر بكذبه على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أن النبي أمر بقتلي واستحل بذلك دمي ودماء المسلمين معي[610]».

وعسكر جيش با لوبو على الضفة الجنوبية لنهر النيجر، فخرج إليه الحاج عمر والتحم الفريقان، ودارت بينهما مواجهة شرسة انهزم على إثرها الماسنيون ومن معهم. ورجع الحاج عمر إلى صنصندي، فلما أحس بأن جيش با لوبو قد ابتعد قافلا إلى ماسنه

---

[607] المرجع نفسه، ص369-378، وقد اقتصرنا منها على المهم.
وللحاج عمر الفوتي كتاب يدعى "السيف الحق المعتمد فيما وقع بيني وبين أحمد بن أحمد" تطرق فيه إلى عدد من المراسلات التي جرت بينه وبين أمير ماسنه، وذكر فيه طرفا من هذه الرسالة. وقال فيه: «اعلم أن أحمد بن أحمد هذا وجه إلينا خمس وثائق: الأولى منها قدمت علينا في انيور، والثانية قدمت علينا في سابوسيري، والثالثة والرابعة والخامسة قدمت علينا ونحن في صنصندي».

[608] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص271.

[609] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص57.

[610] الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر، مرجع سبق ذكره، ص385.

توجه إلى عاصمة سيگو سيكورو، ففر ملكها عالي بن ماصه وأتباعه من وجهه، واستولى الحاج عمر على دار ملكه في شعبان 1277هـ (مارس 1861م). ثم جعل يبعث السرايا الواحدة تلو الأخرى خلف عالي بن ماصه فلم يظفروا به حتى دخل أرض ماسنه. واتصلت بعد فتح سيگو سيكورو بلاد الإسلام بهذه النواحي بعضها ببعض، إذ لم يعد بين أراضي البيضان وماسنه وفوتا چالون بعد فتحها أي جيوب وثنية.

وأرسل الأمير الماسني أحمد بن أحمد إلى الحاج عمر بعد فشل صولات جيوشه «يدعوه إلى المصالحة بالمتاركة والحفر والردم لكل منهما فأبى الشيخ عن ذلك قائلا: بل لا يكون بيني وبينه إلا الشريعة المحمدية فإن أهدرت دماءنا أو ذبحت كل واحد منا فلا كلام[611]».

وقام الحاج عمر بتجهيز جيشه والارتحال باتجاه العاصمة الماسنية حمد الله، وفي الطريق إليها توفي صمبني مريضا، ودخل الحاج عمر حمد الله عنوة بعد قتال شديد دام عدة أيام في ذي القعدة 1277هـ (مايو 1862م). وجرح الأمير الماسني أحمد بن أحمد بن حمدي لبو في هذه المعارك فذهب به عبيده في سفينة فأرسل الحاج عمر فرسانا يقودهم ألفا عمر بن تشيرنو بيلا فأدركوه وقتلوه.

9- التحاق الماسنيين بالشيخ سيدي أحمد البكاي وتجدد الحرب:

وبعد بضعة أشهر من المكوث في حمد الله أرسل الحاج عمر إلى ابنه أحمد فاستخلفه، وجمع له كبراء جنده من أهل فوتا تورو وأهل فوتا چالون فبايعوه، ثم دعا له سادة ماسنه فبايعوه وهم كارهون، لإحساسهم بأن هذه البيعة ستؤدي إلى خروج ملك ماسنه من أيديهم.

وبعدما تمت البيعة عاد أحمد بن الحاج عمر إلى سيگو لتنظيم أقاليم الدولة الغربية، بينما بقي الحاج عمر في ماسنه لتوطيد أركان حكمه بها. غير أن الوضع لم يستتب له، فقد جعل سادة الماسنيين يتناجون سرا لمجابهة الحاج عمر، وكاتبوا الشيخ سيدي أحمد البكاي رئيس أهل تنبكتو وشيخ الطريقة القادرية بالمنطقة التي هي في الأصل طريقة أهل ماسنه طالبين منه النجدة، وواعدين إياه بالعدول عن الطريقة التجانية التي نشرها الحاج عمر في المنطقة[612]، فكتب الشيخ سيدي أحمد البكاي رسالة

[611] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص60. والمصالحة بالمتاركة والحفر والردم لكل منهما تعبير عن طي ما فات وعدم نبشه وبدء صفحة جديدة.
[612] پول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص104.

إلى الحاج عمر يقول له فيها: «الواجب عليك تسليم إمارة ماسنه لبا لوبو[613]»، فقام الحاج عمر تحسبا للوضع بسجن خمسة عشر من سادات ماسنه على رأسهم با لوبو، وذلك في أوائل مارس 1863م (منتصف رمضان 1279هـ). لكن أخوات المسجونين قدمن ما لهن من الحلي رشوة لأحد متولي إطعام السجناء فاحتال لهم حتى مكنهم من الهرب من السجن في أواخر نفس الشهر (صدر شهر شوال 1279هـ).

وجهز الحاج عمر جيشا من ثلاثة آلاف رجل بقيادة أرطو علي لتعقب الفارين الذين بلغهم أنهم في قرية نامنجي، فلما وصلوا إليها وجدوهم قد التحقوا بالشيخ سيدي أحمد البكاي، ثم داهم الماسنيون والكنتيون جيش أرطو علي فألجأوه إلى نامنجي وحاصروهم، فأرسل الحاج عمر جيشا بقيادة ألفا عمر بن تشيرنو بيلا في ثلاثة آلاف رجل أخرى لفك الحصار عنهم، فتمكن من ذلك، لكن الجيش الكنتي الماسني كمن لهم في الطريق واشتبك معهم فدارت الدائرة على الفوتيين الذين فني منهم عدد كبير في هذه المعركة، وقتل قائدهم المغوار ألفا عمر بن تشيرنو بيلا. وكان وقع هذه المعركة ثقيلا على الفوتيين.

ثم جهز الحاج عمر جيشا لجبا فيه خيرة أبطاله وأمر عليه ألفا عثمان، فسار بالجيش حتى التقى بالجيش الماسني الكنتي، واصطدم الفريقان، لكن الدائرة دارت بعد معارك طاحنة على الفوتيين الذين قتل منهم خلق كثير أيضا، من بينهم قائد الجيش ألفا عثمان.

10- نهاية الحاج عمر الفوتي:

وزحفت كنته وماسنه إلى الحاج عمر في حمد الله فحاصروه حصارا شديدا من أواخر 1279هـ (1863م) حتى نفدت الأقوات، فأرسل الحاج عمر ابن أخيه التجاني بن ألفا أحمد لطلب النجدة. وبعد ثمانية أشهر وثمانية عشر يوما من الحصار خرج الحاج عمر وبعض رجاله برأي من بعض الفوتيين من حمد الله ليلة الأحد 28 شعبان 1280هـ (8 فبراير 1864م)، ومر بالمحاصرين وهم نيام فلم يعلموا بخروجه حتى الصباح، فتبعوه وأدركوه بجبل دگمبيري فدخل في غار بالجبل، ودخل معه فيه ابنه محمد الماحي ورجل آخر، فأوقد الكنتيون النار على باب الغار ومن حول الجبل فتوفي

[613] الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر، مرجع سبق ذكره، ص488.

الحاج عمر جراء ذلك، يوم الجمعة الثالث من رمضان 1280هـ (12 فبراير 1864)[614].

11- مآل الدولة بعد رحيل الحاج عمر الفوتي:

وعلم التجاني بن ألفا أحمد الذي رجع يوما واحدا بعد حادثة الغار بما وقع، بينما كان عائدا بالنجدة، فهاجم جيش الكنتيين ليلة عودته فانتصر عليه وطارده حتى السحر، ثم رجع إلى جيش الماسنيين الذي يقوده با لوبو فهزمه كذلك.

وبينما كان التجاني يحارب الماسنيين والكنتيين الذين اختلفوا وافترقوا توفي الشيخ سيدي أحمد البكاي في فبراير 1865م (رمضان 1281هـ) فاستغل التجاني ذلك كي يجتاح إقليم ماسنه ويوطد سلطانه فيه[615]. وتطلب هذا الأمر من التجاني عدة أعوام فقد قاد عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي كنته وحلفاءه من البمباريين حربا ضروسا ضد أنصار با لبو الماسني فهزمهم وشتتهم، واستقر في فندينا. وقام ابن عمه عابدين بن البكاي النتيني الذي كان أبوه قائدا عسكريا مع عمه الشيخ سيدي أحمد البكاي بإعلان نفسه أميرا على ماسنه مظهرا معارضة عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي، لكن هذا الأخير تغاضى عنه وانسحب إلى إقليم مونيمبى البمباري. ونجح التجاني في إفشال مشروع عابدين بن البكاي النتيني بعدما هزم قائده وابن عمه بابحمد بن سيدي علواته[616].

وبنى التجاني مدينة بنجگارا واتخذ منها عاصمة له، وكان سائسا مقداما، دينا متواضعا، استمر في حكم تلك الناحية أربعا وعشرين سنة، ظل خلالها يقارع الكنتيين والماسنيين حتى توفي وله ثمان وأربعون سنة، وأوصى بالإمارة لسعيد بن حبيب بن سعيد ابن أخ الحاج عمر لما توسم فيه من الديانة والعدل والصلاح. ولم يدم حكم سعيد هذا أكثر من ثلاثة أشهر، فاختار أهل بنجگارا محمد المنير بن الحاج عمر أميرا لهم[617].

وخرج عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بعد وفاة التجاني في جمع من كنته والفلان وبمباره ليزور ضريح والده في ساريدينا، واتجه باتجاه جني فصده أنصار

---

[614] المرجع نفسه، ص509.
[615] پول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سبق ذكره، ص107.
[616] المرجع نفسه، ص110.
[617] الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر، مرجع سبق ذكره، ص492.

التجاني، ثم لحقوا به عند المراح قرب نهر النيجر فقتلوه مع عدد من رجال كنته منهم ابن عمه بابحمد بن سيدي علواته سنة 1889م (1316هـ) فتلاشى نفوذ كنته في منطقة حكم خليفة التجاني محمد المنير بن الحاج عمر على إثر ذلك[618].

أما أحمد بن الحاج عمر وإخوته فواصلوا فور وفاة والدهم (1280هـ/1864م) تدبير الدولة الشاسعة التي ترك لهم أبوهم: محمد المنتقى بانيور، ومحمد البشير بجنبوك، ومحمد النور بجافنه، ومحمد العاقب بدينگراي، وأحمد الخليفة العام المسؤول عن كل هذه الأقاليم بسيگو. وتسمى أحمد بأمير للمؤمنين، وقرب عددا من أعلام البيضان من أبرزهم سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجه التيشيتي الذي ارتبط معه بعلاقات خاصة فأصبح من أقرب المقربين إليه، وكان أحد الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يحضرون بصورة مستمرة لقاءات أمير المؤمنين أحمد بالمبعوث الفرنسي أوجين ماج خلال مباحثاتهما التي أفضت إلى توقيع اتفاق يتضمن تنظيم العلاقات السياسية والعسكرية والتجارية بين الطرفين. وقد استشفع المبعوث الفرنسي مرات بسيدي عبد الله التيشيتي لقضاء حاجاته لدى الأمير الفوتي. وقد تولى سيدي عبد الله هذا عددا من الخطط الدينية والعلمية بسيگو فدرس وألف وأم صلاة الجمعة وظل إلى جانب الأمير أحمد بن الحاج عمر حتى توفي حوالي 1300هـ/ 1882م[619]. وبسط أحمد بن الحاج عمر نفوذه على مناطق البيضان القريبة منه، حيث ذكرت الحوليات أن أهل ولاته دفعوا له سنة 1290هـ (1873م) مالا عظيما.

ودخل أحمد في صراع مع بعض إخوته تمكن من حسمه لصالحه، لكن نكث الفرنسيين لعهودهم واستمرارهم في بسط هيمنتهم على السودان الغربي أديا إلى اضمحلال هذه الدولة الفتية، فقد رفض أحمد بن الحاج عمر الدخول تحت بيعة النصارى بأي وجه، ترك سيگو تحت ضغط الاستعمار الفرنسي الزاحف على المنطقة سنة 1884م (1301هـ)، مخلفا فيها ابنه المداني، وتوجه إلى انيور التي أصبحت عاصمة دولته. ودخل الفرنسيون بقيادة القائد أرشينار مدينة سيگو يوم 6 أبريل 1890م (16 شعبان 1307هـ)، فمحوا معالم الدولة العمرية بها، وأمروا عليها أحد أحفاد سلطان بمبارة الأسبق انگولو جارا. وفي سنة 1891م (1308هـ) زحف أرشينار على انيور فاصطدم بجيش أحمد بن الحاج عمر ووقعت بينهما ملحمة من أعظم الملاحم التي جرت بين الفرنسيين وسكان غرب إفريقيا.

---

[618] پول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سبق ذكره، ص112.

[619] أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي والمدرسة التجانية في تشيت، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، مرجع سبق ذكره، ص98-99.

وقرر أمير المؤمنين أحمد بن الحاج عمر الذي استبسل في الجهاد لما سقطت انيور في فاتح يناير 1891م (18 جمادى الأولى 1308هـ) الهجرة، فشرق متجها إلى بنجگارا بأرض ماسنه، وفي طريقه مر أحمد بن الحاج عمر ببادي بن الطالب محمود رئيس أولاد ازعيم (من أولاد يونس) فأكرمه، وأبلغه مأمنه، رغم ما سلف من محاربة جيوش الحاج عمر الفوتي لأولاد امبارك وأولاد يونس، فكافأه أحمد على ذلك بذهب كثير كان يحمله معه[620]. وفي بنجگارا تنازل الأمير محمد المنير عن الإمارة لأحمد بن الحاج عمر. وتذكر حوليات ولاته أن الشريف عينينا بن علال ذهب إلى أحمد بن الحاج عمر في بنجگارا وأقام معه هناك[621]، فقد كان أحمد بن الحاج على غرار أبيه محبا للعلم والعلماء، مقربا للبيضان الشناقطة الذين وصلت نهضتهم الثقافية إلى أوجها خلال هذا العهد، وطبقت شهرتهم الآفاق[622]، مستكثرا من تآليفهم وفتاويهم.

وظل أحمد بن الحاج عمر في بنجگارا حتى وصل إليه الزحف الفرنسي سنة 1893م (1310هـ)، فهاجر منها، بعدما هزمه الفرنسيون إلى سوكوتو بنيجيريا، حيث توفي هناك سنة 1315هـ/ 1898م عن ثلاث وستين سنة، حكم منها سيگو وما جاورها 29 عاما، وعاش في الهجرة منها سبعة أعوام.

وبايع المهاجرون مع أحمد بعد وفاته أخاه محمد البشير. وبنى لهم أمير سوكوتو قرية رحلوا إليها وسموها دار السلام، هي اليوم إحدى أكبر مدن نيجيريا الشمالية، لكن الاستعمار الإنگليزي داهمهم وقام بعد معارك طاحنة بتغريب أميرهم محمد البشير.

واستولى الفرنسيون على كل أقاليم دولة الحاج عمر، وأسروا عددا كبيرا من أفراد أسرة الشيخ وأبنائه، وتمكن محمد العاقب بن الحاج عمر أمير دينگراي، الذي قبل بمصالحة الفرنسيين إبان زحفهم على المنطقة، من تخليص عدد من أفراد عائلة الشيخ من الأسر، وقام الاستعمار الفرنسي بتعيينه، بناء على اتفاق معه، حاكما لبنجگارا مدة عشر سنوات، تمت إحالته بعدها إلى التقاعد.

---

[620] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص169.
[621] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مصدر سبق ذكره، ص379.
[622] راجع للوقوف على أهمية المؤلفات الشنقيطية عند الحاج عمر وابنه أحمد: نور الدين غالي وسيدي محمد مهيبو والويس برينير، جرد المكتبة العمرية بسيگو، نشر المعهد الوطني للبحث العلمي (بفرنسا)، باريس، 1985.

النهضة الثقافية لبلاد شنقيط

أصبحت بلاد شنقيط خلال القرون الثلاثة الأخيرة التي سبقت مقدم الاستعمار الفرنسي (11 و12 و13هـ/ 17 و18 و19م) مركز علوم إسلامية غزيرة، وثقافة عربية واسعة، أثمرها تراكم قرون عديدة من انتشار العلم في هذه البلاد. فقد عرفت بلاد شنقيط في عهد المرابطين أول سعي لها نحو التعمق في تعلم العلم والتقيد به، مع مرشدها ومعلمها الأول عبد الله بن ياسين الجزولي (المتوفى 451هـ/ 1059م)، الذي استقدمه يحيى بن إبراهيم الگدالي في فجر دولة المرابطين، فكان إماما ومعلما ومربيا للمرابطين، مدة يحيى بن إبراهيم، ويحيى بن عامر، وصدرا من ولاية أبي بكر بن عامر.

ولما تنازل هذا الأخير لابن عمه يوسف بن تاشفين عن المغرب الأقصى بعد أن أخضع بعضه، رجع أبو بكر بن عامر إلى الصحراء، واصطحب معه من أغمات أوريگه الإمام أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المتوفى سنة 489هـ/ 1096م بآزوگي آدرار، فنشر العلم بهذه الربوع وألف لأمير مرابطي الصحراء محمد بن يحيى بن عامر اللمتوني[623] كتاب "الإشارة في تدبير الإمارة"[624].

كما اصطحب أبو بكر بن عامر معه كلا من إبراهيم الأموي، وعبد الله بن أبي بكر الزينبي، وعبد الرحمن الركاز (أجداد قبائل المدلش وإيدغزينبو وتركز المعروفة اليوم)، فكان هؤلاء الثلاثة يفتون الناس ويعلمونهم العلم. وكان إبراهيم الأموي يعلم الفقه ويقضي في مجلس الأمير، فكان هؤلاء عونا على انتشار العلوم الدينية في قبائل بلاد شنقيط، «مثل المدلش الذين كان الغلام منهم يحفظ المدونة قبل بلوغه، ومثل تجكانت في قرية تينيگي من آدرار، قيل إنه كانت توجد فيهم ثلاثمائة جارية تحفظ موطأ مالك، فضلا عن غيره من المتون، وفضلا عن الرجال، ولهذا قيل العلم جكني،

---

[623] ابن بسام، الذخيرة، مرجع سبق ذكره، ص119.

[624] ألف الإمام الحضرمي عدة مؤلفات ضاعت باستثناء هذا الكتاب، وهو مطبوع، وكتاب موجود بمكتبة القرويين بفاس تحت عنوان "اختصار تنبيه الأنام"، وتوجد نسخ منه في بعض المكتبات الشخصية بالبلاد.

وكذلك كان الأمر في سائر قبائل الزوايا الذين كان جمهورهم في ذلك العهد في آبير [شنقيط الأولى][625]».

ثم جاء الشريف عبد المؤمن مؤسس قرية تيشيت، وجد شرفائها المعروفين، ومعه الحاج عثمان جد بعض بطون إيدوالحاج، وأحد مؤسسي قرية ودان، «وكانا قرآ على القاضي عياض المتوفى في مراكش سنة 544هـ/ 1149م، وكانا يسكنان أغمات، فانتشر عنهما العلم، واتسع نطاقه قرونا عديدة في القريتين[626]».

وقدم يحيى الكامل (جد قبيلة المحاجيب الحالية) على ولاته خلال القرن الثامن للهجرة (13م) فانتشر على يده علم كثير في تلك النواحي، كما قدم بعد ذلك بقليل الشيخ التواتي سيدي علي بن سيدي يحيى إلى منطقة الشمال الشنقيطي فعلم العلم وأرشد إلى الدين، وتزوج في ابدوكل حيث ولد له ابنه الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي رحل إلى خارج البلاد يطلب العلم، وعاد بعدما أصبح شيخا مقدما في مختلف الفنون، وتزوج في قرية تينيگي التي كانت تشهد في ذلك العهد ازدهارا علميا وثقافيا كبيرا.

واشتدت عناية الشناقطة بالعلم، واستجلبوا المتون من بلاد الإسلام، وعني الطلاب بدرسها، والعلماء بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها، فبدأت خلال القرن الثامن الهجري (14م) في حواضر آبير، وولاته، وتيشيت، وودان، وتينيگي، وتنبكتو بوادر حركة ثقافية تمخضت خلال القرن العاشر للهجرة (10هـ/ 16م) عن انتشار كبير للمحاظر (المدارس) العلمية في كل مختلف القرى والبوادي، وعن حركة تأليف واسعة، أول ما حفظ لنا التاريخ من ثمارها البارزة مؤلف "موهوب الجليل شرح مختصر خليل" لمحمد بن أبي بكر الحاجي الوداني الذي كان حيا سنة 933هـ (1526م).

وكانت الثروة العلمية للبلاد تزداد بواسطة رحيل الشناقطة إلى المغرب وإفريقية ومصر لطلب العلم من جهة، وسفر الحجاج والتجار الذين يجلبون إلى البلاد مختلف الأسانيد العلمية والصوفية والمصنفات الدينية واللغوية التي تتداول في مختلف مناطق العالم الإسلامي من جهة أخرى، فقد درس محمد بن سعيد بن تگدي اليدالي في تافلالت خلال القرن العاشر للهجرة (16م)، وعاد إلى منطقة الگبلة من بلاد شنقيط بعلم النحو ونشره هناك حتى اشتهر بالنحوي، وباسمه سمي النحوي أگد عبد الله فاتح فوته إبان عهد الإمام ناصر الدين (1083هـ/ 1673م)، وأخذ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد

[625] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، الدار العربية للكتاب، 1990، ص5.
[626] المرجع نفسه، ص6.

البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي (تـ959هـ/ 1552م) عن سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الآخذ عن السيوطي وأجازه في الطريقة القادرية، وأخذ محمد الشنقيطي عن الشيخ زروق (تـ963هـ/ 1493م) الشاذلية، وأخذ أحمد بن القاضي عن محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي (ت 1010هـ/ 1601م[627]، وأخذ أشفغ الخطاط (تـ1196هـ/ 1782م عن سيدي أحمد التواتي المتوفى سنة 1138هـ/ 1725م، وأجازه في الطريقة الشاذلية عن سيدي أحمد بن عبد القادر عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي، وقد أخذ هذه الطريق أربعة من علماء الشناقطة هم نختارو بن المصطفى اليدالي، وسيدي محمد بن سيدي عثمان بن أعمر الولي المحجوبي الولاتي (تـ 1132هـ/ 1720م)، وسيدي أحمد التمگلاوي، وسيدي عبد الله بن سيدي بوبكر التنواجيوي (تـ 1145هـ/ 1732م) عن سيدي أحمد الحبيب السجلماسي عن سيدي أحمد بن عبد القادر عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي[628]. وقد عاد سيدي عبد الله بن سيدي بوبكر التنواجيوي من عند شيخه السجلماسي بمكتبة نفيسة، وكان قد أخذ عنه القراءات العشر، فلما عاد إلى بلاد شنقيط «وجد الناس يلحنون في القراءة، ويصحفون في الحروف، فأزال اللحن والتصحيف عنهم[629]»، وهو أول من أتى بالجيم الشديدة[630].

وكان سيدي أحمد الفزاز بن محمد بن يعقوب الحاجي الوداني هو أول من أدخل شرح الحطاب إلى ودان، أخذه بالسند المسلسل إلى الحطاب عن أحمد المسكه والد الشيخ أحمدو بابا التنبكتي (تـ1086هـ/ 1675م)، وأخذه عنه سيدي أحمد أيد (أي ابن) القاسم اليعقوبي الحاجي شيخ مشائخ ودان، الذي أخذه عنه القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب العلوي الشنقيطي (تـ1101هـ/ 1700م) والطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي كذلك (تـ1107هـ/ 1695م)، وسيدي أحمد بوالاوتاد الحنشي التيشيتي أول من أتى بمختصر خليل إلى تيشيت ودرسه فيها، وأخذه عنه العالمان المشهوران أبوبكر بن أحمد بن أشفغ المسلمي (تـ1039هـ/ 1629م)، والحاج الحسن بن آغبدي الزيدي (تـ1123هـ/ 1711م)[631] الذي لقي أثناء سفره إلى الحج الخرشي شارح خليل، واستدرك عليه أربعين مسألة في شرحه، وعن هؤلاء الرجال انتشر علم كثير في هذه البلاد خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م).

---

[627] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص112.

[628] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، مرجع سبق ذكره، 1990، ص93.

[629] البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مرجع سبق ذكره، ص208.

[630] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص112.

[631] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، مرجع سبق ذكره، 1990، ص199.

وكان الحجاج يلتقون بالعلماء ويأخذون عنهم، ويمكثون سنين مغتربين[632]، فقد حج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر الصنهاجي الوداني (جد الشيخ أحمدو بابا التنبكتي) سنة 890هـ/ 1485م، ولقي بمصر جلال الدين السيوطي، والشيخ خالد الأزهري[633]، وحج ابنه الحاج أحمد بن أحمد ولقي جمعا كبيرا من العلماء، وكذلك فعل الحاج أحمد بن الحاج الأمين التواتي علامة كل فن الذي كان يترأس الركب من بلاد شنقيط حتى يصل إلى توات فيكون الأمر لأبي نعامة، وتوفي بفزان بليبيا عائدا من آخر حجاته سنة 1157هـ/ 1744م، وحج عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى الحسني (ق11هـ/ 17م) وأخذ إضاءة الدجنة إجازة عن أبي مهدي مفتي الحرمين، وحج القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب العلوي الشنقيطي، «ومر بمصر حيث لقي الفقيه عليا الأجهوري (تـ1067هـ/ 1656م)، وتلميذيه عبد الباقي والخرشي، ونبههما على فرع خارج من نسختهما من شرح الحطاب، فبحثوا عنه فوجدوه، وعجبوا من سعة علم الشنقيطي. وأخذ القاضي عبد الله في سفره هذا الحديث وغيره عن رئيس العلماء الشافعية بالديار المصرية عامر بن شرف الشبراوي، وعاد وهو يحمل معه ستمائة كتاب[634]»، وتلقى علامة شنقيط الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (تـ1107هـ/ 1695م) الإجازة في موطإ الإمام مالك وصحيح البخاري ومؤلفات السنوسي عن عالم المدينة المنورة أبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الشافعي، وذكر محمد محمود بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في كتابه الدر الخالد أن جده الحاج إبراهيم خرج حاجا وتوفي بمصر، وخلف بها مكتبة قدم به ابنه سيدي عبد الله (تـ1233هـ/ 1818م) عندما سافر للحج ولقاء العلماء. وفي طريق عودته مكث سيدي عبد الله سنوات بالمغرب حيث أكرمه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأهداه أربعمائة كتاب. وقد أخذ ابن الحاج إبراهيم في المغرب عن الشيخ البناني محشي شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل، والشيخ التاودي المعروف بابن سودة، وعمر الفاسي شارح اللامية. وقد حج الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب (تـ1247هـ/ 1831م)، فلقي بالمدينة المنورة صالح الفلاني الذي أجازه في الصحيحين والسنن الأربعة وموطأ الإمام مالك، وشفاء القاضي عياض، ومر في طريق عودته

---

[632] كان للحج من بلاد شنقيط عدة طرق، أحدها يمر بعد أن يصل الركب الشنقيطي إلى مدينة توات (بغرب الجزائر)، حيث ينضم الشناقطة إلى الركب القادم من فاس وتازة، ويمر الركب بالجنوب الجزائري والتونسي، ثم يمر محاذيا شواطئ ليبيا مع الأبيض المتوسط حتى يصل إلى مصر ومنها إلى الحجاز. وأحدها يذهب من ولاته بالحوض فقرية المبروك بصحراء أزواد فواحة أكبلي بمنطقة توات حيث الزاوية الكنتية فمنطقة تنزروفت فعين صالح بالجزائر ثم يواصل الركب سيره نحو فزان ثم أوجيلة بليبيا فسيوة وهي بداية أرض مصر ثم يمر الركب بالقاهرة فالحجاز. وهناك طريق يتجه من ولاته باتجاه الشرق فيخترق مالي والنيجر والتشاد ليصل إلى السودان، ويعبر إلى الحجاز عبر البحر الأحمر، كما أن هناك طريقا آخر يتجه من مدينة شنقيط باتجاه المغرب ثم يتجه من هناك بحرا إلى مصر ومنها إلى الحجاز عبر البحر الأحمر.

[633] البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مرجع سبق ذكره، ص27.

[634] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص111.

بفاس حيث صحب الشيخ سيدي أحمد التجاني (تـ1230هـ/ 1814م) ثلاث سنين، وأخذ عنه الطريقة التجانية التي انتشرت على يديه في عدد من مناطق بلاد شنقيط، وفي أنحاء واسعة من إفريقيا[635].

وقدم الشيخ سيديا الأبييري (تـ1284هـ/ 1867م) إلى مراكش في عهد السلطان عبد الرحمن فنال عنده وعند علماء البلد حظوة عظيمة، وعاد من رحلته بمائتي كتاب. وكان شيخه الشيخ سيدي المختار الكنتي (تـ1226هـ/ 1811م) يستقبل سنويا قوافل الكتب من فاس والقيروان ومصر، وكانت هذه سبيل مئات العلماء الشناقطة الذين أعطوا كما أخذوا، وعلموا كما تعلموا، مثلما فعل العالم النابغة محمذن بن حبيب الله المجيدري (تـ 1204هـ/ 1789م) الذي[636] بهر علماء المغرب ومصر والحجاز بعلمه، كما قال محمد عبد الله بن البخاري في كتابه العمران «وأخبار شيخنا محمذن بن حبيب الله المجيدري مشهورة من أرضنا إلى الغرب إلى إفريقية إلى مصر إلى مكة إلى المدينة، وإن تتبعت أثره، لم تجد موضعاً إلا له فيه تلميذ، وقل مصر مر به إلا سلم له أهله وأعجبهم من عالم وولي[637]». وفعل العلامة محمد محمود بن التلاميد التركزي (تـ1323هـ/ 1905م) الذي حج وتجول في البلاد، ونشر العلم بالحجاز، وانتقل إلى مصر التي نال بها مكانة عالية حيث كان «آية من آيات الله في حفظ اللغة والحديث والشعر لا يند عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند[638]»، و«كان الطلاب الكبار [كما ذكر طه حسين]يتحدثون أنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية الحديث متناً وسنداً عن ظهر قلب[639]»، وانتهت إليه –حسب رشيد رضا- «رئاسة علوم اللغة والحديث في هذه الديار[640]»، و«كان لا ينفك يتحدى رجال اللغة بالمسائل الدقيقة والنوادر الغريبة، مستعينا على جهلهم بعلمه، وعلى نسيانهم بحفظه، حتى هابوا جانبه[641]». وساهم محمد محمود بن التلاميد في تحقيق ونشر ذخائر التراث العربي، وفي مقدمتها القاموس المحيط الذي تعتبر نسخته المصححة من قبل هذا الشنقيطي هي أصح نسخة متداولة اليوم. «وتقديرا لمكانته كلفه السلطان العثماني عبد الحميد بالسفر إلى إسبانيا لوضع فهرس للمخطوطات العربية هناك، وأعطاه مؤذنا وخادما وسفينة خاصة، وكلف أحد العلماء التونسيين بمرافقته. وقد

---

[635] المرجع نفسه، ص112.

[636] قيل إنه أحد أربعة لم يبلغ عالم في هذا القطر مبلغهم في عصرهم، وهم: المجيدري هذا، وابن رازگه، وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلويان، ومحمد اليدالي الديماني المختار بن حامدٌ، موسوعة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص86. وأحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص234.

[637] محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، مرجع سبق ذكره، ص19.

[638] أحمد حسن الزيات، مجلة الأزهر، سبتمبر 1961، العدد 2، ص291.

[639] طه حسين، المجموعة الكاملة، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص343.

[640] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص111.

[641] أحمد حسن الزيات، مرجع سبق ذكره، ص292.

أنجز ابن التلاميد مهمته. وكان الملك أوسكار ملك السويد والنرويج قد طلب من السلطان أن يوفد إليه الشيخ الشنقيطي ليحدثه عن أشعار العرب وأيامها[642]».

وكثيرون هم الشناقطة الذين أسهموا بعلمهم في النهضة الحديثة للأمة العربية كالعلامة محمد الخضر بن مايابى (تـ1354هـ/ 1935م) الشنقيطي الذي كان مفتي المالكية بالمدينة المنورة، وقد اشتهر بحفظ الحديث واستظهار تراجم رجال السند وتصحيح المتن، له كتاب كوثر الدراري في شرح البخاري، وقد رحل إلى العراق مع الشريف علي بن الحسين في عهد الملك فيصل الأول الذي أكرمه، وهم أن يسند إليه خطة الإفتاء لولا أن بعض المنتفعين عارضوا ذلك وتمنوا إزاحته لأنه غطى عليهم وأصبحوا وكأنهم طلاب في حلقة درسه، وكان يعظ الناس ويحدثهم بجامع الفضل في بغداد فشهد له العلماء العراقيون بأنه كان آية في الحفظ. وانتقل من العراق إلى الأردن فقربه الملك عبد الله وبقي هناك إلى أن توفى بعمان. وكان ابنه محمد الأمين قاضيا للقضاة في الأردن ووزيرا وسفيرا للملك حسين[643]، وكأخيه محمد حبيب الله (تـ1364هـ/ 1945م) المدرس بمصر ومؤلف كتاب زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم، وأحمد بن المنجي الإيجيجبي الشنقيطي (ولد 1301 هـ/ 1884م) المعروف في المشرق بأحمد المغربي. وقد توثقت صلته بالملك سعود وأقام معه في الرياض سبع سنوات نشر خلالها العلم؛ وكان إمام مسجد ابن عقيل في الطائف؛ كما كان مفتيا أيضا[644]، وأحمد بن الأمين الشنقيطي (تـ 1331 هـ/ 1913م) صاحب كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط الذي زود المكتبة المصرية بكم وافر من شعر وأدب الشناقطة، ومحمد الأمين بن فال الخير الحسني (تـ 1351 هـ/ 1932م)، وكان أحد أبرز من نشروا العلم في العراق والكويت[645]، والشيخ محمد الأمين بن زيني الگلگمي (تـ 1389هـ/ 1969م) الذي قاد هجرة جماعية من ستمائة عائلة عندما قدم الاستعمار الفرنسي إلى بلاد شنقيط، واستقر بمدينة أوباري بمنطقة فزان الليبية، إلى أن اشتعلت الحرب بين الليبيين والاستعمار الإيطالي فهاجر وحط الرحال بالرشيدية بالقرب من مدينة عمار، حيث أقام زاوية كان لها دورها الكبير في إعادة نشر الإسلام وبث روحه بين قبائل شرق الأردن، وأقام بأضنة بتركيا، وقاتل مع الأتراك ضد الإنگليز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (آب بن اخطور تـ1393هـ/ 1973م) صاحب كتاب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن الذي صحب الملك عبد العزيز ودرس العلم في الرياض

---

[642] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص270.

[643] المرجع نفسه، ص273.

[644] سيد أحمد بن أحمد سالم، العلاقات الثقافية الموريتانية السعودية، مجلة العرب، العدد 29، يناير ـ فبراير 1994، ص 99 - 100.

[645] وقد خلدت العراق ذكر هذا العالم الشنقيطي فخصصت لسيرته أول كتاب مطبوع من سلسلتها "أعلام البصرة". المرجع نفسه، ص274.

والمدينة المنورة، وكانت له مجالس للتفسير في الحرم النبوي افتتن بها الناس وانبهر بها العلماء لسعة حفظه وتنوع معارفه، وقد جمع تلامذته بعض هذه المجالس وطبعت مؤخرا تحت عنوان "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير"، والعلامة محمد الاغظف بن أحمد مولود الجكني الولاتي الذي حج عدة مرات، ودرس في الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي طريق عودته الثالثة من الحج مر بمراكش، فالتقى بالسلطان الحسن بن محمد سنة 1311هـ/ 1893م فأعجب بعلمه وعينه رئيسا للقضاة، وأسند إليه مهمة تعليم الأمراء، وخاصة ابنه الأمير عبد الحفيظ الذي لازمه ونهل من علمه، وأعجب به أي إعجاب، ودفع ذلك المولى عبد الحفيظ إلى تعيينه مفتيا للديار المغربية عندما آل إليه أمر المغرب، وأصبح بذلك بيت الشيخ محمد الاغظف في مراكش مركزا علميا يؤمه العلماء وطلبة العلم من مختلف مناطق المغرب، وملاذا للوافدين من علماء شنقيط ومشاهيرها. وللشيخ محمد الاغظف مؤلفات عديدة منها الشبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب، وهو شرح لمنظومة ألفها العاهل المغربي المولى عبد الحفيظ، وقد طبع بمصر سنة 1330هـ/ 1912م، وقد ساند الشيخ محمد الاغظف المقاومة ضد الفرنسيين، ورفض الاعتراف بهم وبنفيهم للمولى عبد الحفيظ فأمر الجنرال الفرنسي اليوتى بوضعه تحت الإقامة الجبرية حتى توفي بمراكش سنة 1334هـ/ 1916م، والعلامة المجاهد الذي لم ير له نظير في بلاد المغرب الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل الذي اتصل وهو في طريقه إلى الحج بالسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن بن هشام سنة 1274هـ/ 1857م، واتصل بعد عودته بالسلطان سيدي محمد سنة 1275هـ/ 1858م، ثم بالسلطان الحسن الأول بعد ذلك، وأعانه في حملته لمواجهة الأطماع الإسبانية في المنطقة سنة 1304هـ/ 1886م، وتتلمذ عليه السلطانان مولاي عبد العزيز[646] ومولاي عبد الحفيظ[647]، وبلغ من ارتفاع الصيت والاعتزاز ما لم يبلغه غيره، وتوفي الشيخ ماء العينين سنة 1328هـ/ 1910م.

وأضراب هؤلاء الشناقطة الذين أسهموا في نهضة أشقائهم من العرب والمسلمين يعدون بالمئات، وقد أثروا بمعارفهم وعلومهم مختلف المناطق العربية والإسلامية التي كانوا يمرون بها خلال أسفارهم أو رحلات حجهم. وفي رحلتي العلامة الطالب أحمد بن اطوير الجنة (تـ1265هـ/ 1849م)، والعلامة محمد يحيى الولاتي (تـ1330هـ/ 1912م) إلى الحجاز المدونتين ما يكشف عن ثراء العلماء الشناقطة وعبقريتهم وتنوع معارفهم.

---

[646] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص281.

[647] الطالب اخيار بن الشيخ مامينا، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، مرجع سبق ذكره، ص39.

ويرجع إلى العلماء والأدباء الشناقطة الذين اتجهوا إلى إفريقيا السوداء تجارا أو معلمين الفضل في نشر الإسلام والثقافة العربية هناك، حيث كانوا ينشرون أينما حلوا الدعوة إلى الإسلام، ويعلمون العلم واللغة العربية، فكان شمس الدين (أحد أحفاد محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي) الشنقيطي المعروف في فوتا تورو الزنجية (بالسينغال حاليا) بچم سي قد أسهم إسهاما كبيرا في نشر العلم بالمنطقة. ويقال بأن شمس الدين هذا هو جد كل من يلقب بسي في بوصيا، وقد ذكرت وثيقة تاريخية عثر عليها في بلدة جول أن «شمس الدين الگلگمي نزل في بلدة سي، على الضفة اليسرى لنهر السينغال، وتزوج من عائلة من أعيان المنطقة وأنجب أنجالا من الذكور صاروا علماء، وانتشروا بتوجيه من والدهم في الأقاليم والقرى ببلاد فوته، ينشرون العلم والدين.. وكانت محاظرهم [مدارسهم الدينية] من أوائل المحاظر التي سجل التاريخ تأثيرها في البلاد، فمن هذه المحاظر: محظرة بوبكر جم سي [أي بوبكر شمس الدين] في جابي سيلا، وهو جد كل الذين يلقبون بسي في بوصيا.. وهو الجد الأعلى أيضا لأسرة الدائرة التجانية في تيواون السينغالية، كما استطاع فرع من أحفاد بوبكر هذا يدعى الحاج مالك سي النزوح إلى بوندو [بشرق السينغال] وتأسيس إمارة إسلامية هناك كان لها أثر كبير في انتشار الإسلام في جنوب السينغال، ومحظرة باران جم سي [باران شمس الدين] في بولوبران، وانتيكان، ودمات، وتوللد راشد [المذرذرة الحالية]، وإليه ينتسب الذين يلقبون بسي في هذه الأماكن، ومحظرة تگدي جم سي [تگدي شمس الدين] في انجوم، وإليه ينتسب كل من يحمل لقب سي في انجوم وابودور وضواحيها كالجايين وجاترا وغيرها، ومحظرة دوگا جم سي [دوگا شمس الدين]، وإليه ينتسب الذين يلقبون بسي من الفلانيين في بوسيا وتورو وگنار [جنوب النهر بفوته الشرقية] وبلدة گدوديك وچول [شمال النهر]، وقد هاجر كثير من أحفاد دگا جم سي هذا مع الحاج عمر الفوتي وهم الآن في بلدة كوركاجل بانيور، ومحظرة رضوان جم سي [رضوان شمس الدين] ويورو جم سي [يورو شمس الدين] في هاير گلير شمال النهر[648]».

وتلقى القاضي السينغالي الشهير عمر فال العلم بمحاظر قبيلة أولاد ديمان قرب المذرذره، قبل قيام حركة الإمام ناصر الدين (تـ 1084هـ/ 1673م)، وأسس محظرة ابيري بإقليم تورو ثم نقلها إلى وسط كايور (12 كلم شمال تيواون)، واستمر يدرس فيها من 1027هـ/ 1618م إلى 1042هـ/ 1633م[649]، وقد تخرج من هذه المحظرة التي دامت عدة قرون عدد من العلماء والرواد الأفارقة كالحاج مالك سي مؤسس دولة

[648] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص59.
[649] المرجع نفسه، ص130 و143.

بوندو الإسلامية، وسليمان تشيرنو بال مؤسس دولة فوتا تورو الإسلامية التي درس أكبر أئمتها الإمام عبد القادر كن في محظرة أهل العاقل الديمانيين.

وتتلمذ الحاج عمر الفوتي مؤسس الدولة الإسلامية الكبرى في السودان الغربي لسيدي مولود فال الشنقيطي (تـ 1268هـ/ 1850م)، وأخذ عنه بواسطة عبد الكريم الناقل الطريقة التجانية التي انتشرت عن الشيخ محمد الحافظ العلوي في أرجاء واسعة في إفريقيا.

وفي فوتا چالون انتشر العلم على يد العلامة الحارث بن محنض الشقروي الشنقيطي (تـ1319هـ/ 1901م)، ولا يحصى عدد المشائخ الشناقطة الذين نشروا العلم والدين في مجاهل إفريقيا، أو تولوا مناصب دينية أو سياسية لأمراء أفارقة. وقد أدى الدور الأكبر في التعليم والتربية والدعوة في إفريقيا رجال من الأسر الحاجية، والكنتية، والفاضلية، والعلوية، وأسرة آل الشيخ سيديا، وأسرة آل الشيخ حماه الله، وكان الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه الشيخ سيدي محمد يتبادلان المراسلات مع المجاهد عثمان دان فوديو مؤسس دولة سوكوتو الإسلامية بنيجيريا، وبطريقتهما القادرية كانت تدين دولة ماسنه الإسلامية على نهر النيجر، وتتلمذ ثلاثة من الأئمة الفوتيين على الشيخ سيديا الأبييري(تـ1284هـ/ 1867م)، كما أخذ الشيخ أحمدو بمبا السينغالي مؤسس الطائفة المريدية عن حفيده الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيديا (تـ1342هـ/ 1924م)، وكان لأحمد بن أمين بن الفراء التندغي (تـ1327هـ/ 1909م) منزلة عظيمة عند رؤساء السودان، وتولى القضاء لتين رئيس بول. وكانت بلاد شنقيط بمثابة مركز الإشعاع الذي مكن إفريقيا السوداء من التعرف على الإسلام، والتمسك به، والتفقه في علومه، ونشر العربية بين المؤمنين به.

ومع أن هذه البلاد، باستثناء حواضر صغيرة قليلة لا يتجاوز عددها أصابع اليد، كانت أرض بادية، أهلها يتتبعون مواقع القطر وينتجعون الغيث، فقلما خلا حي من أحيائها من محظرة يتسابق إليها الطلاب أو عالم يشار إليه بالبنان، يعلم العلم حالا، ومرتحلا على ظهور العيس[650]، فلذلك كثر فيها العلماء وانتشرت المؤلفات التي ضاهت –بل تفوقت أحيانا- في جودتها على المؤلفات القادمة من خارج البلاد، سواء في علوم القرآن، أو الحديث، أو العقيدة، أو الفقه، أو اللغة، إلى درجة أن المتون الشنقيطية أصبحت أهم مصادر مناهج التعليم في محاظر البلاد، وبعض هذه المؤلفات يدرس اليوم في العديد من جامعات الدول العربية والإسلامية ، كما هو حال كتاب مراقي السعود في الأصول، وكتاب طلعة

---

[650] وإلى ذلك أشار علامة القطر المختار بن بونه الجكني بقوله:

ونحن ركب من الأشراف منتظم   أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة   بها نبين ديــــــن الله تبيانا.

الأنوار في مصطلح الحديث، وكتاب نور الأقاح في البلاغة ثلاثتها لعلامة دهره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (تـ1233هـ/ 1818م)، ونظما الغزوات وعمود النسب للعلامة المجلسي أحمد البدوي (تـ1209هـ/ 1793م)، وطرة العلامة اللغوي الشهير المختار بن بونه الجكني (تـ1220هـ/ 1805م) على ألفية ابن مالك في النحو واحمراره عليها، وطرة العلامة الحسن بن زين الگناني (تـ 1315هـ/ 1898م) على لامية ابن مالك في التصريف، والميسر شرح مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي للعلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني (تـ1277هـ/ 1860م) الذي صوب فيه بعض الأخطاء التي درج عليها أغلب شراح خليل، كما صوب بعض أخطاء شروح ألفية ابن مالك في النحو إبان تأليفه لطرته عليها، إضافة إلى مؤلفات العلامة مولود بن أحمد فال اليعقوبي (تـ1323هـ/ 1905م) وغيره.

وقد أفتى العلماء الشناقطة وألفوا في ما لم يتكلم فيه أئمة المذهب من نوازل خاصة بالبادية وبالبلاد السائبة (بلاد شنقيط) وأعراف وعوائد أهلها، كما فعل نابغة عصره العلامة الشيخ محمد المامي الباركلي الشمشوي (تـ1282هـ/ 1865م) في مؤلفه كتاب البادية، ومؤلفه الجمان وغيرهما. وتصل الثروة المحفوظة اليوم من فتاوي ونوازل الشناقطة إلى نحو عشر آلاف فتوى ونازلة، وتناهز مؤلفاتهم في مختلف المجالات الشرعية هذا العدد. وكان لعلمائهم مؤلفات وفتاوى لم يسبقوا إليها، وبرعوا في أسرار الحروف وطوروها، واستخدم بعضهم الجن وتبادلوا معهم العلم والفتوى، فكان للعالم التيشيتي محمد بن انبوي خال التيشيتي الملقب بطالب المحظرة (تـ في بحر القرن 13هـ/ 19م) «مدرستا علم يدرس في إحداهما الإنس وفي الأخرى الجن، ولما توفي خلفه في التدريس تلميذ له من الجن كان يعلم طلبة المدرستين، يسمع الناس كلامه ولا يرون شخصه، ويكاتبونه فيجيبهم بما يحققون أنه الحكم الشرعي[651]»، واستفتى قاضي تيشيت العالم سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي (تـ1275هـ/ 1858م) أحد علمائهم عن حكم تداخل أوراد الأشياخ الصوفيين، فأجابه بجواب مشهور منشور[652]، ووجه إليهم الشيخ أحمد بن المختار بن الزوين (تـ1306هـ/ 1888م) رسالة يعزل فيها بعض أمرائهم، ويؤمر فيها بعضهم[653].

---

[651] المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء شرفاء تيشيت، مرقون، ص19.

[652] انظر، محمدو محمد احظانا، معقول اللامعقول في الوعي الجمعي العربي، صورة المغيب في المخيلة الشعبية الموريتانية نموذجا، إصدار دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ط1، 2002، ص576.

[653] المرجع نفسه، ص565-567. وهي رسالة غريبة ونادرة جاء فيها: «الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، هذا وإنه من عبد ربه الغني به أحمد بن المختار بن الزوين إلى جماعات الجن كلهم، مسلمهم وكافرهم، أرضيهم وسماويهم، عموما يعم به عامهم وخصوصا يخص خاصهم، وخصوص خصوص اعلي وعامر وبنعامر ومحمود، وكل رئيس منكم ومرؤوس، بالسَلام لمن كان مؤمنا، وبالسِلام لمن كان كافرا، موجبه إليكم إعلامكم أني كلفني الله بحقوق جميع الكون كله، نأمر الكافر بالإسلام والإيمان، ونرشد المؤمن للاستقامة، ونخلف على الجميع من يصلح للخلافة، فمن أبى

وكما برع الشناقطة في علوم الشرع والعلوم المرتبطة به من فلك وطب ومنطق برعوا في اللغة والأدب والشعر فدرسوا الدواوين القديمة واستظهروها حفظا، وقرضوا الشعر وأكثروا منه حتى اشتهرت بلادهم ببلاد المليون شاعر.

وأقدم شعر شنقيطي ترويه الذاكرة اليوم قصيدة في التوسل تنسبها الرواية الشفهية إلى الإمام محمد غلي، جد قبيلة الاغلال الحالية (ق9هـ/ 15م)[654].

وفي ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الهجريين (15-17م) تذكر المراجع مقطعات شعرية محدودة، مثل القطعة المنسوبة إلى محمد بن مسلم الديسفي (الإيديشفي) الجكني في مدح المحاجيب[655]، والمقطعات المنسوبة إلى الشيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي (تـ959هـ/ 1552م) في المديح النبوي والتوسل[656]، فقد كان المجتمع في هذه الفترة ما يزال ينظر إلى قرض الشعر على أنه أمر مكروه شرعا، ويتحرج من إنشائه وإنشاده ما لم يتعلق الأمر بغرض شريف.

منهم عما أمرته به كلفته بما كلفه الله من قتل أو تأديب أو غير ذلك، ولا يكون خليفة ولا سوقة ولا واليا إلا بإذني، فمن رام غير ما أذنت فيه نفعل به ما فعلت بهشام الزاعم أنه تملك على جميع الجان تعديا بغير إذني، ولم يعلم أن زعم مطية الكذب، فخلع كل خليفة من خلافته، ودعى كل مسلم للردة، وغيره عليها، وقوى الكافر على كفره، فلما علمنا بفساده، وطغيانه وبغيه وتكبره، بعثت إليه بشرا يأتيني به لنسبر أمره، ونعلم سره وجهره، فامتنع أي امتناع، وظن أنه لا يزال على خلافته فلا نزاع، فرددت له بشرا ثانيا بأنه يأتيني وإلا فيندم، حيث لا ينفعه الندم، فأبى أي إباية، فوجهت إليه قدرة الله مع الأسباب التي جعلها الله بيدي فأراح الله منه المسلمين، فبعثت إلى عمران بن يوسف ومن يصلح للمشورة من أعوانه قبل نزعه من الخلافة، وقلت لهم إن كنتم صالحين لما كنتم عليه من إقامة الدين، بقتل من استحق القتل، وتأديب من استحق التأديب، فإنا نجعلكم على جميع الجان، ونجعل له أعوانا يقومون بجميع ما أمرتهم به، فقالوا نعم نحن قادرون عليه، فجعلت عمران بن يوسف على جميع الجان، مسلمهم وكافرهم، أرضيهم وسماويهم خليفة، وجعلت له في هذه الجهة الغربية ارشيد، وجعلت اعلي قائدا على من يليه من أرضهم، وجعلت عامرا قائدا على من يليه من أرضهم، وجعلت بنعامر كذلك، وجعلت محمود كذلك، فمن خالفه منهم أحد من رعيته مسلما كان أو كافرا، فإن لم يقدر على استقامته إن كان مسلما، أو قهره على توبته إن كان معاهدا، فليرفع أمره إلى عمران، وإن عجز عمران عما ذكرنا فليرفعه إلينا.

واعلموا أني جعلت مريدنا الأرضى، وصفينا المرتضى بنيوگ قائدا لعمران على أهل سناد وأهل هشام ومن معهم من أهل السماء، وكل من في السماء من الجان، وإن خالفه أحد منهم في بعض ما قدمنا من قهر على استقامة، أو توبة من ردة، أو إسلام، أو إعطاء جزية عن يد وهم صاغرون، فليرفعه إلى عمران، وإن لم يقدر عمران فليرفعه إلينا. والسلام.

إلحاق: وكونوا عباد الله إخوانا، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه لمن يظلمه". ومن خاف من عطش فليقرأ الفاتحة قبل طلوع الشمس، وينفث في يديه، ويمسح بهما وجهه وبطنه، فإنه لا يعطش بإذن الله تعالى في ذلك اليوم».

[654] مطلع هذه القصيدة:

الحمد لله ما دام الوجود له — حمدا يبلغنا منه الرضى أبدا.

[655] مطلع هذه القطعة:

إذا كانت جوالا وفي الأرض تبتغي — منازل بعض الصالحين ذوي الفكر.

[656] من ذلك قوله:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم — وهذه حضرة المختار في الحرم

وهذه الروضة الغراء ظاهرة — وهذه القبة الخضراء كالعلم...إلخ.

وفي القرن الحادي عشر الهجري (17م) تتحدث الرواية عن أمر إمام الزوايا ناصر الدين بتعزير الشاعر حبيب بن بلا اليعقوبي على إنشائه بيتي شعر غزليين[657].

ومثل القرن الثاني عشر للهجرة (18م) الذي شهد توسعا كبيرا في مجال تعرب الشرائح الصنهاجية من المجتمع قرن الانتشار الغزير للشعر الشنقيطي، وظهور شعراء فحول ما زالت دواوينهم متداولة حتى اليوم، من أوائل المشهورين منهم سيدي عبد الله بن رازگه العلوي المتوفى 1143هـ/1731م، ومحمد اليدالي الديماني المتوفى 1166هـ/ 1753م، وعصريهما بوفمين المجلسي. ثم لم يزل الشعراء بعد ذلك يكثرون، ومادة الشعر الشنقيطي تتنوع إلى أن صار الشعر كأنه سجية من سجايا أهل هذه البلاد[658].

وقاد هذا الوضع الشناقطة إلى طرق كافة أغراض الشعر، ومعارضة مختلف الشعراء، كما فعل الشاعر المجيد امحمد بن الطلبة اليعقوبي (تـ1272هـ/ 1856م) الذي عارض ميمية حميد بن ثور الهلالي، وجيمية الشماخ بن ضرار الغطفاني، وقال إنه يتمنى أن يجتمع مع هذين الشاعرين في ملإٍ من أهل الجنة، وينشدوا قصائدهم ليحكم بينهم هذا الملأ أيهم أحسن شعرا.

وتزخر البلاد اليوم بعشرات –أو مئات- الدواوين الشعرية التي تركها لنا أجيال من الشعراء الذين عاشوا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (19و20م)، وتبرهن أعمالهم على أن النهضة الشعرية في بلاد شنقيط سبقت النهضة الشعرية في البلاد العربية الأخرى[659]، ووصلت إلى درجة دفعت الأستاذ طه الحاجري إلى القول بأن

وانظر، عبد الله بن بن احميده، الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط مبحث النشأة والأصول، ط1، 2001، ص157-176.

[657] هذان البيتان هما:

رب حوراء من بني سعد الاوس	حبها قائم بـــــذات النفوس
جعلت بيننا وبيـــن الغواني	والكرى والجفون حرب البسوس.

[658] ولهذا قال الشاعر الشنقيطي محمد فال بن عينين الحسني:

الطفل يولد فينا كابن ساعدة	منقحا دررا أصـــدافها ذهب
انظر إلى ما لنا من كل قافية	لها تذم شذور الزبرج القشب.

وقال الشاعر محمذن بن السالم الحسني:

مصداق أني كريم العيص منتسب	إلى قريش بيوت العز والجدل
نسجي القريض وإحكامي قوافيه	ولا أميز بين العطف والبدل.

[659] يقدم كتابا "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" لأحمد بن الأمين الشنقيطي و"الشعر والشعراء في موريتانيا" لمحمد المختار بن اباه صورة عن المستوى الرفيع الذي وصل إليه الأدب الشنقيطي خلال عهد النهضة الثقافية لبلاد شنقيط (ق11-14هـ/ 17-20م) ويقدم كتاب أحمدو (جمال) بن الحسن "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الأساليب" دراسة أسلوبية مستفيضة عن الشعر الشنقيطي، كما يقدم كتابا "فتح الشكور في أعيان علماء التكرور" للبرتلي و"منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور" للطالب أبي بكر المحجوبي نماذج من تراجم وسير الأعلام الشناقطة، ويقدم كتاب "بلاد شنقيط المنارة والرباط" صورة عن المحظرة الموريتانية طبيعتها ومناهجها وأعلامها. وقد جمع المؤرخ المختار بن حامدٌ فهرسا ضم

«الصورة التي أتيح لنا أن نراها لشنقيط في هذين القرنين جديرة بأن تعدل الحكم الذي اتفق مؤرخو الأدب العربي على إطلاقه على الأدب العربي عامة، فهو عندهم وكما تقضي آثاره التي بين أيديهم أدب يمثل الضعف والركاكة[660]»، بينما توفر الشناقطة، كما بين ذلك الأستاذ عبد اللطيف الدليشي، على «شعراء فحول لا يقلون مستوى عن أمثال المتنبي والبحتري وشوقي والرصافي[661]».

وقد مكنت هذه النهضة الشناقطة من تنظيم مقاومة ثقافية قوية للاستعمار الفرنسي لا تقل ضراوة عن المقاومة السياسية والعسكرية له.

الآلاف من المؤلفات والدواوين الشنقيطية التي تزخر بها اليوم المكتبات ودور المخطوطات المختلفة العامة والخاصة في البلاد، كما ألف المستشرق الألماني روبشتوك موسوعة جمع فيها عشرة آلاف مؤلف شنقيطي، وجمع الباحث يحيى بن البراء مدونة للفتاوى الشنقيطية ترجم خلالها لنحو ألف عالم شنقيطي، وضمنها نحو ست آلاف فتوى فقهية من فتاوى بلاد الصحراء الشنقيطية، فجاءت مدونته أكثر بألف فتوى من مدونة الونشريسي المشهورة باسم "المعيار المعرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب".

[660] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص257.

[661] المرجع نفسه، ص257.

إرهاصات الاستعمار

يعود الاهتمام الفرنسي باستكشاف بلاد شنقيط إلى القرن السابع عشر ميلادي (11هـ)، ففي سنة 1630م/ 1040هـ غرقت إحدى السفن الفرنسية التي كانت تجوب المنطقة، ونجا ابول إيمبير الذي كان على متنها، فأسره البيضان. ولم يسجل هذا الفرنسي تجربته حيث مات وهو ما يزال في أسرهم.

وبعد هذا التاريخ بعشر سنوات وصل الرحالة الفرنسي شارانت إلى بلاد شنقيط، وأمضى مع البيضان خمسا وعشرين سنة، ومكث ثماني سنوات في بلاط سلطان المغرب المولى رشيد[662].

وفي سنة 1685م (1096هـ) قام مدير مستعمرة السينغال الفرنسي دولاكورب بأول استكشاف فرنسي موثق، وحملت رحلته التي نشرت عنوان: "رحلة السيد دولاكورب الأولى إلى الساحل الإفريقي سنة 1685م"(1096هـ)، وقد ضمنها معلومات مستفيضة عن تقاليد وعادات البيضان وعلاقاتهم بالزنوج، وعن التبادل التجاري بالمنطقة خاصة تجارة العلك، وتحدث فيها عن التجارة في محطتي تكشكمبه (لإيدوالحاج الترارزة) وتيريي روج (قرب بودور) البركنية، وعن لقائه بأمير الترارزة هدي بن أحمد بن دامان والفرح الذي قابل به الهدايا العرفية المقدمة له من قبل الفرنسيين[663].

---

[662] محمد سعيد بن همدي، موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، سلسلة مقالات، ترجمة محمد بن محمد المختار، مرقون، ص6.

[663] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001، ص71.

وفي ما بين سنتي 1697م (1096هـ) و1702م (1113هـ) قام مدير مستعمرة السينغال الفرنسية آنذاك آندري بري بالتجول في منطقة نهر السينغال والالتقاء بالبيضان، وجمع معلومات عن المنطقة.

وفي مطلع القرن الثامن عشر زار القس لابات آرگين، وكتب بتفصيل رحلته إلى أرض البيضان، كما تحدث عن رحلات مدير المستعمرة السينغالية آندري بري.

وفي سنة 1778م (1192هـ) قام الحاكم الفرنسي العام لجزيرة گوري السينغالية ألكسندر لوبراسور بزيارة الساحل الأطلسي لأرض البيضان، وقام بجمع معلومات عن البيضان وطرق التبادل التجاري معهم.

وفي مايو (ربيع الثاني) من نفس السنة تحطمت بالساحل الشنقيطي سفينة "لومارين" الفرنسية فوقع ركابها أسرى في يد مجموعة من صيادي إيمراگن، وأمضوا شهرين في الأسر وجابوا الساحل الشنقيطي من الرأس الأبيض إلى اندر (سينت الويس)، وكان من بين هؤلاء الأسرى قس يدعى اگليكور، فقام بتدوين رحلتهم واصفا حياة السكان البيضان ومعاملتهم لهم[664].

وفي السنة الموالية قام تاجر فرنسي بالسينغال يدعى دومنيك لاميرال بالتجول في منطقة حوض النهر، وكتب كتابا حول مشاهداته أفاض فيه في الحديث عن البيضان وحياتهم وأنشطتهم المختلفة.

وفي يناير 1784م (صفر 1198هـ) غرقت بالشواطئ الشنقيطية سفينة فرنسية تسمى "لي دوزامي" (الصديقان) فأسر البيضان اثنين ممن كانوا على متنها هما صونيى وجاك فولي، وقضى هذان الفرنسيان ثلاثة أشهر في الأسر متنقلين عبر الصحراء مع البيضان، وكتبا عن تجربتهما وعن حياة شعب البيضان الذي أسرهما.

وفي إبريل سنة 1785م (جمادى الأولى 1199هـ) تجول الفرنسي جان باتيست دوران مدير شركة السينغال الفرنسية في المحطات التجارية النهرية، وكتب عن رحلته هذه متحدثا بإسهاب عن منطقتي الترارزة والبراكنة.

[664] محمد سعيد بن همدي، موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، مرجع سبق ذكره، ص8. ومحمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص68-96.

وفي شعبان (يوليو) من نفس السنة غرقت بجزيرة آرگين سفينة فرنسية كانت تقل ابيير ريموند ديبريسون فوقع في أسر البيضان، ومكث معهم أربعة عشر شهرا في تجوالهم، وكتب عن تجربته وعن المنطقة بعد عودته إلى فرنسا.

وفي خريف نفس السنة تجول الرحالة الفرنسي اگزافيي كولبيراي في المنطقة النهرية، وضمن رحلته التي استمرت ثلاث سنوات معلومات كثيرة عن البيضان وعن التبادل التجاري معهم.

كما تجول في المنطقة في نفس السنوات الفرنسي فيلونوف جوفروي وترك مؤلفا يصف فيه رحلته ويتحدث فيه عن البيضان.

وفي يوليو 1816م (شعبان 1231هـ) تحطمت سفينة "لاميديز" الفرنسية جنوب الرأس الأبيض على السواحل الشنقيطية، ونجا الفرنسي گاسبار تيودور موليين من هذا الحادث وتمكن من الوصول إلى اندر، ثم تجول بين الساحل الأطلسي الشنقيطي ومحطات التبادل النهرية بين الفرنسيين والبيضان. وبعد عودة خاطفة إلى فرنسا رجع موليين وقام برحلة إلى منابع السينغال وغامبيا، ونشرت رحلته هذه سنة 1820م (1235هـ) تحت عنوان: "رحلة إلى قلب إفريقيا ومنابع السينغال وغامبيا".

وفي أغسطس 1824م (ذي الحجة 1239هـ) أشرف الوالي الفرنسي بالسينغال البارون روجي على تنظيم رحلة المستكشف الفرنسي ريني كايي المشهور عند البيضان بولد كيجه الذي قام باستكشاف بلاد البراكنة، وكان يفكر في الاتجاه منها برا إلى تنبكتو، وقضى في البراكنة تسعة أشهر متنقلا من مكان إلى آخر، مدعيا بأنه مصري مسلم يسمى عبد الكريم، جاء ليتعلم العلم، حيث التحق بمحظرة محمد بن سيدي المختار الإيچيچبي، وعاد إلى بلاده في مايو 1825م (رمضان 1240هـ) بعدما جمع معلومات مهمة عن البيضان وعن منطقة البراكنة.

وقام بويي وياميز الذي تم تعيينه سنة 1842م (1258هـ) واليا بالسينغال بإعادة تنظيم الوجود الفرنسي بهذه المستعمرة، متجاوزا طبيعته التجارية إلى الوضع الاستعماري، وطلب من فرنسا الموافقة على استخدام القوة ضد البيضان لإنهاء هيمنتهم على الممالك السودانية الواقعة جنوب النهر[665].

[665] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مجلة مصادر، الكراس الثالث، 2002، ص21.

وفي اكتوبر 1843م (رمضان 1259هـ) قام الضابط البحري جان فرانصوا كاي بمهمة استطلاعية في حوض نهر السينغال قادته إلى كل من بلاد الترارزة والبراكنة حيث جمع معلومات عن السكان ونمط حياتهم. وأطلق هذا الضابط لأول مرة تسمية موريتانيا على بلاد البيضان الشناقطة.

وفي السنة الموالية قام الموظف الفرنسي بالسينغال آن رافينيل بمهمة استكشافية في حوض نهر السينغال جمع خلالها معلومات عن البيضان وعلاقاتهم بالزنوج[666]. وقام الوالي بويي وياميز في نفس السنة بحملة استعراضية في الترارزة، وجابت وحداته البراكنة، وباشر اختطاف الأمير البركني المختار بن سيدي ووزيره عبد الله انجاي، ثم نفاهما إلى الگابون[667].

وأدرك البارون روجي الذي عاد إلى فرنسا وأصبح رئيسا للجنة الجزائر والمستعمرات بالبرلمان الفرنسي الأهمية الاستراتيجية التي تحظى بها بلاد شنقيط بسبب موقعها الواقع بين المستعمرتين الفرنسيتين الجديدتين السينغال والجزائر، فقام في 27 نفمبر 1848م (فاتح محرم 1265هـ) بتوجيه رسالة إلى وزير البحرية الفرنسي اقترح عليه فيها تنظيم رحلة استكشافية تدرس سبل الربط بريا بين الجزائر والسينغال، معتبرا «أن ذلك ستكون له أهمية كبيرة للتجارة والعلوم والسياسة معا[668]». واقترح البارون روجي على الوزير الفرنسي تكليف ليوبولد ابانى، وهو مولد فرنسي سينغالي، بالقيام بهذه المهمة، مبررا اقتراحه بأن ابانى يعرف القليل من الحسانية ويمكنه أن يتقنها بسهولة إذا قضى شهرين في أحد مخيمات الزوايا، حيث سيتعلم التقاليد التي عليه أن يلتزم بها كي لا يثير شكوك أو انزعاج القبائل البيضانية التي سيمر بها خلال رحلته. وتم تكليف ليوبولد اباني رسميا بهذه المهمة فباشر في تنفيذها سنة 1850م (1266هـ) مدعيا أنه مسلم من أصل تركي، لكن ابانى عدل عن التوجه إلى الجزائر واتجه إلى المغرب بعدما تعرض للضرب والشتم والشك في صدق إسلامه، وتعرضت قافلته للنهب.

وفي مارس 1851م (ربيع الثاني 1267هـ) قام الوالي الفرنسي ايروتى الذي حل محل بويي وياميز بجولة عبر النهر استطلع خلالها المشاكل التي يواجهونها مع

---

[666] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص72.

[667] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص22.

[668] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص102.

الترازة وغيرهم من البيضان، وخلص –كما كتب في الرسالة التي وجه إلى وزير المستعمرات في 15 مايو 1851م (14 رجب 1267هـ) إلى أن «الحرب [مع الترارزة] لا مناص منها، وسنخوضها عاجلا أو آجلا، وعلينا أن نوقت لها، وأنا على يقين من أنكم ستمدونني بالوسائل الكفيلة بخوضها بصفة شاملة ومحمودة العواقب ضد الترارزة وكل [سكان] النهر.. فتلكم هي الطريقة الوحيدة لترسيخ نفوذنا وضمان تجارتنا على النهر بشكل دائم[669]».

وفي فاتح نفمبر 1854م (9صفر 1271هـ) تم تعيين الجنرال فيديرب خلفا لابروتى، فعمل على تنفيذ التصورات السياسية التي وضعها سلفه، وقام بمحاربة الترارزة وغيرهم من البيضان لإجبارهم على ترك الضفة الجنوبية لنهر السينغال واعترافهم بسلطة فرنسا عليها. وقام فيديرب في الثامن من نفمبر 1855م (27 صفر 1272هـ) بتوزيع منشورين مكتوبين بالعربية جاء فيهما: «ألم ير محمد الحبيب [أمير الترارزة] أن الله أجرى النهر، وجعله حاجزا وفاصلا وحدا بين البيضان والسودان، فلا بد من احترام حدود الله[670]»، ثم خاض عدة حروب في المنطقة مكنته من تدعيم النفوذ الفرنسي في مستعمرة السينغال، ومن إجبار أمراء الترارزة والبراكنة وإيدوعيش على التنازل عن سيادة البيضان على الضفة الجنوبية، وتوقيع اتفاقيات يقبلون فيها بتغيير أسس التبادل التجاري، وبالسيادة الفرنسية على الضفة الجنوبية، وبكون نهر السينغال هو الحد الفاصل بين بلادهم وبلاد الزنوج.

وعمل فيديرب على توسيع الاستكشافات في بلاد شنقيط، فقام بإيفاد عدة بعثات لاستكشاف مختلف مناطق بلاد شنقيط، ودراسة سبل ربط الجزائر بخط بري بالسينغال عبر الأراضي الشنقيطية، فكلف الملازم البحري إيجن ماج في دجمبر 1859م (جمادى الأولى 1276هـ) بالتوجه إلى منطقة تگانت مرورا بمنطقتي گيدي ماغه والعصابه لدراسة المنطقة وجمع معلومات استكشافية عنها. وختم ماج مهمته بتقرير نشر بعد عودته من رحلته ببضعة أشهر(سنة 1860م/ 1277هـ) تحت عنوان "رحلة إلى تگانت" خلص فيه إلى أن الربط الآمن بين الجزائر والسيغال في ذلك الزمن عبر بلاد البيضان يكاد يكون مستحيلا[671].

---

[669] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص23.

[670] المرجع نفسه، ص36.

[671] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص109.

وكلف فيديرب ضابط الهندسة البحرية فيلكران في 1860م (76-1277هـ) بمهمة مماثلة بالساحل الأطلسي الشنقيطي، خاصة منطقة آرگين، وقد درس فيلكران بمساعدة مرافقه الضابط البحري أوب منطقة خليج آرگين ووضعا لها خريطة مفصلة، ونشرا تقريرا عن مهمتهما تحت عنوان "استكشاف خليج آرگين"، وأوفد نقيب الأركان العامة الضابط هانري فينصان إلى منطقة آدرارعبر مناطق الترارزة وإينشيري وتيرس. وقد استغرقت رحلة هذا الضابط الذي يرافقه المترجم السينغالي المختار بن عبد الله الشيخ سك المشهور بابن المقداد وأربعة جنود وخادم سبعين يوما قطع خلالها ألفي كلم، وتعرض خلالها للنهب، ومنع من دخول أطار وشنقيط، وأنجز هذا المستكشف أولى خرائط البلاد. وقد نشرت رحلة فينصان تحت عنوان "رحلة استكشافية داخل آدرار".

وأرسل فيديرب الملازم الأول البحري دومنيك بوريل إلى منطقة البراكنة يوم 12 يوليو 1860م (23 ذي الحجة 1276هـ) في رحلة استغرقت ثلاثة أشهر تجول خلالها في مختلف أنحاء البراكنة، ونشرت رحلة هذا المستكشف تحت عنوان "رحلة داخل بلاد بيضان البراكنة". وبعث في نفس الفترة الملازم علي صل وهو سينغالي انخرط في الجيش الفرنسي إلى منطقة الشرق الشنقيطي، واستغرقت رحلة هذا المستكشف ثمانية وعشرين شهرا.

وفي دجمبر 1860م (جمادى الأولى 1277هـ) مول فيديرب رحلة حج للسينغالي المختار بن عبد الله الشيخ سك (ابن المقداد) كي يتمكن من اجتياز الصحراء وجمع معلومات عنها، وقد نشرت رحلة ابن المقداد تحت عنوان "رحلة برية بين السينغال والمغرب".

وفي دجمبر 1879م (ذي الحجة 1296هـ) نظمت الحكومة الفرنسية رحلة استكشافية للمستكشف ابول صوليي تهدف إلى دراسة إمكانية إنشاء للسكة الحديدية يربط بين الجزائر والسينغال عبر أعالي السودان، لكن صوليي الذي أصبح يوم 20 مارس 1880م (8 ربيع الثاني 1297هـ) على مقربة من أطار تعرض لنهب قافلته من قبل مجموعة من أولاد دليم كادت أن تقتله لولا تدخل الشيخ سعد بوه، وعاد صوليي أدراجه بعدما قضى خمسة وخمسين يوما في بلاد البيضان قطع خلالها أكثر من ألف

كلم، وتوج مهمته بوثيقة تحمل عنوان "تقرير إلى وزير الأشغال العمومية حول رحلة بين سينت الويس وآدرار دجمبر 1879م- مايو 1880م"[672].

وفي نهاية 1880م (1297هـ) انطلق من الشمال الضابط الفرنسي ابول افلاتير عضو لجنة السكة الحديدية العابرة للصحراء من ورگلة صحبة ثمانية فرنسيين، وفرقة حراسة جزائرية لاستكشاف الصحراء وتحديد النقاط المحتملة لطريق السكة الحديدية، لكن التوارگ اغتالوا الضابط افلاتير ومعظم مرافقيه في الطرف الجنوبي من الصحراء الجزائرية في فبراير 1881م (ربيع الأول 1298هـ). وانطلق من الجنوب للقيام بنفس المهمة بمنطقة حوض نهر النيجر مدير الشؤون السياسية بمستعمرة السينغال الضابط الفرنسي جوزيف گالييني، وأسر هذا الضابط وثلاثة من مرافقيه من قبل قوات الأمير أحمدو بن الحاج عمر الفوتي[673].

وفي مطلع 1887م (ربيع الثاني 1304هـ) كلفت الحكومة الفرنسية عضو المجلس الأعلى للمستعمرات شارل صولير باستكشاف السواحل الأطلسية الشنقيطية، فزار الرأس الأبيض، وخليج آرگين، والجزر القريبة منه.

ووصل في نفس التاريخ المستكشف الفرنسي كامي دولس إلى السواحل الشمالية لبلاد شنقيط، وكان قد تعلم مبادئ الإسلام والعربية في الجزائر، فأسره أولاد دليم غير أنهم لم يقتلوه لأنه ادعى لهم أنه جزائري مسلم، وحملوه إلى الشيخ ماء العينين الذي أطلق سراحه. وكتب هذا المستكشف معلومات متنوعة عن تيرس وآدرار والصحراء الغربية التي تجول فيها.

وفي سنة 1888م (1305هـ) كلفت فرنسا دولس باستكشاف الطريق المؤدية إلى تنبكتو من مراكش عبر توات وتافلالت، فاغتاله أدلاؤه من التوارگ في فبراير 1889م (جمادى الآخرة 1306هـ).

وفي 1889م (1306هـ) وصل الفرنسي ليون فابير إلى السواحل الجنوبية الغربية لبلاد شنقيط، وزار منطقة آرگين، وعاد في سنة 1891م (1308هـ) إلى المنطقة فقام برحلات داخل البلاد زار خلالها بلاد الترارزة وإينشيري وآدرار. ونبه هذا المستكشف في رحلته التي نشرت تحت عنوان "رحلة داخل بلاد الترارزة

---

672 المرجع نفسه، ص119.

673 محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص44.

والصحراء الغربية" على ضرورة تمركز فرنسي قوي على الشاطئ الشنقيطي لإفشال المحاولات الإسبانية في وادي الذهب والبريطانية في الطرفاية[674].

وفي 1893م (1310هـ) كان الفرنسيون في مالي يتحركون لبسط سلطاتهم على الأطراف الشرقية لبلاد شنقيط، حيث احتلوا تنبكتو سنة 1894م (1311هـ).

وفي نفس السنة قام الفرنسي گاستون دونى صحبة زميله هانري بونيفال برحلة استكشافية انطلقت من اندر (سينت الويس) متجهة إلى المغرب، فمر بالترارزة وآرگين، لكن قافلته نهبت فعاد أدراجه، ونشر رحلته التي أكد فيها على ضرورة إسراع فرنسا في بسط سيطرتها على الشاطئ الشنقيطي، تحت عنوان: "مهمة في الصحراء الغربية من السينغال إلى تيرس"[675].

وفي مارس 1899م (شوال 1316هـ) قررت فرنسا إيفاد بعثة استكشافية إلى عمق البلاد، وتم تكليف عالم آثار فرنسي يدعى بول بلانشي بقيادة البعثة التي تضم فرنسيين آخرين أحدهما جيولوجي يدعى ديرينس، والآخر عسكري يسمى اجوينو گامبيتا، كما تضم المترجم محمدن بن المختار بن عبد الله الشيخ سك المشهور بمحمدن ولد ابن المقداد، وثلاثين مجندا إفريقيا، وتتوفر على 85 جملا من بينها 67 محملة بالبضائع والمؤن. وقد حظيت هذه البعثة التي مثلت آخر محاولة فرنسية لاستكشاف البلاد قبل احتلالها العسكري بعناية كبيرة من قبل الفرنسيين إذ تولت مجموعة من رجال الأعمال الفرنسيين تمويلها، وقدمت لها وزارتا البحرية والدفاع الدعم والمساعدة، بينما أشرف الوالي الفرنسي في السينغال على تسخير فرقة عسكرية لضمان أمن البعثة وتقديم التسهيلات اللازمة لإنجاح مهمتها التي كانت تهدف إلى البحث عن المعادن في البلاد، والتنقيب عن نترات الصوديوم والذهب في بلاد شنقيط، ودراسة المنطقة المناسبة لمرور خط حديدي ينطلق من جنوب وهران إلى السينغال مرورا بآدرار، فضلا عن دراسة سبل بسط النفوذ الفرنسي على البلاد. وانطلقت هذه البعثة من اندر في إبريل 1900م (ذي الحجة 1317هـ) ووصلت إلى أطار الذي استقبلهم سكانه بالشتائم والتهديد، مطالبين الأمير بعدم السماح للنصارى بدخول المدينة، لكن أحمد بن الأمير المختار تولى استضافة البعثة نيابة عن والده الذي كان يوجد حينها خارج المدينة، وتعهد بحمايتها. وبعث ابلانشي ولد ابن المقداد إلى الأمير لإقناعه بالمجيء إلى أطار، أو السماح للبعثة بالانتقال إليه لتوقيع اتفاقية تجارية جديدة مع فرنسا. وبينما كان محمدن

---

[674] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص143.

[675] المرجع نفسه، ص168.

ولد ابن المقداد يفاوض الأمير خارج أطار، تمت مهاجمة البعثة من قبل السكان، ووقعت اشتباكات متقطعة بين الطرفين يومي 9 و10 يونيو 1900م (11 و12 صفر 1318هـ) أسفرت عن قتل عشرة أشخاص من المجندين، وتم نهب القافلة، وأسر الفرنسيين الثلاثة، بينما لاذ بقية الجنود بالفرار عائدين إلى اندر[676].

وأوفد الوالي الفرنسي على وجه السرعة رسلا إلى كل من الشيخ سعد بوه والمختار ابن عيده لضمان سلامة الفرنسيين. وطالب سكان آدرار الغاضبون من دخول النصارى إلى بلادهم بإرسال هؤلاء الفرنسيين إلى الشيخ ماء العينين في السمارة، لكن الشيخ سعد بوه نجح أخيرا في استخلاصهم مقابل فدية مالية بعدما قضوا سبعة وسبعين يوما في الأسر. وحرر ابلانشي تقريرا عن هذه المهمة تحدث فيه عن طبيعة المنطقة وثرواتها وسكانها وأنشطتهم الاقتصادية، كما تحدث عن مواقفهم السياسية من بسط النفوذ الفرنسي على المنطقة.

وتزامن هذا التقرير مع شروع فرنسا في الاستعداد للاستعمار الفعلي لبلاد شنقيط على يد مفوضها الاستعماري الشهير كبلاني.

[676] محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص169-228.

الاستعمار المباشر

تعلم الفرنسي اگزافيي كوبولاني (كبلاني) العربية، وتعرف على الإسلام بالجزائر حيث نشأ، ثم تخصص في الطرق الصوفية، وعمل على التقريب بين فرنسا والإسلام، مروجا لفكرة التعامل بتسامح مع المسلمين والعمل على كسب ود المشائخ الدينيين.

وفي يناير 1899م (رمضان 1316هـ) قام الجنرال الفرنسي المقيم بالجزائر ديترانتنيان بتكليف كبلاني بأول مهمة له في بلاد البيضان، تمثلت في القيام بدارستهم من وجهة النظر السياسية والدينية، وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلمية. وكان هدف كبلاني السياسي الأول هو مسالمة أولاد علوش ومشظوف، بينما كان هدفه الثاني استكشاف أحوال البيضان الدينية والتعرف على طرقهم الصوفية لاسيما الطريقة الفاضلية المنتشرة في الحوض ودورها في الحياة السياسية[677]. ونجح كبلاني في هذه المهمة، فرد وزير المستعمرات الفرنسي على هذا النجاح بالكتابة إلى الوالي الفرنسي العام بالجزائر في 30 دجمبر 1899م (26 شعبان 1317هـ) بأنه نظرا لنجاح كبلاني في مهمته في بلاد البيضان فإن «الوقت قد حان لكي نعطي لعلاقاتنا مع هذه القبائل وجهة أكثر اتساقا مع تقاليدهم ومعتقداتهم[678]».

وقررت فرنسا بناء على اقتراح من كبلاني دراسة فكرة احتلال الأقاليم التي يسكنها البيضان من الضفة اليمنى للنهر إلى خاي إلى تنبكتو إلى الجنوب الجزائري وإلى تخوم المغرب، وجمع هذه الأقاليم في مكونة استعمارية خاصة بها، وتم منح كبلاني لقب وصفة مقيم ببلاد البيضان البلاد التي أطلق عليها اسم موريتانيا الغربية مكلف بدراسة سبل إدارتها السياسية والإدارية، فقام كبلاني صحبة فرنسي آخر يدعى بينگير بإعداد مشروع احتلال البلاد، وقدماه إلى وزارة المستعمرات التي أحالته إلى

[677] الرائد جيلييه، التوغل في موريتانيا، تعريب الدكتور محمدن بن حمينا، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت 2007، ص127.

[678] روبير راندو، اگزافيي كوبولاني لوپاسيفيكاتير، مطبعة أ. إيمبير، 1939، الجزائر، ص72.

الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية لدراسته. لكن الوالي اعترض عليه قائلا «بأنه من الخطورة بمكان تغيير الوضع القائم بشأن العلاقات الفرنسية البيضانية المستقرة منذ أكثر من 50 سنة[679]». كما اعترض عليه الوزير ديلكاسي ذاكرا أنه «لا يمكننا في هذا الظرف إغضاب إسبانيا وإنگلترا بعزل وادي الذهب ورأس جبيي [الطرفاية] اللتين تطالبان بهما[680]».

ورد كبلاني على هذه الاعتراضات بتقديم مشروع أصغر يستثني وادي الذهب من خطة الاحتلال، ووافق الوزير ديلكاسي على هذا المشروع.

وفي مارس 1901م (ذي القعدة 1318هـ) وصل كبلاني إلى اندر (سينت الويس) في مهمة استطلاعية جديدة أخذ خلالها في توثيق عرى الصداقة مع عدد من مشائخ البيضان الدينيين، ثم عاد إلى فرنسا ليقنع السلطات بأن الأوان قد آن للشروع في تنفيذ الاحتلال.

وأدرك الزعيم الديني والسياسي الكبير بابه بن الشيخ سيديا بنظره الثاقب، وحنكته الفائقة، أنه لا قبل لقبائل البلاد الممزقة بالقوة الفرنسية التي احتلت كل الدول المحيطة ببلاد شنقيط، ولا راد لها عن احتلال أرض البيضان، فعمل وعمل معه الشيخ البارز الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل الگلگمي على تأمين قبائل البلاد، ومنع المستعمر الداخل إليها عنوة من استباحة أهاليها، مقابل عدم التعرض للسكان وثقافتهم وشعائرهم الدينية.

وأخذ الفرنسيون في التمهيد لسياستهم الاستعمارية بقيامهم في مارس 1902م (ذي القعدة 1319هـ) بالتدخل بصورة مباشرة في شؤون البيضان، حيث قاموا بإنشاء ثكنة مراقبة عسكرية في دگانه تتكون من فرقة مشاة، وفرقة من الخيالة السينغاليين، وفرقة مدفعية، تحت إمرة الرائد الفرنسي ديلابلان مكلفة بفرض زعامة الأمير أحمد سالم بن اعلي على الترارزة، ثم انتقلت هذه الثكنة في شهر مايو مع الأمير أحمد سالم إلى سهوة الماء شمال بحيرة الركيز حيث انضم إليه أنصاره. ومثل ذلك أول حضور عسكري للفرنسيين في بلاد البيضان. وتهادن الأمير أحمد سالم بن اعلي مع سيدي بن محمد فال الذي كان ينازعه الإمارة فانسحبت الثكنة الفرنسية من سهوة الماء.

---

679 المرجع نفسه، ص73.

680 المرجع نفسه، ص73.

وفي يونيو 1902 (ربيع الأول 1320هـ) صدر مرسوم يعين كبلاني أمينا عاما لمستعمرات الفئة الثانية مكلفا بقسم الدراسات الإسلامية والصحراوية، ثم عين من قبل الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية مفوضا عاما لموريتانيا في اكتوبر 1902م، (رجب 1320هـ) وقام بوضع تصوره لاحتلال ما أطلق عليه اسم موريتانيا السفلى (الترارزة والبراكنة وتگانت وآدرار) سلميا.

وغادر كبلاني في 10 دجمبر 1902م (9 رمضان 1320هـ) اندر للقيام بجولة عمل في الترارزة التي قرر أن يبدأ باحتلالها، وتمكن من دفع الأمير أحمد سالم بن اعلي إلى توقيع اتفاق يتنازل بموجبه عن امتيازاته وضرائبه العرفية مقابل تعويض فرنسي ثابت، ويضع بموجبه إمارته تحت الحماية الفرنسية، وقام بإنشاء أول مركز عسكري فرنسي ببلاد شنقيط بسهوة الماء (قرب الركيز) في 15 دجمبر 1902م (14 رمضان 1320هـ)، وأخذ في استقبال قبائل الزوايا التي وفدت إليه لإعلان خضوعها للسلطة الفرنسية[681].

وفي 5 فبراير 1903 (7 ذي القعدة 1320هـ) أقام كبلاني مركزا عسكريا ثانيا باخروفه (قرب المذرذرة)، وتوجه إلى انواكشوط لإقامة مركز عسكري ثالث، لكن استقباله لوفود قبائل المنطقة أخر إقامة ذلك المركز. وعاد كبلاني يوم 21 مارس (21 ذي الحجة 1320هـ) إلى اندر ومعه حشود من البيضان الذين خضعوا له، فانبهر الوالي الفرنسي روم بنجاح وسرعة الاحتلال السلمي للترارزة الذي قام به كبلاني. وقام وزير المستعمرات گاستون دومرگ بتهنئته على ذلك، ورخص له في احتلال بقية البلاد بنفس الطريقة بدءا بالبراكنة ثم تگانت، وأمره بتأجيل احتلال آدرار حتى يرخص له في ذلك.

وفي مايو 1903م (صفر 1321هـ) تم تعيين كبلاني مندوبا للوالي العام في موريتانيا، ومكلفا بالضرائب والعدل في مستعمرة الترارزة، في نفس الوقت الذي بدأت فيه بعض المجموعات البيضانية المسلحة بالتعرض للفرنسيين وتنظيم المقاومة ضدهم.

وتمكن كبلاني من احتلال البراكنة التي وصل إليها في دجمبر، وأقام فيها مركزا عسكريا بألاگ. وبعد عودته من البراكنة انتقل إلى انواكشوط حيث أقام مركزا عسكريا أسند قيادته إلى النقيب افريرجان، وعينه إداريا لمنطقة الترارزة الغربية. ثم أقام مركزا عسكريا آخر في گورگول، بانيا سياسته على توفير الحماية لمن يعلن له الخضوع من

[681] المرجع نفسه، ص94.

مجموعات البيضان، ومحاربة المجموعات التي تناهضه أو تهاجم القبائل الداخلة تحت حمايته. ومع تقدم العمليات العسكرية الفرنسية أخذ الوجود الاستعماري لفرنسا ببلاد شنقيط يترسخ. وفي 18 أكتوبر 1904م (8شعبان 1322هـ) تم تتويج هذه الوضعية الجديدة بمرسوم فرنسي يؤسس إقليم موريتانيا المدني، وخول كبلاني سلطة مفوض الحكومة العامة في هذا الإقليم[682].

ومع حلول 1905م (1322هـ) أخذ كبلاني يخطط لغزو تگانت في وقت أخذت فيه قبائل تگانت وآدرار والساحل التي بدأت تستشعر الخطر الفرنسي تمد يد العون للمجموعات التروزية والبركنية المناهضة للاستعمار، وأخذ الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل الگلگمي المقيم بالسمارة في تعبئة تلامذة الزاوية والقبائل المطيعة له لتجنيد المجاهدين، وإرسالهم للمساعدة في حماية تگانت وآدرار من الغزو الفرنسي، وإحباط استعمار كل من الترارزة والبراكنة، فاختلف بذلك موقفه مع موقف أخيه الشيخ سعد بوه لاختلاف المقاصد والوسائل، فالشيخ سعد بوه كان يعيش في أقصى جنوب بلاد شنقيط على الثغر المقابل للحامية الفرنسية باندر، وكان على اطلاع على حجم قوتهم العسكرية والسياسية، وعلى هشاشة قبائل البيضان وحالة الاقتتال الدائمة بينهم، فكان يرى أن مهادنة الفرنسيين عسكريا مقابل حماية المجتمع سياسيا وثقافيا أسلم للبيضان، على أن حربهم لن تغير من سياستهم الاستعمارية شيئا. أما الشيخ ماء العينين فكان في أقصى الشمال، حيث الوفرة والمنعة والسند المتمثل في القرب من مركز الدولة المغربية وسلطانها، وكان، مع أنه لم يكن يجهل حقيقة القوة الاستعمارية الفرنسية العسكرية والسياسية، حيث كان له عيون يمدونه بأخبار وتحركات الفرنسيين، يرى أنه لا بديل عن الجهاد، تحت راية السلطان العلوي ومنابذة الفرنسيين وإجبارهم على التراجع عن مشروعهم الاستعماري. وقام الشيخ ماء العينين في إطار خطته الجهادية بحث السلطان مولاي عبد العزيز العلوي على مد البيضان بالسلاح والذخيرة، وتعيين شريف ذي صلة به لقيادة عمليات الجهاد ضد الفرنسيين ببلاد شنقيط.

وأفلحت المقاومة الوطنية في بلاد شنقيط في قتل المفوض الاستعماري الفرنسي كبلاني يوم 12 مايو 1905م (7 ربيع الأول 1323هـ) بتجگجه على يد مجموعة من المجاهدين البيضان يقودهم الشريف سيدي بن مولاي الزين الذي سقط شهيدا في نفس المعركة.

---

[682] الرائد جيلييه، التوغل في موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص146.

وتصاعدت منذ ذلك التاريخ وتيرة المقاومة وتوسعت دائرتها، وأدركت فرنسا، التي تخلت بعد مقتل كبلاني عن سياسة الاحتلال السلمي، أنها لن تتمكن من السيطرة على البلاد ما لم تحتل آدرار، وهو ما تم لها في مطلع 1909م (أواخر 1326هـ) على يد العقيد گورو.

وواصلت فرنسا مساعيها للسيطرة على أطراف البلاد، وتنظيمها إداريا، لكنها لم تتمكن من القضاء نهائيا على المقاومة المسلحة فيها إلا بحلول سنة 1934م (1352هـ). وبقيت هذه المستعمرة التي أصبحت تدعى رسميا موريتانيا تحت سلطة فرنسا، إلى أن تم الإعلان، بعد عقود من النضال السياسي والثقافي، عن استقلالها الرسمي يوم 28 نفمبر 1960م (8 جمادى الآخرة 1380هـ) على يد المختار بن داداه أول رئيس للجمهورية الإسلامية الموريتانية المعاصرة.

ثبت بأهم المراجع

ابن انبوجه العلوي، فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور، مرقون.

أحمد الأزمي، الحاج عمر الفوتي والمغرب، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، ندوة دولية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 2001.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط4، القاهرة، 1989.

أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب نهر السينغال، جامعة انواكشوط، مرقون، 1987.

أحمد بن حبت، ورقات في التاريخ، مخطوط.

أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية محاولة لتأسيس ومقاربة المكتوب والمروي، مخطوط.

أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.

أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، الندوة العالمية المنعقدة بتنبكتو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 1997.

أحمد حسن الزيات، مجلة الأزهر، العدد 2، سبتمبر 1961.

أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مخطوط.

أميل هات، ابيتيت اكرونيك ديزي إيدوعيش، نشر مجلة الدراسات الإسلامية، باريس، 1937.

البرتلي، فتح الشكور في أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، 1991.

بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق، إزيد بيه بن أحمد محمود، الطبعة الثانية، انواكشوط، 1994.

بوبكر باري، لوروايوم دي والو، مطبعة كرتالا، 1985.

بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 1980.

بوبكر خالد باه، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مرقون.

اپيير بونت، إمارة آدرار، ترجمة بوبه بن محمد نافع، ط1، 2002.

پول مارتي، إمارة الترارزة، نشر أرنست لورو، 1919م.

پول مارتي، إمارة البراكنة، نشر أرنست لورو، 1921م.

پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، نشر جمعية الدعوة الإسلامية، 2001.

پول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

پول مارتي، البرابيش، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1987.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية، 2004.

تاريخ البرابيش، مخطوط.

حوليات ولاته مخطوط

خديجة بنت الحسن، تحقيق منظومة ابن احجاب في تاريخ إمارة الترارزة، منشورات بيت الحكمة، تونس، 1991.

الخليل النحوي، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

ددود بن عبد الله، الإسلام والمجتمع في إفريقيا الغربية خلال القرنين 17و18م، حوليات كلية الآداب، ع2، 1990.

روبير راندو، اگزافيي كوبولاني لوپاسيفيكاتير، مطبعة أ. إيمبير، 1939، الجزائر.

سيدي أحمد بن أحمد سالم، تحقيق تاريخ ابن اطوير الجنه، نشر جامعة محمد الخامس، الرباط، 1995.

سيد أحمد بن أحمد سالم، العلاقات الثقافية الموريتانية السعودية، مجلة العرب، العدد 29، يناير - فبراير 1994.

سيدي أحمد بن أسمه، ذات ألواح ودسر، مخطوط.

سيد بن الزين العلوي، كتاب النسب، مخطوط.

سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد غلي، مخطوط.

الشيخ التراد بن السري، إيدوالحاج الترارزة، مذكرة تخرج، مرقون.

الشيخ سيدي محمد الكنتي، الطرائف والتلائد، مخطوط.

الشيخ سيدي محمد الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله بن السالم، منشورات مؤسسة امربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، 2007.

الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان، رسالة في التاريخ، مخطوط.

الشيخ محمد المامي، جمان البادية، مخطوط .

الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، تحقيق ابن الشيخ محمد الأمين محمد المختار، مرقون.

الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت، 2005.

الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية، مخطوط.

الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، منشورات معهد الدراسات الإفريقة، الرباط، 2001.

صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، مخطوط.

الطالب اخيار بن الشيخ مامينا آل الشيخ ماء العينين، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، منشورات مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2005.

طه حسين، المجموعة الكاملة، دار الكتاب اللبناني، 1982.

عائشة بنت احمياده، نظرة تاريخية على رئاسة البرابيش، مرقون.

عبد الرحمن با، التكرور ديزوريجين آلا كونكيت ابار لومالي (التكرور من الأصول إلى السيطرة المالية)، المطبعة الجديدة، انواكشوط، 2002.

عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تاريخ السودان، تحقيق ونشر هوداس، 1981.

عبد الله بن بن احميده، الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط مبحث النشأة والأصول، ط1، انواكشوط، 2001.

عبد الودود بن انتهاه السمسدي، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مخطوط.

محمد بن أبي مدين، المنيحة، تحقيق إبراهيم بن محمد بن أبي مدين، مرقون.

محمد بن أحمد يوره، كتاب الآبار، تحقيق أحمدو بن الحسن، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1990.

محمد محمود بن الشيخ الأرواني، الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد شنقيط والمغرب
وتنبكتو وأروان، مخطوط.

محمد سعيد بن همدي، موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، سلسلة مقالات، ترجمة محمد بن محمد المختار، مرقون.

محمد عبد الله بن محمدا، الضرائب العرفية ودورها في أزمة إمارة البراكنة خلال النصف الأول من القرن 19م، مرقون.

محمد فال بن بابا العلوي، التكملة في تاريخ إمارتي الترارزة والبراكنة، تحقيق أحمدو (جمال)، نشر بيت الحكمة، تونس 1986.

محمد ماء العينين، تاريخ الشرفاء العروسيين، إصدارات مركز الشيخ سيدي أحمد العروسي، 2004.

محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، تحقيق مريم بنت ءاده ، مرقون.

محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703م إلى 1860م، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003.

محمد المختار بن السعد، حرب شربُبه، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994.

محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مجلة مصادر، الكراس الثالث، 2002.

محمدو محمد احظانا، معقول اللامعقول في الوعي الجمعي العربي، صورة المغيب في المخيلة الشعبية الموريتانية نموذجا، إصدار دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ط1، 2002.

محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001.

محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني (نصوص فرنسية غير منشورة)، المطبعة الجديدة، انواكشوط، 2000م.

محمود كعت، الفتاش، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، نشر هوداس ودلافوس.

محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، قرطاج، 1990.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، طبع جامعة محمد الخامس، الرباط 1994.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، طبع دار الغرب الإسلامي، 2000.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء المدلش، مرقون.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرقون.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء تجكانت، مرقون.

المختار بن حامدٌ، جزء حوادث السنين، مرقون.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء المحاجيب، مرقون.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء شرفاء تيشيت، مرقون.

المختار بن حامدٌ، موسوعة حياة موريتانيا، جزء إيدوعيش، مرقون.

المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، 1966.

مصطفى ناعمي، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد35، 1985.

الناني بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرقون.

انواكشوط عاصمة موريتانيا خمسون عاما من التحدي، دار سيبيا، 2006.

والد بن خالنا، ورقات في أنساب الصحراء، مخطوط.

والد بن خالنا، كرامات أولياء تشمشه، مخطوط.

يحيى بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، نشر معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003.

فهرست